ديوان

كُثَيِّر عَزَّة

جمعه وشرحه

الدكتور إحسان عباس

نشر وتوزيع
دار الثقافة
بيروت - لبنان

١٣٩١هـ. ١٩٧١م.





ديوان كثير

كان كثيّر مكثراً من قول الشعر ، فقد كان عبد الله بن أبي عبيدة يقول: من لم يجمع من شعر كثيّر ثلاثين لاميّة فلم يجمع شعره ، وكان هذا الشخص نفسه يملي شعره بثلاثين ديناراً[1] ، وفي هذا دلالة على كثرته . وقال القالي في سرد الكتب التي حملها معه إلى الأندلس : « شعر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي ، تام ، جزءان ، قرأتهما على أبي بكر بن دريد »[2] ، وقد شرحه كل من محمد ابن حبيب وابن السكيت وعن هذين الشرحين ينقل البكري في معجم ما استعجم وياقوت في معجم البلدان ؛ ولكن الديوان لم يصلنا ولا وصلنا شرح له حتى اليوم ، ولم يذكره البغدادي في مقدمة الخزانة بين الدواوين التي اطلع عليها .

ونظراً لاحتجاب ديوان كثيّر فقد كان جمع أشعاره من المصادر المخطوطة والمطبوعة هو السبيل الوحيد لحصر ما تبقّى من شعره ووضعه بين يدي القرّاء وإخضاع ذلك الشعر لأحكام الدارسين ؛ وقد كان الشيخ هنري بيريس اضطلع بهذه المهمّة فجمع ما وجده من شعر الشاعر ، وشرحه في جزءين نشرهما عامي ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ (بمطبعة جول كربونل بالجزائر) ، وكان عمله في حدود ما تيسّر له حينئذ من مصادر أمراً جديراً بالثناء والتقدير ، إذ ظلّ هذا العمل حتى اليوم مرجعاً في شعر كثيّر .

---

١ الأغاني ٩ : ٥ .

٢ فهرسة ابن خير : ٣٩٦ .

ومن الطبيعي بعد ما يقرب من أربعين عاماً أن تكون قد عرفت مصادر خطية ومطبوعة تستدعي إعادة النظر في ما جمع من شعر الشاعر ، وكان «منتهى الطلب» الذي يحوي ثماني عشرة قصيدة لكُثَيِّر ، في مقدمة تلك المصادر ؛ وقد حداني هذا العدد من القصائد إلى استخراجها من منتهى الطلب وشرحها ، غير أنّ النسخة التي لديّ من ذلك الكتاب قد أخلّت بقصيدتين . فلم يبقَ منها إلا ١٦ قصيدة قمت بشرحها وتخريجها ، وأوردتها حسب ترتيبها هنالك في هذا المجموع الجديد ؛ ثم تناولت سائر شعر كثيّر بالجمع والترتيب والشرح وذلك بالاعتماد على المصادر التي رجع إليها الجامع الأول وعشرات غيرها — كما يتضح من فهرست المراجع — .

ولا بأس أن أشير إلى أن الجامع الأول للديوان لم يراعِ ترتيب الأبيات حسب طبيعة القصيدة العربيّة ، وأدخل أحياناً في شعر كثيّر ما ليس منه ، أو مزج قصيدتين لتشابههما في الوزن والقافية ، أو أخطأه التوفيق في الشرح — فراعيت كل ذلك ، دون أن أدعي البراءة من الخطإ في ما حاولته ؛ ورأيت استيفاءً للعمل أن أُلحق بكل قصيدة بياناً بتخريج أبياتها وتعليقاً على ما يلحق بها ، وليس منها ، إن كان هناك مجال لذلك . وحرصت في الشرح على أن لا أستقلّ بتفسير بيت وجدته مشروحاً في المصادر ، فذلك في نظري أدعى لثقة القارىء واطمئنانه .

إن جمع شعر شاعر من المصادر أمرٌ يُيسِّر كثيراً من الفائدة ، ولكنّه لا يخلو من عيوب ، فبعض القصائد لا تلتئم أجزاؤها بل تظلُّ أبياتاً متناثرة ، وبعض القصائد المتشابهة في وزنها ورويها قد تتداخل . كذلك فإن هذا الجمع لا يعطي صورة عن شعر الشاعر كلّه بل تظلُّ هنالك قصائد مفقودة أو لا يعثر إلاّ على نتف منها . وفي حال كثير مثلاً حدّثنا ابن سلام أن الشاعر مدح يزيد بن عبد الملك بسبع قصائد لا نملك منها إلاّ خمساً ، وقيل إنّ له ثلاثين لاميّة لم يتوفّر لدينا من أصولها (كاملة أو ناقصة عدا الأبيات المفردة) إلاّ ست وعشرون ؛ ويُفهم من نصّ للمرزباني أن كثيراً هجا ولد عبد الله بن الزبير وليس في ما

جمعته من شعره شيء من ذلك ؛ — ومع هذا فإني أرجّح جانب الفائدة على كل هذه العيوب مجتمعة ، إلى أن يتاح لأحد أن يعثر على الديوان ، فتلك أُمنية يلغي تحقّقها هذا الجهد كلّه ؛ غير أنّي سأكون — دون ريب — من أسعد الناس بها .

وقد أتاح لي هذا العمل أن أدرس كثيراً في حياته وشعره . فأمّا حياته فإن الأخبار عنها تكاد تنحصر فيما أورده أبو الفرج في الأغاني ، وليس في المصادر الأخرى إلاّ أشياء يسيرة عنها ؛ وأمّا شعره فسوف يلمح القارىء أنّني أوجزت في دراسته مكتفياً بملاحظات عامّة تمثّل صورة لما انطبع في نفسي عن هذا الشعر ، وذلك لأن قسماً من شعر كثيّر لا يزال ضائعاً ، ولأن أكثر قصائده لم يكتمل بالجمع ؛ ومن الخير أن يتأنّى الدارس في الحكم وهو لا يجد بين يديه إلا صورة قد ضاعت أجزاء من وسطها وأطرافها ؛ وكلّ ما قلته في دراسة الشعر قد يكون قابلاً للردّ إذا سُدّ النقص وظهر المفقود .

ولا يسعني في الختام إلاّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل لصديقي العلامة الأستاذ الشيخ حمد الجاسر فإنّه قدّم لي كل عون في ضبط أسماء الأماكن وتحديد مواقعها تحديداً دقيقاً ، سواء أكان ذلك بالرجوع إليه شخصياً أو بالعودة إلى المصادر الجغرافية الّتي حققها ونشرها عن جزيرة العرب أو بإعداد ذلك الثبت القيم الذي طبع ملحقاً للديوان ، وقد تفضل فأمدّني بعدد من المخطوطات الّتي أعانتني كثيراً في إنجاز هذا العمل ؛ كما أشكر صديقيّ الأستاذ خليل طعمه والأستاذ أنطون صادر لما بذلا من جهد في إخراج هذا الديوان ؛ والله أسأل أن يجنبنا الزلل والعثرات ، بيده الخير إنّه على كل شيء قدير .

إحسان عبّاس

بيروت في كانون الثاني (يناير) ١٩٧١

حياة كثير وشعره

١ — تمحيص الأخبار عنه :

يكاد معظم الأخبار التي وصلتنا عن كثيّر عزّة أن يكون مستمدّاً من مصادر ثلاثة : أوّلها وأقلّها أهميّة قصة كثيّر وعزّة كما صيغت لتكون مادّة للتسلية والسّمر ، على مثال غيرها من قصص المحبين[١] ، وفي هذا المجال لعب خيال مؤلفي كتب الأسمار دوراً بارزاً في توجيه الأحداث ، كما كان لقياس قصّة من قصص العشق على أُخرى أثره في تلفيق الأخبار المتشابهة وتنسيقها ، وإلى هذا النوع من الجهد تُعزى تلك الحكايات التي نشأت لتفسير بعض الجوانب في الشعر . وقد بقيت بعض السمات من هذا المصدر بارزة في ما نقله صاحب تزيين الأسواق . وثاني هذه المصادر هو كتاب « أخبار كثيّر » لإسحاق بن إبراهيم الموصلي[٢] ، وهو كتاب لم تصلنا منه إلا نتف يسيرة ، غير أنّه يلتقي مع المصدر الثالث في بعض الروايات ، وأعني بالمصدر الثالث جهد الزبير بن بكّار في كتابيه : أخبار كثير ؛ وإغارة كثيّر على الشعراء[٣] ، وهذا المصدر هو أهم المصادر جميعاً وعليه كان جلّ اعتماد أبي الفرج الأصفهاني في ما نقله في كتاب الأغاني من أخبار الشاعر ، وما كنّا لنشكّ في الطبيعة الكليّة لهذا المصدر لولا أن الشيخ أبا عبيد الله المرزباني قد أطلق من حوله كميّة غير قليلة من الضباب حين قال : « تحامل الزبير بن بكّار على كثير ، فيما جمعه من أخباره وبين عليه من سرقاته ، ظاهر ؛ وهو خصم لا يُقبل قوله على كثيّر لهجاء كثيّر لولد

١ انظر الفهرست : ٣٠٦ .
٢ الفهرست : ١٤٢ .
٣ الفهرست : ١١١ .

عبد الله بن الزبير وانحراف الزبير عن أهل البيت عليهم السلام »[1] ؛ فالمرزباني ينسب التحامل إلى الزبير بن بكّار في ناحيتين : ناحية الخبر وناحية الكشف عن سرقات كثيّر ، وليست هاتان الناحيتان متساويتين ، ولذا كان لا بدّ من الفصل بينهما عند التصدّي لمناقشة هذه التهمة المزدوجة ، وعلى الرغم من أن الزبير ابن بكّار سلك فيهما طريق الرواية عن غيره فإن الفرق بينهما سيظل قائماً ، لأنّ الخبر يدخل في باب الصدق والكذب ، بينما يدخل الكشف عن السرقة في باب « الرأي » النقدي ؛ وفي هذه الناحية الثانية تكون تهمة التحامل أمراً نسبيّاً ، للخلاف في الرأي بين الناقدين إذ يتناول كل واحد منهما الأمور من زاوية خاصة ؛ ولست أدافع عن الزبير في هذا الموقف ولا أتهمه ، فهو في هذه الناحية يصدر عن مواضعات معينة لم تكن تؤثّر في تقديره هو للشعر وحسب بل كانت تؤثر في أذواق الكثيرين على مرّ الزمن ، كما أنّه يردّد آراء رواة لا نستبعد تحاملهم على كثيّر وفيهم جدّه عبد الله بن المصعب[2] . وقد كان تخصيصه كتاباً كاملاً للكشف عن إغارة كثيّر على الشعراء هو المسئول عمّا قد نحسّه من إسراف في هذه الناحية ، غير أنّه يمثّل أيضاً صورة من تلك المحاولات الكثيرة التي جعلت النقد العربي منذ القرن الثالث يهتم اهتماماً خاصّاً بموضوع السرقات الشعريّة ، وهو موضوع قد تعرّض للافتعال أكثر من سائر موضوعات النّقد الأدبي .

والأمر مختلف فيما يتعلّق بالتحامل في إيراد الأخبار ؛ وقبل أن نناقش هذا الأمر يجدر بنا أن نقرّر أن الذين كتبوا عن الزبير بن بكّار وصفوه

---

١ الموشح : ٢٤٥ .

٢ روى الزبير عن عمه المصعب أنه سئل : من أشعر الناس ؟ فقال : كثير بن أبي جمعة ، وقال : هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم (يعني الشعراء) — الأغاني ٩ : ٥ — وهذا يدل على أن بعض الزبيريين كانوا يقيمون حداً فاصلا بين التقدير للشعر والعلاقات الشخصية التي نقدر أنها أصبحت باهتة بعد عشرات السنين .

بأنّه كان ثقة ثبتاً صدوقاً نبيل القدر[1] ؛ بينما وصفه بعضهم بأنّه كان منكر الحديث[2] وبين الوصفين بون بعيد ؛ وكتّاب التراجم أميل إلى دفع هذه التهمة عنه ، ممّا يرجح جانب الموثقين له . ثم إنّ الزبير بن بكّار لم يستقلّ بإيراد الأخبار عن كثيّر وإنّما اعتمد على نقلة الأخبار الذين حدّثوه بها ؛ وإذا فحصنا الأسانيد التي وصلتنا وجدنا أكثرها يرتد إلى أناس عاصروا كثيراً أو كانت لهم صلة خاصّة به ؛ فمن هؤلاء راويته السائب ، وحفص الأموي[3] الذي كان يتردّد عليه ليروي عنه شعره ، وحفيده عبد العزيز بن أبي جندل الخزاعي (وهو ابن ابنته جمعة) وطلحة بن عبد الله بن عوف الذي ولي المدينة وكان كثيّر يُكثر من زيارته ، وعبد الله بن أبي عبيدة الذي كان مهتمّاً بإملاء شعر كثيّر والتكسب بهذا العمل ؛ وبين هؤلاء وبين الزبير سلسلة من الرواة لا نستطيع اليوم أن نتناول كلاً منهم بالتعديل أو التجريح ، وكل ذلك يومىء إلى أن الزبير بن بكّار لم يعمد إلى التحامل على كثيّر ، وإنّما كان موقفه موقف الراوية الذي ينقل عن غيره ، فإذا كانت هناك من تهمة توجه إلى أحد فقد توجّه إلى بعض النقلة الذين أخذ عنهم؛ وعند تمحيص ما بقي من أخبار كثيّر منقولاً عن الزبير ، فإنّه من الممكن أن نقف عند الخبر الواحد ونتناوله بالمناقشة ، دون أن نحتاج إلى ترديد هذه التهمة التي أوردها المرزباني ؛ وأيّاً ما كان الأمر فإن تهمة «التحامل» تسقط من تلقاء ذاتها في هذا الصدد ، سواء قبلنا الخبر أو تشككنا فيه أو رفضناه جملة .

٢ ـ اسمه ونسبه :

المشهور في اسمه صورة التصغير «كثيّر» ، غير أنّه ورد في شعره مكبراً

---

١ الفهرست : ١١٠ .

٢ انظر تهذيب التهذيب ٣ : ٣١٢ وتذكرة الحفاظ ٢ : ٩٩ .

٣ انظر ترجمة حفص الأموي في معجم الأدباء ١٠ : ٢٠٩ .

وذلك حيث يقول :

وقال ليَ البُلاّغُ وَيْحَكَ إنها   بغيرك حقّاً يا كثيرُ تهيمُ

وكذلك ورد في شعر لأبي تمّام ؛ وربّما حمل ذلك على الضرورة الشعريّة ؛ والأوجَه من هذا أن يقال إن أهله سمّوه كثيراً (على التكبير) ، فلمّا شبّ ورأى الناس ضآلته وقصره ودمامته صغّروا اسمه ، فكانت صيغة التصغير نبزاً لزمه ، قال ابن خلكان : « وإنّما صغر لأنّه كان حقيراً شديد القصر »[1] ؛ وقد أدّت هذه الصيغة المصغّرة غايتين : أدّت مهمّة اللقب النبزيّ وميّزته عمّن سمّي كثيراً — بالتكبير — من معاصريه ؛ فإن لم يكن الأمر كذلك فلعلّ أهله سمّوه — مصغراً — للتحبب ، ثم تحوّل التحبب على ألسنة الناس إلى حقيقة ، لأن التسمية صوّرت مقدار ما منحه من « قلة » لا كثرة .

وهو خزاعيّ العمّ والخال : فأبوه عبد الرحمن بن الأسود من مليح من خزاعة وأمّه جمعة بنت الأشيم خزاعيّة أيضاً ؛ وكان الأشيم جدّه لأمه يُعرف بأبي جمعة[2] ، ولهذا يسمى كثيّر في المصادر حيناً بالملحيّ وحيناً بابن أبي جمعة ، كما يشار إليه بكنيته أيضاً وهي « أبو صخر » ، ولكن أشدّ التسميات دلالة عليه إضافة اسمه إلى محبوبته « عَزّة » .

٣ — نشأته :

ولم تعين المصادر سنة ولادته ، ولكنّها متفقة على أن وفاته كانت سنة ١٠٥ ﻫ في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك أو أول خلافة هشام ؛ ويقول المرزباني : إنّه

---

١ وفيات الأعيان ٣ : ٢٧٠ والخزانة ٢ : ٣٨٢ .

٢ كذا قال أبو الفرج (الأغاني ٩ : ٤) ولكن ابن خلكان يكني جده لأبيه — وهو الأسود —بأبي جمعة ثم يورد قولا لابن الكلبي يتفق مع ما قاله أبو الفرج .

زاد واحدة أو اثنتين على ثمانين سنة[1] وهذا يجعل تاريخ ولادته سنة ٢٣ أو ٢٤ هـ أي في أواخر خلافة عمر أو أوائل خلافة عثمان . غير أنّا لا نعرف له مشاركة في الحياة العامة قبل سنة ٦٥ أي حين بلغ الأربعين أو تجاوزها ؛ وهي سنّ متأخّرة لشاعر بدأ نشاطه الشعريّ في دور مبكر ، إذ لا نجد له أيّة صلة بمعاوية بن أبي سفيان أو ابنه يزيد أو حتى مروان بن الحكم ، فهل هذا يشير إلى انحرافه عن بني أميّة أول الأمر أو يدلّ على أنّه كان مكتفياً بحياة محدودة في بيئته الحجازيّة أو على الأمرين معاً ؟ الأصح أن يقال إن تقدير المرزباني لسنّه غير دقيق ، لأنّنا نجد أن قريحته الشعريّة على أشدّها عطاء بين سنتي ٦٥ ــ ١٠٥ ، وله مدائح في يزيد بن عبد الملك تدلّ على وقدة في القريحة وقدرة على إطالة القصيد دون شكوى من كبر أو شيخوخة ، وماذا يصنع ابن ثمانين في تردده إلى دمشق ــ أو حتى إلى البلقاء ــ ليقوم مادحاً بين يدي خليفة ، وقد ناءت به السنّ وثقلت على كاهله أعباء السنين ؟ الأقرب إلى الصواب أن يقال إنّه كان يقارب الخامسة والعشرين من سنّه عام ٦٥ ، وإن هذا العمر قد يمنحه استحكاماً في الشعر وقدماً راسخة فيه بحيث يستطيع أن يتردّد على عبد الملك بدمشق أو على عبد العزيز بمصر . وهذا يجعل تاريخ ولادته في حدود سنة ٤٠ هـ .

وقد توفّي والده وكثيّر ما يزال صغيراً لم يبلغ سن الحلم ، وعلى رغم صغره فقد كانت فيه حدّة وسلاطة يسميها الأقدمون عقوقاً حين تُستغل في خطاب الأب . فقد أصابت أباه قرحة في إصبع من أصابع يده فقال له كثيّر : أتدري لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك ؟ قال : لا أدري ، فقال كثيّر : ممّا ترفعها إلى الله في يمين كاذبة[2] .

وكفله عمّه بعد وفاة أبيه ، وكان رجلاً صالحاً ، لا يرضى من كثيّر تسرّعه وطيشه ويخشى عليه أن يسفه إذا هو تركه فارغاً في المدينة ، فاشترى

١ معجم الشعراء : ٢٤٢ .
٢ الأغاني ٩ : ١٩ .

له قطيعاً من الإبل وأنزله فرش ملل ، ثم ارتفع فنزل فرع المسور بن إبراهيم وكان قبل المسور لبني مالك بن أفصى فضيق بنو مالك على كثيّر وأساءوا جواره ، فانتقل عنهم وقال :

أبَتْ إبِلي ماء الرِّداهِ وشفَّها　　بنو العمّ يحمونَ النضيحَ المبرَّدا

فيقال إن هذا أول شعر قاله[1] . ويبدو أنّه أوّل عهده بالشعر كان شديد الانفعال يمثّل له الوهم أموراً خارقة للعادة ؛ فقد روى أنّه كان ذات يوم نصف النهار على بعير له يسير بالغميم أو بقاع جمدان ، فعرض له راكب فتأمّله فإذا هو من صفر وهو يجرُّ نفسه في الأرض جرّاً — يعني لطول رجليه فوق دابته — فقال له : قل الشعر ، وألقاه عليه فقاله لأوّل مرّة ؛ وكان هذا هو قرينه من الجنّ . ولو رويت هذه الحكاية في غير حال كثيّر لكانت نوعاً من التفسير التقليدي للأسطورة التي تزعم أن لكل شاعر قريناً من الجنّ ، ولكن استمرار الوساوس والخطرات والهواجس الغريبة في حياة كثيّر وتصوّراته ، يجعل لها هنا معنى خاصّاً[2] .

والأرجح أنّه قضى هذه الفترة من حياته في خدمة عمّه بالرعي أو بسوق الجلب من مكان إلى آخر ، وفي إحدى المرات كان يسوق غنماً إلى الجار على ساحل البحر الأحمر ، فلمّا بلغ الخبت وقف على نسوة من بني ضمرة فسألهن عن أقرب ماء يورد إليه غنمه ، وكانت فيهن فتاة صغيرة السن أول ما كعب ثدياها تكفلت بإرشاده إلى الماء ، وكانت هي عزّة التي نشب حبها في قلبه من يومئذ . وتضيف القصّة أنّه بينما كان يسقي غنمه جاءته عزّة بدراهم وقالت : يقلن لك النسوة بعنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك ، فدفع إليها كبشاً وقال : ردّي الدراهم وقولي لهن : إذا رحت بكن اقتضيت حقي ، فلمّا عاد أبى

[1] الأغاني ٩ : ٢٣ .
[2] المصدر نفسه .

أن يستوفي الثمن إلاّ من عزّة ، جاعلاً ذلك تعلّة كي يراها . ثم مضى لوجهه وباع جلبه وعاد في الطريق نفسها وأنشد النسوة :

نظرتُ إليها نظرةً وهي عاتقٌ على حين أن شبّتْ وبان نهودها
وقد درّعوها وهي ذاتُ مؤصَّدٍ مجوبٍ ولما يلبسِ الدرعَ ريدها

وأنشدهن أيضاً :

قضى كلُّ ذي دين فوفّى غريمه وعَزّةُ ممطولٌ معنًّى غريمها

فأبرزنها إليه وهي كارهة ، ثم أحبّته عزّة بعد ذلك أشدّ من حبّه لها[1].
هذه هي الرواية التي تصوّر أوّل تعلّقه بعزّة ؛ ومع أن لها مَشابه في قصص العشّاق ، فليس ثمّة ما يوهن من قيمتها التاريخيّة ؛ ولكن مزيداً من المناقشة قد يضعها تحت أضواء كاشفة ؛ وموطن الضعف فيها ليس في مقدار واقعيّتها بل في الصلة بين الخبر والشعر ؛ فالأبيات الداليّة من قصيدة مطلعها :

لقد هَجَرَتْ سُعْدى وطال صُدُودُها وعاوَدَ عَيْني دَمْعُها وَسُهودُها

ومن الصعب أن يقول شاعر ، يفتتح غزله في امرأة مال إليها قلبه أول مرّة ، لقد هجرت وطال صدودها . وقد قيل إن هذا البيت ليس لكثيّر وإنّما هو لنُصيب مع أبيات أخرى له ، فإن لم يكن هذا الخلط من صنع المغنّين ، فإنّا قد نستغلّه لتفسير الاصطراف — أي الأخذ الكليّ — الذي اتهم به كثيّر ؛ فكثيّر في هذا الدور من شعره كان يحاكي الشعراء الآخرين فيأخذ مطلعاً ويكمل عليه ، أو يستعير أبياتاً ويدخلها في تضاعيف قصيدته لأنّه درج على أن يضع أمامه نموذجاً ينسج على منواله ، ومن أجل ذلك اتهم بالأخذ والاصطراف ، وذلك لا يمثّل إلا دوراً محدوداً في حياته الشعريّة .

---

[1] الأغاني ٩ : ٢٥ — ٢٦ .

وأمّا البيت « قضى كل ذي دين . . . » فإنّه من قصيدة طويلة يدل سياقها على أن الحب كان قد رسخ في نفسه ، وأن ديار عَزّة كانت قد تقلبت بها بين قرب وبعد ، وأن الشاعر يعالج حالة قد أزمنت وأصبح انتزاعها عسيراً :

إذا سمتُ نفسي هَجْرَها واجتنابها   رأتْ غمراتِ الموتِ في ما أسومُها

وقد رويت للبيت مناسبة أخرى وهي أن الوعد المطول كان قبلة وعدته بها ، وكل هذا يجعل القصة السابقة طبيعية معقولة ، ولكن صلتها بالشعر واهية .

٤ – ثقافته وأثر جميل فيه :

وكانت المدينة تجمع بين كثير ومن فيها من الشعراء والرواة والاخباريين والمحدثين ، ففيها عرف نصيباً والأحوص وابن أبي عتيق وجويرية بن أسماء – وكان هذا صديقاً له – وطلحة بن عبد الله بن عوف وإبراهيم بن سعد وحفصاً الأموي الشاعر وغيرهم كثيرين ؛ وكانت ثقافته – فيما أقدر – قاصرة على لقاء هؤلاء المثقّفين وعلى رواية الشعر وحفظه ، ومن الصعب أن نفترض أن شاباً قضى معظم شبابه الباكر وهو يتنقّل بقطعان الإبل والغنم راعياً أو تاجراً قد استطاع أن ينال ثقافة منظمة . وشعر كثيِّر يدلُّ على أنَّ القوّة الموجّهة فيه ليست ثقافيّة ، وإنّما هو شعر امرىء يعتمد على إحساسه المرهف وموهبته الشعريّة ، شأنه في ذلك شأن كثير من الشعراء في عصره كجرير والفرزدق وجميل والأحوص وغيرهم . وكانت حياة الرعي الأولى قد عرفته إلى الطبيعة وحياة الحيوان ، ولكنّها علّمته علم الأمكنة في المدينة وفي المنطقة بينها وبين مكّة وفي المساحات الممتدة بينها وبين ينبع والجار وودّان ، أي عرف كل بقعة في تلك الناحية من تهامة ومن الحجاز وزادته عزّة معرفة بها ، إذ أخذ يرصد تنقّلها بين مياه تلك المنطقة ومراعيها ، فأصبح شعره – وظل حتى النهاية – سجلاً لأسماء تلك الأماكن ، سواء أكان في رحلة واقعيّة أو رحلة

خياليّة بينها ، وستزيده الأيّام معرفة بالمنطقة الممتدّة من المدينة حتّى الفسطاط ومن المدينة حتّى دمشق حين يصبح من الوافدين على أمير مصر أو على الخليفة في الشام .

ولكن صحبته لجميل بثينة ومرافقته له في تنقّلاته وروايته لقصائده كانت أكبر عامل في الوجهة الشعريّة التي سلكها ، وكانت أشعار جميل في بثينة تصور ما يعتلج في نفس كثيّر نحو عزّة ، فهو يحفظها ويقوم بإنشادها بين الناس ، وهي — من ثم — تلهمه إلى محاكاتها وتدفعه إلى ذلك ؛ ولذلك لم يقتصر كثيّر على الاصطراف من شعر صاحبه ، وإنّما تعدّى ذلك إلى اقتباس الطريقة . ونحن لا نعرف كيف اتصل كثير بجميل ، ولكن يبدو أن حياة المدينة جمعتهما على غير موعد ، وأُعجب كثير بصاحبه ، فرافقه يروي شعره ، وكانت هذه إحدى طرق التخرّج في قول الشعر يومئذ ؛ وكان كثيّر آخر من اجتمع له الشعر والرواية إذ تخرج شاعراً بعد أن كان راوية جميل ، وكان جميل راوية هدبة ، وهدبة راوية الحطيئة ، والحطيئة راوية زهير [1] ؛ وقد أصبح كثيّر — من بعد — يقدّم جميلاً على نفسه ويتّخذه إماماً ، ويشير إلى فضله عليه وأنّه تعلّم منه حتّى كان يقول : « هل وطّأ لنا النسيبَ إلا جميل ؟ » [2] . ويكبر إعجابه بجميل في بعض الأحايين حتّى إنه ليعده أشعر الناس :

حدث الأصبغ بن عبد العزيز قال : كنت عند طلحة بن عبد الله بن عوف ، فدخل عليه كثيّر ، فلما دخل من الباب أخذ برجله فثناها ثم حجل حتّى بلغ الفراش وهو يقول : جميل والله أشعر العرب (وفي رواية : أشعر الناس) حيث يقول :

وخبّرتماني أنّ تَيماء منزلٌ ... لليلى إذا ما الصيفُ ألقى المراسيا

---

١ الأغاني ٨ : ٩١ .

٢ الأغاني ٨ : ٩٧ .

فهذي شهورُ الصَّيف عنّي قد انقضَتْ فما للنّوى ترمي بليلى المراميا[1]

وإلى هذه المرحلة من حياته تعود تلك القصص التي تربط بينه وبين جميل في بعض الأحداث ، حتى لتصوّره في بعض الأحايين يقوم بمهمّة الرسول بين جميل وبثينة ، وجميل يقول له : « لا بدّ من أن ترجع عودك على بدئك وتستجد لي موعداً من بثينة »[2] وكثيّر يقول : « هل لك في أن آتي الحيّ فأنزع بأبيات من شعر أذكر فيها هذه العلامة (علامة اللّقاء السابق بوادي الدَّوم) إن لم أقدر على الخلوة بها ؟ » ويستصوب جميل رأيه ، فيذهب كثيّر فينشد قوله :

فقُلْتُ لها يا عزَّ أرسلَ صاحبي إليْكِ رسولاً والموكَّلُ مُرْسَلُ
بأنْ تجعلي بيْني وبيْنَكِ موعداً وأن تأمريني بالذي فيه أفعلُ
وآخرُ عهدي منكِ يومَ لَقيتني بأسْفَلِ وادي الدَّوْمِ والثوبُ يُغْسَلُ[3]

وأحياناً تصوّر تلك القصص أن جميلاً أيضاً أدّى لراويته مهمة مشابهة ، فأخذ له موعداً من عزّة ، وحضر الاثنان — جميل وكثيّر — معاً إلى الموعد ، وتحادثا مع عزّة طويلاً ، حتى أُعجبت عزّة بجميل — وكان جميلٌ طويلاً وكثير دميماً — فغضب كثير وأخذته الغيرة[4] .

كذلك تصل تلك القصص بين بثينة وعزّة ، وتقيم بينهما علاقة تشبه الصداقة بحيث تتفقان على أن تعبثا بكثيّر نفسه لتمتحنا مقدار صدقه في الحبّ ؛ فقد قالت عزّة لبثينة ذات مرّة : تصدّي لكثيّر وأطمعيه في نفسك حتى أسمع

---

١ الأغاني ٨ : ١٢٧ ، ١٢٦ .
٢ الأغاني ٨ : ١٠٧ .
٣ المصدر نفسه ؛ والشعر والشعراء : ٣٤٨ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ٣٩٩ .
٤ الشعر والشعراء : ٣٤٨ — ٣٤٩ .

ما يجيبك به ، فأقبلت إليه وعزّة تمشي وراءها مختفية ، فعرضت عليه الوصل ، فقاربها ثم قال :

رَمَتْني على عَمْدٍ بثينةُ بعدما تولّى شبابي وارجحنَّ شبابُها

عندئذ كشفت عزّة عن وجهها ، لما سمعت غزله في بثينة ، فإذا هو يضيف قائلاً :

ولكنّما ترمينَ نفساً مريضةً لعزّةَ منها صَفْوُها ولُبابُها

فضحكت وقالت : أولى لك قد نجوت ؛ وانصرفتا تتضاحكان[1] .

وتضاف هذه القصة إلى قصص أخرى تعرَّض فيها إخلاص كثيّر في الحب إلى الامتحان ؛ وسنقول في هذا اللون من القصص رأياً عند الحديث عن شخصية كثيّر . يكفي أن نقول هنا إن العلاقة بين كثير وجميل ، ليست من اختلاق القصّاص ، فأمّا ما دار حولها من قصص ثم ما دار من قصص حول الصلة بين عزّة وبثينة فإنّه كان — فيما أعتقد — نوعاً من الخيال الجميل الذي تُحلّى به كتب الأسمار ، أو تفسَّر به أبيات من الشعر . وليس من شك في أن إجراء الحوار بين أربعة من المحبين — رغم أنْف الواقع المكاني ونزولاً على حكم المصادفة الجبّارة — فيه من عنصر الإثارة والتشويق حظٌّ أكبر ممّا لو ساقه الراوي بين شخوص مغمورة لا سمة لها .

على أنَّ من حقّنا أن نسأل كم استمرت العلاقة بين الشاعر والراوية ؟ يقول ابن عساكر إن جميلاً توفّي سنة ٨٢ من الهجرة[2]، فإذا كان كثيّر — كما قدّرنا — قد بدأ حياته الشعريّة حوالي سنة ٦٠ ، فذلك يقدم لنا فكرة عن الفترة التي تعاصر فيها الرجلان . على أنّه ليس من الطبيعي أن نفترض أن كثيراً كان ملازماً

---

١ الأغاني ٩ : ٣٥ .

٢ تهذيب ابن عساكر ٣ : ٤٠٥ .

لجميل كظلّه ، طوال تلك الفترة ، فليس ذلك من طبيعة الأمور . بل إنّي لأعتقد أن فترة الاتصال بين كثيّر وجميل كانت أقصر من ذلك بكثير لسببين : أولهما أن كثيّراً «شبَّ عن الطوق» وأصبح شاعراً مستقل الطريقة قبل سنة ٧٠ هـ ، حتى اتخذ لنفسه راوية — هو السائب — كان يرافقه في رحلاته إلى مصر ؛ ومن وصل إلى هذه المرحلة فقد استغنى عن أن يظلّ راوية لشاعر آخر ، والسبب الثاني اعتقادي أن تاريخ وفاة جميل خطأ ؛ فالرواية تقول إنّ الخبر بوفاته جاء من مصر ، بينا كانت جيوش تأتي من قبل الشام تريد الحجاز [1] ، وهذا أشبه أن يكون سنة ٧٢ هـ عندما كانت جيوش الشام آتية للقضاء على ابن الزبير ، وليس في أحداث سنة ٨٢ ما يستدعي قدوم الجيوش الشاميّة إلى الحجاز .

٥ — عوامل التحوّل في حياته :

ولم يكن أثر جميل في حياته ليبلغ ما بلغ ، لولا أنّه تعرَّض للتجربة التي عاناها أستاذه أيضاً فوقع في حبّ عزَّة ؛ فهذه الحادثة تؤرخ بدء التحوّلات في حياته — وهي تحولات تختلف في مظاهرها ونتائجها — وكان دخول خندق الأسدي في دنياه فاتحة تحوّل آخر ، كما كانت مغادرته الحجاز لمدح عبد العزيز ثم عبد الملك بداية تحوّل ثالث . وقبل أن ندرس حياته من خلال هذه التحوّلات علينا أن نقرّر أنّه لم تأتِ سنة ٦٨ حتى كان كثيّر قد أحرز في الشعر مكانة مرموقة بين أهل المدينة وأصبح الذين يعاشرونه يغفرون له ما يجدونه من شذوذ في تصرّفاته وأحواله ، تقديراً منهم لشعره ؛ كذلك نقدّر أنّه عرف في المدينة بعض بني أميّة مثل مروان بن الحكم وابنيه عبد الملك وعبد العزيز ، وإن كنّا لا نستطيع أن نصوّر مدى صلته بهم . وكان أيضاً رغم انشغال قلبه بحب عزّة قد تزوّج ، ورُزق بنات وبنين ، وهم أولئك الذين تلطّف محمد بن الحنفيّة ذات مرّة

---

[1] الأغاني ٨ : ١٥٤ .

فسأل عنهم : « ويسأل عن بنيّ وكيف حالي » . ومن هؤلاء الأبناء نعرف ابنه ثواباً الذي أصبح من بعد شاعراً ، وابنة تسمّى ليلى ، لم يبق له عقب إلا منها ، وكان من أبنائها شاعر اسمه أبو سلمة ، وابنة ثانية سمّاها « جمعة » — باسم أمّه — وقد حدثت ببعض أخبار أبيها ، وعنها روى ابنها عبد العزيز تلك الأخبار .

أ — عزة وقصة الحبّ في ريعانه :

كانت عزّة التي أحبّها هي بنت حُميل (بضم المهملة) بن حفص من بني حاجب بن غفار ، فهي كنانيّة النسب ، وأبوها حميل هو أبو بصرة الغفاري المحدث [1] ؛ وكثير يكنيها في شعره أم عمرو ويسميها الضمرية وابنة الضمري ، — نسبة إلى بني ضمرة — وكثيراً ما يطلق عليها الحاجبيّة نسبة إلى جدّها الأعلى [2] ، وقد وصفتها امرأة رأتها بأنّها « امرأة حلوة حميراء نظيفة » [3] وأنّها حين تحدثت كانت « أبرع الناس وأحلاهم حديثاً » ، وتضيف المرأة التي وصفتها : « فما فارقناها إلا ولها علينا الفضل في أعيننا ، وما نرى في الدنيا امرأة تفوقها جمالاً وحسناً وحلاوة » [4] . ويصفها كثيّر في شعره بالنضج المبكر ، فقد لبست الدرع في السن التي يلبس فيها أمثالها صداراً مؤصداً مجوباً ، واستكملت الفخامة دون لداتها ، ونالت الأجزاء التي تُستحبُّ فيها الضخامة النسبيّة كالكفل والساقين والساعدين حظّها من ذلك :

إلى أن دَعَتْ بالدرعِ قبلَ لِدَاتِها ‏ ‏ ‏ وعادتْ تُرى منهنّ أبْهى وأفخما
وغالَ فضولَ الدرعِ ذي العرضِ خَلْقُها ‏ ‏ ‏ وأتعبتِ الحجلين حتى تَقَصَّما

---

١ الأغاني ٩ : ٢٤ وفي ميزان الاعتدال : أبو بسرة (بالسين) الغفاري ، غير معروف .
٢ الخزانة ٢ : ٣٨١ .
٣ الأغاني ٩ : ٢٨ .
٤ المصدر نفسه .

وكظّتْ سِوَارَيها فلا يألوانها لدنْ جاوزا الكفّين أن يتقدّما

وكانت أوّل ما رآها « غريرة » لا تزال تحتفظ بعقد من التمائم في جيدها :

وعُلِّقْتُها وسطَ الجواري غَريرة وما قُلّدت إلا التميمَ المنظّما

أمّا هو فيزعم أنّه كان حين عرفها قد « طرّ شاربه » :

وما زلتُ منْ ليلى لدنْ طرّ شاربي إلى اليوم ِ أُخفي حبّها وأُداجِنُ

ولكنّه كان — حسب تقديرنا — يناهز العشرين .

ويبدو أن تشهير كثيّر بعزة قد حدا بأهلها إلى تزويجها من أوّل خاطب ، فأمعن كثيّر في غزله مدفوعاً إلى ذلك بقوّة اليأس والتحدي جميعاً ، وتُعدّ قصائده الغزليّة المطولة السائرة ممّا قاله بعد زواج عزّة ، ومنها قصيدته :

خليليَّ هذا رَبعُ عَزَّةَ فاعقلا قَلوصيكما ثمَّ ابكيا حيثُ حلّتِ

وقصيدته :

ألا حيّيا ليلى أجَدّ رحيلي وآذنَ أصْحابي غَدَاً بِقُفُولِ

وقصيدته :

لعزّةَ هاجَ الشّوقَ فالدمعُ سافحُ مغانٍ ورسمٌ قد تقادمَ ماصحُ

ثم ازداد إمعاناً في غزله عندما رحلت عزّة مع زوجها وبعض قومها إلى مصر ، بعد أن كانت تزين « البلاط » بالمدينة ، وتجمّل غور تهامة . وقد ظلّ يومُ « الشّبا » من الأيّام التي لا تُنسى ، والشّبا وادٍ بالأثيل من أعراض المدينة ، أدرك فيه كثيّر صاحبته وهي مسافرة إلى مصر ، فوقف بمرأى منها ، وهي واجمة ، يحاول أن يثبت لها أن الوجد على فراقها يكاد يعتصر قلبه ، ويحث عينيه على

البكاء لتكون الدموع شاهدة على مشاعره الملتهبة ، ولكن الدمع خانه فلم يجبه :

أقولُ لدمعِ العينِ أمْعِنْ لَعَلَّهُ ... بما لا يُرى من غائبِ الوجد يَشهدُ
فلم أدرِ أنّ العينَ قَبْلَ فِراقِها ... غداةَ الشَّبا من لاعجِ الوجدِ تجمدُ
ولم أرَ مثلَ العينِ ضَنّتْ بمائها ... عليّ ولا مثلي على الدمعِ يَحْسُدُ
وبينَ التّراقي واللّهاة حرارةٌ ... مكانَ الشّجا ما إنْ تبوخُ فتبردُ

وأراد صديقه بعد عودته أن يخفّف عنه ألم الفراق فقال له : ألم تر إلى عزّة كيف كانت واجمة عليك غداة الشبا :

فَقُلْتُ لَهُ إنّ المودّةَ بَيْنَنا ... على غيرِ فُحْشٍ والصفاءُ قديمُ

هذا ما يمكن أن يُستمد من شعره ، ولكن للرواة في الحادثة منحى آخر ، فهم يروون أن كثيراً كان بمصر فاشتاق عزّة ، فلمّا وصل مكاناً في التيه يدعى فيفاء خريم لقيته هوادج نسوة من قِبَل المدينة ، وفيهن عزّة ، فعرفته ولم يعرفها ، فقالت له : لو أن عزّة لقيتك فأمرتك بالبكاء أكنت تبكي ؟ قال : نعم ، فنزعت عزّة اللثّام عن وجهها وقالت : أنا عزّة فإن كنت صادقاً فافعل ، فأُفحم[1] . وقد أشرنا من قبل إلى أن هناك قصصاً وضعت لتفسير الشعر ، ونضيف هنا أن هناك خطين متوازيين أحياناً أحدهما يمثّله الشعر والآخر تمثّله الحكايات ، وقد كانت حاجة الرواة إلى الحكايات ماسّة لأن شعر كثيّر وأضرابه من العذريين لا يقص أحداثاً ، وإنّما هو يتحدّث في الأكثر عن مواجد النفس وآمالها وآلامها وتمنّياتها وأوهامها وعن رحلة الظعن والأسف على الفراق وما أشبه . وبعض تلك الحكايات يتفق مع ما جاء في الشعر ويفسّره وبعضها يمعن في الخيال ؛ فالشعر والأقاصيص يتفقان على أن كثيّراً كان يتردّد إلى مكّة في موسم الحج ليرى عزّة ، وأنّه كان يقنع بالنظر أو الكلام العابر في شئون بعيدة

١ الشعر والشعراء : ٤١٩ .

عن أحاسيس النفس ولوعة الهوى ؛ وقد قصّ أحد أصدقاء كثيّر أن كثيّراً اتّخذه رسولاً إلى عزّة ، فاجتمع الثلاثة عند صخرات أبي عبيد ، فلمّا قام الصديق لينصرف أمره كثيّر بالبقاء ، قال ذلك الصديق : « فجلست وهما يتحدّثان وإن بينهما لثمامة عظيمة هي من ورائها جالسة حتّى أسحرنا ، ثم قامت فانصرفت وقمت أنا وهو »[1] .

ويتفق الشعر والقصص في تصوير ما كان يجده زوج عزّة من حرج وغيرة إذا هو شاهد كثيّراً يحوم حول الديار ، فهو أحياناً يجبرها على أن تُسمعه الشتم :

يكلّفُها الغَيْرانُ شتمي وما بها هواني ولكنْ للمليكِ استذلّتِ

وهو في مثل هذه الحال يتعمّد النأي بها حتّى كأنّه « هارب من الجيش » ويشتد عليها بالضرب :

إذا ما رآني بارزاً حالَ دونَها بمَخْبَطَةٍ ، يا حُسْنَ من هوَ ضاربُ

وكانت عزّة تواجه كثيّراً بضروب من الدلال ، فإذا سلّم عليها لم تردّ وردّت السلام على جمله ؛ ولا ريب في أن القصص التي نُسجت لتصوّر مداعباتها له تعتمد على أسس واقعيّة ؛ وقد صوّر هو في شعره مغايظتها له حين قالت له إنّك قد شحبت وأصبحت جافياً :

جفوتَ فما تهوى حديثَكَ أيِّمٌ ولا تَجْتديك الآنساتُ الحواضنُ

فغضب معتقداً أنّها لم تتجرّأ على أن تفاتحه بذلك إلاّ لأن زوجها هو الذي حرّضها على ذلك ، ووصف زوجها بأنّه « حوقل » — وهي لفظة من معانيها كبر السنّ والعجز عن النساء :

فقلتُ لها بل أنتِ حَنّةُ حَوْقَلٍ جرى بالفِرَى بيني وبينكِ طابنُ

---

[1] الأغاني ٩ : ٣٠ .

فصدّقْتِهِ في كلّ حقٍّ وباطلٍ   أتاكِ به نمٌّ الأحاديثِ خائنُ

وما قالته له يعتمد على المشاهدة ولا يحتاج أن يكون اختلاقاً من امرىء ماكرٍ ، كالذي تصوّره كثيّر ؛ وماذا تقول له عزّة وهو نفسه يشهد أنّه كان قد أصبح حين رأته :

... رجلاً أودى السّفارُ بوجهه   فلَمْ يَبْقَ إلاّ منظر وجناجن

غير أن تلك القصص تنفرد بشئون تصوّر مبلغ الذهول في الحبّ ، حتى إن كثيّراً ليبري عظمه ويجري الدم من يده وهو لا يشعر حين أقبلت عليه عزّة وهو يبري له سهماً في خيمته[1] ؛ وهو يلقى عزّة متنقبة فلا يعرفها ، فيتبعها طالباً وصالها ، فتقول له : وهل تركتْ عزّة فيك بقية لأحد ؟ فيقول لها : والله لو أن عزّة أمة لي لوهبتها لك[2] ! وهذه واحدة من حكايات رويت لتدلّ على أن كثيّراً لم يكن صادقاً في حبّه . ويبدو من خلال هذه الحكايات أن هناك أزمة حدثت في العلاقة بين كثيّر وعزّة ، وأن ذلك كان في السنين الأولى من ذلك الحبّ ، فانصرف كثيّر عنها إلى امرأة تدعى « ظلاّمة » ، وأخذ يزورها ويقيم عندها ؛ حدّث السائب راويته قال : « كنت مع كثيّر عند ظلاّمة ، فأقمنا أياماً ، فلمّا أردنا الانصراف عقدت له في علاقة سوطه عُقَداً ، وقالت : احفظها ، ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبني ضمرة ... (فخرجت عزّة) فجلس معها يحادثها وطرح سوطه بينه وبينها إلى أن غلبته عيناه ؛ وأقبلت عزّة على تلك العُقَد تحلّها واحدة واحدة ، فلمّا استيقظ انصرفنا ، فنظر إلى علاقة سوطه فقال : أحلّتها ؟ قلت : نعم فلا وصَلها الله ، والله إنّك لمجنون »[3] . والحكاية مقبولة ، إن أسقطنا منها الحديث عن نوم كثيّر في محضر صاحبته ، ونغمة التفاؤل في

---

١ الأغاني ٩ : ٢٨ .
٢ المصدر نفسه : ٣١ .
٣ الأغاني ٩ : ٢١٦ .

ربط العلاقة وفي حلّها ؛ إذ يبقى منها بعد ذلك قول السائب لصاحبه « والله إنّك لمجنون » وهذا يعني أن السائب كان قد سُرّ لشفاء كثيّر من حب عزّة ، وأن عودته لزيارتها (وهي تحل العلاقة) تشير إلى أنّه يبتذل نفسه ، وذلك هو ما سميناه أزمة في العلاقة بين المحبين ، وقد استطاع كثيّر أن يتغلّب على تلك الأزمة ، وأن ينسى ظلامة التي لم تكن إلاّ خطرة عابرة في حياة كثيّر ، إذ يضيف السائب قوله : « ثم وصل عزّة بعد ذلك وقطع ظلاّمة » [1] .

وتقول الرواية إن عزّة أحبّته بعد ذلك (أي بعد اللّقاء الأول) أشد من حبّه لها ؛ وهذه قضية يصعب إثباتها ، لأن عزّة نفسها في الموقف طرف سالب ، فهي لم تتحدّث عن مشاعرها ولم يتأتّ لها أن تصوّرها شعراً ، ولأن شعر كثيّر لا يصوّرها إلا بخيلة متمنعة ، تواجهه بالقطوب رغم إقلاله الزيارة :

أراكم إذا ما زرتكم – وزيارتي قليلٌ – يُرى فيكم إليّ قطوبُ

ومهما يكن من شيء فقد خايلته الأماني أن تكون عزّة من نصيبه – سواء أتمّ ذلك بعد الطلاق أو وفاة الزوج – واستأنى لعلّ وعسى ، ولولا حبّه لها لما اقتصر على زوجة واحدة :

وإنّي لأستأني ولولا طماعتي بعزّةَ قد جَمّعْتُ بين الضرائرِ
وهمّ بناتي أن يبنّ وحَمّمَتْ وجوهُ رجالٍ من بنيّ الأصاغرِ

ولكنّه ظلّ يعاني الحبّ حتى برىء منه في النهاية :

عجبتُ لبرئي منكِ يا عزُّ بعدما عمرتُ زماناً منكِ غيرَ صحيحِ

ولعلّ هذا تمّ بعد وفاتها .

---

[1] المصدر نفسه .

ب – خندق والتحول إلى الكيسانيّة :

تتابعت الأحداث على نحو سريع . وكثيّر مأخوذ النفس بسحر الحب والحبيبة . مقبل على ملاحقة الظعن ، وانتهاب النظرة العابرة ، وترقّب اللقاء في موسم الحج – فقد قُتل الحسين (٦١ ﻫ) ، واستبيحت المدينة في معركة الحرة ، وثار ابن الزبير في الحجاز وأخرج من كان بالمدينة من بني أميّة ، وكانت مرج راهط (٦٤) ثمرة الانقسام الكبير بين القيسية واليمنية ، بين أنصار ابن الزبير وأنصار الحق الأموي ؛ ثم أخذ ردّ الفعل لمقتل الحسين يتّخذ أشكالاً منها حركة التوابين أولاً ثم ثورة المختار الثقفي وكان الوجه الظاهري من ثورة المختار يحمل شعار الانتقام من قتلة الحسين ؛ ولذلك سعى المختار إلى أن يكسب تأييد محمد بن الحنفيّة .

والأرجح أن رجلاً اسمه خندق الأسدي وصل في تلك الفترة إلى المدينة ، وحاول استمالة بعض الناس إلى المختار ، وكان كثيّر في جملة الناس الذين استمالهم إلى دعوته ، فأصبح من يومئذ يُعد في الخشبيّة أو الكيسانيّة .

وتدل سرعة اقتناعه بدعوة خندق على أنّه كان يضمر ميلاً خاصّاً إلى آل عليّ ، وأنّه كان متألماً لمقتل الحسين ، وإن لم يستطع أن يعبّر عن ألمه حينئذ ، وأنّه وجد في دعوة خندق إلى الثأر للحسين ومبايعة ابن الحنفية ما يمنح مشاعره الشيعيّة شكلاً ووجهة .

ما هو هذا المذهب الذي سمّي بمذهب الكيسانيّة أو الخشبية ؟ لقد قسم الأشعري الكيسانيّة إلى إحدى عشرة فرقة[1] تشترك في النص على إمامة محمد بن الحنفيّة وتفترق في كيفية النصّ وحول وفاته أو بقائه حيّاً في جبل رضوى . فالفرق التي آمنت بوفاته ، عادت فافترقت حول من يخلفه . وتتميّز

---

١ مقالات الإسلاميين : ١٨ وما بعدها .

الكربيّة من بين هذه الفرق – وهم أصحاب أبي كرب الضرير – بإيمانهم أن محمد بن الحنفية حيّ بجبل رضوى عن يمينه أسد وعن شماله أسد ، وأنّه يغتذي بالعسل والماء حتى يجيء اليوم الذي يرجع فيه ؛ وإذا صحّت نسبة الأبيات الآتية إلى كثير فإنّها تدل على أنّه كان كربيّاً :

ألا إن الأئمّةَ من قريشٍ ولاةُ الحقّ أربعةٌ سواءُ
عليٌّ والثلاثة من بنيهِ همُ الأسباطُ ليس بهم خفاء
فسبطٌ سبطُ إيمانٍ وبرٍّ وسبطٌ غيّبَتْهُ كربلاء
وسبطُ لا يذوقُ الموتَ حتى يقودَ الخيلَ يقدمها اللواء
تغيّبَ لا يُرى فيهم زماناً برضوى عنده عسلٌ وماء

فقد نسبتها معظم المصادر لكثيّر وهي تدل على أنّه كان يؤمن بإمامة علي ثم الحسن ثم الحسين ثم محمد بن الحنفيّة ، وهو المهدي المنتظر :

هو المهديُّ خبّرَناهُ كَعْبٌ أخو الأحبارِ في الحِقَبِ الخوالي

ولا علاقة له بالخلافات الكثيرة التي نشأت حول الإمام بعد ابن الحنفية . وقد سمّي هؤلاء كيسانيّة نسبة إلى كيسان ، قيل هو المختار الثقفي نفسه ، وقيل هو كيسان صاحب حرس المختار ، وقيل هو مولى لعليّ بن أبي طالب ، ومن قال بالرأي الأول لم يفرّق بينهم وبين المختارية ؛ وأتباع المختار هؤلاء يسمّون الخشبيّة ، زعموا لأنّهم كانوا يحملون الهراوات أثناء خروجهم مع المختار [1] .

---

١ يقول المقدسي (البدء والتاريخ ٥ : ١٣٣) وأما الخشبية فإنهم أصحاب إبراهيم بن مالك الأشتر قتلوا عبيد الله بن زياد وكان عامة سلاحهم ذلك اليوم الخشب ؛ وفي ابن الأثير (٤ : ٢٥١) أن الخشبية كانوا مع أبي عبد الله الجدلي الذي أرسله المختار لإخراج ابن الحنفية من السجن « وإنما قيل لهم الخشبية لأنهم دخلوا مكة وبأيديهم الخشب كراهة شهر السيوف في الحرم ، وقيل لأنهم أخذوا الحطب الذي أعده ابن الزبير » .

ذلك هو المفهوم العام الذي يُستنتج من كتب الفرق حول الكيسانية [1] ؛ ويقول الأصفهاني إن كثيّراً كان غالياً في التشيّع يذهب مذهب الكيسانيّة ويقول بالرجعة والتناسخ [2] ؛ فأمّا الرجعة فإن كانت هي الإيمان برجعة محمد بن الحنفيّة من جبل رضوى فذلك هو ما أشرنا إليه من قبل . ولكن أبا الفرج يورد روايات عن كثيّر تدل على إيمانه برجعته هو ، فمن ذلك :

أ – قال كثيّر : كنا ببيداء بأشراف السيالة وبهذه الناحية فما بقي موضع ببيداء إلاّ وقد جئته ، فإذا هو على حاله ما تغيّر ولا تغيّرت الجبال ولا الموضع الذي كنّا نطوف فيه ؛ وهذا يكون حتى نرجع إليه (وكان يؤمن بالرجعة) [3] .

ب – نظر كثيّر إلى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال : بأبي أنتم هؤلاء الأنبياء الصغار ! وكان يرى الرجعة (مفهوم الرجعة هنا هو التناسخ) [4] .

ج – دخل عبد الله بن حسن على كثيّر يعوده في مرضه الذي مات فيه ، فقال له كثيّر : أبشر فكأنّك بي بعد أربعين ليلة قد طلعتُ عليك على فرس عتيق [5] .

د – بكى بعض أهل كثيّر عليه حين نزل به الموت ، فقال له كثيّر : لا تبك فكأنّك بي بعد أربعين ليلة تسمع خشفة نعلي من تلك الشعبة راجعاً إليكم [6] .

وهذه الرجعة التي يؤمن بها كثيّر تكون حيناً قياماً من القبر وحيناً لوناً من التناسخ ، أما عن إيمانه بالتناسخ فقد ذكر أبو الفرج أنّه كان يحتجُّ بعقيدته هذه بقوله تعالى ﴿ في أيّ صورةٍ ما شاء ركّبك ﴾ ويقول : ألا ترى أنّه

---

١ انظر الحور العين : ١٥٧ والبدء والتاريخ ٥ : ١٢٨ والشهرستاني ١ : ١٣٢ والنوبختي : ٢٨ والقمي : ٢١ .
٢ الأغاني ٩ : ٤ .
٣ الأغاني ٩ : ١٧ .
٤ الأغاني ٩ : ١٧ – ١٨ .
٥ الأغاني ٩ : ١٧ .
٦ الأغاني ٩ : ٣٥ .

حوّله من صورة في صورة[1] . وهو يقول لعمته : « أنا يونس بن متى »[2] .
ويقول الشهرستاني في الكيسانيّة : « ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وغير ذلك . . . على رجال . . . وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت »[3] .

وليس من السهل اليوم أن نتصوّر كيف كانت عقيدة الكيسانيّة في دورها الأول – في عهد كثيّر – وما الذي جدّ عليها من تطوّرات ، ولكن يبدو أن الروايات التي أوردها أبو الفرج تنسب إلى كثيّر جميع صور الغلوّ التي لصقت بالكيسانيّة على اختلاف فرقها ؛ غير أنّه ليس من المستبعد أن تكون قد حملت على أوائلهم تلك المعتقدات التي تطوّرت لديهم من بعد . ومن المفيد أن نتذكر أن كثيّراً لم يورد في شعره شيئاً يدلّ على ما هو أكثر من إيمانه بتسلسل الأئمة (إذا صحّت نسبة الشعر له) ؛ وقد رثى صديقه خندقاً الأسدي فلم يشر بشيء إلى عقيدته أو بعض عناصرها ؛ وكان اعتقاد الناس بأنّه أحمق يبيح نسبة أشياء من الحماقات وأشباهها من الغلوّ إليه ؛ خذ تلك الرواية التي نسبت إليه أنّه قال لعمّته : « أنا يونس بن متى » تجد أصلها في معتقد الكيسانيّة ولكنّ نقلها إلى كثيّر يُعدّ نوعاً من الوهم الطريف ، فبعض الكيسانيّة شبّه محمد بن الحنفية بذي النون (يونس) : فكما أن ذا النون عوقب بأن قُذف به في بطن الحوت فكذلك محمد بن الحنفيّة عوقب لمبايعته عبد الملك بن مروان بأن وُضع في جبل وعر وغارٍ مظلم وعلى جانبيه أسدان ، فكانت عقوبته عقوبة الأنبياء والرسل المقربين[4] ؛ ولا ريب في أن هذا الاعتقاد والتشبيه المتّصل به إنّما حدثا بعد

---

١ الأغاني ٩ : ١٦ وهي أيضاً حجة السبإية .
٢ الأغاني ٩ : ١٩ .
٣ الملل والنحل ١ : ١٣١ – ١٣٢ .
٤ القمي : ٢٢ .

وفاة محمد بن الحنفية ، إذ لا نعلم أن كثيّراً استاء من مبايعة ابن الحنفية لعبد الملك .

وتتمّة الكلام في عقيدة كثيّر أنّه قال وهو على فراش الموت :

برئتُ إلى الإلهِ منِ ابنِ أروى ومِنْ قولِ الخوارجِ أجمعينا
ومن عمرٍ برئتُ ومن عتيقٍ غَدَاةَ دُعي أميرَ المُؤمنينا

وهذه الرواية تدلُّ على أنّه ظلَّ متمسّكاً بعقيدته حتى وفاته . وعلى أثر هذا كلّه يجيء سؤال حتميّ : كيف كان الأمويون يقربونه وهم يعرفون مبلغ غلوه في كيسانيته ؟ وقد تنبّه الأقدمون لهذا السؤال فأجابوا عنه . قال أبو الفرج : « وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيّرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محلّه في أنفسهم وعندهم »[1] واستشهدوا على ذلك بأن عبد الملك كان إذا أراد أن يتحقّق من صدقه استحلفه بعلي بن أبي طالب[2] ؛ وتنبّهوا إلى أن مدائحه في بني أميّة قد تتعارضِ مع عقيدته فأوّلوا تلك المدائح . روي أن أبا جعفر محمد بن علي قال لكثيّر : امتدحتَ عبد الملك بن مروان ؟ فقال : لم أقل له يا إمام الهدى ، إنّما قلت يا شجاع ، والشّجاع حية ، ويا أسد ، والأسد كلب ، ويا غيث ، والغيث موات[3].

والأمر في تقديرنا يختلف عن ذلك كلّه ، وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة نقرّر أنَّ كثيّراً كان يحب عليّاً ، وأن عمل خندق في حياته هو أنّه وجّهه إلى الإيمان بإمامة محمد بن الحنفيّة ، وبذلك صحّت نسبته إلى الكيسانيّة بهذا القدر ، ولم يكن ذلك الإيمان في حينه ليتعارض مع صداقته لبني أميّة ، لأن الناس انفضُّوا من حولهم وبقي الأكثرون مع ابن الزبير ؛ فكان الزبيريون هم خصومه الحقيقيين

---

١ الأغاني ٩ : ٤ .
٢ الشعر والشعراء : ٤١٦ – ٤١٧ ووفيات الأعيان ٣ : ٢٦٦ .
٣ أمالي المرتضى ١ : ٢٨٧ .

لا بنو أميّة ، وخصوصاً وأن بني أميّة كانوا قد لقوا من الاضطهاد على يد ابن الزبير شبيهاً بما لقيه محمد بن الحنفية بعد قليل ، فقد أخرجهم ابن الزبير من المدينة ثم وجَّه همّه إلى محمد بن الحنفيّة . قال اليعقوبي : « وأخذ ابن الزبير محمدَ بن الحنفيّة وعبد الله بن عبّاس وأربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم ليبايعوا له ، فامتنعوا ، فحبسهم في حجرة زمزم وحلف بالله الذي لا إله إلاّ هو ليبايعُنّ أو ليحرقنَّهم بالنار »[1] . وقال أبو الفرج : «كان عبد الله بن الزبير قد أغري ببني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويغري بهم ويخطب بهم على المنابر ويصرح ويعرّض بذكرهم . . . ثم بدا له فيهم فحبس ابن الحنفية في سجن عارم ، ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم فجعلهم في محبس وملأه حطباً وأضرم فيه النار . . . »[2] . وسمع عبد الملك بما يقاسيه محمد بن الحنفيّة وأشياعه من اضطهاد عبد الله بن الزبير فكتب إليه يقول : « إنّه قد بلغني أن ابن الزبير قد ضيّق عليك وقطع رحمك ، واستخفّ بحقّك حتى تبايعه ، فقد نظرت لنفسك ودينك ، وأنت أعرف به حيث فعلت ما فعلت ، وهذا الشأم فانزل منه حيث شئت فنحن مكرموك وواصلو رحمك وعارفو حقّك »[3] ، عندئذٍ خرج محمد ابن الحنفية نحو الشام ، وكثيّر في ركابه ، يرتجز قائلاً :

أنْتَ إمامُ الحقّ لَسنا نمترِي
أنْتَ الذي نرضى به ونَرْتجي
أنت ابنُ خيرِ الناسِ من بعد النبي
يا ابنَ علي سرْ ومَنْ مثلُ علي
حتى تحلّ أرضَ كلبٍ وبلي

---

١ تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦١ .
٢ الأغاني ٩ : ١٥ .
٣ طبقات ابن سعد ٥ : ١٠٧ .

فلمّا بايع محمد بن الحنفية لعبد الملك (حوالي سنة ٦٩ هـ) ، لم يعد لدى كثيّر من صعوبة في التردّد على الأمويين ومدحهم بالقصائد الجياد ، مخلصاً دون نفاق أو تقية ، خصوصاً وأنّهم يكنون له التقدير ويحلونه من أنفسهم محلاً لطيفاً ؛ وليس في هذا شيء من مفهومات التناسخ والرجعة ، وليس هناك حمق يسهل معه نسبة كل ذلك لكثيّر ، إذ ماذا يمكن أن يكون محلّ رجل أحمق كالذي تصوّره الروايات في غاية البلاهة وضيق الأفق ؟ إنّنا إن صدقنا ذلك عنه على حاله ، نطعن في قدرة رجل مثل عبد الملك أو عبد العزيز — وهما من هما — على تمييز الصالح من الطالح بين الرجال .

إذن ما سرّ كل ذلك الذي قيل حول كثيّر ؟ : سرّه أن كلّ من والى محمد ابن الحنفية كان يُعدّ كيسانيّاً . وأن مفهومات الكيسانية بعد فترة من الزمن اختلطت عند مؤرخي العقائد بغلو السبإيّة وغيرها من فرق الغالية ، وأنّ ما أصاب فروعها من غلو قد أُلصق بكلّ من نشأ حول محمد بن الحنفيّة في الدور الأول ؛ وكان كثيّر ممّن يحبونه ، وكان فيه مظاهر من الشذوذ التي تستبد بأهل الفن ، وهذه المظاهر من الإعجاب بالذات والتيه والتعالي (وهي أغطية على نقصه الجسدي) جرّت عليه من التندر ما سهّل نسبة الحمق إليه ؛ ومن هذا المنفذ يسهل اتهامه وإيراد الحكايات الشاذة عن تخليطه ؛ وكان الزبيريون المتأخرون (عبد الله ومصعب والزبير) ورواتهم يعرفون للكيسانيّة صورة واحدة ، هي صورتها الغالية ؛ فلم يجدوا عناء كبيراً في نسبة عقائدها إلى كثير ، وبخاصة أنّه كان منحرفاً عن ابن الزبير مشايعاً لابن الحنفيّة .

ذلك هو التفسير الذي تعين عليه وقائع الأحوال ، لأن شعر كثيّر — وهو الوثيقة التي نملكها إلى جانب الأخبار — ليس فيه ما يدلّ على هذا الغلوّ ؛ حتى الأبيات التي أوردناها من قبل تُنسب لغيره ، وقد بقيت قطع أخرى منسوبة له لا يوثقها شيء ، وهي تباين شعره من حيث منحاه الفني العام ؛ ومثلها قطعة تنقض تبرؤه من أبي بكر وعمر وعثمان وتؤكد خلافة مروان وابنه :

ومروانُ سادسُ مَنْ قد مضى   وكان ابنُهُ بعدَهُ سابعا

ومثل هذا التضارب يجعلنا نضرب صفحاً عن كل شعر ـ من هذا القبيل ـ نُسب إليه ، ونكتفي بالفرض الذي قدرناه من قبل وهو أن حبّه لمحمّد بن الحنفية لم يكن يتعارض مع إقباله على بني أميّة بالمدح . ومن العسير أن يقال إنّه لم يكن يمدح الأمويين مخلصاً ، وإن قلبه كان مع ابن الحنفية ولسانه مع الأمويين ، من العسير أن نقبل هذا الرأي ونحن نراه يرثي عبد العزيز بن مروان بعدّة قصائد ، ولو كان النّفاق المواجه هو الذي يوجّهه إلى المدح لما كان ما يوجّهه إلى الرثاء سوى الوفاء للعلاقات الطيبة والإحساس الصافي .

ج ـ التحوّل نحو مصر ودمشق :

قد رأينا كثيراً يخرج في صحبة محمد بن الحنفية إلى أطراف الشام ، حيث نزل أيلة ، ولكنّه لم يُطل المقام فيها لأن عبد الملك ألحّ عليه في مبايعته قبل أن تتوضّح الأمور ، فأبى وعاد إلى الحجاز واستقرّ به المقام في الطائف ، وبقي فيها حتى قتل ابن الزبير (٧٢ هـ) . ويبدو أنّ تهامة والحجاز قد اعتراهما قحط في بعض السنين (ونقدر أن يكون ذلك عام ٦٧) فأخذ النّاس يجلون عن بلادهم إلى الشام ومصر ، وكان في الجالية عزّة وقومها ، اتخذوا طريقهم على ساحل البحر نحو مصر ، ونزلوا في بعض المياه إمّا داخل حدود مصر أو على الطريق إليها .

وبلغ الأسى من كثير مبلغاً عظيماً حين بيّن له السائب راويته أن الدار قد شطّت بعيداً بعزّة . وعبّر عن هذا الأسى في قصيدة له يقول فيها :

سألتُ حكيماً أين صارتْ بها النوى   فخبّرني ما لا أُحبُّ حكيمُ
أجدُّوا فأمّا آلُ عزّةَ غدوةً   فبانوا وأمّا واسطٌ فمقيم
فما للنوى لا باركَ اللهُ في النوى   وعهدُ النوى عند المحبّ ذميم

وقد أشار كثيّر في هذه القصيدة إلى أن رحلة آل عزّة كانت اضطراريّة ، يعني بذلك الحطمة التي أصابت تهامة :

وما ظَعَنَتْ طوعاً ولكن أزالها   زمانٌ نبا بالصالحينَ مشومُ

وتحدث كيف أن أنظاره أصبحت معلّقة بأفق مصر ، لعلّه يرى البرق من ناحيته :

إذا برقَتْ نحو البويبِ سحابةٌ   لعَيْنيكَ منها لا تجفُّ سُجومُ
ولستُ براءٍ نحو مصرَ سحابةً   وإن بعدتْ إلا قعدتُ أشيمُ

ولكن هذا الحزنَ لم يُقعده بعد مسير عزّة ؛ إذ تقول القصة إنّه حين تحقّق رحيلها تبع قومها على راحلته ، فنهوه عن اللّحاق بهم فأبى ، وكان بنو جُدَيّ – وهم فرع من ضمرة – أشدّ بني ضمرة غيرة ، يسوءهم أن يشهر كثيّر صاحبتهم بغزله ، فكمن له تحت الليل جماعة منهم ، حتى إذا صار في وسطهم أخذوه وعدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار ، فأدخلوه فيها وربطوا يديه ورجليه ، ثم أوثقوا بطن الحمار ، فجعل يضطرب فيه ويستغيث ومضوا عنه ، فاجتاز به خندق بن بدر الأسدي فلمّا سمع الصوت عدل إليه فأطلق كثيّراً وأرجعه إلى الحجاز[1] .

إن هذه القصّة تحاول أن تعلل نشوء العلاقة بين خندق وكثيّر ، وكأنّها تُعتبر سابقة لمحاولة خندق أن يستميل كثيّراً إلى الإيمان بإمامة ابن الحنفية ؛ ونحن لا نستطيع القطع بتاريخها لأنّا لا نعرف على وجه اليقين متى كانت أعوام الجلاء التي أشرنا إليها . غير أنّها من وجه آخر تصوّر توجّه كثيّر بآماله نحو مصر لأن عزّة قد فارقت ديارها في تهامة ؛ وإذا كان كثيّر قد أخفق في بلوغ مصر هذه المرّة بسبب غيرة ذلك النفر من الجدويين فإنّه سلك الطريق إليها

---

١ الأغاني ١٢ : ١٧٢ – ١٧٣ .

مرّات عديدة من بعد . وقد أثّر في نفسه فعل أولئك الجدويين ، فهجاهم في بعض شعره فقال :

وما حَسِبَتْ ضَمْرِيّةٌ جَدَوِيّةٌ سوى التيسِ ذي القرنين أنّ لها بعلا

وقيل إن الأحوص لامه على هذا الشعر لمّا سمعه ، لأنّ عزّة ضمريّة فكأنّها داخلة في هذا الهجاء[1] ؛ والحقيقة أن كثيّراً كان يعبّر في علاقته بقوم عزّة عن موقفين متناقضين ، فهو حيناً يقول :

وإنّي لأهْوى قَوْمَها مِنْ جلالها وإنْ أظهرُوا غشّاً نصحتُ لهم جهدي
ولَوْ حارَبُوا قومي لكُنْتُ لقومها صديقاً ولم أحملْ على قومِها حِقدي

ثم هو حيناً آخر يهجو قومها هجاء مقذعاً ، وما ذلك إلاّ لتقلّبه بين حالي الرضى والغضب .

وأصبحت مصر محط آماله لا لأن عزّة فيها وحسب ، بل لأنّه يزور فيها صديقاً قديماً عرفه بالمدينة ، وهو عبد العزيز بن مروان الذي كان قد تولى شئون مصر منذ سنة ٦٥ هـ ؛ وأصبح مجلسه ملتقى الشعراء الوافدين من الجزيرة العربيّة لما شهر عنه من السخاء والاهتزاز للشعر الجميل .

وقد بقي من مدائحه في عبد العزيز تسعٌ بين قصيدة ومقطوعة ، يزعم كثيّر في إحداها أنّه كان قد لجّ في المعتبة على الأمير حتى خرج عن سنن العتاب ، وأن الأمير استطاع بلطفه أن يستلّ سخيمته وأن يردّه إلى العلاقة السابقة :

وكنتُ عتبتُ معتبةً فلَجّتْ بي الغُلَواءُ عن سَنَنِ العتابِ
وما زالَتْ رُقاكَ تَسلُّ ضغني وتخرجُ من مَكامِنِها ضبابي
ويرقيني لكَ الحاوونَ حتى أجابكَ حيّةٌ تحتَ الحِجابِ

---

[1] الأغاني ١٢ : ١٠٨ .

وقد ازدادت أسباب العلاقة بين كثيّر وعبد العزيز تواشجاً والتحاماً ، حتى إن الشاعر ليخيّل لنا أنّه سيقف شعره على عبد العزيز :

متى ما أقُلْ في آخِرِ الدَّهرِ مدحةً فَما هيَ إلاّ في ابنِ ليلى المكرَّمِ

وأنّه سيظل يهتف باسمه وينشر في الناس ذكره ، ما كُتبت له الحياة ، بقصائد سيارة في البلاد ترددها القبائل ويحدو بها الحداة :

وإلاّ يَعُقْنِي المَوتُ . والموتُ غالبٌ لَهُ شَرَكٌ مَبثُوثةٌ وحَبائلُ
أُحبِّرْ لَهُ قولاً تَنَاشَدُ شِعرَهُ إذا ما التَقَتْ بَينَ الجِبالِ القبائلُ
وتصدرُ شتى من مصبٍّ ومُصْعِدٍ إذا ما خلَتْ ممّن يحلُّ المنازلُ
يُغَنِّي بها الركبانُ من آلِ يحصبٍ وبصرى وترويه تميمٌ ووائلُ

وأمعن عبد العزيز في بره حتى إنّه عندما سمع إحدى قصائده حكّمه في ما يطلب ، فسأله كثيّر أن يعيّنه مكان ابن رمانة . وكان هذا كاتباً لعبد العزيز ، فعجب عبد العزيز من هذا الطلب لأن كثيّراً لا يعرف شئون الخراج والكتابة ، وخرج كثير من المجلس وقد خاب رجاؤه . فلمّا فكر في الأمر ندم وعاد إلى عبد العزيز واعتذر إليه قائلاً :

لئِن عاد لي عبدُ العَزيز بمِثلِها وأمكنني منها إذنْ لا أفيلها
فهل أنت إن راجعتك القولَ مرّةً بأحسنَ منها عائدٌ فمُنيلها

فيقال إن عبد العزيز لما سمع ذلك قال له : أما الآن فلا ولكن قد أمرنا لك بعشرين ألف درهم .

وفي بعض قدماته على عبد العزيز وجده مريضاً ، وأهله يتمنّون أن يضحك ، فقام كثيّر بين يديه وقال له : « والله أيّها الأمير لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوت ربي أن ينصرف ما بك إليّ ، ولكنّي أسأل الله لك أيّها الأمير

العافية ولي في كنفك النعمة » . فضحك عبد العزيز وأمر له بمال [1] .

وقد حقّقت له صلته بعبد العزيز أموراً كثيرة : يسّرت له الناحية المادية ، ومكّنته من رؤية عزّة في قدومه وعودته ، وفجّرت قدرته على المدح ، وكان حتّى ذلك الحين قد اقتصر على التغزل بعزة ؛ وقدّمته إلى عبد الملك بن مروان الخليفة بدمشق ؛ وكان راويته السائب بن حكيم (أو السائب بن ذكوان) يرافقه كظلّه في هذه الأسفار . وقد أخبر السائب عن إحدى تلك الرحلات بما يلي : « خرجت معه نريد مصر ، فمررنا بالماء الذي فيه عزّة فإذا هي في خباء . فسلّمنا جميعاً ، فقالت عزّة : وعليك السلام يا سائب . ثم أقبلت على كثيّر فقالت : ويحك ! ألا تتقي الله ؟ أرأيت قولك :

بآيةِ ما أتيتُكِ أمَّ عمرٍو ... فقمتِ لحاجَتي والبيتُ خالي

أخلوت معك في بيت أو غير بيت قط ؟ قال : لم أقله ، ولكنّي قلت :

فأُقْسِمُ لَوْ أتيْتُ البحرَ يوماً ... لأشْرَبَ ما سَقَتْني مِن بلالِ
وأُقسمُ أنَّ حبّكِ أمَّ عمرٍو ... لداءٌ عندَ منقطع السؤالِ

قالت : أما هذا فنعم ؛ فأتينا عبد العزيز ثم عدنا ، فقال كثيّر : عليكِ السلام يا عزّة ، قالت : عليك السلام يا جمل ؛ فقال كثير :

حيّتكَ عزّةُ بعد الهَجْرِ فانصرفَتْ ... فحيّ ويحك مَنْ حيّاكَ يا جملُ
لو كنت حيّيتها ما زلتَ ذا مقةٍ ... عندي وما مسّكَ الإدلاجُ والعمل
ليت التحيّةَ كانَتْ لي فأشكُرَها ... مكانَ يا جملُ : حُيّيتَ يا رجل [2] »

وأمّا صلته بعبد الملك فيبدو أن عبد العزيز هو الذي عمل على إنشائها ،

---

١ الشعر والشعراء : ٤٢٣ والعقد ٢ : ٤٤٨ ووفيات الأعيان ٣ : ٢٦٩ .
٢ الأغاني ٩ : ٣٢ .

فقد ذاعت قصائد كثيّر في عبد العزيز ، ووصلت أذن عبد الملك ، فأسرّ إعجابه بها إلاّ أنّه ألمحَ لأخيه أن كثيّراً لم يمدحه بقوله : « وما زالت رقاك تسلّ ضغني . . . الأبيات » وإنّما جعله راقي حيات ؛ وأبلغ عبد العزيز ذلك إلى كثيّر لعلّه يحفزه إلى مدح عبد الملك ، ووجدت الإثارة طريقها إلى نفسه فقال لعبد العزيز : أما والله لأجعلنّه حيّة ثم لا ينكر ذلك ، فمدحه بقصيدة يقول فيها :

يُقَلّبُ عينَي حَيّةٍ بمحارةٍ   أضافَ إليها السّارياتِ سبيلَها

وفي قصيدة أخرى عبّر عن المعنى الذي قاله لعبد العزيز فجعل عبد الملك هو البادىء بإيصال حبل العلاقة بينهما ، فقال :

وإن أميرَ المُؤمنينَ هُوَ الذي   غَزَا كامناتِ النُّصْحِ مني فنالها

ويلفتنا في هذه القصيدة نفسها قوله :

وإنّي مُدِلٌّ أدَّعي أن صحبةً   وأسبابَ عَهْدٍ لم أُقطِّعْ وصالها

فهو يشير إلى علاقة سابقة لعلّها تعود إلى عهد عبد الملك بالمدينة قبل أن يخرجه ابن الزبير منها . وله في عبد الملك مدائح كثيرة سنتحدّث عن مميّزاتها العامّة عند الحديث عن شعره ؛ كذلك مدح من بني أمية : بشر بن مروان الذي وليَ الكوفة ثمّ البصرة معها (سنة ٧٤) ، وأبا بكر ابن عبد العزيز وسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان وله قصيدة في رثاء خالد بن عبد الله بن أسيد ، وكل ذلك يدلّ على أن كثيّراً منذ أن غادر الحجاز لأول مرّة زائراً لعبد العزيز قد ربط شعره ببني أميّة ، ولم يلتفت في شعره إلى عاطفته القديمة التي وصلته بمحمد بن الحنفيّة . أترى من تحيز الرواية أن تبقى مراثيه في عبد العزيز (المتوفّى سنة ٨٥) وأن لا يصلنا أيُّ رثاء قاله في ابن الحنفيّة (المتوفّى سنة ٨١ هـ) أم أن هذا نفسه يصوّر شاعريّة كثيّر بأكثر ممّا يصوّر تحيّز الرواية ؟

أيّاً كان الأمر فإنّا نراه عند عبد الملك سنة ٧٠ هـ ، وكان قد وصل إليه قبل ذلك ومدحه بقصيدته التي يقول فيها :

إذا ما أرادَ الغزوَ لم تَثْنِ هَمَّهُ حَصانٌ عليها نَظْمُ دُرٍّ يَزينها
نَهَتْهُ فلمّا لم ترَ النهيَ عاقَهُ بكَتْ فبكَى ممّا شجاها قَطينها

فلمّا أزمع عبد الملك على الخروج إلى مصعب في العام المذكور كان كثيّر في جيشه ، فيقال إن عبد الملك رآه مطرقاً فدعا به وقال له : إنّي لأعلم ما أسكتك وألقى عليك بثّك ، فإن أخبرتك عنه أتصدقني ؟ قال : نعم ، قال : قل وحق أبي تراب لتصدقني ؛ قال : والله لأصدقنّك ، قال : لا أو تحلف به . فحلف به ؛ فقال عبد الملك : تقول رجلان من قريش يلقى أحدهما صاحبه فيحاربه . القاتل والمقتول في النار ، فما معنى سيري مع أحدهما إلى الآخر . ولا آمن سهماً عائراً لعلّه أن يصيبني فيقتلني فأكون معهما ، قال : والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت . قال : فارجع من قريب . وأمر له بجائزة[1] .

وقد نال إلى جانب هذه الجوائز إقطاعاً يسمّى عرباً قرب المدينة[2] (وفي الأغاني : غرباً) ؛ وقصّة أخذه هذا الإقطاع أنّه طلب من عبد الملك أن يعمره تلك المنطقة وهي مشهورة بنخلها . وكان كثيّر يخرج إليها أحياناً بولده وعياله ويصيب من رُطَبها وتمرها بشراء مرّة وطعمة مرّة . فأجابه عبد الملك إلى ما سأل . فلمّا عرف الناس بما فعل ندّموه وقالوا : أنت شاعر الخليفة ولك عنده منزلة فهلاّ سألت الأرض قطيعة ؟ فعاد إلى عبد الملك وهو يهم بركوب برذونه ، فلمّا رآه سأله عن حاجته ، فأنشده كثيّر أبياتاً يقول فيها :

وإنّكَ ما تَمْنعْ فإنّك مانعٌ بحقٍّ وما أعطيتَ لم تَتَعَقّبِ

---

١ الأغاني ٩ : ٢١ – ٢٢ .
٢ ياقوت : (عرب) .

فقال عبد الملك : أترغب عرباً ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : اكتبوها له[1].

د — التحوّل في النسب :

هل كان كثيّر يقدّر أنّه في فراقه للحجاز وما فيه من مرابع الصبا في رحلات متكررة إلى مصر والشام سيخضع لتحوّلات مختلفة ؟ لقد وصل أسبابه برجالات بني أميّة وصلاً أنساه أنّه كان ذات يوم شيعيَّ العاطفة . وأصبحت عزّة تحتلُّ مقدمات قصائده لا كلّها ، وكأنّه كان بذلك يفارق عهد جميل أستاذه في الغزل العذري . ويدخل في مجال الفحول المدّاحين من أمثال جرير والفرزدق والأخطل . ولم يلبث — في ظلّ عبد الملك — أن أعلن عن تحوّل جديد . ومع أنّه لم يكن تحوُّلاً فنّيّاً فقد كان أخطر التحوّلات جميعاً . قال له عبد الملك : الحق بقومك من خزاعة ، فذهب كثيّر إلى أنّه من كنانة قريش ، وأنشد :

أليْس أبي بالصَّلْتِ أم ليسَ إخوتي ... بكلّ هجانٍ من بني النَّضْرِ أزهرا
فإن لم تكونوا من بني النضرِ فاتركوا ... أراكاً بأذناب القوابلِ أخضَرا

فهو في هذا الشعر يدعي أن خزاعة إنّما ينتسبون إلى الصلت بن النضر بن كنانة وبذلك يكونون عدنانيين من عرب الشمال . بينما ذهب كثير من النسّابين إلى أن خزاعة هم بنو عمرو بن لحي الذي تُنسب إليه عبادة الأصنام وإبطال دين إبراهيم وأنّهم بذلك ينتسبون إلى يمن ، قال هشام الكلبي : لا أعرف لقول من زعم أن الصلت يجمع خزاعة وجهاً . ولم أر عالماً إلاّ منكراً لذلك ، ورأيت أبي والشرقي يثبتان أن الصلت بن النضر درج (أي لم يعقب) [2] . ومع ذلك

---

١ الأغاني ٩ : ٩ — ١٠ .
٢ أنساب الأشراف ١ : ٣٩ .

وُجد في النسّابين من يصل خزاعة بمضر مثل ابن إسحاق ومصعب الزبيري. فهل كان كثيّر أول من أثار هذه المشكلة ؟ يبدو أن كثيّراً اعتمد في ذلك على موروث قديم كانت مصالح خزاعة ومواطنها قد جعلتها تتناساه ؛ فلمّا أعاده كثيّر إلى الأذهان لم يجد استجابة إلا من خزاعة الحجاز ، فأمّا خزاعة العراق فأبت ذلك ، وحدثت بينه وبين بعض الشعراء مهاجاة لهذا السبب ؛ وكلّفه عبد الملك أن يذهب إلى الكوفة والبصرة لينشد شعره الذي قاله في الانتساب إلى كنانة « وحمله وكتب إلى العراق في أمره »[1] وسمع الطفيل بن عامر بن واثلة بذلك وهو بالكوفة فأنكر ما فعله كثيّر وحلف لئن رأى كثيّراً ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرمح[2] . والمعتقد أن عبد الملك بن مروان إنّما رحّبَ بهذه الفكرة وساعد كثيراً على إشاعتها لأنّه كان يعتقد أن إثبات نسبة خزاعة في قريش يجعلها تلتف حول عرش بني أميّة — وهم سادة قريش حينئذ — وكان بعض خزاعة قد أصبحوا يميلون إلى محمد بن الحنفيّة ، وليس أدلّ على ذلك من موقف الطفيل بن عامر بن واثلة فقد كان من أصحاب المختار ، كما كان عامر بن واثلة نفسه من المختاريّة . وقد ندهش أن نجد الذي أنكر على كثيّر هذه النسبة وهدّده بالقتل كيسانيّاً آخر مثله ؛ أي أن العقيدة لم تستطع أن تجمعهما على فكرة واحدة حول النسب ، ولا غرابة في ذلك ، فإن الطفيل ومعه خزاعة العراق رأوا في عمل كثيّر تحوّلاً صريحاً نحو الرابطة الأمويّة . وهنا يتدخّل في الأمر كيساني ثالث فيضيف فضلاً جديداً إلى فضله القديم على كثيّر وذلك هو خندق الأسدي الذي كلّم الطفيل في أمر كثيّر ، فوهبه الطفيل له ووعده بأنّه لا يتعرّض له بأذى .

وخرج كثيّر حتى أتى الكوفة ، فألقى به الحظ في مسجد بارق ، فقالوا

---

١ الأغاني ٩ : ١١ — ١٣ .

٢ الأغاني ١٢ : ١٧٢ .

له : أنت من أهل الحجاز ؟ قال : نعم ؛ قالوا : فأخبرنا عن رجل شاعر ولد زنا يدعى كثيّراً . . . فانسلّ كثيّر من بينهم واتصل بحسّان بن كيسان والي الكوفة فردّه إلى المدينة بصحبة البريد ، ولم يعد إلى عبد الملك لأن مهمته لم تنجح [1] .

٦ ــ فقدان عوامل التحوّل :

توالت الأحداث المحزنة على كثيّر إذ مُني بفقد الذين كانوا يمثّلون حيويّة صلته بالحياة والشعر ؛ وكان أولهم ذهاباً صديقه خندق الأسدي . فقد جاء إلى مكّة في موسم من مواسم الحج (لعلّ ذلك كان عام ٧٦ هـ) . فقال له خندق وقد رأى أفواج الحجيج بعرفة : لو وجدتُ من يضمن لي عيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد ، صلى الله عليه وسلّم ، وظلم الناس لهم وغصبهم إيّاهم على حقّهم ودعوت إليهم . . . [2] ؛ فقال له كثيّر : أنا أضمنهم لك ؛ فقام في الناس خطيباً وقال : أيّها الناس إنّكم على غير حق ، قد تركتم أهل بيت نبيّكم والحقّ لهم . وهم الأئمّة [3] . فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه ودُفن بقنونى ، وهي إلى جنوب مكّة . كان كثيّر حين سمع كلام صديقه قد وجد أن أقلّ ما يمكن أن يقدّمه من خدمة لهذا الصديق هو أن يساعده على تحقيق أمنيته بكفالة أولاده بعده . ولكن لعلّه أحسّ أنّه شجع ذلك الصديق على الموت وأنّه هو نفسه كان أعجز من أن يسعى إلى الشهادة التي سعى إليها صديقه ، واختلطت هذه المشاعر لديه حين رثى خندقاً بقصائد حزينة ، وتمثّل لنفسه أوّل ما تمثّل أريحيّة خندق في بذل العوْن والحماية حتى لمن لا يعرفه ،

---

١ الأغاني ٩ : ١٣ ؛ ولكثير قدمة غير هذه على الكوفة لقي فيها قطام صاحبة ابن ملجم قاتل علي ، ولا ندري لم حرصت الرواية على هذا الجمع بين شيعي وخارجية (الأغاني ١٥ : ٢٢٤) .

٢ الأغاني ١٢ : ١٧٠ .

٣ هذه رواية عمر بن شبة ولا يذكر أنه سب أحداً من الصحابة أو تبرأ منه ، وفي رواية أخرى أنه فعل ذلك .

ناهيك بما كان يبذله للأصدقاء ومنهم كثيّر ، ألم يُنقذه ذات مرة من الموت على غير معرفة ؟ ألم يكفّ عنه غضب الطفيل بن عامر بن واثلة ؟ :

كأنَّ أخاهُ في النوائبِ مُلْجأً إلى علَمٍ من رُكْنِ قدسَ المنطّقِ
ينالُ رجالاً نَفْعُهُ وهو منهمُ بعيدٌ كعيّوقِ الثريّا المحلّقِ

وبعد أن يعدّد مزاياه ومآثره يقول :

جزى اللهُ خيراً خندقاً من مكافيء وصاحبِ صدقٍ ذي حفاظٍ ومَصْدَقِ
أقامَ قَناةَ الودّ بَيْني وَبَيْنَهُ وفارقَني عَنْ شيمةٍ لَمْ تُرَنَّقِ
حلفتُ على أن قد أجنَنّتْكَ حُفْرَةٌ ببطْنِ قَنَوْنَى ، لو نَعيشُ فنلتقي
لألْفَيْتَني بالودّ بَعْدَكَ دائماً عَلى عَهْدِنا إذْ نَحْنُ لَمْ نتفرّقِ

وإذا تجاوزنا ما في نغمة هذه الأبيات من أسًى عميق ، لم نفسد ذلك الأسى إذا نحن وقفنا قليلاً عند قوله : « لو نعيش فنلتقي » لنجد أنّه لا يمثّل شيئاً من اليقين بالرجعة التي اتهم بها كثيّر في الأخبار المرويّة ، وإنّما هو كلام ينضح بالتمنّي دون الرجاء المحقّق .

ورثاه في قصيدة داليّة أخرى افتتحها بالغزل بامرأة تسمّى غاضرة وخرج في الرثاء مخرج المعتبر المتأمّل :

فلا تَبْعَدْ فكلُّ فتًى سَيأتي عَلَيْهِ الموتُ يطرقُ أو يغادي
وكلُّ ذخيرةٍ لا بدَّ يوماً ولو بقيَتْ تصيرُ إلى نَفادِ
يَعزُّ عَليَّ أنْ نَغْدُو جميعاً وتُصْبحَ ثاوياً رهناً بواد
فَلَوْ فوديتَ من حَدَثِ المنايا وقَيتُكَ بالطّريفِ وبالتّلاد

ثمَّ مُني بفقد عزَّة (لعلّ ذلك كان حوالي ٨٠ هـ) ، وتقول لنا الروايات إن عزَّة كانت قد عجزت في أيّام عبد الملك بن مروان ؛ وإنّها دخلت على عبد الملك فسألها — وقد تغيّرت — : ماذا كان أعجب كثيّراً منك ؟ فقالت له :

كلاّ يا أمير المؤمنين ، فوالله لقد كنت في عهده أحسن من النار في الليلة القرّة[1] .
وقد توفّيت عزّة بمصر ، وكان عبد العزيز ما يزال والياً عليها ؛ ولكن الرواة نسجوا قصّة خياليّة حول نهايتها ، إذ زعموا أن عبد الملك عرض عليها الزواج من كثيّر (وهذا يعني أن زوجها كان قد مات) فأجابته إلى ما طلبه ، فكتب إلى كثيّر بأن يركب البريد مسرعاً ؛ فرحل كثيّر ورأى في طريقه علامات تبعث على الطيرة : طائراً ينتف ريشه وغراباً على شجرة بان (علامات كان يراها أكثر العشّاق) فما كاد يصل دمشق حتى طالعته جنازة ، عرف فيها جنازة عزّة ، فخرَّ مغشيّاً عليه ، فلمّا أفاق ذهب إلى قبرها ، وتغنّى عنده بمرثية حزينة[2] . وهذه الرواية الأسطوريّة تصحّحها رواية أخرى أقرب منها إلى المعقول تخبرنا أن عزّة توفّيت بمصر ، ودُفنت هنالك ، وأنَّ كثيّراً كان بعيداً بالحجاز حين علم بوفاتها ، فلمّا قدم ذات مرّة على عبد العزيز ، قال له عبد العزيز : سل ما شئت من الحوائج ، قال : نعم أُحبُّ أن تنظر لي من يعرف قبر عزّة فيوقفني عليه ، فقال رجل من القوم : إنّي لعارف به ، فوثب كثيّر فقال لعبد العزيز : هي حاجتي أصلحك الله ، فانطلق به الرجل حتى انتهى به إلى موضع قبرها ، فوضع يده عليه ودمعه يجري وهو يقول :

وقفتُ علَى رَبعٍ لعزَّةَ ناقتي ... وفي البردِ رشّاشٌ من الدمع يسفحُ
فيا عزَّ أنت البدرُ قد حال دونَهُ ... رجيعُ الترابِ والصفيحُ المضرَّحُ
وقد كنتُ أبكي من فراقك حيّةً ... فأنتِ لعمري اليومَ أنأى وأنزحُ[3]

وفي عام ٨١ توفّي الإمام محمد بن الحنفيّة ، فانقطعت عروة ثالثة من تلك العرى القويّة التي كانت تسند وجوده النفسي ؛ ولعلَّ اطمئنانه إلى أن

---

١ الأغاني ٩ : ٢٦ .
٢ تزيين الأسواق ١ : ٥١ .
٣ مصارع العشاق ١ : ١٢٦ .

محمد بن الحنفية هو المهدي وأنّه لا بد عائد ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، هو الذي كان يعزيه عنه ، فلم يرثه ، وكيف يرثيه وهو ما يزال حيّاً بجبل رضوى عنده عسل وماء ؟

غير أن تفجّعه في الشعر على عبد العزيز بن مروان (المتوفّى سنة ٨٥) أظهرُ من تفجّعه على خندق وعزّة . وما ذلك إلاّ لأن ثلاثة من المفقودين لم يموتوا في نفسه ؛ كان خندق يمثل صداقة خالدة من طريق العقيدة ، وكانت كفالة كثير أولاده تجعله راضياً عن نفسه لقيامه بما يمليه الواجب عليه ؛ وكانت عزّة في القبر غير بعيدة الشبه بعزّة وهي على قيد الحياة — فكرة جميلة عاشت في نفسه لا تموت ، وهو يعرف أنّه يحبّها دون أمل — وكان محمد بن الحنفيّة صورة العقيدة الّتي قد تتخذ من الرجعة حياة مثاليّة ثانية تنتعش فيها الأرض كلّها ؛ أمّا عبد العزيز فكان غير ذلك : كان الفضائل الدنيويّة مجسّدة في رجل صديق ؛ وقد ماتت الدنيا بموته ، ومات الشباب ، ومات الواقع المحسوس ؛ ولذلك أفاض كثيّر في رثائه غير مدعوّ إلى ذلك إلا بداعي الوفاء لشيم عربيّة أحبّها وعاش في ظلّها — لقد ذهبت « عراضة أخلاق ابن ليلى وطولها » فمن يستطيع أن يخلفه في حياة كثيّر :

فإن تكُ أيامُ ابن ليلى سَبَقْنَني ... وطالَتْ سنيَّ بعده وشهورُها
فإنّي لآتٍ قَبرَهُ فَمُسلِّمٌ ... وإن لم تكلِّمْ حفرةٌ مَن يزورُها

وقد عبر عن فجيعته فيه حين بلغه نعيه بقوله :

وكدتُ وقد سالَتْ من العينِ عَبرةٌ ... سها عاندٌ منها وأسبلَ عاندُ
قذيتُ بها والعينُ سَهْوٌ دموعُها ... وَعُوّارُها في باطنِ الجفنِ زائدُ
أموتُ أسًى يومَ الرِّجامِ وإنّني ... يَقيناً لرهْنٌ بالذي أنا كائِدُ

ولا غرابة أن تكون مراثيه في عبد العزيز تعداداً لمناقب المرثي ، فإنّما كان

عبد العزيز يمثّل له « ضميمة » من الشيم العزيزة .

٧ – تجربة أخيرة في الحب :

هل أحبَّ كثيّر بعد وفاة عزّة ؟ تقول رواية تتصل بعمر بن شبّة إنّه تعشّق امرأة من خزاعة يقال لها أم الحويرث ونسب بها فخافت أن يشهرها كما شهر عزّة فقالت له : إنّك رجل فقير لا مال لك ، فابتغِ مالاً ثم تعالَ فاخطبني ، وحلفت له أنّها لا تتزوّج حتى يقدم ؛ فسافر إلى اليمن ومدح ابن الأزرق بن حفص بن المغيرة المخزومي وعاد فوجدها قد تزوّجت . وفي رواية هشام الكلبي أنّه مدح عبد الرحمن بن إبريق الأزدي . وفي القصة مادة عمّا رآه في طريقه من غربان وظباء سوانح وكيف لجأ إلى رجل من بني لهب – وهم مشهورون بالزجر – فأخبره اللهبي أن المرأة قد توفّيت أو تزوّجت . وشقّ ذلك على كثيّر فأخذه الهلاس فكوي جنباه بالنار ، فلمّا برأ من علّته وضع يده على جنبيه فإذا هو برقمتين ، فلمّا سأل عنهما قيل له : إنّه أخذك الهلاس وزعم الأطبّاء أنّه لا علاج لك إلا الكشح بالنار ؛ وفي رواية أنّه زار عبد الله بن جعفر فرآه ناحلاً متغيّراً فقال له : ما لي أراك متغيراً يا أبا صخر ؟ قال : هذا ما عملت بي أم الحويرث ، ثم ألقى قميصه فإذا به قد صار مثل القش وإذا به آثار كيّ[1] . وفي القصّة عناصر أسطوريّة ، وممّا يضعفها – إذا أخذنا بقول ابن شبّة إنّها حدثت بعد وفاة عزّة – أنّ كثيّراً لم يكن حينئذ فقيراً وقد نال جوائز عبد الملك وعبد العزيز وأصبحت له عرب إقطاعاً ، وأنّه إن كان محتاجاً إلى المال فقد كانت الرحلة إلى دمشق أو الفسطاط أيسر عليه من رحلة إلى اليمن لا يدري ما تكون نتيجتها . ثم إن كثيّراً – بعد وفاة عزّة – كان حسب تقدير المرزباني لسنّه قد بلغ السادسة والخمسين ، فلو تذرّعت أم الحويرث بكبر سنّه لكان ذلك وجهاً

---

١ الأغاني ٩ : ٣٣ – ٣٥ .

أوضح من تعلّلها بفقره . ولم يحدّد ابن الكلبي هل كانت الحادثة قبل وفاة عزّة أو بعدها ؛ ولا نستغرب أن تكون قد حدثت قبل وفاة عزّة بسنوات ، فإن حبّه لأم الحويرث كانت غايته الزواج ، ومثل ذلك لم يكن ليؤثر على حبّه اليائس لعزّة .

٨ – فترة إجبال :

يحسن بنا أن نتوقّف قليلاً ونلتفت إلى ما تمّ : لقد تتبّعنا كثيّراً في مرحلة طويلة امتدت من سنة (٦٠ – ٨٥) وقد كانت هذه هي فترة الخصب في حياته الشعريّة . فيها قال أروع قصائده في عزّة وأروع مدائحه في عبد العزيز وعبد الملك وغيرهما من رجالات بني أميّة ، وجياد مراثيه في عبد العزيز . وهي فترة تنقسم بوضوح في مرحلتين – إذا نحن نظرنا إلى طبيعة شعره – :

١ – مرحلة الغزل الخالص في عزّة من ٦٠ – حوالي ٦٨

٢ – مرحلة المدح والرّثاء مع مقدمات غزليّة طويلة من ٦٨ – ٨٥

وبعدها تجيء في حياة كثير فترة توقّف عن قول الشعر امتدت من وفاة عبد العزيز سنة ٨٥ حتى قيام ابنه عمر بأمر الخلافة سنة ٩٩ ؛ فبين هاتين السنتين كانت خلافة الوليد (٨٥ – ٩٦) ثم خلافة سليمان (٩٦ – ٩٩) وليس لكثيّر أيّة صلة شعريّة نعرفها بهذين الخليفتين ولا في الأخبار أيّ ذكر له في صحبتهما ؛ ولدينا قولة نراها تشير إلى هذه الفترة إشارة دقيقة : قيل له : ما لك لا تقول الشعر ؟ أجبلت ؟ فقال : والله ما كان ذلك ولكن فقدت الشباب فما أطرب ، ورزئت عزّة فما أنسب ، ومات ابن ليلى فما أرغب (يعني عبد العزيز بن مروان) [1] – ومن اللافت للنظر أن يحدّد كثيّر جميع علاقاته الدنيويّة الهامّة ، ليقول إنّها – وقد كانت مصدر الشعر – قد انتهت : طرب الشباب

---

[1] أمالي القالي ١ : ٣٠ وعيون الأخبار ٢ : ١٨٥ وفيه « ماتت عزة فما أطرب ، وذهب الشباب فما أعجب . . . »

وخفتّه وحيويّته ، وجمال الحبّ ونغمة الأمل المقنّعة بالحزن ، والرغبة في الدنيا التي تجود بالمال وبالمعاملة الطيّبة وبالصداقة الوثيقة ؛ ولكن هل نستطيع أن نقول لكثيّر إن الأسى على فقدان هذه العناصر قد يصح أن يُتخذ مصدراً جديداً للشعر ؟ من الكثير أن نحاسبه هذا اللون من الحساب ، غير أن الرجل كان يحسّ أنّ الشعر لم يعد عزاء عمّا فقد ، ولذلك سكت سكتة طويلة حتى ظن الناس أنّه أجبل .

٩ ـ استئناف الشعر :

وتريد الرواية أن تقول إنّه امتنع عن قول الشعر بعد إذ انصرف عمر ابن عبد العزيز أيّام خلافته إلى حياة من التقوى حالت بينه وبين تقبّل الشعراء أو إجازتهم على قصائدهم . وأنا مورد هذه الرواية بتمامها لأنّها تدلّ على استئناف كثيّر لقول الشعر لا على العكس ؛ وفي استمراره في مدح يزيد ما يدلّ على أن هذه الفترة امتدت من ٩٩ ـ ١٠٥ أي إلى عام وفاته :

« قال حمّاد الراوية : قال لي كثيّر : ألا أُخبرك عمّا دعاني إلى ترك الشعر ؟ قلتُ : تخبرُني . قال : شخصتُ أنا والأحوص ونُصيب إلى عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، وكلٌّ واحدٍ منّا يُدِلُّ عليه بسابقة له وإخاء ، ونحن لا نشكّ أنّه يشركنا في خلافته ، فلمّا رُفِعَتْ لنا أعلام خُناصرة لقينا مسلمة ابن عبد الملك جائياً من عنده ، وهو يومئذ فتى العرب ، فسلّمنا عليه فردّ علينا السلام ثم قال : أما بلغكم أن إمامكم لا يقبلُ الشعر ؟ قلنا : ما وضح لنا خبرٌ حتى انتهينا إليك ، ووجمنا وجمة عرف ذلك فينا ، فقال : إن يكُ ذو دينِ بني مروانَ وليَ وخشيتم حرمانه فإنّ ذا دنياها قد بقي ، ولكم عندي ما تحبّون ، وما ألبث حتى أرجعَ إليكم فأمنحكم ما أنتم أهله ، فلمّا قدم كانت رحالنا عنده ، فأكرمُ منزل وأفضلُ منزولٍ به ، فأقمنا عنده أربعة

أشهر يطلب لنا الإذن هو وغيره ، فلم يؤذَنْ لنا ، إلى أن قلت في جمعة من تلك الجمع : لو أنّي دنوت من عمر فسمعت كلامه فتحفـّظته كان ذلك رأياً ، ففعلت ، فكان ما حفظت من قوله يومئذ : لكلّ سفر زاد لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله له من ثوابه وعقابه فترغّبوا وترهّبوا ، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم ، في كلام كثير ، ثم قال : أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيلتي وتبدو مسكنتي ، في يومٍ لا ينفع فيه إلاّ الحقُّ والصدق ، ثم بكى حتى ظننا أنه قاضٍ نحبه ، وارتجّ المسجد وما حوله بالبكاء والعويل ، وانصرفت إلى صاحبيَّ فقلت لهما : خذا في شرج من الشعر غير ما كنّا نقوله لعمر وآبائه ، فإن الرجل أخرويّ ليس بدنيويّ ، إلى أن استأذن لنا مسلمة في يوم جمعة ، فأذن لنا بعدما أذن للعامّة ، فلمّا دخلت عليه سلّمت ، ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، طال الثّواء وقلّتِ الفائدة ، وتحدّثت بجفائك إيّانا وفودُ العرب ، فقال : يا كثيّر ، ﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾ (التوبة : ٦٠) أفي واحد من هؤلاء أنت ؟ فقلت : ابن سبيل منقطع به ، وأنا ضاحك ، قال : أوَلست ضيفَ أبي سعيد ؟ قلت : بلى ، قال : ما أرى مَنْ كان ضيفه منقطعاً به ، ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في الإنشاد ؟ قال : نعم ولا تقل إلا حقّاً ، فأنشدت :

وليِتَ فلم تشتمْ علياً ولم تُخِفْ بريّاً ولم تقبلْ إشارةَ مُجرِمِ

فأقبل عليّ ثم قال : يا كثيّر إنّك تسأل عمّا قلت »[1] .

كان كثيّر قد عرف عمر بن عبد العزيز حين وليَ المدينة في أيّام الوليد بن

---

[1] الشعر والشعراء : ٤١١ — ٤١٤ .

عبد الملك ، وكان حينئذ شاباً متأنقاً عطراً ، ولعلّه مدحه أثناء ولايته وإلى هذا يلمح بقوله في القصّة السابقة : « خذا في شرج من الشعر غير ما كنّا نقوله لعمر وآبائه » . غير أن أخروية عمر لم تمنع كثيّراً من المضي في مدحه ، ولدينا بقية قصيدة يمدحه فيها بقوله :

فكم من يتامى بُؤّسٍ قد جبَرْتَها ... وألبَسْتَها من بعدِ عُرْيٍ ثيابَها
وأرملةٍ هَلكى ضعافٍ وصلتَها ... وأسرى عُناةٍ قد فككتَ رقابها
فتًى ساد بالمعروفِ غيرَ مُدافَعٍ ... كهولَ قريشٍ كلّها وشبابَها
أراهمْ منارات الهدى مستنيرةً ... ووافقَ منها رُشْدَها وصوابها
وراض بِرِفْقٍ ما أرادَ ولَمْ تزلْ ... رياضتُهُ حتى أذلَّ صعابها

ورثاه حين توفّي (سنة ١٠١) بقصيدة مطلعها :

لقد كنتَ للمظلومِ عزّاً وناصراً ... إذا ما تعيّا في الأمورِ حصونُها

وتحدث فيها عن عفتّه عن الأموال وزهده في الدنيا ، وكيف ملأ الدنيا عدلاً وأمناً ، فأصبح بطن الأرض به أسعد من ظهرها :

لقد ضُمِّنَتْهُ حُفْرَةٌ طابَ نَشرُها ... وطابَ جنيناً ضُمّنَتْهُ جنينها

واستمرَّ بعده يمدح يزيد بن عبد الملك (١٠١ — ١٠٥) ويلفت انتباهنا في هذه المدائح أمران : أولهما محاولة كثيّر أن يتشفّع لدى يزيد في آل المهلّب الذين شُرّدوا في الأرض بعد معركة العقر (١٠٢ هـ) وطوردوا في كل مكان ، وقُتل كثير منهم وبيعَ بعضهم رقيقاً ؛ يقول كثيّر في شفاعته :

فَعَفْواً أميرَ المؤمنين وحسبةً ... فما تكتسبْ من صالحٍ لك يُكتبِ
أساءوا فإن تغفرْ فإنّك أهْلُهُ ... وأفضلُ حلمٍ حسبةً حلمُ مُغضَبِ
نفتهم قُريشٌ عن أباطحِ مكّةٍ ... وذو يمنٍ بالمشرفيّ المشطّبِ

ولكن كثيّراً أخفق في رسالته هذه ، غير أنّه مهما تكن النتيجة قد أدّى واجباً إنسانيّاً يعلو على مشاعر العصبيّات القبليّة ، فقد عرفنا أن كثيّراً كان يؤمن بأنّه عدناني النسب ، وهو مع هذا يحاول أن يتشفّع في بني المهلّب وهم قحطانيّون ، حتى لأحسّ في لحظة أن بني مروان « ضحوا بالكرم يوم العقر » .

أمّا الأمر الثاني الذي يلفت الانتباه فهو أن عزّة لا تزال بالنسبة لكثيّر — بعد هذه السنوات — وكأنّها حيّة لم تمت ؛ صحيح إنّه يردّد أسماء أخرى في مقدماته الغزليّة مثل سلمى وسعدى ، ولكنّه كان يفعل ذلك قبل أن يفقد عزّة ، ولم تكن لهذه الأسماء دلالة معيّنة ، بل لعلّها كانت تنصرف إلى عزّة نفسها . وأبرز مثلٍ على هذه الظاهرة قصيدة له كتب في عنوانها أنّها في مدح يزيد بن عبد الملك ، ثم لم يرد منها إلاّ القسم الغزلي وهو طويل (في ٤٥ بيتاً) ، وقد يستساغ فيه التحسّر على أطلال عزّة وعلى ما أحدثه فيها تقلّب الأيّام ، ولكن من الصعب أن نتصوّر أن كثيّراً يحلم باستعادة الماضي وهو يحدثنا على النحو الآتي :

عَلى أنّ في قَلْبي لعزّةَ وقرةً	من الحُبّ ما تَزدادُ إلا تَتيُّما
يطالِبُها مُستيقناً لا تُثيبُهُ	ولكن يُسَلّي النفسَ كي لا يُلوَّما
يهابُ الذي لم يؤتَ حلماً كلامَها	وإنْ كانَ ذا حِلْمٍ لديها تحلّما
تروكٌ لسقطِ القولِ لا يهتدى بهِ	ولا هيَ تستوصى الحديثَ المكتّما
ويحسبُ نسوانٌ لهنّ وسيلةٌ	من الحبّ لا بل حبّها كان أقدما
وَعُلّقْتُها وَسْطَ الجواري غريرةً	وما قلّدتْ إلا التميمَ المنظّما
إلى أن دَعَتْ بالدرعِ قبل لداتها	وعادَتْ تُرى منهنّ أبهى وأفخما
وغالَ فضولَ الدرعِ ذي العرض خلقُها	وأتعبتِ الحجلين حتى تَقَصَّما

وهكذا هو في سائر غزل القصيدة لا تكاد تحسُّ من غزله أنّه فقد عزّة ؛ فهل ضياع القسم المدحي منها يمكننا من القول إن ثمّة خطأ في عنوان القصيدة

وإنّها ليست في مدح يزيد ، وإنّما هي في الغزل وتلحق بقصائد له خالصة الغزل قالها في عزّة في المرحلة الأولى – أو في أواخر تلك المرحلة ؟ أراني أميل إلى هذا التقدير الثاني .

ويبدو أن كثيّراً لم ينل حظوة كبيرة لدى يزيد بن عبد الملك مع أنّه وفد عليه بقصائد جياد وأخذ جوائزه ، وأُعجب يزيد بقصائده حتّى قال له : احتكم . قال : وقد جعلتَ ذلك إليّ ؟ قال : نعم . قال : مائة ألف . قال : ويحك مائة ألف ؟ فاستكثرها . قال كثيّر : على جود أمير المؤمنين أبقي أم على بيت المال ؟ قال : ما بي استكثارها ولكني أكره أن يقول الناس أعطى شاعراً مائة ألف ، ولكن فيها عروض (يعني غير النقد) . قال : نعم يا أمير المؤمنين [1] .

وسبب جفاء يزيد له أنّه حضر مرّة سمر يزيد فقال له ليلة : ما يعني الشماخ بقوله :

إذا عَرِقَتْ مغابنُها وجادتْ بدِرَّتها قِرَى جَحِنٍ قتينِ [2]

فسكت عنه يزيد ، فأخذ يستحثه بقوله : بصبصن إذ حدين ! ثم أعاد القول والتحدي ، فقال يزيد : وما على أمير المؤمنين أن لا يعرف هذا ؟ هو القراد أشبه الدواب بك . فحُجب عن يزيد فلم يصل إليه ، فكلّمه فيه مسلمة وقال له : يا أمير المؤمنين ، مدحك . قال : بكم مدحنا ؟ قال : بسبع قصائد ، قال : فله سبعمائة دينار ، والله لا أزيده عليها [3] .

١٠ – وفاته :

وأغلب الظن أنّه بعد هذه الجفوة وهذا الإخفاق لم يفارق الحجاز ، وبقي

١ ابن سلام : ٤٦٠ .

٢ المغابن : الآباط وبواطن الأفخاذ ؛ الجحن : الصبي السيء الغذاء ويريد هنا القراد الذي جاع ؛ والقتين : القليل اللحم والدم من جوعه .

٣ ابن سلام : ٤٦٠ – ٤٦١ .

فيه إلى حين وفاته سنة ١٠٥ ، وكانت وفاته هو وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد ؛ وصلي عليهما بعد الظهر في موضع الجنائز وقال الناس : مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس ؛ قال شاهد عيان : فما علمت تخلفت امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتيهما . . . وغلب النساء على جنازة كثيّر يبكينه ويذكرن عزّة في ندبتهن له[١] .

١١ – شخصيّته :

كان كثيّر قصير القامة قميئاً ، رآه رجل يطوف حول البيت فما قدّر طوله بأزيد من ثلاثة أشبار ؛ وكان عبد العزيز يمازحه إذا دخل عليه بقوله : « طأطىء رأسك لا يصبك السقف »[٢]؛ وكان يجمع بين القصر والدمامة ، فقد قال له جرير ذات مرّة : أيُّ رجل أنت لولا دمامتك[٣] . وكانت هذه الدمامة تتمثّل في طول العنق وبرش الوجه وكثرة الخيلان فيه مع حمرة في اللون[٤] . وقد وصف نفسه في شعره بأنّه كان هزيلاً ذاهب اللحم « كأنضاء اللجام » ، معروق العظام ، قد أودى السفار بوجهه « فلم يبق إلا منظر وجناجن » ولهذا لا يعسر علينا أن نفهم لمَ كان يحاول في شعره أن « يجمّل » هذه الحقيقة الناصعة بشيء من التمويه ، فيدعي أنّه جميل المحيّا لكن الدواهن قد أغفلت صقله ، وأنّه حقّاً أحمر ، ولكنّه يشبه الدينار الهرقليّ ، وهو من ثمَّ يروق الناظرين :

متى تحسروا عنّي العمامةَ تُبصروا ... جميلَ المحيّا أغْفَلَتْهُ الدّواهنُ
يروقُ العيونَ النّاظِراتِ كأنّهُ ... هرقليٌّ وزنٍ أحمرُ التبرِ وازنُ

---

١ الأغاني ٩ : ٣٦ .
٢ الأغاني ٩ : ٦ .
٣ المصدر نفسه .
٤ معجم الشعراء : ٢٤٢ .

ولهذا جعلت القصص المتصلة به من هذا التمويه المفضوح موضعاً للتندر ، كما صوّرت الصدمة التي كانت تحدثها المفارقة بين شعره وشكله عند من يراه أوّل مرّة ، فقد قالت له قطام حين زارها في الكوفة : « والله إنّك لقصير القامة عظيم الهامة قبيح المنظر ، وإنّك لكما قال الأول : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه »[1] .

كذلك من السهل أن نصدّق ما وُصف به من زهو وتكبّر أو عُجب وخطل[2] ، حتى قال فيه أبو الفرج : « وكان من أتيه الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد »[3] ، فذلك هو التعويض المسلكي الذي كان يحاول به أن يدفع الزراية المنصبّة على هيئته وخلقته ؛ ومع ذلك فإن هذا التعويض كذلك التمويه قد أصبح موضعاً للعبث والتندّر أيضاً ؛ حدّث عبد العزيز بن عمران أن ناساً من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثيّر فيقولون وهو يسمع : إن كثيّراً لا يلتفت من تيهه ، فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضي في قميص[4] .

وقد وُصف بالبخل حتى قال الجاحظ في بعض حديثه عن البخلاء : « ومن أمنع من كثيّر »[5] ؛ ولكن أكثر الأخبار تحاول أن تصوّر حمقه . وأكثر هذا الحمق يتّصل بعقيدته ، وهو جانب يجب أن نأخذه في حذر كبير ، ذلك لأن تصديقه يُلحق كثيّراً بالممرورين وأشباههم ، ومن كان كذلك فإنّه لا يستطيع أن يقدّم نفسه لدى عبد العزيز وعبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، مهما تكن درجة السموّ في شعره ؛ ثم إن من كان كذلك لا يكسب تقدير أهل المدينة

---

١ الأغاني ١٥ : ٢٢٥ وانظر الموشح : ٢٤٠ ، ٢٤٢ .
٢ معجم الشعراء : ٢٤٢ والأغاني ٩ : ٦ والموشح : ٢٩٧ .
٣ الأغاني ٩ : ٤ .
٤ الأغاني ٩ : ٢٠ .
٥ البخلاء : ١٦٥ .

بحيث لا يتخلّف عن جنازته أحد « فاجتمعت قريش في جنازة كثيّر ولم يوجد لعكرمة من يحمله » [1] . ولست أدفع أن وصفه بالحمق لم يكن محض اختلاق وإنّما كان متصلاً ببعض تصرفاته ؛ ومن كان في مثل تيهه وزهوه فلا بد من أن يتورط في أمور تثير حفيظة من حوله أو عبثهم ؛ فإذا مالوا إلى معابثته فقد استخفّوا به وبرأيه وظنّوا أن تصرّفه نوع من الحماقة . فإذا أُعجبوا بشعره اغتفروا له ما يجره العُجب من أخطاء ؛ ونضيف إلى ذلك أنّه كان ساذجاً يبعده زهوه عن تبصّر مكانته الصحيحة فيما سوى الشعر من أمور ؛ ولهذا لم يجد غضاضة في أن يطلب إلى عبد العزيز أن يعزل كاتبه ابن رمانة ويوظفه مكانه ؛ بينما كان هذا الطلب نفسه رديء الوقع في نفس عبد العزيز ؛ كذلك كان جافياً لم تفارقه سذاجة البدويّ ذي الثقافة البسيطة ، وهذا هو سرّ اصطدامه بيزيد بن عبد الملك ، وعدم إدراكه أن معاياته بالسؤال – إلى درجة الإحراج – ليست ممّا ترحب به بلاطات الخلفاء والملوك : كان تيهه حجاباً كثيفاً دون إدراك الآخرين ، وكان جفاؤه الطبيعي حجاباً آخر دون التفهّم لأصول اللياقة وقواعد السلوك ، فارتسم ذلك في شعره على نحو يتضح في موضعه حين نتحدّث عن ذلك الشعر .

ومن أمثلة بساطته المتصلة بالثقافة ما رواه البكري في تعليل كثيّر لأسماء الأماكن إذ كان يقول : « إنّما سُمّيتْ ملل لتملل الناس بها ، وكان الناس لا يبلغونها حتى يملّوا ، وكان يقول : إنّي لأعرف لم سُمّيتْ المياه بين المدينة ومكّة ، فيذكر مللاً بما ذكرناه ويقول : والروحاء لاختراق الريح بها ولكثرتها ، وأنّها لا تخلو من ريح ، والعرج لتعرُّج السيول بها ، والسقيا لما سقوا بها من الماء ، والأبواء لتبوؤ السيول بها ، والجحفة لانجحاف السيول بها ، وقديد لتقدد السيول بها ، وعسفان لتعسف السيول هاهنا ليس لها مسيل ، ومرّ لمرارة مياهها » [2]

١. الأغاني ٩ : ٣٦ .

٢ معجم ما استعجم : ١٢٥٧ .

وقد يدل هذا النصّ على دقّة علمه بأحوال تلك المواضع – وذلك أمر لا خلاف فيه – ولكن المحاولة في التعليل مبنية على الوهم الساذج .

ويُنسب إليه التهاون في أداء الصلوات في أوقاتها ، فقد ضافه رجل من مزينة فلمّا طلع الفجر ظلّ كثيّر راقداً في لحافه ، حتى إذا طلع قرن الشمس تلوّى في فراشه وقال للجارية : « أسخني لي ماء » فغضب الضيف وقال له : تبّاً لك سائر اليوم ، أوَهذه الساعة هذا ؟[1] ويخشى أن يكون مثل هذه الحكاية إنّما وُضع عليه من قبيل الحطّ على عقيدته ومذهبه .

وبينا يصوّره شعره والقصص المتصلة بحياته وفيّاً في صداقته ، فإن أكبر تهمة وجهت إليه هي عدم إخلاصه في حبّه وأنّه إنّما كان يتقوّل ويتكذّب ؛ فإذا تذكرنا أنّه هنا يقارن بجميل دائماً ، وجدنا لهذه التهمة أسباباً متعدّدة منها :

١ – أن كثيّراً مال إلى ظلاّمة أثناء حبّه لعزّة وتغزّل بفتاة اسمها غاضرة ، وأنّه بعد عزّة – أو في حياتها – سعى ليتزوّج أم الحويرث ، ومن كان كذلك لم يكن في مثل موقف جميل أو حبّه العذريّ .

٢ – أن الحكم عليه بالدعوى وعدم الصدق في الصبابة متصل بحكايات رويت عنه مثل ميله إلى بثينة حين تعرّضت له . ولحاقه لامرأة متنقبة وموافقته لها على المخاللة ثمّ اكتشافه أنّها هي عزّة ، وما أشبه من حكايات لا تشير إلى إخلاص عميق لعزّة ؛ وقد كان الذين اتهموه بالتقول والكذب في الحب يرون في هذه القصص صدق الخبر .

٣ – طبيعة شعر كثيّر ، وهي مسألة سنوليها الاهتمام من بعد ، ويكفي أن يقال هنا إن النُّقّاد حين كانوا يقيسون شعره إلى شعر جميل أو المجنون لم يكونوا يجدون فيه حرارة الاندفاع والوجد الذاهل وما أشبه ذلك ممّا يوحي بدرجة عميقة من الإخلاص ومن ثمّ قالوا إنّه كان يكذب في حبّه .

---

١ الأغاني ٩ : ١٩ – ٢٠ .

١٢ – نظرة في شعره :

أ – رأي النقّاد فيه :

لم يكن رأي الأصمعي جيداً في شعر كثيّر إذ كان يقول : « إنّما كثيّر صاحب كربج (يعني الحانوت بالفارسيّة ، معرّب كربه) يبيع الخبط والقطران »[١] ؛ أمّا سائر النُّقّاد فقد نال شعره ثناءهم وإعجابهم ، فكان خلف الأحمر يعده أشعر الناس في قوله لعبد الملك :

أبوكَ الذي لمّا أتى مرجَ راهطٍ ... وقد ألّبوا للشّرِّ فيمنْ تألّبا
تشنّأ للأعداء حتى إذا انْتَهَوْا ... إلى أمرهِ طَوْعاً وكَرْهاً تحبّبا[٢]

وكان أبو عبيدة يعدُّه أشعر أهل الإسلام[٣] وكذلك قال ابن أبي إسحاق[٤]، ويقول أبو الفرج إن ابن سلام جعله في الطبقة الأولى من فحول شعراء الإسلام وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعي[٥] ، وليس الأمر كذلك في طبقات ابن سلام وإنّما هو معدود في الطبقة الثانية مع البعيث والقطامي وذي الرُّمّة[٦] ، غير أن ابن سلام عدّه شاعراً فحلاً وقال إنّه مقدم عند أهل الحجاز ولكنّه منقوص الحظ بالعراق ؛ وكان ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جدّاً ، يقول : كان يستقصي المديح[٧] . وكان المصعب بن عبد الله الزبيري يعدّه أشعر الناس ويقول : هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم

---

١ الموشح : ٢٣٢ والخبط : علف للإبل .
٢ معجم الشعراء : ٢٤٢ .
٣ نور القبس : ١٢٢ .
٤ الأغاني ٩ : ٦ وابن سلام : ٤٥٧ .
٥ الأغاني ٩ : ٤ .
٦ طبقات ابن سلام : ٤٥٢ .
٧ طبقات ابن سلام : ٤٥٧ والأغاني ٩ : ٦ .

(يعني الشعراء) ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثيّر[1] ، إلى غير ذلك من أقوال تدلّ على إعجاب بعض معاصريه من الحجازيين بشعره .

ب - اتهامه بالسرقة والاصطراف :

وأقوى تهمة وجهت إلى شعر كثيّر هي كثرة السرقة وخاصّة الاصطراف أي أخذ أبيات كاملة من شعر الآخرين وإدخالها في شعره ، وهي تهمة توجّه إلى غيره من شعراء عصره ، ولكن يبدو أن مؤلف الزبير بن بكار « إغارة كثير على الشعراء » قد ساعد على إبرازها بقوّة ووضوح ، وإليك أمثلة من ذلك :

١ – مرّ الربيع بن أبي جهمة الجندعي على كثيّر بالروحاء وهو ينشد :

وكنت كذي رجلين رجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ رمى فيها الزّمانُ فَشَلّتِ

فقال له : ويحك يا ابن أبي جمعة ، منذ متى قيل هذا الشعر ؟ قال : منذ زمان طويل . قال : فهذا يقوله صاحبنا أميّة بن الأسكر . قال : هو ذاك يا ابن أبي جهمة ، أنا أحظى به منه[2] .

٢ – مرّ أعرابي بكثيّر وهو ينشد :

أودُّ لكم خيراً وتطرحونني أسَعْدَ بنَ ليثٍ لاختلافِ الصنائعِ

فنادى : عباد الله ، هذا والله شعري قلته ! فقال كثيّر : إن يكن لك فما نفعك وإلاّ يكن لك فهو أبعد لك منه[3] .

٣ – أغار كثيّر على بيتي جميل :

---

١ الأغاني ٩ : ٥ .
٢ الموشح : ٢٤٣ – ٢٤٤ .
٣ المصدر نفسه : ٢٤٤ .

أفِق قد أفاق العاشِقُون وفارقوا الـ سهوى واستمرَّتْ بالرجالِ المرائرُ
وهبها كشيء لم يكُنْ أو كنازحٍ به الدارُ أو منْ غيَّبته المقابِرُ

فأدخلهما في قصيدته التي أولها « عفا واسط من أهله والظواهر » وقيل إن البيتين من قصيدة لحسّان بن يسار التغلبي [1] .

٤ – أغار كثيّر على بيت جميل :

ولا يَلْبثُ الواشُون أن يَصْدعوا العصا إذا هيَ لم يصلُبْ على البري عودها

فأدخله في قصيدته التي مطلعها : « نظرت وأعلام الشربّة دوننا » [2]

٥ – وروى الزبير أن كثيّراً قال ، وذكر جميلاً : أمتُّ له ألف قافية – يقول : سرقتها فغلبت عليها [3] .

ووقف النُّقّاد القدامى عند بعض المعاني التي استمدّها من جميل وذلك مثل قوله :

أريد لأنسَى ذكرَها فكأنّما تمثّل لي ليلى بكلّ سَبيل

فقد عرض له الفرزدق بأنّه مأخوذ من قول جميل :

أريدُ لأنسَى ذكرَها فكأنّما تمثّل لي ليلى على كل مَرْقبِ [4]

والمسألة في ظاهرها خطيرة ، ولكنها في حقيقتها أبسط من ذلك بكثير ، فنحن نعلم أن كثيّراً كان راوية جميل وعلى يديه تخرّج في الشعر ، فليس بمستغرب – كما قدمنا القول – أن ينشأ على محاكاته وأن يستمد منه بعض المعاني ،

---

١ المصدر نفسه : ٢٤٤ – ٢٤٥ .
٢ حلية المحاضرة : الورقة ٦٤ .
٣ الموشح : ٢٣٥ .
٤ الأغاني ٩ : ٣٣٥ .

واعياً بذلك أو غير واع ، وليس بمستغرب أن يصطزف بعض شعره وأن يقيم قصائده – في البداية – على مثال النماذج التي يجدها عند أستاذه ، أو عند غير أستاذه ممّا يقع عليه استحسانه ، خصوصاً وأن الاصطراف كان ظاهرة موجودة في عصره . ولكن القول بأن كثيّراً أمات لجميل ألف قافية يبدو ظاهر البطلان ، إذ لا يستطيع أيُّ شاعر أن يميت لآخر عشر قصائد ، بل أقلّ من ذلك ؛ ولو صحّ ذلك لكانت شهرة كثيّر تقوم على زيف متعارف مشهور ، يعرفه الزبير بن بكار ورواته كما يعرفه غيرهم . والاصطراف لا يكون كثيراً لدى الشاعر الواحـد ، فإذا رأيناه وافراً لدى كثيّر فيجب أن نلجأ إلى علل أخرى لتفسيره : فقد تكون التهمة بنماذج من الاصطراف مختلقة قياساً على حالة أو اثنتين أو ثلاث ، وقد يكون تداخل القصائد على قافية واحدة من خلط الرواة والمغنين لا إغارة من شاعر على آخر ؛ وهذه قصيدة للعوام بن عقبة اختلطت بأبيات لكل من ابن الدمينة والحسين بن مطير وكثيّر والمجنون[1] وفيها البيت الذي نسبه الحاتمي لجميل واتّهم كثيّراً باصطرافه وهو :

ولا يَلْبثُ الواشُون أن يَصْدعوا العصا إذا هي لم يصلُبْ على البري عودها

ولا أحد يستطيع بعد هذا الاضطراب أن يستخرج أبيات كل شاعر على حدة على سبيل القطع الحاسم . لهذا قلت : إن القضية أبسط من ظاهرها المهول ، ولكنّها تظلّ مع ذلك عقبة في سبيل الحكم النقدي .

ج – المميزات العامة في شعره :

وشعر كثيّر في معظمه لا يتجاوز موضوعي النسيب والمدح إلاّ إلى يسير من الفخر والهجاء ؛ ولذا يمكن أن نكون مطمئنين إلى أن حكمنا على الموضوعين

---

١ الاشباه والنظائر ١ : ١٩٧ والحاشية .

الأولين يصيب أكثر شعره ؛ ذلك أن المدح والنسيب عنده يخضعان لميزات عامّة تنتظمهما معاً ؛ وخير مدخل لدراستهما أن نراجع العيوب التي كشف عنها الأقدمون فيهما ، فإن ذلك قمين أن يوضح الخصائص العامة في شعره . فقد عابه النُّقّاد القدامى لأنّه حين مدح عبد الملك وصفه بأنّه يلبس درعاً حصينة جيدة السرد ، ولم يقل كما قال الأعشى في صاحبه بأنّه يقدم دون أن يكون لابساً جُنّة ، قال المرزباني : « رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثيّر لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الوسط »[1] ؛ وهذا هو الرأي النقديّ الذي تبنته مدرسة القائلين بأن « أحسن الشعر أكذبه » . كذلك عابوا عليه قوله في الغزل :

فَما روضةٌ بالحَزْنِ طيِّبةُ الثرى ... يمجُّ النّدى جثجاثَها وعَرارُها
بأطيبَ من أردان عزَّة موهناً ... إذا أُوقدت بالمندل الرّطبِ نارُها

فقالوا : ومن ذا الذي يبخَّر بمندل رطب ولا يطيب ؟ ورأوا في هذا تقصيراً عن قول امرىء القيس « وجدت بها طيباً وإن لم تطيَّب » ؛ والرأيان من منزع واحد هو اعتماد المبالغة مقياساً للجودة . وهذا المنزع لا يتفق مع طبيعة كثيّر الشعريّة فهي طبيعة تأخذ بأسباب الاعتدال الواقعي ؛ حتى ليمكن أن يجعل ذلك الاعتدال ميزة عامة في النسيب والمدح في شعره ؛ فهو إذا ذكر والد عبد الملك قال إن الناس انتهوا إلى أمره « طوعاً وكرهاً » فلم يحاول أن يكذب على التاريخ، وإذا مدح عبد الملك نفسه قال له :

فما رجعوها عَنْوَةً عن مودَّةٍ ... ولكنْ بحدّ المشرفيّ استقالها

فلم يأبه بأن مدحه هذا يوحي القسوة والغصب ؛ وإذا كان عبد العزيز هو الذي حاول تألّفه بعد نفور وجدته يصارحه بقوله :

---

١ الموشح : ٢٣١ .

وما زَالَـتْ رُقاك تسلُّ ضغني ... وتخرجُ من مَـكامنها ضبابي
ويرقيني لكَ الحاوون حتى ... أجابَكَ حيّةٌ تَحْتَ الحجابِ

وهذه الواقعيّة الصادقة المعتدلة لا تعجب النُّقّاد الأقدمين ، ولذا قال ابن طباطبا في نقده لهذا القول إنّه ممّا زادت قريحة قائله على عقله [1] . وليس هذا معيباً لخروجه عن خطّة المبالغة وإنّما لأنّه يفارق طبيعة اللياقة ، وهو يحمل على تلك الطبيعة الجافية الساذجة المشوبة بالعُجب في شخصيّة كثيّر ؛ وتلك الطبيعة الجافية الساذجة هي التي تجعله يُطنب في وصف نعل الممدوح وأنّها إذا وُضعت في مجلس القوم شُمّت :

إذا طُرِحَتْ لم تطّبِ الكلبَ ريحُها ... وإن وُضعتْ في مجلسِ القومِ شُمَّتِ

وقد حاول كثيّر حين اتصل بحضارة القصور أن ينتحل نظرات حضاريّة يضمّنها شعره ، فاهتمامه بنعل الممدوح محاولة منه أن يصف ممدوحه بأنّه بلغ درجة غير قليلة من الترف الحضاري . وكذلك هو في قوله لعبد الملك — مادحاً بني أمية — :

كأنّ القيانَ الغُرَّ وَسْطَ بيوتهم ... نعاجٌ بجوٍ مِنْ رماحٍ خلا لها
يجوسُونَ عَرْضَ العبقريّة تحوها ... تمسُّ الحواشي أو تُلِمُّ نعالها

أو يقول في عبد الملك نفسه :

مسانحُ فَوْدَيْ رأسِهِ مسبغلّةٌ ... جرى مسكُ دارين الأحمُّ خِلالها

ويقول :

أشمُّ من الغادينَ في كلّ حلّةٍ ... يميسون في صنعٍ من العَصْبِ متقنِ

---

[1] عيار الشعر : ٩١ .

لهم أُزُرٌ حمرُ الحواشي يَطونها   بأقدامهم في الحضرميّ الملسَّنِ

وهكذا هو في مدائح أخرى يحاول أن يوهم سامعيه أنّه قد عرف ما منحته الحضارة لمدوحيه من ترف ، ولكنّه ما يكاد يمعن في هذا الاتجاه حتى تجده قد حار إلى مفهوماته وصوره البدويّة ، بينا ممدوحه على هذه الصورة إذا هو عاد يصوّره حيّة :

يُقَلِّبُ عَيْني حيّةٍ بِمَحارةٍ   أضافَ إليها الساريات سبيلها

ومن تتبّع شعره في النسيب وجد هذا الاعتدال الواقعي ظاهراً فيه مسيطراً عليه ، فهو لا يفتأ يتحدث عن طباع عزّة كما يتصوّرها فلا يجدها إلا امرأة لا تتكلّف للمحب إلا أقل ممّا تطيق :

أريد الثّواء عِندها وأظنّها   إذا ما أطلنا عندها المكث ملّتِ

وهو يصوّر الحادثة كما حدثت دون تحيُّل :

يكلّفها الغيرانُ شَتْمي وما بها   هواني ولكن للمليك استذلّتِ

وإذا تحدّث عن مواجده كان مقتصداً معتدلاً :

وقَد علمَتْ بالغيبِ أن لا أودُّها   إذا هيَ لَمْ يكرمْ عليّ كريمُها
فإن وصلَتْنا أمُّ عمرٍو فإنّنا   سنقبلُ منها الودَّ أو لا نَلُومُها

فليس هنا تصوير لتقطُّع النفس حسرات ولا لاستبداد الوجد بحيث يصرف صاحبه عن التعقّل ؛ نعم إن كثيّراً قد يخرج إلى المبالغة في مثل قوله :

رُهبانُ مَدْيَنَ والّذينَ عهدتَهم   يَبكون من حذر العذاب قعودا
لو يَسمَعون كما سمعتُ حديثَها   خَرُّوا لعزّةَ رُكّعاً وسُجودا

ولكنّنا نأخذ بالأظهر الأعمّ ؛ ولا يمكن للحظات الانفعال إلا أن تكون

متفاوتة في الأخذ بأسباب الاقتصاد أو المبالغة .

وممّا يزيد هذا الاعتدال ويرسّخه قيامه عند كثيّر على عنصر قد نسمّيه الإيمان بـ « التكافؤ » . وسبب هذا أيضاً العُجب الذي كان يتملّكه . فالشاعر الذي يقول لممدوحه « وما زالت رقاك تسلُّ ضغني » يشعر أنّه على « تكافؤ » مع ذلك الممدوح . والشاعر الذي يقول لمحبوبته :

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليلٍ ، ولا أرْضَى له بقليلِ

شاعر يحسُّ أن هذا التكافؤ هو الصعيد الوحيد الذي تقوم عليه العلاقات ، وأنّه غير مستعد ليقدم من التضحية ما يزيد ولو بمقدار قلامة ظفر على تضحية حبيبه ، وهذا أيضاً لم يكن يعجب الأقدمين ولذا كانوا يفضلون عليه قول عمر :

فعِدي نائلاً وإن لَمْ تُنيلي إنّما ينفعُ المحبَّ الرجاءُ[1]

وقد كان العُجب حقيقاً أن يحطم قاعدة التكافؤ ، لأنّه يُشعر صاحبه أنّه أعلى من الآخرين ؛ ولكن العُجب عند كثيّر استطاع أن يرفع صاحبه ليكون في مستوى من يفوقونه في المنزلة الاجتماعيّة بحيث يتحدّث إليهم حديث الندّ للندّ ، وهذا حسبه ، فأمّا العُجب الذي يرفعه فوق نظرائه فإنّه لم يترك سمة واضحة في شعره .

وقد اعتمد كثيّر في شعره على نقل الصفات ، فالهيبة مثلاً صفة محمودة في ممدوحه ، ولكنّه سرعان ما ينقلها إلى الغزل فيتصوّر نفسه في مقام الممدوح الذي تُغضُّ دونه الأبصار هيبة ، ويتصوّر أن الفتيات هن الجمهور الذي تملّكته الهيبة في مجلسه :

وكنتُ إذا ما جئتُ أجْلَلْنَ مجلسي وأبدينَ مني هَيْبَةً لا تجَهُّما

---

١ الموشح : ٢٣٧ .

يُحاذِرْنَ مني غَيْرَةً قَدْ علمنها قديماً ، فَما يضْحكنَ إلاّ تبسُّما
تراهنَّ إلاّ أن يؤدّين نَظْرَةً بِمُؤْخِرِ عينٍ أو يُقلِّبنَ مِعصما
كواظمَ لا ينْطقنَ إلاّ محورةً رجيعةَ قَوْلٍ بَعْدَ أن يتفهّما

وهذه صورة عجيبة ، منقولة عن مجالس الملوك ، ولم يتعوّد الناس أن يسمعوا بمثل هذا المحبوب المهيب الذي إذا جلست النساء دونه كنّ في مثل هذه الحيرة والتحفّظ والحذر ؛ ويقول أيضاً على لسان النساء يصفنه :

فَأعْيَيْتَنا لا راضياً بكرامةٍ ولا تاركاً شكوى الذي أنت صادقه
وأدركْتَ صَفْوَ الودّ منّا فلُمتنا وليس لنا ذنبٌ فنَحْنُ مواذقه
وألفَيْتَنا سلماً فصدّعْتَ بَيْنَنا كما صَدَّعتْ بين الأديمِ خَوالِقه

فهنّ يتهمنه بنوع من التجبر والتعالي كأنّما هو يمارس الاستبداد ، ومع أنّه يستدرك بقوله « وقد يكذبن » فإنّه مسرور من هذه الصورة التي نقلها من عالم الحكم والتصرّف المطلق إلى دنيا المرأة والحب .

والدين والأمانة صفتان جميلتان ، ولكن الغزل العربي جرى على تصوير التضحية من المحبّ والاعتذار عن المحبوب إذا أخلف الوعد ، والتجاوز عن كذبه ، غير أن كثيّراً نقل هاتين الصفتين إلى الحبّ ولم يستطع أن يراه إلاّ متّصلاً بهما فقال :

وَأخْلَفْنَ ميعادي وَخُنَّ أمانتي وليسَ لمَنْ خانَ الأمانَةَ دينُ
كذَبْنَ صفاءَ الودّ يَوْمَ محلّه وأدركني مِنْ عَهْدِهِنَّ رُهونُ

ولهذا لامه ابن أبي عتيق عندما سمع هذا الشعر وقال له : « يا ابن أبي جمعة ، وعلى الديانة تبعتها ؟ »[1] ولهذا أيضاً كانت صورة الحب عنده منسّة على التقاضي :

---

[1] الموشح : ٢٣٨ .

قَضَى كلُّ ذي دين فوفّى غريمه   وعزّةُ ممطولٌ معنًّى غَريمها

* * *

قضَى كلُّ ذي دينٍ وعزّةُ خُلّةٌ   له لم تُنِلْهُ فهو عطشانُ قامحُ

وهل هذا التقاضي إلاّ ضرب من ذلك التكافؤ الذي تحدّثنا عنه ؟

وللصداقة مقياس يباين مقياس الحبّ ، ومع ذلك فإن كثيّراً يتّخذ الأول في مقام الثاني ؛ فهو يتحدّث إلى عزّة حين يقول :

ومن لا يغمِّضْ عينَهُ عن صديقِهِ   وعن بعضِ ما فيه يمتْ وهو عاتبُ
ومَنْ يَتتبّعْ جاهداً كلَّ عثرةٍ   يجدْها ولا يَسلَمْ له الدهرَ صاحبُ

من ثمَّ برزت في شعر كثيّر صورة من العقلانيّة التي تشبثت بمقاييس خلقية صارمة لا يؤمن صاحبها بنسبية هذه المقاييس وصلاحيتها في موطن دون آخر ، حتى لنستطيع أن نقول إن غزل كثيّر كان غزلاً أخلاقيّاً ، لا لأنّه يقوم على عذريّة عفيفة ، فذلك لا يميزه عن غزل جميل وطبقته ، وإنّما لأن نظرات كثيّر ومواقفه ينتظمها مقياس أخلاقي لا يحب أن يختلّ ، يجعل من الحبيبة رمزاً خلقيّاً ، ومن الحبّ علاقة أخلاقية ، ويخضع نزعات النفس للعرف الأخلاقي دون تذمّر ، ومن ذا الذي يسمع قول كثيّر :

وقد علمَتْ بالغيبِ أن لا أودَّها   إذا هيَ لم يكرمْ عليّ كَريمها

أو يسمع قوله :

وإنّي لأسْمُو بالوِصالِ إلى التي   يكونُ شفاءً ذكرُها وازديارُها
وإنْ خَفِيَتْ كانَتْ لعينكَ قُرّةً   وإن تبدُ يوماً لم يعمَّكَ عارُها

ثمّ لا يتبين أنَّ هناك قانوناً أخلاقيّاً يوجّه الشاعر في الحبّ نفسه ؟

ولهذا النقل في الصفات ، ولهذا القانون الأخلاقي الذي يحول دون الاندفاع

والتحرق والالتياع توهّم القدامى أن كثيّراً يتقوّل في حبّه ، لأنّه يتحدّث عن المحب بصفات الممدوح ، ويخلط بين الحب والصداقة ، ويكفّ الغلوّ في مشاعره بلجام من هدوء أخلاقي متأمّل ، إنّه لا يستطيع أبداً أن يسمح لنفسه بأن يقول كما قال أستاذه جميل :

يقولون جاهِدْ يا جميلُ بغزوةٍ وأيّ جِهادٍ غيرهنّ أُريدُ

لأن أخلاقيته لا تسمح له بأن يضع شيئين متفاوتين – كالجهاد والحب – موضع المقارنة ، ولا يستطيع أن يقول مثل المجنون :

أُصلّي فما أدري إذا ما ذكرتُها أَثِنتين صلّيتُ الضُّحى أم ثمانيا

ولكنّه يحسن أن يقول :

وإنّي وإن صدّتْ لمثنٍ وصادقٌ علَيها بما كانَتْ إلينا أزلّتِ

أو أن يقول :

فما أنصفتْ أمّا النساء فبغّضَتْ إلَيْنا وأمّا بالنّوالِ فَضَنّتِ

دون أن يتجاوز موضع الاعتدال والصدق في حكاية الحال .

غير أن من الظلم لكثيِّر أن نقول إنّه لم يكن يفهم إلاّ التكافؤ والتقاضي في الحب ، ذلك أن جانباً كبيراً من شعره يصوّر التضحية والتسامح والإغضاء على الأذى ، ولكن على نحو ليس فيه تهويل ، فنحن نقرأ له :

أسيئي بِنا أو أحسني لا ملومةً لديْنا ولا مقليّةً إنْ تَقَلّتِ

كما نقرأ له قوله :

وأرضى بغيرِ البذلِ منها لعلّها تفارقُنا أسماء والودُّ صالحُ

وذلك كلّه إبقاء على الحبّ واستدامة له ، ولكنّك إذا وضعت هذا كلّه إلى جنب قوله :

فَلا تَأمنيه أن يُسِرَّ شماتةً فيُظهرها إن أعقبته العواقبُ

عجبت من محب يقول لصاحبته : غداً إذا تغيرت الحظوظ وعوضتني الأيام عمّا فاتني من وصالك فلا تأمني أن أُضمر شماتتي بك لما صرتِ إليه في ظل زوج تعِس — إن يقظة « التكافؤ » في نفسه قادرة على أن تعصف بكلّ ما يلوِّح به أحياناً من تسامح وإغضاء وتضحية .

وقد حدّث كثيِّر أنّه وقف على جماعة يفيضون فيه وفي جميل أيّهما أصدق عشقاً — ولم يكونوا يعرفونه بوجهه — ففضّلوا جميلاً في عشقه ، فقال لهم : ظلمتم كثيّراً ، كيف يكون جميل أصدق عشقاً من كثيّر ، وإنّما أتاه عن بثينة بعض ما يكره فقال :

رمى الله في عينيْ بثينةَ بالقذى وفي الغُرّ منْ أنيابها بالقوادحِ

وكثيّر أتاه عن عزّة ما يكره فقال :

هَنيئاً مَريئاً غيرَ داءٍ مُخامرٍ لعزّةَ مِنْ أعراضِنا ما استحلّتِ

قال كثيّر : فما انصرفوا إلاّ على تفضيلي[1] . والحكاية ذات دلالة على هذه المشكلة التي أثارها القدماء ، غير أن البيت الذي احتج به كثيّر هو من ذلك الفريق الذي يتمثّل فيه التسامح والإيثار ، وهو المعنى الذي كان يبحث عنه القدماء ليؤكدوا الصدق أو عدمه في عاطفة الحبّ ؛ وأمثال هذا البيت لا تخرج بحال عن مقتضى القانون الأخلاقي الذي ألمعنا إليه ؛ وما كان من هذا القبيل يؤكد الصورة العقلانيّة المتأمّلة الواعية في شعره ولا ينقضها .

---

١ الموشح : ٣١٣ .

كيف يثمر اليأس في الحبّ هذا الاعتدال العقلاني وينتج عنه في الوقت نفسه أمنيتان تجاوزان حدّ الاعتدال إلى صعيد الشطط ، في إحداهما يتمنى كثيّر للبقاء إلى جانب عزّة لو أن ناقته رُبطت بحبل ضعيف فقطعته وندّت هاربة ، وظلّ هو وكأنّ إحدى رجليه مشلولة فلا يستطيع انتقالاً :

فليتَ قَلوصي عند عزّة قُيّدَتْ بحبلٍ ضعيفٍ غُرَّ منها فضَلّتِ
وَغودِرَ في الحيّ المقيمينَ رَحلُها وكان لها باغٍ سوايَ فبلّتِ
وكنتُ كذي رجلين رجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ رمى فيها الزمانُ فشلّتِ

ويتمنى في الأخرى أنّه كان وعزّة جملين أجربين يصيح بهما الناس كلّما وردا منهلاً من المناهل ، فهما مبعدان عن المناطق المأهولة يعيشان معاً منفردين :

ألا ليتَنا يا عزّ كنّا لذي غنًى بعيرينِ نرعى في الخلاء ونعزبُ
كلانا بهِ عرٌّ فمن يرنا يقل على حُسنها جرباء تعدي وأجربُ
إذا ما وَرَدنا منهلاً صاحَ أهلُه علينا فما ننفكّ نرمى ونضربُ

أمّا أن يثمر اليأس مثل هذه الأماني فأمرٌ غير مستغرَب ، ولكن المستغرب أن يكون الاعتدال الواقعي مصاحباً له ؛ وتفسير ذلك في ما عبّر عنه كثيّر بـ « طماعته » أي رجائه أن تصبح عزّة له ذات يوم ؛ فالحبّ اقترن بالأمل الذي نجم عنه الاعتدال ؛ ولكن كثيّراً كان يحسُّ في لحظات أن الأيّام قد طالت دون أن يتحقّق الأمل ، وفي تلك اللحظات كانت نفسه تثور بمثل هذه الأماني التي تحطم الاعتدال ، وهي لحظات غير كثيرة في شعره ، وليس في أمنيتيه غرابة إذا أُخذتا في إطار عصره أو إذا وُصلتا بطبيعة موقفه في الحبّ .

أما القصيدة عنده فإنّها تقوم — في الأكثر — على قاعدة الاسترسال الطوليّ الذي لا يلتفت صاحبه كثيراً في توجهه ، وممّا يتيح هذا الاسترسال انشغال نظره بالمسطح المكاني الذي تتنقّل فيه الظعن ، ولهذا كانت علاقته بالأمكنة علاقة من

يجد في تتبعها – على نسق جغرافي – صورة صباه وهو يرعى الإبل أو يسوق الغنم من مكان إلى آخر ؛ وأضفت عزّة عليها جمالاً جديداً حين شاءت أن تنتقل فيما بينها ، وأضحى تتبُّع الأظعان أو تتبع مساقط الغيث وسيلته الوحيدة إلى أن يذوِّب آلامه في شريط طويل من المساحة الجغرافيّة ؛ فلمّا اتصل شعره بالمدح ظلّ يستخدم هذه الوسيلة إلاّ أنّه أضاف إليها الاستقصاء في وصف الممدوح ، وهذا شيء تحدث عنه النُّقّاد القدماء في شعره . فظلّ الاسترسال الطولي سمة عامّة للقصيدة عنده ، وكان من ذلك نتيجتان : أُولاهما أنّه إذا كفّ عن الاسترسال المكاني أو الاستقصاء المدحي إلى وصف خلجات نفسه ظهر الاضطراب والتردّد والتقديم والتأخير والتكرار لأن الخلجات النفسيّة لا تخضع للامتداد الطوليّ بل هي أشبه بالحباب الذي يثور فوق سطح الماء ؛ والثانية أن قصيدته تنساب – إذا انسابت – على نفَس واحد ، ليس فيه ارتفاع بعد انخفاض أو ذروة بعد حضيض ، وهذا قلّلَ في شعره الأبيات التي يمكن أن تسمّى سائرة لأنّه قلّما يتوقّف ليثب وثبة عالية . بل إن بعض أبياته إذا انتُزعت من قرائنها تغيّرت دلالتها ، فقوله :

فَقُلْتُ لها يا عزّ كلُّ مصيبةٍ   إذا وُطّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلّتِ

عبرة مستمدّة من الحبّ ؛ وهو في سياق القصيدة محاط بظلال المعاني من حوله ، ولكنّه حين يتمثّل به يصبح أعمّ دلالة ، وقوله :

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً   ولكن لا حياةَ لمَنْ تُنادي

إنّما هو في رثاء صديقه خندق ، وليس حكمة عامة ، غير أنّه إذا انتُزع من موضعه اتجه معناه بحسب نفسية المتمثل به .

تلك هي السمات الكبرى التي تميز شعره عامّة وتوجهه وتعمل في تكوينه ، أعني ما سميته الاعتدال الواقعي ، والقانون الأخلاقي ، ونزعة التكافؤ ، ونقل

الصفات ، والانقسام بين طبيعة البداوة ومظاهر الحضارة ؛ وكلّها سمات تتضافر معاً في أثرها وتتّصل اتصالاً وثيقاً بنفسيته وطبيعة شخصيته ؛ وإنّه لمن المفارقة أن يكون الرجل المتّهَم بالغلو في عقيدته من أشدّ الناس اعتدالاً في شعره ، وأن يكون المتّهَم بالحمق من أكثرهم حرصاً على مستوى عقلاني طبيعي في قصائده ؛ ومن الخير أن يدرس شعر كثيّر متصلاً بشخصيته وخصائصه النفسيّة فذلك جدير بأن يكشف عن مدى تلك المفارقة ، وعن مبلغ ما تحظى به من الصواب .

إحسان عباس



ديوان كثير عزة



١

قال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي يمدح عبد الملك بن مروان :

١ خليليَّ إنْ أمُّ الحكيمِ تَحمّلتْ وأخلتْ لخَيماتِ العُذَيْبِ ظِلالَها

٢ فلا تسْقِياني منْ تِهامةَ بعْدها بِلالاً وإنْ صوْبُ الرَّبيعِ أسالَها

٣ وكُنتُمْ تزينونَ البَلاطَ ففارقَتْ عشيّةَ بِنتُمْ زَيْنَها وجَمالَها

٤ وقدْ أصْبحَ الرّاضُون إذ أنتمُ بها مَسوسُ البلادِ يَشتكونَ وبالَها

---

١ المحكم : (٢ : ٦٢) لعمري لئن . . . بخيمات ؛ ياقوت (العذيبة) والمغانم : بخيمات ؛ التاج : لعمري لئن .

٣ ياقوت والمغانم : البلاد .

---

١ تحملت : ارتحلت ؛ العذيب : ماء بين ينبع والجار ، واسمه في الأصل العذيبة إلا أن الشاعر أسقط الهاء ، قاله ابن السكيت ، وقاله ابن جني (المحكم) وانظر الأصفهاني : ٤٠٧ .

٢ تهامة : المنطقة الساحلية من جزيرة العرب على البحر الأحمر ؛ والشاعر يعني تهامة الحجاز ؛ البلال : الماء ؛ صوب الربيع : مطر الربيع ؛ أسالها : أسال أوديتها يعني أودية تهامة . والشاعر يريد أن يحرّم الماء على نفسه حزناً على فراق صاحبته أم الحكيم .

٣ البلاط بالمدينة المنوّرة ما بين المسجد والسوق ، وقد أنثه الشاعر يعني بذلك المنازل أو الرحاب التي تسمّى البلاط .

٤ الراضون : يعني نفسه لأنه راض عن بقاء صاحبته في جواره ؛ المسوس : الترياق ، والوبال : الثقل والمكروه ؛ يعني لما كنتم أنتم في تلك البلاد كنتم للنفس مسوساً ، فلمّا فارقتموها أصبح الذين كانوا راضين مطمئنين إلى جواركم يشتكون ما حلّ بها من ثقل ومكروه ؛ كذا يمكن تخريج معنى البيت لوقوعه في هذا الموضع؛ غير أن بعض الشرّاح ألحقه بقسم المدح في =

٥ فقد أصبحتْ شتّى تبثُّكَ ما بها ... وَلا الأرض ما يشكو إليكَ احتلالها

٦ إذا شاء أبكته منازلُ قد خلَتْ ... لعزّةَ يوماً أوْ مناسبُ قالَها

٧ فهل يُصْبِحَنْ يا عزُّ من قد قتلتِهِ ... من الهمّ خلواً نفسُهُ لا هوًى لهَا

٨ وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ ردَّها ... غَداةَ الشَّبا أجمالَها واحتمالَها

٩ وقد لفّنا في أوّل الدَّهرِ نعمةٌ ... فَعِشْنا زماناً آمنينَ انْفِتالَها

١٠ كآلفةٍ إلفاً إذا صدَّ وجهةً ... سوى وَجْهِهِ حنّتْ لهُ فارعوى لها

١١ فلستُ بِناسيها ولستُ بِتاركٍ ... إذا أعرضَ الأُدْمُ الجوازي سُؤالها

---

١٠ المسالك : سوى وجهها .

= القصيدة ، فالشاعر على حسب ذلك يتحدث عن بني أمية ؛ قال في شرح تهذيب الألفاظ : « ومسوس : منصوب بالراضون والتقدير : أصبح الراضون مسوس البلاد إذ أنتم بها ولاة مدبّرون يشكون وبالها ، والوبال : ما يصيب الآكل من عاقبة المأكول والشارب من عاقبة المشروب . ويشتكون : خبر أصبح — جعلهم الناس في تدبير أمورهم كالماء المسوس وهو الذي إذا شُرب مسّ الغلّة فذهب بها » ؛ قلت : والبيت يصلح للمدح ولكنّ في نصب « المسوس » إبعاداً في التأويل .

٦ المناسب : جمع منسبة وهي القصيدة من النسيب والغزل .

٨ ما : شرطية جازمة فعلها أنسَ وجوابها « لا أنسَ » ؛ م الأشياء : من الأشياء حذفت النون ، وهو كثير في الشعر . الشبا (بشين معجمة بعدها باء موحدة) : واد بالأثيل من أعراض المدينة ، قاله الحازمي وأبو الحسن المهلّبي (ياقوت) ؛ الاحتمال : الرحلة والانتقال .

٩ لفنا : جمعنا أو شملنا وعمّنا ؛ انفتالها : انصرافها عنّا وتحوّلها .

١٠ الآلفة : ذات الأليف ، وهو يعني الناقة التي ارتحل عنها إلفها ، فحنّت : أي رجّعت بصوتها ؛ ارعوى : عاد ؛ يعني انّنا كنا مشمولين بنعمةٍ من القرب والمحبة كهذين الأليفين اللذين لا يطيق أحدهما فراق صاحبه .

١١ الأدم : جمع أدماء وهي البيضاء من النوق ، فإذا كانت ظبية كان بياضها مخلوطاً بغبرة ؛ =

١٢ أأُدْرِكُ مـن أمّ الحكيّم غبطةً بها خبّرتني الطيرُ أم قَد أنى لـَها

١٣ أقولُ إذا ما الطيرُ مرَّتْ سحيقةً لعلّكَ يوماً ـ فانتظرْ ـ أن تَنالَـها

١٤ فإن تكُ في مصرٍ بـدارِ إقـامة مجاورةً في الساكنين رمـالَـها

١٥ ستأتيكَ بالرُّكبانِ خُوصٌ عوامدٌ يعارضنَ مُبْراةً شددتُ حبالَـها

١٦ عليهنَّ معتمّونَ قد وجّهوا لها صَحابتهُم حتّى تجذَّ وصالَـها

١٧ متى أخشَ عدوَى الدارِ بيني وبينها أصِلْ بنواصي الناجياتِ حبالَـها

١٨ على ظَهرِ عاديّ تَلـوحُ متونُـهُ إذا العيسُ عالَتْهُ اسبطرَّتْ فَعالَـها

١٩ وحافيةٍ منـكوبةٍ قد وقيتُـها بنعلي ولَـمْ أعقدْ عليها قبالَهَا

= أعرضت : اعترضت ولاحت ؛ الجوازىء : جمع جازئة ، يقال ظبية جازئة إذا استغنت بالرطب عن الماء ؛ والمعنى : لن أنساها ولن أترك سؤال الظباء الجوازىء عنها كلّما لاحت لعيني تلك الظباء .

١٢ الغبطة : حسن الحال والنعمة والمسرّة ؛ أنى لها : حان موعدها .

١٣ سحيقة : بعيدة ؛ والمعنى أنّه يمني نفسه كلّما مرت الطير متفائلاً بأنّه قد ينال تلك المحبوبة ذات يوم .

١٤ رمالها : رمال مصر أي صحراءها .

١٥ خوص : جمع خوصاء وهي الناقة التي في عينيها صغر وغؤور ؛ عوامد : أنحلها السير وأضناها ؛ مبراة : ناقة في أنفها برة ، وهي حلقة من فضة أو صفر تجعل في أنفها .

١٦ معتمون : ركبان يلبسون العمائم ؛ تجذّ : تقطع .

١٧ المشهور : عدواء الدار أي بعدها ؛ ولم أجد « عدوى » بهذا المعنى ؛ الناجيات : النوق المسرعات .

١٨ العاديّ : الطريق القديم ؛ تلوح متونه : أي هو واضح ؛ عالته : ضربت فيه وتبخترت في مشيها ؛ اسبطرت : انبسطت في المشي وأسرعت متبخترة ؛ عالها : أثّر فيها بالتعب والنحول.

١٩ منكوبة : أصبح خفها نكيباً أي أصيب بالحجارة وما أشبه . القبال : زمام النعل بين الإصبعين.

٢٠ لهنّ منَ النعلِ التي قَد حَذَوْتُها | من الحقّ لو دافعتها مثلُ ما لَها
٢١ إذا هبطتْ وعثاً من الخطّ دافعتْ | عليها رَذايا قَد كَلَلْنَ كلالَها
٢٢ إذا رحلتْ منها قَلوصٌ تَبغَّمتْ | تبغُّم أُمِّ الخِشفِ تبغي غزالَها
٢٣ تذكرتُ أن النفسَ لم تَسْلُ عنكمُ | ولم تقضِ منْ حبّي أُميّةَ بالَها
٢٤ وأنّي بذي دَوْرانَ تلقَى بك النوى | على بَردى تَظعانَها فاحتْمالَها
٢٥ أصاريمَ حلّتْ منهم سَفْحَ راهطٍ | فأكنافَ تُبْنَى مَرْجَها فتلالَها

---

٢٤ البكري : واحتلالها .
٢٥ ياقوت والبكري : أكاريس حلت . . . مرج راهط .

---

٢١ الوعث : المكان السهل الذي تغوص فيه الأخفاف ؛ الخطّ : الطريق ؛ الرذايا : جمع رذية وهي الناقة التي أصابها هزال شديد من السير ؛ كللن : أصابهن الكلال أي التعب .
٢٢ قلوص : ناقة فتية ؛ تبغمت : حنّت بصوت كبغام الظبية ؛ الخشف : ولد الظبية .
٢٣ البال : الأمل ؛ يقول إن نفسه لم تبلغ أملها من حبّه لبني أمية ، أي لم تبلغ غاية ما تريده .
٢٤ قال ابن حبيب : دوران ما بين قديد والجحفة ؛ يقول : كيف تلقى أظعانها وأنت بدوران وهي بدمشق (معجم البكري) ؛ قلت : لعلّ ابن حبيب قد وهم في هذا التفسير ؛ والبيت غير مستقل عمّا بعده ، وسأفسرهما معاً فيما يلي .
٢٥ أصاريمَ : جمع صرم — بكسر الصاد — وهو الجماعة أو الفرقة من الناس ، ومثله الأكاريس جمع كرس . قوله سفح راهط ، المشهور فيه : مرج راهط حيث دارت معركة بين مروان ابن الحكم والقيسية يقودهم الضحاك بن قيس الفهري ، وهو على أميال من دمشق . وتبنى : قرية من أرض البثنية لغسان ، قاله ابن حبيب (ياقوت) . والمعنى : ما دمت أنت بذي دوران من أرض الحجاز فكيف تلقى النوى بك تلك الجماعات (لدى ظعنها واحتمالها) وهي بمرج راهط ونواحي تبنى من ديار الشام ؟

٢٦ كَـأنَّ القِـيانَ الغُـرَّ وسْطَ بيوتِـهِمْ   نِعاجٌ بِـجوٍّ مِـن رُمـاحٍ خَـلا لَـها

٢٧ لهُـم أنْـدياتٌ بـالعشِيِّ وبالضُّحى   بَـهاليلُ يرْجُـو الرَّاغبونَ نوالَـهـا

٢٨ كأنّـهمُ قصْـراً مصابيـحُ راهـبٍ   بمَـوْزَنَ روّى بـالسّليطِ ذُبالهَـا

٢٩ يجوسونَ عَـرْضَ العبْقريةِ نحوَها   تمسُّ الحواشي أوْ تُـلِـمُّ نعـالَـها

٣٠ هُـمُ أهلُ ألواحِ السّريرِ ويُـمنة   قرابِـيـنُ أرْدافاً لهـا وشِـمالَـها

---

٢٦ ياقوت : رماخ . . . حلا لها .

٢٧ الأساس : نهالها .

٢٩ ياقوت : يجرون . . . نخوة . . . خيالها .

---

٢٦ القيان : جمع قينة وهي الأمة ؛ الغرّ : البيض ؛ النعاج : جمع نعجة وهي الظبية أو البقرة الوحشية . وروى ابن حبيب : « رماخ » بالخاء المعجمة وقال : هو بنجد ، وقال ابن السكيت : رماخ نقا بالدهناء ، ويقال نقا آخر برمل الوركة وهي عن يسار أضاخ من شرقيها ؛ قال ياقوت : والصحيح رماح – بالحاء – اسم موضع ، والمعنى أن إماء بني أمية كبقر رماح ، خلا لها جوّ فيه ، فهي ترود وترعى كما تشاء .

٢٧ أنديات أي أندية جمع نديّ ؛ بهاليل : جمع بهلول وهو السيد الكريم ؛ النوال : العطاء ؛ والمعنى : هم بهاليل ذوو أنديات تعقد في الضحى والعشي ، ويفد إليها العافون طلباً لما يقدمونه من أعطيات .

٢٨ قصراً : في العشية ؛ موزن : ضبطه ياقوت بفتح الزاي والبكري بكسرها ، وهو بلد بالجزيرة . السليط : الزيت ؛ وأهل اليمن يخصّون به دهن السمسم . الذبالة : الفتيلة ، والجمع ذبال .

٢٩ نحوها : أي نحو الأنديات التي ذكرها في البيت السابع والعشرين ؛ يجوسون : يتخللون ماشين ؛ العبقرية : نوع من البسط منسوبة إلى قرية باليمن ، وربما وصفت بها ثياب من صنع تلك القرية ، وعلى المعنى الثاني تصلح رواية « يجرون » ؛ أو تلم : أو تكاد أن تمسّ .

٣٠ السرير : مجلس الملك ؛ هم أهل الواح السرير : أي يجلسون على سرير الملك معه لجلالتهم ، وأظن المراد أنهم أهل بيت الملك ؛ والقرابين : جمع قربان وهو جليس الملك وخاصته =

٣١ يُحيّون بُهْلولاً بـه ردَّ ربُّهُ   إلى عبدِ شمسٍ عزَّها وجمالَها

٣٢ مسائحُ فوديْ رأسهِ مسبَغلَّةٌ   جرى مسكُ دارينَ الأحمُّ خلالَها

٣٣ أحاطتْ يداهُ بالخلافةِ بعدَما   أرادَ رجالٌ آخرونَ اغْتيالَها

٣٤ فما تركوها عَنْوةً عنْ مودَّةٍ   ولكنْ بِحدِّ المَشْرفِيِّ اسْتقالها

٣٥ هو المرْء يَجزي بالمودَّةِ أهلَها   ويَحذُو بِنَعلِ المُستَثيبِ قِبالَهَا

---

٣٢ منتهى الطلب : مستغلّة .

٣٣ اللسان والتاج (زول) : ازديالها .

٣٤ ياقوت والمحكم والسمط وأمالي القالي : فما أسلموها ؛ الموشح : فما رجعوها ؛ أضداد الأنباري : فما أخذوها ؛ هامش منتهى الطلب : بحد المرهفات (عن نسخة أخرى) ، وهي رواية المحكم (٢ : ٢٦٣) والمسالك .

٣٥ حماسة البحتري : بالكرامة . . . مثالها ؛ المسالك : بالعداوة .

= لقربه منه ؛ الأرداف : الذين يجلسون عن يمين الملك ، فالرديف ينوب عنه إذا قام ويشرب بعده إذا شرب .

٣٢ المسائح : الشَّعر ، وقيل هي الذوائب وشعر جانبي الرأس ، وقيل : المسيحة من رأس الإنسان ما بين الأذن والحاجب يتصعد حتى يكون دون اليافوخ ؛ والفودان : جانبا الرأس ؛ مسبغلة : ضافية مسترسلة ؛ دارين : فرضة مشهورة بالمسك ؛ الأحمّ : الأسود .

٣٣ أحاطت يداه بها : اكتنفتها حماية لها ؛ اغتيالها : أخذها غيلة ، وفي رواية « ازديالها » والمعنى إزالتها .

٣٤ عنوة من الأضداد ؛ قال ابن السكيت : العنوة بلغة أهل الحجاز – وهم خزاعة وهذيل – الطوع ، ولغة باقي العرب : القسر ؛ وقال ابن السكيت مرة أخرى : العنوة في سائر الكلام القسر والقهر ؛ قال : والمشرفي : منسوب إلى المشارف وهي قرى للعرب تدنو من الريف (ياقوت) . استقالها : أخذها واحتازها لنفسه . يقول كثير : لم يسلموها طائعين عن مودة وانشراح صدر ولكن كارهين عن غلبة وقهر (السمط : ٦٢) .

٣٥ يعني أنّه يكافىء من يستحق المودة بمثلها ؛ ويحذو بنعل المستثيب قبالها : هذا على المثل =

٣٦ بلوْهُ فأعطَوْهُ المقادةَ بعْدما أدَبَّ البلادَ سَهْلَها وجبالَها

٣٧ مقانبَ خَيْلٍ ما تزالُ مُظلّةً عليْهِمْ فملّوا كلَّ يومٍ قتالَها

٣٨ دوافِعَ بالرَّوْحاء طوْراً وتارةً مخارِمَ رَضْوى مرجَها فرِمالَها

٣٩ يُقيِّلنَ بالبزْواء والجيْشُ واقفٌ مزادَ الرَّوايا يصْطَببْنَ فِضالَها

---

٣٧ الهمداني : قبائل خيل .

٣٨ البكري والهمداني : خبتها فرمالها .

٣٩ الهمداني والبكري (الجار) والأساس : يقبلن ؛ البكري (البزواء) : مزاد المطايا .

= ومعناه أنّه يتمم عطاءه ولا ينقصه .

٣٦ بلوه : اختبروه ؛ أدبَّ البلاد : ملأها عدلاً فدبَّ أهلها لما لبسوه من أمنه واستشعروه من بركته ويمنه ؛ كذا جاء في اللسان والتاج ، وصوابه — فيما أرى — أن أدبَّ بمعنى جعلها تدبّ والمفعول به في أول البيت التالي .

٣٧ المقانب : جمع مقنب وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل ؛ ولفظة « مقانب » مفعول به للفعل أدبَّ في البيت السابق . مظلّة : دانية مقتربة ، وأصله من إلقاء الظلّ .

٣٨ دوافعَ : منصوبة إما على أنها نعت « مقانب » أو على الحال . الروحاء : قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة (البكري) وهي قبَل السيالة للمتجه إلى المدينة من مكة ولا تزال معروفة حتى اليوم . المخارم : جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل ؛ رضوى : اسم جبل عظيم من جبال تهامة يطل على ينبع النخل ويشاهد من ينبع البحر . الخبت : المتسع المطمئن من بطون الأرض .

٣٩ يقيلن : يشربن التقييل وهو شرب وسط النهار ؛ البزواء (بفتح الباء الموحدة ممدوداً) : أرض بيضاء مرتفعة من الساحل بين الجار وودّان وغيقة شديدة الحرّ ، كان يسكنها بنو ضمرة رهط عزة صاحبة كثيِّر ؛ المزاد : جمع مزادة وهي القربة ؛ والروايا : الجمال التي يستقى عليها ؛ يصطبين : من الصبّ أي يسكبن ؛ فضالها : جمع فضلة وهي البقية من الماء في المزادة .

٤٠ وقد قابَلَتْ مِنها ثِرًى مستجيزةً　　مَباضِعَ في وجْهِ الضحى فثُعالَها

٤١ يُعانِدْنَ في الأرْسانِ أجوازَ بُرزَةٍ　　عِتاقَ المطايا مُسْنِفاتٍ حِبالَها

٤٢ فَغادَرْنَ عَسْبَ الوالِقيّ وناصِحٍ　　تَخُصُّ بِهِ أمُّ الطّريقِ عِيالَها

٤٣ على كلّ خِنْذيذِ الضُّحى مُتمطِّرٍ　　وخيْفانةٍ قد هذَّبَ الجَرْيُ آلَها

---

٤٠ منتهى الطلب : مستثيلة ؛ الهمداني : من وجه الثرى .

٤١ التاج : بزرة ؛ ياقوت : جبالها .

٤٢ المحكم والمقاييس واللسان : يغادرن .

---

٤٠ ثرى : أسفل وادي الجيّ بين الرويثة والصفراء على ليلتين من المدينة ، ورواه محمد بن حبيب ثِرى غير مجراة على وزن فِعَل ؛ مستجيزة – بالنصب – ماضية ؛ مباضع : شعب ثلاث تدفع في ثرى ؛ ثعال : قال البكري : جبل قريب من مباضع ، وقال ياقوت : شعبة بين الروحاء والرويثة ؛ وفي هامش منتهى الطلب : ثرى بكسر الثاء أسفل وادٍ .

٤١ يعاندن : يبارين ؛ أجواز : أوساط ، وجوز كل شيء وسطه ؛ برزة : قال ابن حبيب برزة شعبة تدفع على بير الرويثة العذبة ، وقال ابن السكيت هما برزتان ، وهما شعبتان قريب من الرويثة تصبان في درج المضيق من يليل (ياقوت) . وعلّق ياقوت بأنّه وجد الكلمة بخط بعض الأدباء بفتح الباء ؛ عتاق : كرام ؛ والكلمة مفعول به للفعل « يعاندن » . أسنف البعير : إذا تقدم أو قدّم عنقه للسير ، فالمسنفات بكسر النون : المتقدمات في سيرهنّ ؛ حبالها : أرسانها .

٤٢ العسب : الولد أو ماء الفحل ؛ الوالقي نسبة إلى الوالق ، والوالق وناصح : فحلان كانا لخزاعة ؛ وقيل إن الوالقي لخزاعة وإن ناصحاً لسويد بن شداد العبشمي . أم الطريق هُنا الضبع (التاج) وقيل أم الطريق معظمه ؛ والعيال : أبناء الضبع أو سباع الطريق ؛ يعني أن هذه الخيل ترمي بأجنتها من هذين الفحلين فتأكلها الطير والسباع (ابن سيده : المحكم) . وقال ابن فارس في المقاييس (٤ : ٣١٧) : يصف خيلاً وأنها أزلقت ما في بطونها من أولادها تعباً .

٤٣ الخنذيذ : الفحل الطويل من الخيل ، وقال الجاحظ في الحيوان : الخنذيذ : الكريم التام ؛ =

٤٤ وخيلٍ بعاناتٍ فسِنَّ سُمَيْرَةٍ | لـه لا يرُدُّ الذَّائدونَ نِهالَها
٤٥ إذا قيلَ خيلَ اللهِ يوماً ألا ارْكبي | رضيتَ بِكفِّ الأردُنيِّ انسِحالَها
٤٦ إذا عرضَتْ شهباءُ خطّارةُ القنا | تريك السّيوفَ هزَّها واستلالَها
٤٧ رميتَ بأبناء العُقيميّةِ الوغى | يؤمُّون، مشيَ المشبلاتِ، ظلالَها
٤٨ كأنهمُ آسادُ حَلْيَةَ أصبحتْ | خوادرَ تحمي الخيلَ ممّنْ دنا لَها
٤٩ إذا أخذوا أدراعَهُمْ فتَسربلوا | مُقَلَّصَ مَسْرُودَاتِها وَمُذالَها

---

٤٩ المسالك : وتسربلوا .

= المتمطر : السريع في جريه ؛ الخيفانة : الناقة أو الفرس السريعة شبهها بالجرادة ؛ آلها : شخصها ؛ ومعنى تهذيب الجري لها أنها أصبحت ناحلة .

٤٤ قال ابن السكيت ، قال ابن حبيب : عانات بطريق الرقة ؛ وسن سميرة : جبل من وراء قرميسين يسرة عن طريق الماضي إلى خراسان (ياقوت) . الذائدون : الذين يسوقون الإبل ؛ النهال : العطاش ، يعني يعجزون عن أن يردوها .

٤٥ خيلَ الله : منصوب على النداء ؛ الأردنيّ : حسان بن مالك بن بحدل لأنّه كان والياً على الأردن وفلسطين وبه مُهِّدَ لمروان بن الحكم أمره فهزم الزبيرية وقتل الضحاك بن قيس الفهري يوم مرج راهط ، وهو والد ميسون أم يزيد بن معاوية (ياقوت) .

٤٦ الشهباء : صفة للكتيبة لما فيها من بياض الحديد ؛ القنا : الرماح ؛ هزَّها : بدل من السيوف ، والمعنى تريك هزَّ السيوف واستلالها .

٤٧ العقيمية : تصغير للتعظيم ، والعقمي : الرجل القديم الكرم والشرف ؛ المشبلات : العاطفات على أولادهنّ ، يعني اللبؤات ذوات الأشبال ؛ ظلالها : يعني ظلال الوغى .

٤٨ حلية : أجمة باليمن وهي مأسدة ؛ الخوادر : جمع خادر وهو الأسد المقيم في خدره .

٤٩ تسربلوا : لبسوا ؛ المسرودة : الدرع المنسوجة ؛ المقلّص منها القصير ، والمذال السابغ الطويل .

٥٠ رأيتَ المَنايا شارعاتٍ فَلا تكن لهــا سَنَناً نصباً وخلّ مجالَها

٥١ وحربٍ إذا الأعداء أنْشَتْ حياضَها وقلّبَ أمراسُ السّواني مَحالَها

٥٢ وردتَ عــلى فُرّاطهمْ فدهمتَهمْ بأخطارِ موت يَلْتَهِمْنَ سجالَها

٥٣ وقاريةٍ أحواضَ مجدِك دونَها ذياداً يُبيلُ الحاضناتِ سخالَها

٥٤ وشهباءَ تَردي بالسّلوقيّ ، فوقها سنا بارقاتٍ تكرهُ العينُ خالَها

٥٥ قصدتَ لها حتى إذا مـا لقيتَها ضربتَ بِبُصْرِيّ الصفيحِ قَذالَها

٥٦ وكُنتَ إذا نابتْكَ يوماً مُلِمّةٌ نَبلْتَ لها أبــا الوليدِ نِبالَها

٥٧ سموْتَ فأدْركْتَ العلاء وإنّما يُلقّى عليّاتِ العُلا مَن سما لَها

---

٥٠ شارعات : رافعات أعناقها مشرئبات مقبلات ؛ السّنن : الاستنان ؛ النصب : المنصوب ؛ يعني لا تكن هدفاً منصوباً لاستنانها وحدْ عن طريقها .

٥١ أنشت : أنشأت ؛ الأمراس : الحبال ؛ السواني : جمع سانية وهي الدلو أو الناضحة — الناقة — التي يستقى عليها ؛ المحال : البكرات . شبّه الحرب بحوض واستعار لها صفة الاستقاء بأمراس السواني والبكرات .

٥٢ الفرّاط : أول الواردين على الحوض ؛ السجال : الدلاء .

٥٣ قرا الحوض : جمع الماء فيه ؛ والقارية أيضاً حدّ الرمح والسيف ، وهي بهذا المعنى معطوفة على « بأخطار موت » ؛ يبيل : يجعلها تقذف ؛ الحاضنة : الأنثى التي تحضن ؛ السخال : الأولاد المحببون إلى ذويهم .

٥٤ الشهباء : الكتيبة ؛ تردي : تمشي ؛ السلوقيّ: الدروع المنسوبة إلى سلوق وهي قرية باليمن ؛ البارقات : السيوف ؛ الخال : البرق .

٥٥ بصريّ الصفيح : السيوف المصنوعة في بصرى من ديار حوران .

٥٦ نابتك : حلت بك وأصابتك ؛ ملمة : حادثة ؛ نبلت : أعددت لها نبالها ، جمع نبل ، وقال يعقوب : نبلت لذلك الأمر نَبله ونُبله ونَبالته إذا أخذت له أهبته (السمط : ٦١) ؛ وأبو الوليد : كنية عبد الملك بن مروان .

٥٨ وصُلتَ فنالتْ كفُّكَ المجدَ كلّهُ ولمْ تبلُغِ الأيدي السّوامي مَصالها

٥٩ على ابْن أبي العاصي دِلاصٌ حصِينةٌ أجادَ المُسدّي سردهـا وأذالَها

٦٠ يؤودُ ضَعيفَ القومِ حمْلُ قتيرِها ويستَضْلعُ الطرف الأشَمُّ احتمالَها

٦١ وسَوْداء مِطْراقٍ إلى آمِنِ الصَّفا أبيٍّ إذا الحاوي دنا فصَدا لَها

---

٥٨ وصَلت : بفتح الصاد في منتهى الطلب ، وهو لا يلائم « مصالها » .

٥٩ أمالي المرتضى : نسجها .

٦٠ الموشح والسمط : القرم الأشمّ ؛ المسالك : ويستظلع . . . انثلالها .

---

٥٨ المصال : مصدر من صال يصول . السوامي : المرتفعة الممتدة للوصول .

٥٩ دلاص : درع براقة ملساء لينة ؛ سردها : نسجها وتداخل حلقها ؛ المسدّي : الذي نسجها أي عمل سداها ولحمتها ؛ أذالها : أطال ذيلها وجعلها سابغة . وقد تردد هذا البيت والذي يليه في كتب النقد الأدبي ، لأن عبد الملك اعترض على مدحه بلبس الدرع ، وقال له : هلا قلت كما قال الأعشى :

وإذا تجيء كتيبة ملمومة خرساء يغشى الذائدون نِهالها

كنت المقدّم غيرَ لابس جُنّة بالسيف تضرب معلماً أبطالها

فأجاب كثير : مدح الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغرير ، ومدحتُك بالحزم والعزم . (انظر مثلاً ابن سلام : ٤٥٨ والموشح : ٢٣١ والسمط : ١٨٣ وأمالي المرتضى ١ : ٢٧٨ وغيرها) .

٦٠ يؤود : يثقل ويبهظ . القتير : رؤوس المسامير في الدروع . يستضلع : يجده مضلعاً أي مثقلاً لأضلاعه ؛ الطرف : الحصان ؛ القرم : السيد الشجاع .

٦١ سوداء : يعني حية ؛ مطراق : شديدة الإطراق تحت الصخر الآمن ؛ صدا لها ، قال ابن قتيبة (المعاني الكبير : ٦٧٠) : « أي صفق لها ، والحية مثل الضب والضبع إذا سمعا اللدم والهدة والصوت الشديد خرجا ينظران ، والحاوي إذا دنا من الجحر صفق بيديه ورفع صوته وأكثر من ذلك حتى تخرج الحية كما يخرج الضب والضبع » .

٦٢ كففْتُ يداً عنْها وأرْضَيتُ سمعها ... مِنَ القول حتى صَدَّقتْ ما وعى لها

٦٣ وأشعرْتُها نفْثاً بليغاً فلوْ ترَى ... وقد جُعلتْ أن تُرعيَ النّفْثَ بالها

٦٤ تسلّلتُها مِن حيثُ أدْركها الرُّقى ... إلى الكَفّ لمّا سالمَتْ وانسلالَها

٦٥ وإني امرؤٌ قد كنتُ أحسنتُ مرّةً ... وللمرء آلاءٌ عليَّ استْطالَها

٦٦ فأُقسم ما من خُلّةٍ قد خبرتُها ... من الناس إلا قد فضَلْتَ خلالَها

٦٧ وما ظنّةٌ في جنبكَ اليومَ منهمُ ... أُزَنُّ بها إلا اضطلعتُ احتمالَها

٦٨ وكانوا ذوي نُعمى فقد حالَ دونَها ... ذوو أنعمٍ فيما مضى فاستَحالَها

---

٦٢ منتهى الطلب : حتى صدقته وعالها .

٦٣ منتهى الطلب : أن ترعي النفس ؛ العيني : نفثاً رقيقاً . . . يا لها .

٦٤ العيني : تحذُّرها .

---

٦٢ ما وعى لها : ما أحدث من جلبة وصوت ، والوعي والوعى الأصوات الشديدة ، ومن قرأه : صدقَتْه وعالها عنى أنه أثر فيها فصدقته .

٦٣ أشعرتها : أعلمتها من الإشعار ، يقال أشعرته فشعر أي أدريته فدرى (العيني ١ : ٤٦٠) ؛ النفث : النفخ ، وهو من نفث الراقي ؛ ترعيه بالها : تنصت إليه ، وفي العيني : يا لها ، وقال : يا حرف نداء .

٦٤ الرقى : جمع رقية وهي العوذة . ومن قرأ « تحذّرها » جعله مفعولاً به لقوله « فلو ترى » في البيت السابق (العيني ١ : ٤٦١) .

٦٥ آلاء : نعم ؛ استطالها : كثرها وجعلها ضافية . وللمرء : لعله يشير إلى شخص مدحه من أعداء عبد الملك .

٦٦ خلة : صفة ؛ وكان حقه أن يقول « إلا قد فضلتها » ولكنه أرجع الضمير إلى « الناس » .

٦٧ ظنة : تهمة ؛ أزن : أتهم وأرمى بها ؛ اضطلع بالشيء : أطاق حمله .

٦٩ فلا تكفروا مروانَ آلاءَ أهلِهِ ... بني عبد شمسٍ واشكروهُ فعالَها

٧٠ أبوكمْ تلافى قُبّةَ المُلْكِ بعدما ... هَوَى سَمْكها وغيّر الناسُ حالَها

٧١ إذا الناسُ ساموها حياةً زهيدةً ... هيَ القتلُ، والقتلُ الذي لا شوى لها

٧٢ أبَى اللهُ للشمّ الألاء كأنّهُمْ ... سيوفٌ أجاد القينُ يوماً صقالها

٧٣ فلله عينا مَنْ رأى من عصابةٍ ... تُناضِلُ عن أحسابِ قومٍ نضالَها

٧٤ وإن أميرَ المؤمنينَ هُوَ الذي ... غزا كامناتِ النّصحِ منّي فنالَها

---

٧٤ عيار الشعر والموشح والصناعتين : برفقه . . . الودّ ؛ ابن سلام : كامنات الصدر ، وفي هامش منتهى الطلب : الصدر .

---

٦٩ لا تكفروا : لا تجحدوا نعم آل مروان ، أعني بني عبد شمسٍ .

٧٠ أبوكم : يعني مروان بن الحكم ؛ تلافى قبة الملك : استدركها قبل أن تهوي ، يشير إلى الفتن التي قضى عليها فحفظ الخلافة لبني مروان .

٧٢ قال العيني في شرح البيت (١ : ٤٦٠) : « قوله أبى الله هو من الإباء وهو أشد الامتناع ، وقوله للشمّ جمع أشم من الشمم وهو ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه . . . وقوله أجاد أي أحكم ، والقين – بفتح القاف – : الحدّاد ، يجمع على قيون » ، وقوله الألاء بمعنى الذين ؛ قلت : ربط هذا البيت بالذي قبله ، والمعنى إذا سام الناس الخلافة حياة زهيدة أبى الله ذلك للشمّ . . . الخ ؛ وقال العيني في إعرابه : للشم جار ومجرور في محل النصب على المفعولية ، والألاء : صفة الشمّ ، وجملة كأنهم سيوف صلة للموصول ؛ والقين فاعل أجاد وصقالها مفعول به والجملة في محل الرفع لأنها صفة لسيوف .

٧٤ زعم أن أمير المؤمنين تحيّل بلطفه حتى اكتسب ودّه ؛ وقد عدّ ابن طباطبا هذا من الأقوال التي زادت قريحة قائليها على عقولهم ، وتابعه النقاد في ذلك (عيار الشعر : ٩١) وكان عبد الملك قد قال لعبد العزيز أخيه : لم قبلت من كثير قوله :

وما زالت رقاك تسل ضغني ... وتخرج من مكامنها ضبابي

ويرقيني لك الراقون حتى ... أجابت حيّة تحت اللصاب =

٧٥ وإني مدلٌّ أدَّعي أنَّ صحبةً وأسبابَ عهد لم أُقَطّعْ وصالَها

٧٦ فلا تجعلنّي في الأمورِ كعصبةٍ تبرَّأتُ منها إذ رأيتُ ضلالَها

٧٧ عدوٍّ ، ولا أخرَى صديقٍ ، ونصحُها ضعيفٌ ، وَبَثَّ الحقّ لمّا بدا لها

٧٨ تبلّجَ لمّا جئتُ واخضرَّ عودُهُ وبلَّ وسيلاتي إليــهِ بِــلالَها

---

٧٨ السمط : واهتز ضاحكاً ؛ وبلّ رسالاتي .

= فبلغ ذلك كثيراً فقال : والله لأقولن له مثله ، فقال البيت (السمط : ٦٢) .

٧٨ اخضر عوده : كناية عن الانشراح والتطلق ؛ وبلّ وسيلاتي : كناية عن الصلة .

تخريج القصيدة ١

اعتمدنا فيها على منتهى الطلب .

الأبيات ٩ – ١١ ، ٣٣ – ٣٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٩ في المسالك ١٤ : ٧١
« ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٦ – ٥٨ في أمالي القالي ١ : ١٤
« ٣٧ – ٤٠ ، ٤٤ في صفة الهمداني : ٢٤٦
« ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٧ ، ٥٨ في الصفوة : ١٢ ب
« ٧٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٢٨ في العيني ١ : ٤٥٩
« ٦١ – ٦٤ في الحيوان ٤ : ١٨٨
« ١ – ٣ في ياقوت ٣ : ٦٢٦ والمغانم : ٢٤٩
« ٣٤ ، ٧٤ ، ٧٨ في السمط : ٦١

البيتان ١ ، ٢ في السمهودي ٢ : ٣٤٣
« ٢٤ ، ٢٥ في البكري : ٥٦١
« ٢٥ ، ٢٦ في ياقوت ١ : ٨٢٤
« ٢٦ ، ٢٧ في ياقوت ٢ : ٨١٢
« ٢٨ ، ٢٩ في ياقوت ٤ : ٦٨٠
« ٢٨ ، ٣٠ في اللسان والتاج (قصر)
« ٣٣ ، ٣٤ في ياقوت ٤ : ٢٣٨
« ٣٩ ، ٤٠ في البكري : ٢٤٨
« ٤٣ ، ٤٤ في ياقوت ٣ : ١٦٩
« ٥٩ ، ٦٠ في الموشح : ٢٣١ والسمط : ١٨٣

البيت ١ في البكري : ٩٢٨ ، والمحكم ٢ : ٦٢ ، والتاج (عذب) وابن جني ٢ : ١٣٦ ب ، ١٩٥ ب ، ٣ : ٢٢٧ ب .
« ٣ في الأساس (بلط)
« ٤ في اللسان والتاج (مسس)
« ٨ في ياقوت ٣ : ٢٤٧ والبكري : ٧٧٧
« ١٨ في ابن جني ٢ : ١٤ / أ ، ١٨٧ / أ

البيت ٢٥ في البكري : ٣٠٣

« ٢٧ في الأساس (ندى)

« ٣٢ في التشبيهات : ٢٢٠ واللسان والتاج (درن ، سبغل ، مسح) وشروح السقط : ١٩٥٢ والمخصص ١ : ٩٦

« ٣٣ في اللسانوالتاج (زول)

« ٣٤ في أضداد ابن الأنباري : ٧٩ ، والأغاني ٨ : ١٨٧ ، والموشح : ٢٣٦ والمحكم ٢ : ٢٦٣ ، واللسان والتاج (عنا) ، والمعاهد ١ : ٩٢

« ٣٥ في حماسة البحتري : ١٦١

« ٣٦ في اللسان والتاج (دبب)

« ٣٨ في البكري : ٦٨٢

« ٣٩ في الأساس (صب) والبكري : ٣٥٦

« ٤٠ في البكري : ٣٤٠

« ٤١ في ياقوت ١ : ٥٦٥ ، والتاج (بزر) ، وابن جني ٢ : ٥٤ ب

« ٤٢ في المحكم ١ : ٣١٣ واللسان والتاج (عسب ، ولق) والمقاييس ٤ : ٣١٧

« ٤٣ في الحيوان ١ : ١٣٣

« ٤٤ في البكري : ٧٦١

« ٤٥ في ياقوت ١ : ٢٠٣

« ٤٨ في البكري : ٤٦٣

« ٥٥ في ابن جني ٢ : ٦٤ / أ

« ٥٨ في ابن جني ٣ : ١٨٤ب

« ٥٩ في الواحدي: ٤٤٤ ، وتحرير التحبير : ٢٥١ ، وحماسة المرزوقي : ٧٤٨ ، وابن سلام : ٤٥٨ ، والوساطة : ٤٣٥ ، وأمالي المرتضى ١ : ٢٧٨ ، وبديع أسامة : ١٧٢ ، والعمدة ١ : ١٠٨

« ٦١ في المعاني الكبير : ٦٧٠

« ٧٢ في الشذور : ٣٨ ، والشنقيطي ١ : ٥٧

« ٧٤ في عيار الشعر : ٩١ ، وابن سلام : ٤٦٣ ، والموشح : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٦ ، والصناعتين : ٧٥

٢

وقال كثير أيضاً وحكي أنه قال : هي خير قصائدي :

١ ألا يـا لقوْمي للنّوى وانفـِتالـِها ... وللصرْمِ من أسماءَ ما لَم نُدالـِها

٢ عـــلى شيمةٍ ليست بجـدّ طليقةٍ ... إلينا ، ولا مقليةٌ من شمالهـــا

٣ هو الصفحُ منها خشيةً أن تلومَها ... وأسبابُ صَرْمٍ لم تقعْ بِقِبالهـا

٤ ونحن على مثلٍ لأسماء لم نَجُزْ ... إليها ، ولم نقطعْ قديمَ خـلالها

٥ وشوقي إذا استيقنتُ أنْ قد تخيّلَتْ ... لبينِ نَوى أسمـاءُ بعضَ اختيالها

٦ وأسماء لا مشنوعـةٌ بمـــلامةٍ ... إلينا ، ولا معذورةٌ باعتـلالها

٧ وإنّي على سُقمي بأسماء والذي ... تراجع منّي النفس بعد انْدمالها

---

٦ اللسان (شنع) : ولا مقلية ، وفي طرة الأصل : معذورة .

---

١ انفتالها : تحوّلها وانتقالها ؛ الصرم : القطيعة ؛ ندالها : من داليت الرجل بمعنى رفقت به وداريته ، قال ابن بري : المدالاة : المصانعة مثل المداجاة .

٢ على شيمة : متعلق بقوله « ما لم نداها » ، والشيمة : الخليقة ؛ الطليقة : التي تتصف بالسخاء ؛ الشمال : الشمائل أي الأخلاق ؛ أي لسنا نهجرها بسبب ما لديها من هذه الشمائل المنطوية على البخل ، وإنّما نداريها ونرفق بها .

٦ شنعه : سبه ، كذا قال ابن الأعرابي ، وقال غيره : استقبحه وسئمه .

٧ تراجع مني النفس : أي من شؤون التذكر والحنين ؛ الاندمال : الذهاب ، وفيه معنى التماثل من المرض والجرح ، تقول : اندمل الجرح : برىء ، واندمل المريض : تماثل .

٨ لأرتاح من أسماء للذّكرِ قد خَلا ‏ وللربعِ من أسماء بعد احْتمالها

٩ وان شحطتْ يومـاً بكيتُ وان دنتْ ‏ تـذللتُ واستكــثرتهـا باعتزالها

١٠ وأجمع هجراناً لأسماء إن دنتْ ‏ بهـا الدارُ لا من زَهْدَةٍ في وصالها

١١ فمـا وَصَلَتْنا خُلّةٌ كوصالهـا ‏ ولا ماحَلَتْنا خُلّةٌ كَمِحالِها

١٢ فهل تجزيَنْ أسماءُ ، أورقَ عودُها ‏ ودامَ الذي تَثْرَى بهِ من جمالها

١٣ حنيني إلى أسماء والخَرْقُ دونَها ‏ واكراميَ القومَ العِدى منْ جَلالها

---

٩ الشعر والشعراء : فإن شحطت .

١٣ اللسان والمقاييس : حيائي من اسماء .

---

٨ لأرتاح : خبر إن في البيت السابق ؛ خلا : مضى عهده . الاحتمال : الرحيل . وقيل إن كثيراً أنشد هذا الشعر لطلحة بن عبد الله بن عوف فقال له طلحة : إنك لقائل هذا الشعر يا أبا صخر ؟ فقال : كأنّك عجبت لجودة شعري مع رأيي ، قال : نعم ، قال كثير : إن عقلك نفذ لك في شعري ولم ينفذ لك في رأيي (الموشح : ٥٤٩) .

٩ تذللت : خضعت وتواضعت ؛ استكثرتها : أردت لنفسي شيئاً كثيراً ، باعتزالها ، وهو غاية في التذلل والخضوع .

١٠ الزهدة كالزهد : الإعراض عن الشيء لقلة رغبة فيه .

١١ ماحله : كاده وعرضه للهلكة ؛ والمماحلة أيضاً العداوة ، ويعني بها هنا الصدّ والجفاء .

١٢ أورق عودها : دعاء لها بالشباب والنضارة لا لفقدانهما بل طلباً لدوامهما ؛ تثرى به : تفرح وتسرّ ؛ قال كثير :

وإنّي لأكمي الناس ما تعدينني ‏ من البخل أن يثرى بذلك كاشح

أي يفرح ؛ وكذلك في هامش منتهى الطلب : « ثري يثرى إذا فرح » .

١٣ الخرق : المفازة ؛ من جلالها : من أجلها .

١٤ هل أنتَ مُطيعي أيها القلبُ عَنْوَةً ولم تلحُ نفساً لم تُلَمْ في احتيالها

١٥ فتجعلَ أسماء الغداةَ كحاجةٍ أجمّتْ فلمّا أخْلَفَتْ لم تبالها

١٦ وتجهلَ مِنْ أسماء عهدَ صبابةٍ وتحذوَها مِنْ نعلها بمثالها

١٧ لعمرُ أبي أسماء ما دام عَهْدُها على قولها ذاتَ الزُّمين وحالها

١٨ وما صَرَمَتْ إذ لم تكنْ مستثيبةً بعاقبةٍ ، حبلَ امرىء من حبالها

١٩ فواعجبا منْ شَوْبها عَذْبَ مائها بملحٍ ، وما قد غيّرَتْ من مقالها

٢٠ ومن نَشْرِها ما حُمّلَتْ من أمانةٍ ومن وَأْيِها بالوعدِ ثم انتقالِها

٢١ وكنّا نراها باديَ الرأي خُلّةً صَدُوقاً على ما أُعطيَتْ منْ دَلالها

٢٢ وليلةِ شَفّانٍ يبلُّ ضريبُها بنا صَفَحاتِ العيسِ تحتَ رِحالها

٢٣ سريتُ ولولا حبُّ أسماء لم أبِتْ تُهَزْهِزُ أثوابي فُنونُ شمالها

---

١٤ عنوة : طوعاً ؛ أي هل تطاوعني — دون أن توجه اللوم إلى نفسٍ لم تقصّر في طلب الحيلة — فتجعل أسماء كحاجة أجمّت ؟ (انظر البيت التالي) .

١٥ أجمّت الحاجة إجماماً إذا دنت ؛ والمعنى هل تجعل أسماء كحاجة دنت من يدك أو كادت فلمّا أخلفت لم تأسف على ذهابها ؟

١٦ حذاه من نعله بمثاله : قابله بمثل فعله .

١٧ ذات الزمين : ساعة من الساعات ، وحالها معطوف على « قولها » .

١٨ المعنى أن أسماء لم تدم على العهد من قولها وحالها ، ولم تصرم حبل امرىء من حبالها ، لأنها لم تكن ترجو عاقبة شيء من تلك العلاقة .

١٩ الشوب : الخلط والمزج ، وشابت عذب مائها بملح : كناية عن التغير وإخلاف المودة .

٢٠ وأى بالوعد : ضمن قضاءه ؛ يعجب من إفشائها سرّاً استودعته ، ومن إخلافها ما قطعته على نفسها من وعد .

٢٢ ليلة شفّان : ليلة ذات برد وريح ؛ الضريب : الثلج والبرد .

٢٣ الشمال : الريح الشمالية ؛ فنونها : حالاتها .

تخريج القصيدة ٢

اعتمدنا فيها على منتهى الطلب .

البيتان ٧ ، ٨ في الموشح : ٥٤٩

» ٩ ، ١٠ في الشعر والشعراء : ٤٢٠

البيت ١ في اللسان (دلا)

» ٦ في اللسان (شنع) والتاج (شنع) وقافيته : تقلت (خطأ)

» ٩ في العيون ٣ : ٧٦

» ١٣ في اللسان (جلل) – دون نسبة ، والمقاييس ١ : ٤١٨ (العجز وحده) ، وابن جني ٣ : ١٢٣ ب

٣

وقال كثير يمدح عزة وكان يحبها :

١ خليليَّ هذا رَبعُ عزَّة فاعقِــلا قلوصَيكما ثمَّ ابكيا حيثُ حلّتِ

٢ [ومُسّا تراباً كان قد مسَّ جِلدها وبيتا وظلاَّ حيثُ باتتْ وظلّتِ]

٣ [ولا تيأسا أنْ يمحوَ اللهُ عنكُما ذنوباً إذا صَلّيْتما حيثُ صَلّتِ]

٤ وما كنتُ أدري قبلَ عزّة ما البُكا ولا موجعاتِ القلبِ حتّى تولّتِ

---

١ الزهرة ورواية للقالي : هذا رسم .

٣ القالي : ولا تنسيا .

٤ القالي : ما الهوى ؛ ولا موجعات الحزن .

---

١ الربع : الدار أو موضعها ؛ اعقلا : شدّا واربطا ؛ القلوص : الناقة الفتية ، وقيل هي أول ما يركب من إناث الإبل ؛ ومن رواه « هذا رسم عزة » فالرسم : أثر الدار .

٢ مسّ جلدها : يعني مسَّ جسمها لأنها كانت هناك تجلس وتنام ؛ ولم يرد هذا البيت في رواية القالي ، وأورده البغدادي في القصيدة نقلاً عن أمالي القالي ؛ فلعله سقط من النسخة المطبوعة .

٣ جعل الصلاة حيث صلت جزءاً من الإلمام بالديار ؛ وفهم بعض الشراح منه أنه يعني المدينة المنورة أو منطقة قريبة منها .

٤ تولت : ذهبت وأعرضت . قال السيوطي في هذا البيت : « استشهد به المصنف في التوضيح على نصب « موجعات » عطفاً على محل مفعول « أدري » المعلق بالاستفهام ، لأن المعلق أبطل عليه لفظاً لا محلاً » (شرح شواهد المغني : ٢٧٥) وقال البغدادي في الخزانة (٢ : ٣٧٨) : ولك أن تدعي أن البكاء مفعول به وأن ما زائدة ، أو أن الأصل : « ولا أدري موجعات » فيكون من عطف الجمل أو أن الواو للحال ، وموجعات اسم لا ، أي : وما كنت أدري قبل عزة – والحالة أنّه لا موجعات للقلب موجودة – ما البكا .

٥ وما أنصفتْ أما النساء فَبَغّضَتْ إلينا وأما بالنوالِ فَضَنّتِ

٦ فقد حلَفَتْ جَهْداً بما نحرَتْ له قرَيشٌ غداة المأزِمَيْنِ وصَلّتِ

٧ أُناديك ما حجَّ الحجيجُ وكبَّرَتْ بفَيفاءِ آلٍ رُفقةٌ وأهَلّتِ

٨ [وما كبّرَت مِن فوق رُكبةَ رُفقة ومِن ذي غزالٍ أشعرَتْ واستهلّتِ]

---

٥ القالي : إليّ .

٦ القالي والبكري : وقد حلفت .

٧ القالي وياقوت : بفيفا غزال ؛ الحازمي : بفيف غزال .

---

٥ أنصفت : عدلت ؛ ضنت : بخلت ؛ النوال : العطاء . وفي قوله : أما النساءُ فبغضت حذف للمفعول أي فبغضتهن .

٦ حلفت جهداً : بالغت في يمينها ، قال تعالى « أقسموا بالله جهد أيمانهم » ، والجهد – بفتح الجيم – : المبالغة والغاية ؛ والمأزمان : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة وهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرنة .

٧ أناديك : قال أبو علي القالي : أُناديك : أجالسك ، وهو مأخوذ من الندي والنادي جميعاً وهما المجلس . ما حجَّ : ما مصدرية زمانية ، أي حلفت أنها لا تجالسه ما دام الحجيج (جمع حاج) يقومون بشعائر الحج ؛ وفي رواية « بفيفا غزال » وهي موضع بمكة حيث ينزل الناس منها إلى الأبطح ، والأبطح بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب قليلاً ، وقال الأصفهاني (٤١٤) : ثنية غزال بين مكة والمدينة ولا يقال « فيفا غزال » . أهلت : عجّت بالتلبية ، رافعة بها أصواتها .

٨ ركبة – بضم الراء – : واد بين مكة والطائف ، وقيل ركبة : جبل بالحجاز . ذو غزال : موضع بناحية عسفان ، وعسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقال الحازمي : غزال ثنية عسفان ، وقال الكندي : واد بين هرشى والجحفة ، واستشهد الحازمي بالبيت السابع . أشعرت : اتخذت شعاراً ؛ استهلت : رفعت الصوت بالإهلال .

٩ وكانت لقطعِ الحبل بيْني وبينها كناذِرةٍ نذراً وفتْ فأحلّتِ
١٠ فقُلتُ لها يا عزَّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطّنَتْ يوماً لها النفسُ ذلّتِ
١١ ولم يلْق إنسانٌ من الحُبّ ميعةً تَعُمُّ ولا عَمياءَ إلاّ تجلّتِ
١٢ فإن سألَ الواشونَ فيمَ صرمْتَهَا فقُل نفسُ حرّ سُلّيت فتسلّتِ
١٣ كأنّي أُنادي صخرة حينَ أعرضَتْ من الصُّمّ لو تمشي بها العُصْمُ زلّتِ

---

٩ القالي : فأدفت وحلت .

١٠ الكامل والخزانة (٤ : ٣٢٨) : أقول لها ؛ معجم المرزباني : وقلت لها ؛ الخزانة وبعض روايات القالي : إذا وطئت .

١٢ القالي : هجرتها .

١٣ الموشح : أناجي .

---

٩ أي أنها لإجراء هذا الحلف تمسكت بأن لا تجالسه ولا تواصله فكان فعلها فعل امرأة نذرت نذراً أوجبته على نفسها ، ثم استوفت المدة المضروبة للنذر فأحلت : أي خرجت من الميثاق الذي ارتبطت به (وقال القالي ويروى : وفت فأحلت ، فأثبت الروايتين وثانيتهما « فأوفت فحلت ») . وعندئذ جاز لها أن تكلمه فقال لها : يا عز . . . الخ .

١٠ ابن جني : كل ملمة . توطين النفس على الشيء كالتمهيد له ؛ قال ابن سيده : وطّن نفسه على الشيء فتوطنت له حملها عليه فتحملت وذلت له ؛ ونظير هذا البيت قول ضابىء بن الحارث البرجمي :

ولا خيرَ في من لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

وقد قال النقاد : لو أن كثيراً قال هذا المعنى في صفة الحرب لكان أجود (انظر الخزانة ٤ : ٣٢٨) .

١١ ميعة كل شيء أوله ، ويروى : منعة ومتعة ؛ تعم : تشمل ، ويروى : تغمّ ؛ العمياء : الجهالة ؛ تجلت : انفرجت وظهرت .

١٢ هذا البيت آخر القصيدة في رواية القالي . صرمتها : هجرتها ؛ تسلّت : تكلفت السلوان .

١٣ أعرضت : صدّت ؛ الصمّ : جمع صماء وهي الصخرة الصلبة ؛ العصم : جمع أعصم =

١٤ صفوحٌ فما تلقاكَ إلاّ بخيلــةً   فمن ملَّ منها ذلك الوَصل ملّتِ
١٥ أباحتْ حِمىً لم يرعَه النّاس قبلها   وحلّتْ تلاعاً لم تكُن قبل حُلّتِ
١٦ فليتَ قلوصي عند عزّةَ قُيّدت   بحبلٍ ضعيفٍ غُرَّ منها فضَلّتِ
١٧ وغودر في الحي المُقيمينَ رحلها   وكانَ لهــا باغٍ سوايَ فبلّتِ

---

١٤ القالي والخزانة والتاج : صفوحاً ؛ الحصري : غضوباً .
١٦ الخزانة : عزّ منها .

= وعصماء وهو من الوعول ما في ذراعيه بياض ؛ والعصم تحسن السير والقفز فوق الصخور ، أما هذه الصخرة التي يصفها فإن العصم تزل عليها ، فهي شديدة الملاسة ، ومن ثمّ فهي شديدة الصلابة .

١٤ من رواه « صفوح » قدر أن يكون « هي صفوح » وبالنصب على تقدير : « كأني أنادي صفوحاً » ، والصفوح : المعرضة الهاجرة ؛ من : شرطية ؛ ذلك الوصل : لا وصل هناك وإنّما سمّي هذا النوع من البخل الشديد وصلاً ، لأنها لا تجود بغيره .

١٥ أباح : أحلّ وسمح بـ ؛ الحمى : الأرض التي يحمى كلأها فلا يرعاها غير صاحبها ؛ وهو أيضاً رحبة حول الصنم لا يجوز دخولها إلا لمن أتمّ شروط الطهارة وما أشبه ، وذلك على التشبيه ، أي أن ما أباحته من نفسه يشبه الحمى الذي لا يستطيع غيرها أن يبيحه ؛ والتلاع : جمع تلعة وهي مرتفع يجري منه الماء إلى بطون الأرض ؛ يعني قد حلت من نفسه محلاً عزيزاً لم يتح لغيرها أن يحلّه .

١٦ غرَّ منها : عقد على غرّة يريد الحبل ؛ ويروى « حزّ منها » أي قطع منها ، ويروى « عزَّ منها » أي غلبها . يتمنى لو أنَّ ناقته ربطت بحبل ضعيف أُتيح له أن ينقطع ، فتهيم ضالة على وجهها ؛ ولعله أراد أن يجد عذراً للبقاء إذا فقد ناقته .

١٧ يعني : ليت تلك الناقة ضلت وبقي رحلها ، وذهب غيري ينشدها ، فبلّت أي ذهبت ولم يعثر عليها أحد ؛ قال القالي : وما أعرف (بلت : ذهبت) إلا في تفسير هذا البيت ؛ وفي اللسان : بلت مطيته على وجهها إذا هامت ضالة أي ذهبت على وجهها في الأرض .

١٨ وكنت كذي رجلينِ رِجلٍ صحيحةٍ ورِجلٍ رَمى فيها الزّمانُ فشَلّتِ

١٩ وكنتُ كذاتِ الظّلعِ لمّا تحاملَتْ على ظَلْعها بعد العثارِ استْقلّتِ

٢٠ أُريدُ الثّواء عِنْدها وَأظُنّها إذا ما أطلنا عِندها المُكثَ ملّتِ

٢١ يُكلّفها الخنزيرُ شتمي وما بها هواني ولكنْ للمليكِ استذلّتِ

---

٢١ القالي والخزانة : الغيران .

---

١٨ وكنت : يريد وليتني كنت ، ولهذا جرى كلامه على تمام التمني ؛ ولهذا قال الأعلم في تفسيره للبيت : « تمنى أن تشلّ إحدى رجليه وهو عندها حتى لا يرحل عنها » ، وفهمه ابن سيده على الاستئناف فقال : « لما خانته عزة العهد وتولت عن عهده وثبت على عهدها صار كذي رجلين رجل صحيحة وهو ثباته ، وأخرى مريضة وهو زللها » ؛ وعلى هذا تكون « وكنت » بمعنى « وصرت » . وقال عبد الدائم : معنى البيت أنّه بين خوف ورجاء وقرب وتناء ، وقال بعضهم : تمنى أن يضيّع قلوصه فيبقى في حيّ عزة فيكون ببقائه في حيها كذي رجل صحيحة ، ويكون في فقد قلوصه كذي رجل عليلة ، قال ابن هشام اللخمي : وهذا القول هو المختار المعوّل عليه ، وهو الذي يدلّ عليه ما قبل البيت . وأكّد أبو حيان التوحيدي أن الشين من شلّت لا بد أن تكون مفتوحة (مع أنها شكلت بالضم في نسخة منتهى الطلب) قال : ولقد غلط فيها مرة مسكويه وكابر إلى أن فضحته المحنة (البصائر ٢ : ٥٣٠) والبيت عند النحويين فيه شاهد على بدل المفصل من المجمل : (كذي رجلين رجل صحيحة ورجل . .) وقال البغدادي ويروى بالرفع على أنه بدل مقطوع ، أنشده سيبويه في باب مجرى النعت على المنعوت والبدل على المبدل منه (انظر سيبويه ١ : ٢١٥) ؛ (والتقدير على الرفع هما رجلٌ صحيحة ورجلٌ رمى . . .) ؛ وذكر ابن رشيق (٢ : ٢٢٠) أن البيت مهتدم من قول النجاشي :

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمت فيها يد الحدثان

١٩ الظلع : العرج ؛ تحاملت : تكلفت المشي بمشقة ؛ استقلت : ارتحلت .

٢٠ الثواء — بفتح الثاء — الإقامة ؛ وقد عبّر في هذا البيت عن كلّ ما تمنى ، وما خالط أمنيته في الأبيات السابقة ، ثم رجع إلى نفسه ، فشعر أن عزة ملول إذا أطيل عندها المكث .

٢١ الخنزير : كلمة سبّ لزوج عزّة ، والبيت فيما يروى يتصل بقصة مجملها أنّ زوج عزة =

٢٢ هَنيئاً مريئاً غيرَ داء مخامرٍ   لعزَّة من أعراضِنا ما استحلّتِ
٢٣ ووالله ما قاربْتُ إلاّ تباعدتْ   بصرْمٍ ولا أكثرْتُ إلاّ أقلّتِ
٢٤ ولي زَفراتٌ لو يَدُمنَ قتلْنَني   توالي التي تأتي المُنى قد تولّتِ
٢٥ وكنّا سلكْنا في صَعودٍ من الهوى   فلمّا توافينا ثبَتُّ وزلّتِ
٢٦ وكنّا عقَدنا عُقدةَ الوصلِ بيننا   فلمّا تواثقنا شددتُ وحلّتِ
٢٧ فإن تكنِ العتبى فأهلاً ومرحباً   وحَقّتْ لها العُتبى لدينْا وقلّتِ
٢٨ وإن تكن الأخرى فإنّ وَراءنا   بلاداً إذا كلفتُها العيسَ كلّتِ

---

٢٣ القالي والخزانة : فوالله .
٢٨ القالي : مناذح لو سارت بها .

= مرّ بكثير وهو ينشد وحوله جماعة قد أحدقوا به ، فقال لها : لتقولِنّ له كذا ، فشتمته نزولاً على إرادة زوجها ؛ وفي رواية الأمالي « الغيران » أي الشديد الغيرة ، مع أن البكري في السمط رواه « يكلفها الخنزير » ثم علق بقوله : وعن غير أبي عليّ يروى يكلفها الغيران ، وهو الصحيح . فكأن رواية أبي عليّ في الأصل : يكلفها الخنزير . استذلت : خضعت واستكانت ، والمليك أي مالكها وصاحبها .

٢٢ هنيئاً مريئاً قدر فيه النصب : « ثبت لك هنيئاً » فيكون منصوباً على الحال ، ويجوز أن تقدر تعيش عيشاً هنيئاً فيكون صفة لمصدر محذوف . مخامر : مخالط . والعبارة : هنيئاً مريئاً لعزة ما استحلته من أعراضنا – إلا أن يكون داء مخامراً – . وقيل لكثير : أنت أشعر أم جميل ؟ فقال : أنا أشعر ، جميل يقول :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى   وفي الغرّ من أنيابها بالقوادح

وأنا أقول : هنيئاً مريئاً . . . البيت (انظر الخزانة ٣ : ٩٤ والسمط : ٧٣٥)

٢٧ العتبى : الرضى ؛ قال أبو علي : والعتبى الإعتاب ، يقال عاتبني فأعتبته إذا نزعت عما عاتبك عليه ، وقلّت : أي هو يستقل الرضى في جانبها .

٢٨ الأخرى : ما عدا العتبى ؛ وفي رواية القالي « مناذح لو سارت بها العيس » ؛ والمناذح : =

٢٩ خليليَّ إن الحاجِبيّة طلّحتْ قلوصيكُما وناقــتي قد أكلّتِ

٣٠ فلا يبعدنْ وصلٌ لعزَّة أصبحت بعــاقبةٍ أسبابــه قد تولّتِ

٣١ أسيئي بِنا أو أحسني لا ملومــةً لدينــا ولا مقليّةً إن تقلّتِ

٣٢ ولكن أنيلي واذكري من مودَّةٍ لنا خُلّةً كانت لديكمْ فضلّتِ

٣٣ وإنّي وإن صدَّتْ لمُثنٍ وصادقٌ عليها بمــا كانت إلينــا أزلّتِ

---

٢٩ العيني والخزانة : أطلت .

٣٠ الخزانة : لعاقبة .

٣٢ الخزانة : ولكن أميلي ؛ القالي : فطلت .

٣٣ القالي : فإنّي .

= المفاوز و السباسب ، مفرده مندوحة وهي الأرض الواسعة البعيدة ، وورد : مناوح ولا أراه إلا تصحيفاً ؛ والعيس : الإبل البيض ؛ كلت : أعيت وتعبت من السير .

٢٩ الحاجبية : نسبة إلى جدها الأعلى وهو حاجب بن غفار ، وأخطأ العيني فظن أن الحاجبية رمل طويل وتعقبه البغدادي وغيره . طلحت : أتعبت ، وكذلك أكلّت .

٣٠ بعاقبة : بأخرة ، في آخر الأمر ؛ الأسباب : الحبال ، أي أن ذلك الوصل قد انقطعت علائقه بأخرة .

٣١ اسيئي بنا : قال ابن سيده (المحكم ٣ : ١٤٤) : لفظه لفظ الأمر ومعناه الشرط ، لأنه لم يأمرها بالإساءة ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها . . . ومعنى قوله أسيئي بنا : قولي ما أسوأه ، ما أقبحه ، أو قولي ما أحسنه . وفي البيت التفات من الخطاب إلى الغيبة في (تقلتِ) ؛ وأصله « تقليتِ » وفي رواية « وأسماء لا مشنوعة بملالة » وهو صدر بيت من قصيدة سابقة وليس من هذه القصيدة .

٣٢ الخلة : المودة والصداقة ؛ فضلّت : نسيت ومطلت ، ومن رواه فطلت فمعناه هدرت وذهبت باطلاً .

٣٣ أزلّ إليه نعمة : أسداها ؛ وقال أبو علي أزلت : اصطنعت ؛ قال الجواليقي في شرح =

٣٤ فما أنا بالدّاعي لعزّةَ بالردى ولا شامتٍ إن نعلُ عزّةَ زلّتِ

٣٥ فلا يحسبِ الواشونَ أنَّ صبابتي بعزّة كانتْ غمرةً فتجلّتِ

٣٦ فأصبحتُ قد أبللتُ من دَنفٍ بها كما أُدْنفتْ هيماءُ ثمّ استْبلّتِ

٣٧ فوالله ثمَّ اللهِ لا حلَّ بعدها ولا قبلها مِن خُلّةٍ حيثُ حلّتِ

٣٨ وما مرَّ مِن يومٍ عليَّ كيومِها وإن عظمتْ أيامُ أُخرى وجلّتِ

٣٩ وحلّت بأعْلى شاهقٍ من فؤاده فلا القلب يسلاها ولا النّفسُ ملّتِ

---

٣٤ القالي والخزانة : بالجوى .

٣٦ الخزانة : من مدنف ؛ اللسان : وانّي قد .

٣٧ القالي والخزانة : ما حل قبلها ولا بعدها .

٣٨ الخزانة : أمام أخرى .

٣٩ القالي والخزانة : فأضحت . . . ولا العين .

= البيت (٢٨١) : يقول : أنا معترف بما أحسنت إليّ واصطنعته عندي من الجميل لا أكفره وإن أعرضت عني وهجرتني ؛ وقد اعترض الشرط بين اسم إن وخبرها فسدّ مسدّ الجواب .

٣٤ زلّت به النعل : كناية عن العثار والخطأ ؛ والردى : الهلاك ، وفي رواية « الجوى » ومعناه المرض الدخيل أو السلّ .

٣٥ الواشون : الماشون بالنميمة ؛ الغمرة : شدة الشيء .

٣٦ استبلّ مثل بلَّ من المرض إذا برأ منه . أدنفت : أصابها الدنف وهو المرض ؛ والهيام : داء يأخذ الإبل فتهيم في الأرض ولا ترعى .

٣٨ أخرى : يعني امرأة أخرى .

٣٩ يسلاها : ينساها ويطيب نفساً عنها ؛ وقد ورد البيت عند السيوطي وشرح شواهد الكشاف :

وللعين أسراب إذا ما ذكرتها وللقلب وسواس إذا العين ملّت

وقد ورد كذلك عند القالي (١ : ٦٥) ونسب هذا البيت للمجنون (مصارع العشاق ٢ : ٩١) .

٤٠ فواعجبا للقلبِ كيف اعترافُـهُ   وللنّفس لمّا وُطّنت فاطمأنّتِ
٤١ وإنّي وتهيامي بعـزّة بعْدمـا   تخلّيت مِـمّا بيْننا وتخلّتِ
٤٢ لكالمُرتجي ظِلّ الغمامةِ كُلّما   تبوّأ منهـا للمقيل اضمحلّتِ
٤٣ كأنّي وإياهـا سحابةُ مُمحِلٍ   رجاها فلمّا جاوزتْه استهلّتِ

---

٤٠ القالي والخزانة : فيا عجبا . . . كيف ذلّت .
٤٢ الأزمنة : كساع إلى ظل الغيابة يبتغي مقيلاً فلما أن أتاها . . .

---

٤٠ اعترافه : قال أبو علي : اعترافه : اصطباره ؛ يقال نزلت به مصيبة فوجد عروفاً أي صبوراً ، والعارف : الصابر .

٤١ التهيام – بفتح أوله – مصدر للمبالغة من الهيام ؛ تخليت : تركت ؛ وخبر إن في البيت التالي . قال ابن جني : « وسألته (يعني أبا علي الفارسي) عن بيت كثير « وإنّي وتهيامي . . . » فأجاز أن يكون قوله وتهيامي جملة من مبتدإ وخبر اعترض بها بين اسم إن وخبرها الذي هو قوله : لكالمرتجي ظلّ الغمامة . . . فقلت له : أيجوز أن يكون وتهيامي بعزة قسماً ؟ فأجاز ذلك ولم يدفعه » .

٤٢ لكالمرتجي : خبر إنّ في البيت السابق ؛ تبوأ : أقام في المكان ؛ وفي رواية « الغيابة » وهي ظلّ السحابة ؛ ولغة الكلابيين : امضحلت بدلاً من اضمحلت .

٤٣ سحابة ممحل : سحابة بلد ممحل أي مجدب ؛ استهلت : بدأت إرسال المطر ، شبه نفسه بالبلد الممحل وصاحبته بالسحابة .

تخريج القصيدة ٣

منها في منتهى الطلب ٣٨ بيتاً ، هي كل ما لم يوضع بين معقفين ، ومنها في أمالي القالي (٢ : ١٠٥) ٣٩ بيتاً ، اختلفت في ترتيبها بعض اختلاف عما في منتهى الطلب ، فوردت على النحو الآتي : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ – ١١ ، ١٣ – ٢٠ ، ٥ ، ٢١ – ٢٣ ، ٢٧ – ٤٣ ، ١٢ . والبيت الثاني مزيد من رواية للقالي نفسه في موضع آخر ، وكذلك البيتان ٢٥ ، ٢٦ ، ويبقى من الأبيات المزيدة البيت الثامن ولم نعتمد فيه رواية موثقة ؛ وقد أدخل ناسخ متأخر على نسخة الشعر والشعراء عشرين بيتاً من القصيدة برواية القالي ولذا فلن نشير إليها في التخريج ، وكذلك نقل صاحب الخزانة ٢ : ٣٧٩ – ٣٨١ رواية القالي للقصيدة .

الأبيات ١ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٠ ، ٣٩ ، (٤١ ، ٤٢) ، ١٢ في السيوطي : ٢٧٥ .

» ١ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ – ١١ ، ١٣ – ٢٠ ، ٥ ، ٢١ – ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٣١ – ٣٥ ، ٣٧ – ٤٣ في تزيين الأسواق ١ : ٤٩ .

» ١ ، ٤ ، ٩ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ – ٤٣ ، ١٣ ، ١٤ في العيني ٢ : ٤٠٨ – ٤٠٩ .

١ ، ٤ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٦ – ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٠ – ٤٣ في الحماسة البصرية : ١٥١ / أ .

» ١ ، ٤ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ – ٤٢ في الصفوة (٧٢ ب)

» ١ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٢ ، ١٩ ، ٣١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ في شواهد الكشاف : (٥٥ – ٥٦)

» ١ ، ٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٠ ، ٣١ ، ٢٢ (وبيت زائد) ، ١٣ ، ١٤ (وبيت زائد) في الأغاني ٩ : ٢٩

٩ – ١١ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٢٣ ، ٣٩ – ٤٢ في زهر الآداب : ٣٥٤

٢٥ ، ٢٦ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ١٢ في أمالي القالي ١ : ٦٥

» ١ ، ٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٠ في الخزانة ٢ : ٣٧٨

الأبيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٠ ، ١٦ ، ١٧ في الخزانة ٢ : ٣٧٧

» ١ – ٣ في السمهودي ٢ : ٤٤٩

» ١ ، ٤ ، ٤٠ – ٤٣ في المنازل والديار ٨٤ ب

» ٩ – ١١ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٤١ – ٤٣ في مسالك الأبصار ١٤ : ٦٧

» ٧ ، ٩ – ١١ في ياقوت ٣ : ٩٣١

» ١٦ – ٢٠ في جمع الجواهر : ١٨٧

» ٤١ ، ٤٢ ، ١٠ ، ٢٢ في نهاية الأرب ٣ : ٧٧ والتمثيل : ٧٢

» ١٣ ، ١٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ١٥ ، ٩ ، ١٠ ، ٣١ (وبيت زائد) في روضات الجنات : ٥٠٩

» (بيت زائد) ١٣ ، ١٤ ، ١ في الموشح : ٢٥٢

» ٢٢ ، ٣٤ ، ١٨ في محاسن البيهقي : ٢١٦

» ١٠ ، ٢٧ ، ٣١ في مجموعة المعاني : ١٦٥

» ٩ ، ٤١ ، ٤٢ في التشبيهات : ٣٦٣

» ٤١ ، ٤٢ ، ١٠ ، ٢٢ في لباب الثعالبي : ٢٠

» ٤١ – ٤٣ في أمالي المرتضى ١ : ٤١٤ والعمدة ٢ : ٦٣

البيتان ١٠ ، ١٣ في الصناعتين : ٧١

» ١٣ ، ١٤ في الموشى : ١٠٨ وأمالي القالي ٢ : ١٠٤ والخزانة ٢ : ٣٨٢ والأغاني ٩ : ٢٧ والتزيين ١ : ٤٩ وزهر الآداب : ٢٤٦

» ١٦ ، ١٧ في اللسان والتاج (بلل)

» ٢٢ ، ١٠ في معجم المرزباني : ٢٤٣

» ٣١ ، ١ (وبينهما بيت زائد) في الزهرة ٥٤ – ٥٥

» ٣١ ، ١٠ في شواهد الكشاف : ٥٢

» ٣١ ، ٢٢ في المعاهد ١ : ١٨٣

» ٣٥ ، ٣٦ في اللسان والتاج (هيم)

» ٤١ ، ٤٢ في مجموعة المعاني : ٦٩ وبديع أسامة : ٢١٣ والمختار : ١٧٠ وابن خلكان ٣ : ٢٦٩ ومغني اللبيب : ٣٨٩ وزهر الآداب : ٤٥٣ ودرة الغواص : ١٤٢ وقطب السرور : ٥٠

البيت ١ في الموازنة ١ : ٤٠٨ ، ٥١٣ والأغاني ٩ : ٢٧٣ ، والعيني ٤ : ٢٠٥

» ٤ في الخزانة ٤ : ٧ والعيني ٢ : ٤٠٨ ومغني اللبيب : ٤١٩

البيت ٥ في نور القبس: ٤١ والخزانة ٢ : ٣٧٨ والعيني ٤ : ٢٠٤ والسمط: ٧٣٧
» ٦ في البكري : ١١٧٣
» ٧ في الحازمي (غزال) وابن جني ١ : ٢٠٢/أ ، ٢ : ٦٣/أ
» ١٠ في الكامل ١ : ٣٢٤ والموشح : ٢٣٣ والأغاني ٢ : ٤٧ والمعاهد ١ : ٥٩ ونور القبس : ٣٢٩ والخزانة ٤ : ٣٢٨ وابن جني ٢ : ١١٧ /أ وأمالي المرتضى ١ : ١٩٦ والواحدي : ٨٠
» ١٣ في الحيوان ٤ : ٤٠٨ والموشح : ٢٤٣ والبصائر ٢ : ٥٣٠ والسمط : ٧٣٥ والخزانة ٢ : ٣٧٦ والعيني ٢ : ٣٨٠ ، ٤ : ٢٠٤ وحماسة المرزوقي : ١١١٠ وأمالي المرتضى ١ : ٤٦ ومغني اللبيب : ٤٧٢ والجمان : ١٠
» ١٤ في التاج (صفح)
» ١٨ في سيبويه ١ : ٢١٥ والشنتمري ١ : ٢١٥ وابن يعيش : ٣٩٠ والجامع : ٣٣١
» ١٩ في شروح السقط : ١٣٤٩ وابن جني ٢ : ٩٩/أ
» ٢١ في الأغاني ٩ : ٢٩
» ٢٢ في الشعر والشعراء : ٣٥٠ والمقاييس ٢ : ٢١٦ والجمان : ٢٥٣ والخزانة ٣ : ٩٤ والسيوطي : ٢٥ ومصارع العشاق ١ : ١٠١ وشواهد الكشاف : ٥٥
» ٢٧ ابن جني ١ : ١١٢ ب
» ٢٨ في السمط : ٧٣٧
» ٢٩ في ابن أبي حصينة : ٢٢٣ والخزانة ٢ : ٣٨١
» ٣١ في المحكم ٣ : ١٤٤ والتاج (سوأ) والموشح : ٢٣٤ وأضداد ابن الأنباري : ١٣٥ وعيار الشعر : ٨٥ والعيون ٢ : ٣٣٠ وأمالي المرتضى ٢ : ٢٣٤ وشروح السقط : ٧٧٠ والواحدي ٦٩٤ (الصدر وحده)
» ٣٣ في الجواليقي : ٢٨١
» ٣٦ في الصحاح (هيم) — العجز وحده.
» ٤١ في الخصائص ١ : ٣٤٠
» ٤٢ في الأزمنة والأمكنة ٢ : ٩٦ (دون نسبة)
» ٤٣ في مجموعة المعاني : ١٤٢

وقد وردت أبيات نسبت لكثير ، ولم تدخل في هذه القصيدة ، حسب الرواية التي أثبتناها هنا ، وهذه هي الأبيات :

١ – يقر بعيـــني ما يقر بعينها وأجمل شيء ما به العين قرت

٢ – تمنيتهـــا حتى إذا ما رأيتها رأيت المنايا شرعاً قد أظلت

٣ – أصاب الردى من كان يهوى لك الردى وجن اللواتي قلن عزة جنت

٤ – وما نطفة كانت سلالة بارق نمت عن طريق الناس ثم استقلت

٥ – بأطيب من أنياب عزة بعدمـــا حدا الليل أعقاب النجوم فولت

٦ – كما أبرقت يوماً عطاشاً غمامة فلما رأوها أقشعت وتجلت

٧ – تمنت سليمى أن تمـــوت بحبها وأهون شيء عندنا ما تمنت

البيت الأول في الموشح : ٢٥٢ والأغاني ١٦ : ١١٠ وهو في الأغاني ١ : ٣٣٨،٢٧٧ للأحوص ، والثاني والثالث في الأغاني ٩ : ٢٩، والثالث في الزهرة : ٥٤ – ٥٥ ، والرابع والخامس في حماسة الشجري : ١٩١ ، والسادس في نهاية الأرب ١ : ٧٦ والمعاهد ١ : ١٥١ ، ١٧٦ وقال العباسي إنه لا يعرف قائله ، والسابع في روضات الجنات : ٥٠٩؛ وضمن يعقوب ابن سليمان أحد أحفاد طلحة بن عبيد الله البيتين ١٠ ، ١٢ في قصيدة له يقول فيها :

فقلت كما قد قال قبلي كثير لعزة لمـــا أعرضت وتولت

فقلت لهـــا . . . . (البيت)

فإن سأل الواشون . . . . . (البيت)

انظر ذيل الأمالي : ٦٨

وقد صرح أبو الفرج (الأغاني ٥ : ٣٢٧ ، ٩ : ٢٧٢) بأن بعض الناس يجعل فيها هذين البيتين :

١ – أيا ناشر الموتى أقدني من التي بها نهلت نفسي سقاماً وعلت

٢ – لقد بخلت حتى لو اني سألتهـــا قذى العين من سافي التراب لضنت

قال : وهما لأعرابي ، ومن الناس من ينسب هذا الشعر لكثير عزة وهو خطأ من قائله .

٤

وقال كثيّر أيضاً متغزلاً :

١ ألا حيّيَا لَيْــلى أجَـدَّ رَحيلي وَآذَنَ أصْحــابي غـداً بقُفول

٢ تبدّتْ لهُ لَيلى لتغلب صــبره وهاجتك أمُّ الصَّلْتِ بعدَ ذهولِ

٣ أُريد لأنْسَى ذكرَها فكأنّما تمثّلُ لي ليلى بكُلِّ سبيلِ

٤ إذا ذُكرَتْ ليلى تغشّتْك عَبرَةٌ تُعلُّ بها العَيْنان بعد نهولِ

٢ القالي والسيوطي : لتذهب عقله ، وشاقتك ؛ الزبيدي : لتذهب لبه .

١ أجدّ رحيلي : عزم واستحكم ؛ بقفول : قال أبو علي : برجوع ، والقافلة : الراجعة من سفر ، ولا يقال للذين خرجوا من بيوتهم إلى مكة قافلة .

٢ لتغلب صبره : هي رواية أبي عمرو الشيباني ؛ الذهول : ترك الشيء عن عمد أو نسيان ، وهو السلوّ .

٣ اتفق كثير من المصادر على أن كثيراً سرق هذا البيت من قول جميل :

أُريد لأنسى ذكرها فكأنّما تمثل لي ليلى على كل مرقب

حتى قال له الفرزدق « ما أشعرك يا كثير في قولك : أُريد لأنسى . . . » يعرض له بسرقة البيت ، فقال كثير : أنت يا فرزدق أشعر مني في قولك :

ترى النّاس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وهو بيت لجميل أيضاً ، سرقه الفرزدق : (الأغاني ٩ : ٣٣٥ وانظر تخريج القصيدة حيث نسب البيت نفسه لجميل في بعض المصادر) . تمثل أي تتمثل : تتصوّر ؛ سبيل : طريق .

٤ تغشي : انتاب ونزل بـ ، والتغشية : التغطية ، والتقدير : تغشت عينيك ؛ عبرة : دمعة ؛ تعلّ : تسقى المرة الثانية ؛ النهول : الشرب الأول ؛ أي تفيض دموعك مرة إثر أخرى .

٥ وكم مِن خليلٍ قال لي لو سألتَها فقلتُ نعم ليلى أضنُّ خليلِ

٦ وأبعدُه نيلاً وأوشكهُ قِلًى وإن سُئِلتْ عُرفاً فشرُّ مسولِ

٧ حلفتُ بربِّ الرّاقصاتِ إلى منًى خلال الملا يمددن كلَّ جديلِ

٨ تراها وِفاقاً بينهُنَّ تفاوتٌ ويمددن بالإهلال كلَّ أصيلِ

٩ تواهقن بالحُجّاج من بطنِ نخلةٍ ومن عَزوَرٍ والخبتِ خبتِ طَفيلِ

---

٥ القالي والسيوطي : هل سألتها .

٨ القالي : رفاقاً .

٩ منتهى الطلب : خبت طويل .

---

٥ لو : بمعنى ليتك سألتها . أضن : أبخل .

٦ أوشكه : أسرعه ؛ القلى : البغض ؛ العرف : المعروف وصنع الجميل ؛ مسول : مخففة من مسؤول .

٧ الراقصات : الإبل ؛ الملا : الفضاء ؛ الجديل : زمام مجدول أي مضفور .

٨ وفاقاً : متوافقة في سيرها ؛ الإهلال : التلبية ورفع الصوت بالدعاء ، يعني أن الركبان على هذه الإبل يفعلون ذلك ؛ الأصيل : العشيّ .

٩ تواهقن : تبارين في سيرهن ، والمواهقة : المباراة في السير ، قال طفيل الغنوي :

قبائل من فرعي غني تواهقت بها الخيل لا عزل ولا متأشب

بطن نخلة : بستان بني عامر وهو المجمعة ، قاله القالي . وقال أبو زياد الكلابي : نخلة واد من الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين إحدى الليلتين من نخلة يجتمع بها حاج اليمن وأهل نجد ومن جاء من قبل الخط وعمان وهجر ويبرين فيجتمع حاجّهم بالوباءة وهي أعلى نخلة وهي تسمى نخلة اليمانية ، وتسمى النخلة الأخرى الشامية وهي ذات عرق ، وأمّا أعلى نخلة ذات عرق فأسفلها بستان ابن عامر . وقال القالي ونصر : عزور : ثنية الجحفة ، والخبت : المطمئن من الأرض ، وطفيل : موضع . وفي ياقوت أن عزور جبل مقابل رضوى ، وفي رسالة عرام (٣٩٦) بينه وبين رضوى طريق المعرقة ، و « طفيل

١٠ بكلّ حرامٍ خاشعٍ مُتوجّهٍ إلى الله يدعوه بكلّ نقيلِ

١١ على كلّ مذعان الرّواح مُعيدَةٍ ومخشيّةٍ ألاّ تُعيد هزيلِ

١٢ شوامذَ قد أرتجْن دون أجنّةٍ وهوجٍ تبارى في الأزمّةِ حُولِ

١٣ يمينَ امْرىء مستغلظٍ بأليّةٍ ليُكذِبَ قيلاً قد ألَحَّ بقيلِ

١٤ لقد كذب الواشون ما بحتُ عندهمْ بليلى ولا أرسلتُهُمْ برسيلِ

---

١٣ القالي : من ألية .

١٤ القالي (في رواية) : برسول ؛ وفي اللسان (رسل) ما فهت عندهم . . . بسرّ ؛ التاج : ويروى : بسر ولا ارسلتهم برسول .

= على عشرة فراسخ من مكة ، وقال عرام : يتصل بهرشى خبت من رمل في وسطه جبيل صغير أسود شديد السواد يقال له طفيل .

١٠ النقيل : الطريق .

١١ المذعان : المذللة ، يقال أذعن له : إذا ذل أو خضع ؛ معيدة : قد عاودت السفر ؛ مخشية ألا تعيد : يخشى **ألا** تستطيع السفر ثانية لهزالها .

١٢ الشوامذ : الشائلات الأذناب ، والناقة إذا استبان لقحها شمذت بذنبها ؛ أرتجن : أغلقن أرحامهن على أولادهن فهن مرتجات ، ومنه قيل : ارتج على القارىء ، إذا وقف فلم يدر ما يتلو كأنّه أغلق عليه ؛ الحول : جمع حائل وهي الّتي لا تلقح .

١٣ الألية : اليمين وفيها أربع لغات : يقال ألية ويجمع أليات وألايا ، وألوة وتجمع ألوات ، وأُلوة وتجمع ألى ، وإلوة وتجمع إلى . القيل : القول ؛ يعني يردّ على إلحاح قائل بقول آخر مشفوع بيمين غليظة .

١٤ قال القالي : يروى : برسول ، والرسول والرسيل : الرسالة هاهنا ؛ وذكر في اللسان أن رواية « برسيل » من إنشاد ثعلب .

١٥ فإن جاءكِ الواشون عنّي بكذبةٍ   فرَوْهـا ولم يـأتوا لهـا بحويلِ

١٦ فلا تعجـلي يا ليلَ أن تتفهّمي   بنصح أتى الواشون أم بحُبولِ

١٧ فإن طبتِ نفساً بالعطاء فأجزلي   وخيرُ العطايا ، ليلَ ، كلُّ جزيلِ

١٨ وإلاّ فإجمـالٌ إليّ فإنّـني   أُحبُّ من الأخلاقِ كلّ جميلِ

١٩ فإنْ تبذُلي لي منكِ يوماً مودّةً   فقِـدْماً صنعتِ القرْض عند بَذولِ

٢٠ وإن تبخلي يا ليـلَ عنّي فإنّـني   توكّلُـني نفسي بكلّ بخيلِ

---

١٦ العيني (٤ : ١٤١) : يا ميّ . . . أن تتبيّني ؛ ابن جني : فلا تلبثي يا عزّ ؛ التاج : أجاءوا بنصح ام اتوا .

١٩ القالي : فقدماً تخذت .

---

١٥ فروها من الفرية ، يقال فرى يفري بمعنى افترى واختلق ؛ الحويل : المحاولة ؛ ومن معاني الحويل : الشاهد والبينة ، أي هي كذبة بلقاء ساطعة لا يحتالون لإخفائها ، أو هي فرية لا بيّنة عليها .

١٦ الحبول : الدواهي واحدتها حبل – بكسر الحاء – ويروى أيضاً بخبول جمع خبل وهو الفساد ؛ قال العسكري في التصحيف (٣٦١) : يروى بالحاء والخاء ؛ وقال العيني في إعرابه (٤ : ١٤١) : « فلا تعجلي : الفاء للعطف على ما قبله ، ولا تعجلي جملة من الفعل والفاعل ؛ يا ميّ : يا حرف نداء ومي منادى مرخم أصله مية ، ويروى يا عزّ أصله يا عزة ؛ أن تتبيني : – ويروى أن تتفهمي – وكلاهما بمعنى واحد ، وأنْ هذه مصدرية وأصله « لأن تتبيني » والمعنى فلا تعجلي إلى أن تتبيني أبنصح أتى الواشون أم بغير نصح ، والباء في « بنصح » متعلق بأتى وهو فعل والواشون فاعله ؛ أم : متصلة وقعت بين المفرد والجملة ، فالمفرد هو قوله بنصح والجملة هي قوله بحبول ، لأن تقديره أم أتى بحبول . والاستشهاد فيه في حذف الهمزة لأن التقدير : أبنصح أتى الواشون أم أتوا بحبول » .

٢١ ولست براضٍ من خليــلي بنائلٍ قليلٍ ولا راضٍ له بقليلِ

٢٢ وليس خليلي بالملولِ ولا الذي إذا غبتُ عنه باعــني بخليلِ

٢٣ ولكن خليلي مَن يدومُ وصالهُ ويحفظُ سرّي عند كلّ دخيلِ

٢٤ ولم أرَ مِن ليلى نوالاً أعدُّه ألا رُبّمـا طالبتُ غـيرَ مُنيلِ

٢٥ يلومك في ليلى وعقلُك عندها رجالٌ ولم تذهبْ لهمْ بعقولِ

٢٦ يقولون ودّعْ عنكَ ليلى ولا تَهِم بقاطعةِ الأقران ذاتِ حليلِ

٢٧ فما نقعتْ نفسي بمــا أمرُوا به ولا عجتُ من أقوالهم بفَتيلِ

٢٨ تذكرتُ أتراباً لعزّةَ كالمَها حُبينَ بليطٍ ناعمٍ وقبولِ

٢٩ وكنتُ إذا لاقيتهُنَّ كأنّني مخالطةٌ عقــلي سلافُ شمولِ

٣٠ تأطّرن حتى قلتُ لسن بوارِحاً رجاء الأماني أن يقِلْنَ مقيــلي

---

٢١ القالي والموشى والموشح : من خليل .

٢٣ القالي : من يديم .

---

٢٣ الدخيل : العالم بداخل أمرك ، يقال هو عالم بدَخْلك ودِخلك ودخيلك ، ويقال : الدخيل والدخلل : الخاصة .

٢٦ لا تَهم : من الهيام ، أي لا تتولّه ؛ الأقران : الأسباب يعني علائق المودة ؛ الحليل : الزوج .

٢٧ نقعت : رويت ، يقال : شرب حتى نقع ؛ عجت : انتفعت .

٢٨ الأتراب : الأقران ، وكذلك اللدات ؛ الليط : اللون وهو الجلد أيضاً .

٣٠ تأطرن : تلبثن ، وأصل التأطر : التعطف والتثني ؛ يقلن مقيلي : يبقين لابثات حيث اتخذت مقيلي .

٣١ [فأبدين لي من بينهنَّ تجهّماً وأخلفْنَ ظنّي إذ ظنَنتُ وقيلي]

٣٢ فلأياً بـلأيٍ مـا قضينَ لُبانـةً مِن الدّار واستقلَلن بَعد طويلِ

٣٣ فلمّا رأى واستيقن البينَ صاحبي دعا دعوةً يا حبترَ بن سلولِ

٣٤ فقلت وأسرَرت النّدامة ليتـني وكنتُ امرءاً أغتشُّ كلَّ عذولِ

٣٥ سلكت سبيل الرّائحات عشيّةً مخارمَ نِصْعٍ أو سلكن سَبيـلي

٣٦ فأسعدتُ نفساً بالهوى قبل أن أرى عواديَ نأيٍ بيننا وشُغولِ

٣٧ ندمتُ على ما فاتني يومَ بنتُمُ فيـا حسرتا ألاَّ يرين عويـلي

---

٣٥ منتهى الطلب : بضع .

---

٣١ التجهم : العبوس والتنكّر ؛ أخلفن : كذبن وفيّلن ؛ قِيلي : قولي ؛ وهذا البيت زيادة من رواية القالي .

٣٢ اللأي : البطء ؛ اللبانة : الحاجة ؛ استقللن : تحملن مرتحلات .

٣٣ حبتر : اسم رجل ، وأصل الحبتر : القصير ؛ وإنّما نادى صاحبه إيذاناً بالرحيل .

٣٤ أسررت : كتمت ؛ أغتش : أعتده غاشاً ؛ العذول : اللائم . وخبر ليت « سلكت سبيل . . . » في البيت التالي .

٣٥ المخارم : جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل ؛ قال الحازمي والقالي والبكري : نصع جبل أسود (أو جبال سود) بين الصفراء وينبع وضبطه الحازمي بكسر النون وسكون الصاد المهملة وبعدها عين . ولم يرد في المصادر « بضع » حسب رواية منتهى الطلب . والذي في شعر كثير « بضيع » ، كما سيرد في موضعه .

٣٦ العوادي : الصوارف ، يعني ما يصرف المرء عن وجهته .

٣٧ قال القالي : ويروى أيضاً « يوم بينة » ؛ وهي موضع من الجيّ أي وادي الرويثة بين العرج والروحاء . العويل : الصياح والضجيج . ويروى : فيا حزنا ؛ وقال العينى في إعرابه =

٣٨ كأنَّ دموعَ العينِ واهيةُ الكُـلى   وعتْ ماء غَرَبٍ يوم ذاك سجيلِ
٣٩ تكنّفها خُرقٌ تواكلنَ خَرْزها   فأرخينه والسيرُ غـيرُ بجيلِ
٤٠ أقيمي فإن الغورَ يا عزَّ بعدكمْ   إليَّ إذا مـا بنتِ غـيرُ جميلِ
٤١ كفى حزَناً للعينِ أن راء طرْفُها   لعزَّةَ عـيراً آذنتْ برحيلِ
٤٢ وقالوا نأتْ فاخترْ من الصَّبرِ والبُكا   فقلتُ البُكا أشفى إذاً لغَليلي
٤٣ فولّيتُ محزونـاً وقلتُ لصاحبي   أقاتلـتي ليـلى بغـيرِ قتيلِ

---

٣٩ القالي : فأبجلنه .
٤١ القالي : أن ردّ طرفَها . . . عيرٌ .
٤٣ القالي وسائر المصادر : توليت .

=(٣ : ٤٠٥) : ندمت : جملة من الفعل والفاعل ، وقوله « على » يتعلق به ، وما موصولة ، وفاتني جملة صلتها ، ويوم نصب على الظرف مضاف إلى الجملة أعني بنتم ؛ والألف في حسرتا لمد الصوت بالمنادى المندوب ؛ أن لا يرين جملة شرطية ، فيا حسرتا جواب مقدم . والشاهد فيه إضافة الظرف « يوم » إلى الجملة .

٣٨ الكلى : جمع كلية ، وهي الرقعة تكون في أصل عروة المزادة ، شبه عينه بمزادة غير محكمة قد وهت كلاها ؛ وعت : حفظت ؛ ومنه الوعاء الغرب : الدلو العظيمة ؛ السجيل : الغرب الضخم .

٣٩ خرق : جمع خرقاء وهي المرأة التي لا تحسن العمل ضدّ « الصناع » . أبجلنه : أوسعنه ؛ السّيْر : الجلد ، بجيل : غليظ ، يريد أن هؤلاء النسوة لعدم إحسانهن العمل أغلظن المخرز وأدققن السير .

٤٠ الغور : غور تهامة ، حيث تقطن عزة .

٤١ راء : مثل رأى في المعنى .

٤٣ قال أبو علي القالي ، وروى أبو بكر ابن دريد : فوليت محزوناً .

٤٤ لعزَّة إذ يحتلُّ بالحَيف أهلُها فأَوحشَ منها الحيفُ بعد حُلولِ

٤٥ وبَدَّل منها بعد طولِ إقامةٍ تبعُّثُ نكباء العشيِّ جفولِ

٤٦ لقد أكثر الواشون فينا وفيكُمُ ومال بنا الواشون كلَّ مَميلِ

٤٧ وما زلتُ من ليلى لدن طرَّ شاربي إلى اليوم كالمقصَى بكلِّ سَبيلِ

---

٤٤ منتهى الطلب : فأُوحش (مبنياً للمجهول) .

٤٥ منتهى الطلب : وبُدل (مبنياً للمجهول) .

٤٧ الخزانة : ولا زلت .

---

٤٥ النكباء : الريح التي تهب بين مهبي ريحين ، وإنّما قيل لها نكباء لأنها تنكبت مهب هذه ومهب هذه . الجفول : التي تذهب التراب .

٤٧ طرور الشارب : نباته ؛ المقصى : المبعد المنفيّ . لدن بمعنى عند وحقها لزوم الإضافة ولا يكون ما بعدها إلا مجروراً (العيني ٢ : ٢٥٠) وفي البيت شاهد على استعمال لدن بغير من ، ولم تأت في القرآن الكريم إلا مقرونة بها ؛ ومن أبيات الشواهد بيت يلتبس بهذا وهو :

وما زلت من ليلى لدن أن عرفتها لكالهائم المقصى بكل مراد

قال ابن هشام : إن هذا البيت ذا القافية الدالية ليس من شعر كثير ، ولكثير بيت يشبهه في معناه وغالب لفظه فلا أدري من الآخذ من صاحبه (انظر الخزانة ٤ : ٣٣٠ — ٣٣١) .

تخريج القصيدة ٤

ذكر بروكلمان (١ : ١٩٦) أن باول شفارتس نشرها ومعها شرح عليها لابن مخلوف الرشيدي ، ولم نتمكن من الاطلاع على هذا الشرح . وهي في منتهى الطلب ٤٦ بيتاً ، وفي أمالي القالي ٤٧ بيتاً دون اخلال في الترتيب ، والبيت المزيد من رواية القالي هو الحادي والثلاثون .

الأبيات ١ – ٦ ، ١٤ – ١٦ ، ١٩ – ٢٧ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ في العيني ٣ : ٤٠٤ – ٤٠٥

» ٧ ، ١٣ – ١٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤١ – ٤٧ في تزيين الأسواق ١ : ٥٢

» ١ – ٣ ، ١٤ – ١٦ ، ٤٢ ، ٤٧ في السيوطي : ١٩٨

» ١ ، ٣ ، ٥ ، ١٤ ، ١٥ ، ٤٧ في العيني ٢ : ٢٤٩

» ٣ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٤٢ ، ٤٦ في المسالك ١٤ : ٦٩

» ١٤ ، ١٦ ، ٤٢ ، ٢٤ ، ٤٣ في حماسة الشجري : ١٥٤

» ١ ، ٣ ، ٤٧ في الخزانة ٤ : ٣٣٠

» ٧ – ٩ ، ١٤ في ياقوت ٣ : ٦٦٩

» ٧ ، ١٤ ، ١٦ في شواهد الكشاف : ٢٤٣

» ٢١ – ٢٣ في الصداقة : ٢٣٦

» ٣٢ ، ٢٣ ، ٢١ في الموشى : ٢٢

البيتان ٣ ، ١ في الأغاني ٤ : ٢٦٧ – ٢٦٩

» ٢٢ ، ٢٣ في حماسة البحتري : ٧٠ (دون نسبة)

البيت ١ في الجامع : ٣٣٥ والشنقيطي ١ : ١١٧

» ٢ في لحن العامة : ٦٦ والجامع : ٣٣٥

» ٣ في الكامل ٣ : ٩٧ وأمالي القالي ٣ : ١٢٠ ، والعمدة ٢ : ٢٢١ والوساطة : ٢٠٥ ، ٢٢٠ وشروح السقط : ٥٩ وابن سلام : ٤٦٢ والموشح : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٥ ولباب الثعالبي : ٢٠ وشواهد الكشاف : ٢٥٣ والروضات : ٥١٠ والأغاني ٤ : ٢٦٩ وحلية المحاضرة : ٥٦ وسرقات أبي نواس : ٤٧ وحماسة المرزوقي : ١٢٣٧ والواحدي : ٩٧ والسيوطي : ٢٤

البيت ٧ في شواهد الكافية ٢٣٥ ، ٢٤٣ ومصارع العشاق ٢ : ١٩٢ والجامع : ٣٥

« ١٤ في الجواليقي : ١٢ واللسان (رسل) – دون نسبة – والتاج (رسل) .

« ١٦ في المعاني الكبير : ٨٦٥ واللسان والتاج (حبل) وشروح السقط : ١٣٧٥ العجز وحده، وابن جني ٣ : ١٧ / أ وإصلاح المنطق : ٥ والتصحيف : ٣٦١ واللسان (رسل) والعيني ٤ : ١٤١ والمخصص ١٢ : ١٤٥

« ٢١ في حماسة المرزوقي : ١٣٢٤ والموشح : ٢٣٧ والأغاني ١ : ١٤٦

« ٢٢ في رسالة الغفران : ٣٧٨

« ٢٤ في الجامع : ٣٤ والشنقيطي ١ : ١٢٧

« ٣٥ في البكري : ١٣٠٩

« ٤٢ في الجامع : ٣٠٩ والشذور : ٩٨

« ٤٣ في السمط : ٦٥٤

« ٤٤ في السمط : ٦٩٧

٥

وقال كثيّر يمدح بشر بن مروان – وأمه قُطيّة بنت بشر بن عامر بن مالك بن جعفر ابن كلاب * – :

١ ألم تَرْبَع فتُخبرَكَ الطّلولُ ببَيْنَةَ رَسْمُها رسمٌ مُحيلُ

٢ تحمّلَ أهلُها وجرى عليها رياحُ الصيفِ والسّرِبُ الهطولُ

٣ تحنُّ بها الدّبورُ إذا أرَبّتْ كما حنّتْ مُوَلّهةٌ عَجُولُ

٤ تَعَلّقَ ناشئاً من حبّ سَلْمى هوًى سكنَ الفؤادَ فما يزولُ

---

* كان بشر يكنى أبا مروان ، شهد معركة مرج راهط (سنة ٦٤ ﻫ) ، وكان منقطعاً إلى أخيه عبد العزيز قبل أن يصبح أخوهما عبد الملك خليفة ، فلمّا ولي عبد الملك الخلافة جعل بشراً والياً على الكوفة ، فكان في ولايته ليناً سهل الحجاب طلق الوجه كريماً ، فقصده كثير من الشعراء مادحين ومنهم الأخطل وجرير والفرزدق وكثيّر وغيرهم ؛ ثم ضمت إليه ولاية البصرة سنة ٧٤ ، فانحدر إليها ولم يطل مقامه بها ، يقال إنّه أقام فيها شهرين أو أربعة أو ستة ؛ وتوفي فدفن بالبصرة ، ورثاه الشعراء ، ومشى الفرزدق في جنازته ومعه فرس كان بشر أهداه له ، فلمّا فرغ من دفنه عقر الفرس على القبر (انظر أنساب الأشراف ٥ : ١٦٦ – ١٨٠) ؛ أما أم بشر فهي قطيّة وكانت عامرية ، ويصحف اسمها في بعض المصادر إلى « قطبة » ، ولكن الشاعر يقول فيها : « قطية كالتمثال أحسن نقشه » ممّا يؤكد ضبطها كما أثبته هنا .

١ ربع بالمكان : أقام واطمأن ؛ بينة : موضع من الجي ، والجيّ من وادي الرويثة وهو من روافد وادي الصفراء ، وقال الهجري (أبو علي : ٢١١) : بينة التي يذكرها كثيّر موضعان فأحدهما واد يصب من ثافل في غيقة والأخرى من الجي ، جي النصائب . رسمها : آثارها ؛ محيل : دارس متغير .

٢ تحمّل أهلها : ارتحلوا ؛ السّرب : السائل يعني المطر ؛ وقد تفتح الراء منه بمعنى الماء السائل .

٣ تحنّ : تصوّت ؛ الدبور : الريح التي تقابل الصبا ؛ أربت : ألحت ولزمت ؛ المولهة : الناقة التي اشتد وجدها على ولدها ؛ العجول : الثاكل التي فقدت ولدها .

٥ سَبَتْني إذ شبابي لم يُعَصَّبْ وإذ لا يَسْتَبِلُّ لها قتيلُ

٦ فلم يَمْلَلْ مودَّتها غُلاماً وقَدْ يَنْسى ويطّرِفُ الملولُ

٧ فأدْرَكَكَ المشيبُ على هواها فلا شيبٌ نهاكَ ولا ذهولُ

٨ تَصيدُ ولا تُصادُ وَمَنْ أصابتْ فلا قَوَداً ، وليس به حميلُ

٩ هجانُ اللونِ واضحةُ المحيّا قطيعُ الصوتِ آنسةٌ كسولُ

١٠ وتبسِمُ عَن أغرَّ لهُ غُروبٌ فُراتِ الرّيقِ ليس بهِ فُلولُ

١١ كأن صبيبَ غاديةٍ بلِصْبٍ تُشَجُّ به شآميَةٌ شمُولُ

---

٦ الزهرة : فلم تذهل .

٧ الزهرة : وأدركك . . . ولا عذول .

---

٥ لم يعصب : لم يستهلك ، من قولهم : عصّب الدهر ماله ، إذا أهلكه . يستبل : ينال الإبلال وهو الشفاء .

٦ يطّرف : يملّ ويسأم ، والملول فاعل ؛ وفي منتهى الطلب رسم « ينسى ويطرف » بالبناء للمجهول .

٧ الذهول : السلوّ والنسيان .

٨ القود : قتل النفس بالنفس ؛ الحميل : الكفيل ، وفي الحديث « الحميل غارم » ومعناه الكفيل ضامن . وحذف خبر لا في قوله « فلا قوداً » على تقدير فلا قوداً يتم أو يحدث .

٩ هجان اللون : خالصة اللون ، والهجان أيضاً : الأبيض . المحيا : الوجه ؛ قطيع الصوت كناية عن الحياء والخفر ، وكسول : كناية عن النعمة والترف .

١٠ أغرّ : أبيض ، يعني أسنانها ، الغروب : التحزيز في الأسنان ، فرات : عذب ؛ الفلول : الثلم ، وقد يعدّ مصدراً .

١١ الصبيب : الماء ؛ الغادية : السحابة ؛ اللصب : مضيق الوادي أو الشق في الجبل ، وماء اللصاب يكون شديد الصفاء . تشج : تمزج ؛ الشآمية : الخمر الواردة من الشام ؛ الشمول : =

١٢ على فيها إذا الجوزاء كانت مُحَلِّقَةً وأردفها رعيلُ

١٣ فدعْ ليلى فقد بخلتْ وَصَدَّتْ وصَدَّعَ بين شَعْبَينا الفلولُ

١٤ وأحْكِمْ كلَّ قافيةٍ جديدٍ تُخيّرها غرائبَ ما تقولُ

١٥ لأبيضَ ماجدٍ تُهدي ثَناهُ إليه ، والثّناء له قليلُ

١٦ أبي مروانَ لا تعدلْ سواه به أحداً وأين به عديلُ

١٧ بطاحيٌّ له نَسَبٌ مصفّى وأخلاقٌ لها عرضٌ وطولُ

١٨ فقد طلبَ المكارمَ فاحتواها أغرُّ كأنّه سيفٌ صقيلُ

١٩ تجنّبَ كلَّ فاحشةٍ وعيبٍ وصافى الحمدَ فهو له خليلُ

٢٠ إذا السبعون لم تُسْكِتْ وليداً وأصبحَ في مباركها الفحولُ

٢١ وكان القطرُ أجلاباً وَصِرًّا تحثُّ به شآميةٌ بليلُ

---

٢١ الهجري : تهبّ به .

= الخمر تشمل بريحها الناس وقيل لأن لها عصفة كعصفة الشمال ، وخبر كأن في البيت التالي « على فيها » .

١٢ محلقة : مرتفعة ؛ أردفها : تبعها ولحق بها ؛ الرعيل هنا : القطعة من النجوم .

١٣ الفلول : جمع فلّ ، وهو الخصومة والنزاع .

١٧ بطاحي : منتسب إلى قريش البطاح ؛ قوله : لها عرض وطول هذا على التشبيه بالمجسمات والقصدُ إلى السعة ، لأن الأخلاق توصف بالسعة والضيق (قاله المرزوقي في شرح الحماسة : ٧٤٥) وقال الآمدي : أي لها سعة وتمام وكمال في الفضائل والمحاسن (الموازنة ١ : ١٨٨) .

١٩ صافاه : صادقه وخالله ، فأصبح للحمد خليلاً .

٢٠ السبعون من الإبل ، لم تسكت وليداً أي طفلاً ، لأن لبنها قليل ، وذلك في أيام المحل وكلب الشتاء . وأصبحت الفحول في مباركها أي عجزت عن الذهاب إلى المرعى ، وهزلت لقلة العشب .

٢١ أجلاب : جمع جلب وهو السحاب الذي لا ماء فيه ؛ والصرّ : شدة البرد ؛ يقول : إذا =

٢٢ فإنَّ بكفّهِ ما دامَ حيّاً   منَ المعروفِ أوديةً تَسيلُ

٢٣ تقولُ حليلتي لما رأتني   أرِقْتُ وضافني همٌّ دخيلُ

٢٤ كأنك قد بدا لك بعد مُكْثٍ   وطولِ إقامةٍ فينا رحيلُ

٢٥ فقلتُ أجلْ ، فبعضَ اللوم إنّي   قديماً لا يلائمُني العذولُ

٢٦ وأبيضَ ينعسُ السّرحانُ فيه   كأنَّ بياضَهُ رَيْطٌ غَسيلُ

٢٧ خدَتْ فيه برحلي ذاتُ لَوْثٍ   من العيديِّ ناجيةٌ ذَمُولُ

٢٨ سَلوكٌ حينَ تشتبهُ الفيافي   ويخطىءُ قَصْدَ وجهته الدّليلُ

٢٩ إذا فضَلَتْ معاقِدُ نِسْعَتَيْها   وأصبحَ ضَفْرُها قَلِقاً يجولُ

= كان القطر كذلك أي لم يكن قطر ، وإنّما برد وسحاب غير ممطر . الشآمية : الريح الشمالية .

٢٣ ضافني : انتابني وحلّ عندي ؛ دخيل : باطن .

٢٥ بعض اللوم : دعي عنك بعض اللوم ؛ لا يلائمني : لا يشاكلني .

٢٦ الأبيض : صفة للطريق ؛ السرحان : الذئب ، ونعاسه فيه وصف للطريق بالطول . الريط : الملاءة . الغسيل : المغسولة .

٢٧ خدا يخدي : أسرع وزجّ بقوائمه ؛ اللوث : القوة أو الهوج ، أو كثرة الشحم واللحم ؛ العيدي : نسبة إلى العيد ، قيل هم حي تنسب إليه النوق العيدية ، وقيل : العيدية منسوبة إلى عاد ، وقيل تنسب إلى فحل منجب يقال له عيد ، قال ابن سيده : وليس هذا بقويّ . وقال الأزهري : أعرف جنساً من الإبل العقيلية يقال لها العيدية ولا أدري إلى أي شيء نسبت . الناجية : السريعة ؛ الذّمول : التي تمشي الذميل وهو السير السريع اللين .

٢٨ سلوك : حسنة الدلالة والسلوك ، تعرف طريقها ولا تضلّ حين تشتبه الفيافي ويخطىء الدليل البصير الطريق الصحيحة .

٢٩ فضلت : زادت ؛ النسعة : سير يضفر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال ، وإذا فضلت معاقد النسعتين دل ذلك على أن الناقة هزلت ؛ والضفر : ما شددت به البعير من الشعر المضفور ، =

٣٠ على قَرْواء قد ضَمَرَتْ ففيها ، ولم تَبْلُغْ سليقَتُها ، ذبولُ

٣١ طوتْ، طيَّ الرِّداء ، الخرْقَ حتى تَقاربَ بُعْدُه ، سُرُحٌ نَصُولُ

٣٢ من الكُتْم الحوافظِ لا سَقوطٌ إذا سَقَط المطيُّ ولا سؤولُ

٣٣ تكادُ تطيرُ إفراطاً وَسَغْباً إذا زُجرَت وَمُدَّ لها الحبولُ

٣٤ إلى القَرْمِ الذي فاتَتْ يداهُ بفعلِ الخيرِ بَسْطَةَ مَنْ يُنيلُ

٣٥ إذا ما غاليَ الحمدِ اشتراهُ فما إنْ يستقلُّ ولا يُقيلُ

٣٦ أمينُ الصَّدْرِ يَحْفَظُ ما تولّى كما يُلْفى القويُّ به النّبيلُ

٣٧ نقيٌّ طاهرُ الأثوابِ بَرٌّ لكلّ الخيرِ مُصْطَنِعٌ مُحيلُ

= وإذا قلق وجال فقد أصبحت الناقة نحيلة كذلك .

٣٠ القرواء : الطويلة السنام ؛ السليقة : مخرج النسع في دف البعير أو هو أثر النسع في الجنب . لم تبلغ : لم تصبح بليغة ، أي أن أثر النسع لا يزال قليلاً في جانبها . وإذا قرىء ولم تبلغ سليقتها — بمعنى الطبيعة — على المفعولية فالمعنى أنها لم تستخرج كل ما لديها من القوة على الجري .

٣١ الخرق : المفازة . سرح : سريعة في سيرها ؛ نصول : خرّاجة من بين الآكام والجبال .

٣٢ الكتّم : جمع كتوم وهي الناقة التي لا تشول بذنبها عند اللقاح ولا يعلم بحملها ؛ الحوافظ : التي تحفظ أجنتها فلا تسقطها من الإعياء . سؤول : شديدة الإلحاح والطلب، هكذا وردت بالسين المهملة ، ولعلها شؤول ، أي التي تشول بذنبها للقاح .

٣٣ الإفراط : الإعجال والتقدم ؛ سغباً : جوعاً ، كذا ورد بالمهملة ولعله « وشغباً » أي هياجاً واحتداماً .

٣٤ القرم : السيد الهمام ؛ ينيل : يعطي ؛ فاتت بسطة من ينيل : تفوقت على كل الأجواد جوداً .

٣٥ لا يستقل : لا يعد قليلاً ، أي يغالي بثمن الحمد ، يقيل : من إقالة البيع أي فسخه .

٣٧ محيلٌ : لعله ذو حول وقدرة ؛ أو لعلها « مجيل » بالجيم أي يقسّم الخير بين الناس .

٣٨ أبا مروانَ أنت فــتى قريشٍ وكَهْلُهُمُ إذا عُــدَّ الكهولُ

٣٩ تولّيه العشيرةُ مــا عَناها فـلا ضَيْقُ الذراعِ ولا بخيلُ

٤٠ إليك تشيرُ أيــديهم إذا مـا رَضُوا أو غالهُمْ أمرٌ جليلُ

٤١ كــلا يوميه بالمعروفِ طَلْقٌ وكلٌّ فِعالِـهِ حَسَنٌ جميلُ

٤٢ جوادٌ سابقٌ في اليُسْرِ بحــرٌ وفي العِــلاّتِ وهّابٌ بَـذولُ

٤٣ تأنّسُ بالنباتِ إذا أتــاهـا لرؤيةِ وَجْهِـهِ الأرضُ المحولُ

٤٤ لبهجةِ واضحٍ سهلٍ ، عليه إذا رُئِـيَ المهـابــةُ والقَبولُ

٤٥ لأهـلِ الودّ والقُرْبى عليه صنائعُ بَثّهـا برٌّ وَصُولُ

٤٦ أيادٍ قد عُرِفْنَ مظاهَراتٍ لـــه فيهـــا التطاوُلُ والفضولُ

٤٧ وعَفْوٌ عن مُسيئِهِمُ وَصَفْحٌ يعودُ بـه إذا غَلِقَ الحجولُ

---

٣٨ لعل هذا البيت هو الذي أورده البلاذري (أنساب ٥ : ١٦٧) على النحو الآتي :

أبا مروان أنت فـتى قريش وكهلهمُ إذا عدوا الكهولا

٣٩ ما عناها : ما همّها ؛ ضيق بالتخفيف مثل ضيق بتشديد الياء . وعنى بضيق الذراع قلة الحيلة .

٤٠ غالهم : كذا ورد بالمعجمة ، والأصوب أن يقرأ « عالهم » ، تقول : عال أمر القوم إذا اشتد وتفاقم ؛ وعالهم الأمر : غلبهم وثقل عليهم .

٤٢ العلات : الأحداث التي تجعل حتى الجواد نفسه يأتي بعلة يعتذر بها عن تقصيره .

٤٣ يريد أن الأرض المجدبة إذا رأت وجهه اكتست بالنبات ، وتأنس مثل أنس في المعنى وهو ضدّ استوحش .

٤٦ مظاهرات : متتاليات . التطاول : الزيادة وكذلك الفضول ، يعني يزيد فيها على غيره .

٤٧ الحجول : القيود ، وغلق الحجل : استعسر فكّه ؛ أي كان القيد شديداً ، ويقال أيضاً غلق الأسير ، أي لم يفد من إساره ؛ وعلى حسب هذا المعنى الثاني أرى أن يقرأ « إذا غلق الجهول » أي ذلك المسيء ، وبهذه القراءة يلتئم معنى البيت الثاني .

٤٨ إذا هُوَ لم تُذكّرْهُ نُهــاهُ   وقارَ الدّينِ والرأيُ الأصيلُ

٤٩ وللفقــراء عائــدةٌ وَرُحْــمٌ   ولا يُقْصَى الفقيرُ ولا يَعيلُ

٥٠ جنابٌ واسعُ الأكنافِ سَهْلٌ   وظلٌّ في منادحِهِ ظليلُ

٥١ وكمْ مِنْ غارمٍ فرّجتَ عنه   مغارمَ كُلُّ مَحْمَلِها ثقيلُ

٥٢ وذي لَدَدٍ أريتَ اللدَّ حتى   تَبَيّنَ واستبانَ له السبيلُ

٥٣ وأمرٍ قد فَرَقْتَ اللّبْسَ منه   بحلمٍ لا يجورُ ولا يميلُ

٥٤ نمى بك في الذؤابةِ من قريشٍ   بنــاءُ العزّ والمجدُ الأثيلُ

٥٥ أَرُومٌ ثــابتٌ يهتــزُّ فيــه   ـ بأكرمِ مَنْبِتٍ ـ فَرْعٌ أصيلُ

---

٤٩ الموازنة : فلا يقصى .

٥٢ الهجري : أريت الرشد .

٥٣ منتهى الطلب : عنه .

---

٤٨ هو : عائد إلى المسيء الجهول ؛ نهاه : عقله ، إذا لم يذكره عقله ورأيه الأصيل ووقار الدين وركب الجهل والإساءة فإن بشراً يقابله بالعفو والصفح .

٤٩ العائدة : المعروف والفضل والصلة ؛ رحم ـ بضم الراء ـ : الرحمة ؛ وعال الفقير يعيل : احتاج إلى الطلب بسبب الفاقة .

٥٠ منادحه : رحبات داره الواسعة .

٥١ الغارم : الذي يحمل المغارم من دين وغيره .

٥٢ اللدد : الخصام ، اللّد : الخصم والحجاج ؛ يعني تفوقت عليه بالبينة ، فكشفت له عن لجاجه .

٥٣ فرقت : أزلت ؛ اللبس : الشكّ .

٥٤ الأثيل : المؤثل الراسخ .

٥٥ أروم : أصل .

تخريج القصيدة ٥

كلها عن منتهى الطلب .

الأبيات ١ – ٣ في المنازل والديار : ٧٧/أ

» ٤ ، ٦ ، ٧ في الزهرة : ٣٣١

» ٢٠ – ٢٢ ، ٤٥ – ٥٣ في نوادر الهجري (الورقة ١٣٩ – ١٤٠ نسخة القاهرة)

» ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ في العمدة ١ : ٥١ (وزعم أن ابن سلام الجمحي نسبها لابن ميادة).

البيتان ٤٥ ، ٤٩ في الموازنة ١ : ١٧٧

البيت ١٧ في الموازنة ١ : ١٨٨ والصناعتين : ١٢٧ وحماسة المرزوقي : ٧٤٥

٦

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي ، ومات سنة خمس ومائة يوم مات عكرمة مولى ابن عباس وصلي عليهما بعد الظهر * :

١ لعزّةَ من أيام ذي الغصْن هاجَني ... بضاحي قَرارِ الرَّوضَتينِ رُسومُ

٢ فرَوضةُ أَلجامٍ تهيجُ ليَ البُكا ... وروضاتُ شوْطى عهدُهنّ قديمُ

٣ هيَ الدارُ وحْشاً غيرَ أنْ قد يحلّها ... ويغنى بها شخصٌ عليَّ كريمُ

٤ فما برباع الدارِ أن كنتُ عالماً ... ولا بمحلّ الغانيـات أهيمُ

---

٤ الأغاني : فما برسوم الدار لو كنت . . . ولا بالتلاع المقويات ؛ الموازنة : وما . . . بالطلول الدارسات .

---

* قال أبو الفرج (الأغاني ١٢ : ١٨٦) : هذه القصيدة يقولها كثير في عزّة لما أخرجت إلى مصر ؛ قلت : وفي بعض أبياتها عدة ألحان لنفر من مغني العصر الأموي .

١ ذو الغصن : واد قريب من المدينة تنصبّ فيه سيول الحرة وقيل من حرة بني سليم وهو من أودية العقيق ؛ ولما كانت روضة ألجام التي يذكرها في البيت التالي قريبة من روضة الدبوب ثنّى فقال : بضاحي قرار الروضتين . وضاحي القرار : الظاهر البارز منها ؛ والقرار : جمع قرارة وهي المطمئن من الأرض .

٢ روضة ألجام : قال ابن حبيب هي من جانب ثاقل وروضة الدبوب معها ؛ وقال ابن السكيت : روضة آجام (أو ألجام) نحو البقيع ؛ وروضة آجام وروضة الدبوب متقاربتان ؛ وروضة شوطى بحرة بني سليم ، قاله ابن حبيب . وعد الهجريّ ألجام (أو آجام) وشوطى من دوافع العقيق تدفع فيه من الحرة (أبو علي : ٢٩٣ — ٢٩٤) .

٣ وحشاً : موحشة ؛ يغنى : يقيم .

٤ التلاع : المرتفعات ؛ المقويات : التي قد درست وعفت .

٥ سألتُ حكيماً أين صارت بها النوى   فخبّرني مـا لا أُحبُّ حكيـمُ
٦ أجَدُّوا فأمّا آلُ عزّةَ غدوَةً   فبانوا وأمّـا واسطٌ فمُقيمُ
٧ فما للنّوى لا باركَ اللهُ في النوى   وعهدُ النّوى عند المحبّ ذميمُ
٨ لعمري لئِن كان الفؤادُ من النوى   بغى سَقَـماً إني إذن لسقيمُ
٩ فإمّا ترَيْني اليوم أُبْدي جلادةً   فإني لعمري تحتَ ذاكَ كليمُ
١٠ وما ظعنَتْ طوْعاً ولكن أزالَها   زمانٌ نَبـا بالصَّالحينَ مشومُ
١١ فواحَزنا لمـا تفَرَّقَ واسطٌ   وأهلُ التي أهذي بهـا وأحومُ
١٢ وقال ليَ البُلاّغ ويْحَكَ إنها   بغيرك حقّاً يـا كثَيرُ تهيمُ

---

٥ الأغاني والمنازل وياقوت : أين شطت .
٦ البكري (النقيع) والسمهودي : أقاموا ؛ ياقوت : فأما أهل .
٧ ياقوت : عند الفراق .
٨ ياقوت : شهدت . . . معنى سقيماً انني .
١٢ الموازنة : وقال لي الواشون .

---

٥ حكيم : يعني السائب بن حكيم وهو راوية كثير ؛ شطت : بعدت .
٦ أجدّوا : اجتهدوا في سيرهم ؛ بانوا : فارقوا وارتحلوا ؛ واسط : جبل تنبطح عنده سيول النقيع وهو بالحجاز .
٩ الجلادة : التصبر ؛ كليم : جريح .
١١ واسط : أهل واسط ؛ أهذي بها وأحوم من شدة الوجد .
١٢ كثير : أجرى اسمه على الأصل ، وشاع بالتصغير تحقيراً واستهانة .

١٣ أتشْخص ُوالشخص ُالذي أنت عادل   به الخلدَ بينَ العائدات سقيم ُ
١٤ يذكّرنيها كلُّ ريحٍ مريضةٍ   لها بالتّلاعِ القاويات ِ نسيم ُ
١٥ تمرُّ السنونَ الماضياتُ ولا أرى   بصحنِ الشّبا أطلالَهُنَّ تَريمُ
١٦ ولستُ ابنةَ الضمريّ منكِ بناقمٍ   ذنوبَ العدى إني إذنْ لظلومُ
١٧ وإني لذو وجدٍ لئِن عاد وَصْلُها   وإني على ربّي إذن لكريمُ
١٨ إذا برَقَتْ نحو البُوَيْبِ سحابةٌ   لعينيكَ منها لا تجفُّ سجومُ
١٩ ولستُ براءٍ نحوَ مصرَ سحابةً   وإن بَعُدَتْ إلا قعدتُ أشيمُ
٢٠ فقد يوجَدُ النّكس ُالدنيُّ عن الهوى   عَزوفاً ويصبو المرء وهو كريمُ

---

١٥ الحازمي : الخاليات .

---

١٣ العائدات : النساء اللواتي يعدن المريض يسألنه عن حاله .
١٤ القاويات : التي عفت آثارها فأصبحت خالية ، من قوي المكان إذا خلا .
١٥ الشبا : وادٍ بالأثيل من أعراض المدينة فيه عين يقال لها خيف الشبا ، وقد قال كثير في قصيدة سابقة :

وما أنس م الأشياء لا أنس ردّها   غداة الشبا أجمالها واحتمالها

تريم : تنتقل من مكانها .
١٦ الضمريّ : المنسوب إلى بني ضمرة وهم قوم عزة ؛ ابنة : منصوب على النداء .
١٨ البويب : مدخل أهل الحجاز إلى مصر . سجوم : دموع واكفة .
١٩ يشيم : ينظر إلى البرق .
٢٠ النكس : الرجل الضعيف ؛ عزوفاً : منصرفاً .

٢١ وقال خليلي : ما لها إذ لقيتَها غداةَ الشَّبا فيها عليكَ وُجومُ
٢٢ فقُلْتُ لـه : إنَّ المودَّة بَيْننا على غيرِ فُحْشٍ والصَّفاءُ قديمُ
٢٣ وإني وإن أعرَضْتُ عنها تجلّداً عـلى العهد فيما بيننا لمُقيمُ
٢٤ وإن زماناً فرّق الدّهرَ بَيْنَنـا وبينكُمُ في صرفـهِ لمشومُ
٢٥ أفي الدين هذا إنَّ قلبكِ سالمٌ صحيحٌ وقلبي من هواك سقيمُ
٢٦ وإنَّ بجوفي منك داءً مُخامراً وجوفك مما بي عليكِ سليمُ
٢٧ لعمرك ما أنصفتني في مودَّتي ولكنّني يا عزُّ عنكِ حليمُ
٢٨ عليَّ دماء البُدْنِ إن كان حبُّها على النأي أو طولَ الزمان يريمُ
٢٩ وأقسمُ ما استبدلتُ بعدكِ خُلّةً ولا لكِ عندي في الفُؤاد قسيمُ

---

٢٥ الأغاني : أفي الحق هذا ؛ المغانم : أفي الدهر . . . سليم .
٢٦ الأغاني وياقوت : وإن بجسمي . . . وجسمك موفور .

---

٢١ الوجوم : السكوت على غيظ .
٢٨ البدن : الإبل التي تنحر في الحج ؛ وهذا قسم أو نذر يعد فيه بأن لا يتخلى عن حبها أو يفارقه .
٢٩ الخلة : الصديقة ؛ القسيم : الشريك .

تخريج القصيدة ٦

اعتمدنا في ترتيب أبياتها على منتهى الطلب .

الأبيات ١ ، ٣ - ٦ ، ٨ ، ١٩ - ٢٧ ، ٩ ، ١٦ ، ١٧ في الأغاني ١٢ : ١٨٦
« ١٥ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ - ٢٤ ، ٢٦ في ياقوت ٣ : ٢٤٧
« ٥ - ١١ في ياقوت ٤ : ٨٨٩
« ١ ، ٣ ، ٥ ، ١٥ في المنازل والديار : ١٠٤ ب
« ١٥ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ - ٢٥ في المغانم : ١٩٧ - ١٩٨
« ١ - ٣ في ياقوت ٢ : ٨٤٢
« ١٨ - ٢٠ في ياقوت ١ : ٧٦٤
« ٢٧ ، ٢٨ (بيت زائد) ، ٢٩ في الأغاني ٨ : ٢٢٠

البيتان ١ ، ٢ في البكري : ٩٩٨
« ٤ ، ٣ في الموازنة ١ : ٥٣٦
« ٨ ، ٥ في الأغاني ١٢ : ١٨٦

البيت ١ في ياقوت ٢ : ٨٥٠ (مكرراً) ، ٣ : ٨٠٣ والمغانم : ١٦٤ ، ٣٠٤
« ٢ في ياقوت ٢ : ٨٤٥ ، ٨٥٣ ، والسمهودي ٢ : ٣١٥ والمغانم : ١٦٣ ، ٤٤٦
« ٦ في ياقوت ٤ : ٨٨٢ والبكري: ١٣٢٩ والخزانة ٤ : ٤٥٣ والسمهودي ٢ : ٣٨٩
« ١٢ في الموازنة ١ : ١١
« ١٤ في بديع أسامة : ٢١٩
« ١٥ في الحازمي (شبا)

وزاد جامع الديوان الأبيات الآتية وهي :

وإني لمُستَسْقٍ لهـا الله كلّما لوى الدَّينَ مُعتلٌّ وشحَّ غريمُ
سحائبَ لا من صَيِّبٍ ذي صواعقٍ ولا مُحْرِقات ما لهُنَّ حميمُ
ولا مخلفاتٍ حينَ هجْن بنَسمَةٍ إليهنَّ هوجاء المَهبّ عقيمُ
إذا ما هبطن القاعَ قد ماتَ نبتُهُ بكَيْنَ بهِ حتى يعيش هشيمُ

وزاد في الأغاني بعد البيت : ٢٨ قوله :

تلمُّ ملماتٌ فينسين ذكرها ويُذكرُ منها العهدُ وهو قديمُ

٧

وقال كثير يمدح يزيد بن عبد الملك * :

١ لعزّة أطلالٌ أبتْ أن تَكَلّما تَهيجُ مغانيها الطّروبَ المُتَيَّما

٢ كأن الرّياحَ الذارياتِ عشيّةً بأطلالها يَنْسِجن رَيْطاً مُسهَّما

٣ أبتْ وأبى وجدي بعزّة إذ نأتْ على عُدَواء الدّار أنْ يتصرَّما

٤ ولكنْ سقى صوبُ الرَّبيع إذا أتى على قلهيَّ الدارَ والمُتخَيَّما

---

٤ البكري والمغانم : إلى قلهيّا .

---

* قد صرَّح بأن القصيدة في مدح يزيد بن عبد الملك ، ولكنه لم يورد أبيات المديح واكتفى بأبيات الغزل ؛ ونحن نعلم أن يزيد بن عبد الملك تولّى الخلافة من ١٠١ — ١٠٥ هـ . وأن كثيراً توفي سنة ١٠٥ فهذه القصيدة تقع في هذه الفترة الزمنية وتمثل فترة متأخرة من عمر الشاعر .

٢ الذاريات : التي تذري التراب أي تطيره ؛ الريط : جمع ريطة أو اسم جنس ؛ المسهم : المخطط .

٣ عدواء الدار : بعدها ؛ يتصرَّم : ينقضي ؛ يعني أن وجدي بعزة أبى أن ينقضي رغم بعد الدار وشحط النوى .

٤ قلهيا : كتب في المخطوطة وكثير من الأصول دون ألف ، وأثبت البكري وصاحب المغانم فيه ألفاً ؛ وقلهيّ أو قلهيا — في قول ابن السكيت شارحاً شعر كثير — ماء لبني سليم غزير ، وقال البكري : هي حفيرة في ديار بني سليم . الدار والمتخيم : مفعولان للفعل « سقى » ، والمتخيم : موضع الخيام .

٥ بغادٍ من الوَسميّ لمّا تصوَّبتْ عثانينُ واديه على القعرِ ديّما

٦ سقى الكُدرَ فاللعْباءَ فالبرقَ فالحمى فلَوذَ الحصى من تَغلَمَين فأظلما

٧ فأرْوى جَنوبَ الدَّونكينِ فضاجعاً فدرّ فأبلى صادقَ الوبلِ أسحَما

٨ تثجُّ رواياهُ إذا الرعدُ زجّها بشابةَ فالقُهبِ المزادَ المحذلما

---

٥ المغانم : القفر ؛ ياقوت : ريما .

---

٥ الغادي : السحاب الذي يمطر غدوة ؛ الوسميّ : المطرة الأولى ، وبعدها الوليّ ؛ العثانين : جمع عثنون وهو أول المطر ، وقيل المطر بين السحاب والأرض ؛ ديّم : دام فلم يقلع .

٦ الكدر واللعباء : ماءان لبني سليم ، وقال الحازمي : لعبا (بفتح اللام وجزم العين ومد الباء) ماء سماء في حزم بني عوال ، وجبل بغطفان بأكناف الحجاز عنده السدّ الذي يحجز ماء السماء . البرق – بفتح الباء في منتهى الطلب – يبدو أنه اسم موضع ولم يذكره البكري وياقوت ؛ وقد شكل في كل منهما بضم الباء . وقال ياقوت في « لوذ الحصى » : موضع لا أحقه ؛ وتغلمان : موضع في بلاد بني فزارة ، وقد ورد في شعر كثير مفرداً ومثنى ، قال البكري : فلا أعلم إن كانا موضعين مختلفين أو موضعاً واحداً ؛ وأظلم – في قول ابن السكيت – جبل في أرض بني سليم .

٧ الدونكان : واديان في ديار بني سليم . وقال الهجري (أبو علي : ٣١١) : سألت الحميريين عن الدونكين فقالوا : هما عقدتان بالعرف عن العمق بيوم ؛ ضاجع – قال ابن السكيت – : واد ينحدر من ثجرة درّ ودرّ ثجرة كثيرة السلم بأسفل حرة بني سليم ؛ وفي موضع آخر : درّ غدير في ديار بني سليم ؛ وأبلى : جبال على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة على بطن نخل ، وفي أبلى مياه كثيرة وأكثرها لبني سليم . الأسحم : السحاب الأسود لتكاثفه وكثرة مائه .

٨ تثجُّ : تصبُّ ؛ المزاد : جمع مزادة وهي القربة ، وهي منصوبة لأنها مفعول به للفعل تثجّ ؛ المحذلم : المملوء ؛ زجّها : دفعها وساقها ؛ الروايا : إبل السقي . شابة : اسم جبل بين السليلة والربذة ، كذا قاله الحازمي ؛ والقهب : جبال من حمى الربذة وبين القهب والربذة نحو من بريد ؛ قال الهجري (أبو علي : ٢٤٢) : وهي عن يسار المصعد إلى المدينة .

٩ فأصبح مَنْ يرعى الحمى وجَنوبَهُ بذي أَفَقٍ مُكّاؤهُ قد ترنما

١٠ ديارٌ عفتْ من عزّة الصيفَ بعدما تُجِدُّ عليهنّ الوشيعَ المثمّما

١١ فإن أنجدتْ كان الهوى بك مُنجداً وإنْ أتْهمَتْ يوماً بها الدارُ أتْهما

١٢ أجَدّ الصِّبا واللّهو أنْ يتصرما وأن يُعقباكَ الشيبَ والحلمَ منهما

١٣ لبستَ الصِّبا واللهوَ حتى إذا انقضى جديدُ الصبا واللّهوِ أعرضت عنهما

١٤ خليلين كانا صاحبيك فوَدّعا فخذْ منهما ما نوّلاك ودَعْهما

١٥ على أنّ في قلبي لعزّة وَقْرَةً من الحبّ ما تزدادُ إلا تتيُّما

١٦ يطالبها مستيقناً لا تُثيبُهُ ولكن يُسلّي النفس كي لا يلوّما

---

١٠ منتهى الطلب والموازنة : المنمنما .

١٤ منتهى الطلب : خليلي ؛ حماسة البحتري : خليلان .

---

٩ الحمى : يعني حمى الربذة ؛ المكاء : طائر مغرد من نوع القنبرة ، والجمع مكاكيّ .

١٠ في منتهى الطلب قد يقرأ « من غرة الصيف » بالإضافة ، وآثرنا رواية لسان العرب في هذا الموضع ؛ تجدّ : تجعله جديداً ؛ والوشيع هنا شريجة من السعف تلقى على خشبات السقف وربما أُقيم كالحصّ وسدّ خصاصها بالثمام ؛ والمثمم الذي وشح بالثمام ، وقد يكون الوشيع من الثمام وغيره . وقال الآمدي في الموازنة (١ : ١٨٣) : أراد بالوشيع هنا ما سدّ به الخصاصة بين الشيئين ، وهذه وشائع الغزل ؛ والمنمنم مأخوذ من النمام [كذا] أي بعدما كانت هذه الديار تجد بالوشيع أي تخصص بها خيامها . قلت : واضح أن أصل الآمدي لا بد أن يكون « المثمما » وأنها الرواية الصحيحة للبيت ، أما من رواه : الوشيع المنمنما فقد ذهب به الخاطر إلى أن الشاعر يعني أعلام الثوب المطرزة .

١٥ الوقرة : الصدع والثلمة ؛ يريد أنها صدعت قلبه وتركت فيه كسراً ، ما يزال يزداد على مرّ الزمن .

١٦ يطالبها أن تثيبه وهو على يقين من أنها لا تفعل ، وإنّما ذلك تسلية لنفسه ، لئلا يعرضها أو =

١٧ يهابُ الذي لم يؤتَ حلماً كلامَها — وإن كان ذا حلمٍ لديها تحلّما

١٨ تروكٌ لِسِقْطِ القولِ لا يهتدى به — ولا هي تُستَوْصى الحديثَ المكتّما

١٩ ويحسبُ نسوانٌ لهنّ وسيلةً — من الحبّ، لا بل حُبُّها كان أقدما

٢٠ وعُلّقتُها وَسْطَ الجواري غريرةً — وما قُلّدَتْ إلا التّميمَ المنظما

٢١ عَيوفُ القَذى تأبى فلا تعرفُ الخنا — وترمي بعينيها إلى مَنْ تكرما

٢٢ إلى أن دعتْ بالدِّرعِ قبلَ لداتها — وعادتْ تُرى منهنّ أبهى وأفخما

٢٣ وغال فضولَ الدرع ذي العرض خَلقُها — وأتعبتِ الحجلين حتى تقَصّما

٢٤ وكظّت سِوارَيها فلا يألوانِها — لدن جاورا الكفين أن يتقدما

٢٥ وتُدْني على المتنين وَحْفاً كأنّهُ — عناقيدُ كرْمٍ قد تدلّى فأنعما

٢٦ من الهيفِ لا تَخزى إذا الريحُ ألصَقتْ — على متنها ذا الطُّرَّتَيْنِ المنمنما

= تعرضه – يعني نفسه – للملامة .

٢٠ غريرة : ساذجة صغيرة السنّ ؛ قلدت : ألبست قلادة ؛ التميم : جمع تميمة وهي العوذة التي تعلق على الصغير لتقيه العين .

٢٢ الدرع : ثوب تلبسه المرأة ؛ اللدات : الأتراب .

٢٣ غال : تحيّف وجار على ؛ أي : على أن درعها عريض فإن امتلاء خلقها لم يبق من عرضه شيئاً ؛ وأتعبت الحجلين لامتلاء ساقيها فتقصما أي تكسّرا .

٢٤ كظّت : ملأت ، فالسواران في ساعديها لا يتقدمان إلى الكفين .

٢٥ الوحف : الأسود ، أي شعرها ، شبهه بعناقيد الكرم ؛ أنعم : أمعن في الطول والتدلّي .

٢٦ الهيف : جمع هيفاء وهي الدقيقة الخصر ، ثم ذكر أنها على دقة خصرها ذات كفل رابٍ ولذلك فإنها لا تحسّ بالنقيصة عندما تلصق الريح ثوبها المنمنم ذا الطرتين بمتنها .

٢٧ وكنتُ إذا ما جئتها بعد هجرةٍ تقاصرَ يومَئِذٍ نهاري وأغيما

٢٨ فأقسمتُ لا أنسى لعزَّةَ نظرةً لها كدتُ أُبدي الوجدَ منّي المجمجما

٢٩ عشيّةَ أوْمتْ، والعيونُ حواضرٌ إليَّ، برَجْع الكفّ أن لا تَكلّما

٣٠ فأعْرَضتُ عنها والفؤادُ كأنما يرى لو تناديه بذلك مَغْنما

٣١ فإنك عمْري هل أُريكَ ظعائناً بصَحن الشَّبا كالدوْم من بطن ترْيما

٣٢ نظرتُ إليها وهي تنضو وتكتْسي منَ القَفْرِ آلاً كلَّما زالَ أقْتما

٣٣ وقد جعلتْ أشجانَ بِرْكٍ يمينَها وذاتَ الشّمالِ من مُريخةَ أشْأما

٣٤ مولّيةً أيْسارَها قَطَنَ الحِمى تواعدنَ شرباً من حمامةَ مُعلَما

---

٢٩ ابن جني : والعيون نواظر .

---

٢٧ يوميذ : يريد يومئذ فسكّن ضرورة ؛ وأغيم : من الغيم وذلك يوم قصير لأنه من أيام الدجن .

٢٨ جمجم : لم يبن كلامه دون عيّ ، والمجمجم : المخفيّ في الصدر .

٣١ الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة ؛ وتريم (بكسر التاء وسكون الراء بعدها ياء مفتوحة تحتها نقطتان) : واد بين المضايق ووادي ينبع ، وقال ابن السكيت هو قريب من مدين . الدوم : شجر ، شبه الظعائن به .

٣٢ تنضو وتكتسي الآل : ساعةً تخلع السراب وساعة تكتسي به ، أي يراها من بعيد تغرق في الآل حيناً وتخرج منه حيناً آخر ؛ أقتم : اشتد سواده وغبرته .

٣٣ الأشجان : مسايل الماء ؛ وبرك هاهنا نقب يخرج من ينبع إلى المدينة عرضه نحو من أربعة أميال أو خمسة وكان يسمى مبركاً ؛ ومريخة : قرن أسود قرب ينبع بين برك وودعان (وودعان قرب ينبع) .

٣٤ مولية : معرضة وتاركة ؛ قطن – قال ابن السكيت – : جبل لبني عبس كثير النخل والمياه =

٣٥ نظرتُ إليها وهيَ تُحدى عشيّةً   فأتبعتُهم طرْفيَّ حتى تتمّما
٣٦ تروعُ بأكنافِ الأفاهيدِ عيرُها   نعاماً وحُقباً بالفَدافدِ صُيَّما
٣٧ ظعائنُ يشفينَ السّقيمَ من الجوى   بهِ ويُخَبّلنَ الصَّحيحَ المُسلَّما
٣٨ يُهِنَّ المنقّى عندهنَّ من القذى   ويُكْرِمنَ ذا القاذورةِ المتكرما
٣٩ وكنتُ إذا ما جئتُ أجللنَ مجلسي   وأبدينَ مِنّي هيبَةً لا تجهُّما
٤٠ يحاذرْنَ منّي غيرَةً قد علِمْنها   قديماً فما يضْحكنَ إلاَّ تبسُّما

---

٣٥ ياقوت : حيث تيمما .
٣٩ المسالك : أكرمن .
٤٠ المسالك : قد عرفنها .

= بين الرمة وأرض بني أسد ، وقال أيضاً : قطن جبل في ديار بني عبس بن بغيض عن يمين النباج والمدينة بين أثال وبطن الرمة . حمامة — في قول ابن السكيت — ماء لبني سليم من جانب اللعباء القبليّ . الشرب : الماء . معلماً : مشهوراً .

٣٦ الأفاهيد — قال ابن السكيت — : قنينات بلق بقفار خرجان (من نواحي المدينة) على موطىء طريق الربذة من النخل ؛ الحقب : جمع أحقب وهو حمار الوحش ؛ الفدافد : جمع فدفد وهو الفلاة ؛ صيما : جمع صائم .

٣٧ يخبلن : يفسدن العقل إذ يصبنه بالخبال .

٣٨ ذو القاذورة : الذي لا يخالّ الناس ولا ينازلهم لسوء خلقه ، والقاذورة من الرجال الذي لا يبالي ما قال وما صنع .

٣٩ أجللن : عظمن ؛ أبدين : أظهرن ، ويروى : وأضمرن ؛ التجهم : العبوس واستقبال المرء بالقطوب .

٤١ يكلّلنَ حدَّ الطرفِ عن ذي مهابةٍ أبانَ أُولاتِ الدلِّ لما توسّما

٤٢ تراهُنَّ إلاّ أن يؤدّين نظرَةً بمؤخرِ عينٍ أو يُقلّبْن معصَما

٤٣ كواظمَ لا ينطِقْنَ إلاّ مَحُورَةً رَجيعةَ قولٍ بعدَ أن يتفهّما

٤٤ وكنَّ إذا ما قُلن شيئاً يسُرُّهُ أسرَّ الرّضا في نفسه وتجرّما

٤٥ فأقصرَ عن ذاك الهوى غيرَ أنهُ إذا ذُكِرَتْ أسماء عاجَ مُسلّما

---

٤١ يكللن حدّ الطرف : أي يجعلنه كليلاً ، والمعنى : يغضضن أبصارهن هيبة له .

٤٣ كواظم : صامتات ؛ المحورة : الجواب ؛ رجيعة قولٍ : ردّاً على قول ، أي لا يبدأن الحديث وإنّما يكتفين بالردّ على ما يسألنه .

٤٤ التجرُّم : ادعاء الجرم دون أن يكون حاصلاً ؛ والمعنى أنّه يسرُّ الرضى في نفسه ويظهر أنّه غير راض ويقطّب لينتحل مزيداً من الهيبة . ويبدو أن التجرُّم يحمل معنى التجهّم وادعاء الذنب معاً ، يقول المتوكل الليثي مخاطباً بشر بن مروان :

تجرم لي بشر غــداة لقيتــه فقلت له يا بشر ما ذا التجرم

تخريج القصيدة ٧

اعتمدنا في ترتيب أبياتها على منتهى الطلب .

الأبيات ١ – ٥ في ياقوت ٤ : ١٦٩ والمغانم : ٣٥٠

» ١ ، ٢ ، ٣ في المنازل والديار : ٧٦ ب

» ٣١ – ٣٤ في ياقوت ٤ : ١٣٩

» ٣٥ – ٣٧ في ياقوت ١ : ٣٢٣

» ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ – ٤٤ في العيون ٤ : ٧٨ والشعر والشعراء : ٤٢١ وزهر الآداب : ٣٥١ ، وجمع الجواهر : ١٨٦

» ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٠ في الأغاني ١٢ : ١٨١

» ١ ، ٣٩ ، ٤٠ في الأغاني ١٢ : ١٨٧

البيتان ٦ ، ٧ في البكري : ٣١٦

» ١٣ ، ١٤ في حماسة البحتري : ١٩٦

» ٣٣ ، ٣٤ في البكري : ٤٦٧

» ٣٩ ، ٤٠ في حماسة الخالديين ١ : ٤٩ ، والمسالك ١٤ : ٧١

البيت ٤ في البكري : ١٠٩٣ ، والسمهودي ٢ : ٣٦٣

» ٦ في ياقوت ٤ : ٢٤٥ ، ٣ : ٤٥٩ ، ١ : ٣١٢ ، والمغانم : ٣٥٦ ، والسمهودي ٢ : ٣٦٥

» ٧ في ياقوت ٢ : ٥٦٦

» ٨ في اللسان (حذلم) – دون نسبة – (العجز وحده)

» ١٠ في اللسان (وشع) والموازنة ١ : ١٨٣

» ٢٩ في ابن جني ٣ : ٢٢٨

» ٣١ في البكري : ٣١١

» ٣٣ في ياقوت ١ : ٥٩١

» ٣٤ في ياقوت ٢ : ٣٣٠

» ٣٩ في الأغاني ١٢ : ١٨٣ والمحاسن والأضداد : ١٣٨

» ٤٠ في الأغاني ١٢ : ١١٦

وقد قدمنا أن قسم المدح من القصيدة لم يصلنا ؛ وفي المصادر بيتان في المدح على وزن هذه القصيدة ورويها وهما :

١ فما وَجدوا منكَ الضريبةَ هدَّةً هياراً ولا سقط الأليّة أخرما

٢ عدوٌّ تلادِ المال فيما ينوبه منوعٌ إذا ما منعه كان أحزما

١ اللسان (هير) والمعاني الكبير : ٨٤٤ ، وقال ابن قتيبة في شرحه : هياراً أي تنهار ، أي لم يجدوك ضعيفاً ولا سقط الألية : الكذاب الحلف ؛ أخرما : أي لا تنخرم أليتك فتذهب باطلا ، والأخرم لا يثبت على رأي واحد ؛ وهدة : منهدة مسترخية .

٢ أورده بيريس في القصيدة (البيت رقم : ٢١) وليس هو لكثير ، وقد نسبه الجاحظ لسهل بن هارون في البيان ٣ : ٣٥٢، والحيوان ٣ : ٤٦٦ و ٥ : ٦٠٤ ، والبخلاء: ١١ .

٨

وقال كثيّر :

١ عَفَتْ غَيْقَةٌ مِنْ أهلِها فحرِيمُها فبُرْقَةُ حِسْمى قاعُها فَصريمُها

٢ وهاجَتْكَ أطلالٌ لعزَّةَ باللّوى يلوحُ بأطرافِ البِراقِ رُسومها

٣ إلى المِئْبرِ الداني من الرَّمْلِ ذي الغضا تراها ، وقد أقوتْ ، حديثاً قديمها

---

١ البكري والمغانم وياقوت (٢ : ٢٦٨) : حسنا .

٣ اللسان : الرابي .

---

١ قال ابن السكيت : غيقة : حساء على شاطىء البحر فوق العذيبة ؛ وقال أيضاً في موضع آخر : غيقة : مويهة عليها نخل بطرف جبل جهينة الأشقر ؛ وقال ابن حبيب : غيقة لبني غفار بن مليل بين مكّة والمدينة ؛ وقال شيخنا الأستاذ حمد الجاسر : غيقة سهل واسع على ساحل البحر يقابل بدراً (المناسك : ٦٥٢ الحاشية ٧) . حريمها : ما حولها؛ واختلفت الرواية في حسمى فروي حسمى وحسنا في هذا الموضع . قال الأسلمي وابن دريد وابن الأعرابي : إذا ذكرت غيقة فليس إلا « حسنا » وإذا ذكرت طريق الشام فهي « حسمى » ؛ وقال ثعلب إنما هو « حسي » (المحكم ٣ : ١٤٤) ؛ وحسنا : صحراء بين العذيبة وبين الجار ، وقال ابن حبيب : حسنا جبل قرب ينبع ، بين الجار وودان . القاع : أرض واسعة سهلة مطمئنة . الصريم : القطعة المنقطعة من معظم الرمل .

٢ اللوى : منقطع الرمل ، ويسمّى به . البراق : جمع برقة وهي الأرض يختلط فيها رمل وحصى وفيها غلظ .

٣ المئبر : ما رقّ من الرمل؛ وفي قراءة « الرابي من الرمل » وهو المشرف المرتفع . والمعنى : ترى حديثها قد أصبح قديماً بعد أن أقوت أي عفت .

٤ وقال خليلي يومَ رُحنا وَفُتّحَتْ من الصَّدْرِ أشْراجٌ وفُضَّتْ خُتُومها

٥ أصابَتْكَ نَبْلُ الحاجبيّةِ إنها إذا ما رَمَتْ لا يَسْتبِلُّ كليمها

٦ كأنّكَ مردوعٌ من الشمسِ مُطْرَدٌ يُقارفهُ من عُقْدَةِ البُقْعِ هيمها

٧ أخو حيَّةٍ عَطْشَى بأرضٍ ظميئةٍ تجلّلَ غَشْياً بعدَ غَشْيٍ سليمها

---

٤ منتهى الطلب : وكان خليلي .

٥ الزهرة : أصابك .

٦ ياقوت والبكري : بشسٍّ مطرّدٌ ؛ ياقوت : النقع .

---

٤ أشراج : جمع شرج ، وهي العروة ، يعني فكّ ما تداخل من عرى الصدر ؛ وفضت ختومها : فتحت أغلاقها ، فانكشف ما في الصدر لما هاجت النفس بالذكريات .

٥ الحاجبية : عزة ، نسبها إلى جدّها الأعلى ؛ يستبل : يصيب شفاء ؛ الكليم : الجريح .

٦ مردوعٌ : منكوسٌ . من الشمس : أي أصابته الشمس فردع ؛ مطرد : مبعد لا أحد لديه يداويه ويطبّ له ؛ يقارفه : يدانيه ؛ العقدة : الأرض الكثيرة الشجر وهي تكون من الرمث والعرفج ، وقال ابن حبيب في تفسير قولهم «آلف من غراب عقدة » هي أرض كثيرة النخيل لا يطير غرابها ؛ البقع : جمع أبقع ، وهو هنا صفة للغراب ؛ الهيم : جمع هائم ، أي العطشان ؛ والمعنى أن هذا المنكوس المنفرد الذي أصابته الشمس ، تحوم من حوله عطاش الطير . هكذا يمكن أن تفهم رواية منتهى الطلب ؛ ولكن ياقوتاً والبكري ينقلان من ديوان كثير بشرح ابن السكيت وابن حبيب ؛ وقد وردت الرواية عندهما : «كأنك مردوع بشسٍّ مطرّد » . وقد قال ابن السكيت : شسّ أرض كثيرة الحمى من الأبواء على نصف ميل ، وعند ابن حبيب أنه « شس » أيضاً وأنه اسم موضع . وجاءت البقع أيضاً « النقع » وهي الأرض التي انتقع فيها الماء ؛ وقال البكري : « البقع » — بالباء — اسم موضع هناك .

٧ أخو حية : يريد قد لدغته حيّة . وجعلها عطشى ليكون ذلك أشدّ لفتكها . تجلل غشياً . . . سليمها : السليم الملدوغ ، أصابه غشي بعد غشي .

٨ إذا شحطتْ يوماً بعــزّةَ دارُها عن الحيّ صَفْقاً فاستمرّ مريرها [كذا]

٩ فإنْ تُمسِ قد شطّتْ بعزّةَ دارُها ولم يستقمْ والعهدَ منها زعيمها

١٠ فقد غادرتْ في القلبِ مني زمانةً وللعينِ عبراتٍ سريعاً سجومها

١١ فذوقي بما جَشّمتِ عيناً مشومَةً قذاها ، وقد يأتي على العينِ شومها

١٢ فلا تَجزَعي لما نأتْ وتَزَحزَحَتْ بعزّة دُوراتُ النّوى ورُجومهــا

١٣ ولي منكِ أيامٌ إذا شحط النوى طوالٌ وليلاتٌ تزولُ نجومها

---

١٠ الزهرة : أمانة . . . سريع .

١١ الزهرة : بما أجنيت .

١٣ الزهرة : إذا تشحط .

---

٨ شحطت : بعدت ؛ صفقاً : ناحيةً وبعيداً . وقد سها الناسخ فكتب « مريرها » مكان كلمة أخرى فتغيرت القافية .

٩ الزعيم هنا ، لعله من زعم بمعنى قال ووعد ؛ والمعنى أنّ ما وعدت به لم يتفق والعهد الذي قطعته على نفسها ، وشكلت « والعهد » في نسخة منتهى الطلب بالضمّ ، ولا أدري توجيه المعنى حسب هذه القراءة .

١٠ الزمانة : المرض المستديم ؛ وفي منتهى الطلب « عبرات » بضم التاء المنونة ولا يستقيم هذا مع قوله « سريعاً » ، والتقدير : وغادرت للعين عبرات ؛ ومن قرأه « وللعين عبرات سريع . . » فذلك على الابتداء والخبر .

١١ الخطاب في قوله « فذوقي » لعينه ؛ أي ذوقي بسبب ما جشمتني من مكاره الحب ، يا عيناً مشؤومة ، ما تعانيه العين من القذى ، وقد تصاب العين نفسها بشؤمها ، وقد يكون « فذوقي يا عيناً مشؤومة القذى بما جشمت » .

١٢ الدورات : أماكن رمل مستديرة يجلسون فيها ، والرجوم : أكوام الحجارة ، وأضافها إلى النوى على تقدير أن تزحزحها هو سبب النوى .

١٤ قضى كلُّ ذي دينٍ فوفّى غريمَهُ وعزَّةُ ممطولٌ مُعنًّى غريمها

١٥ إذا سُمْتُ نفسي هجرَها واجتنابَها رأتْ غمراتِ الموتِ في ما أسومها

١٦ إذا بنتِ بانَ العُرْفُ إلا أقلَّهُ من الناسِ ، واستعلى الحياةَ ذميمها

١٧ وتُخْلِقُ أثوابُ الصِّبا ، وتنكّرت نواحٍ من المعروف كانت تقيمها

١٨ فهل تجزِيَنّي عزَّةُ القَرْضَ بالهوى ثواباً لنفسٍ قد أُصيبَ صميمها

١٩ بأنّيَ لم تَبْلُغْ لها ذا قرابةٍ أذاتي ، ولم أُقْرِرْ لواشٍ يَذيمها

٢٠ متى ما تنالا بي الأولى يَقْصِبونَها إليَّ ولا يُشْتَمْ لديَّ حميمها

---

١٤ الغريم : الدائن ؛ ممطول : مدافع بالمطال وهو التسويف . وذكر العيني أن كثيراً كان له غلام عطار بالمدينة وربما باع نساء العرب بالنسيئة ، فأعطى عزة وهو لا يعرفها شيئاً من العطر فمطلته أياماً وحضرت إلى حانوته في نسوة ، فطالبها فقالت له : حباً وكرامة ، ما أقرب الوفاء وأسرعه ، فتمثل بقول كثير « قضى كل ذي دين . . . البيت » فقالت النسوة : أتدري من غريمتك ؟ فقال : لا والله ، فقلن : هي والله عزة ؛ فقال : اشهدكن الله هي في حلّ مما لي قبلها ، وأخبر كثيراً بذلك فأعتقه ووهب له ما في الحانوت .

وقد أورد كثير من المصادر أنّ أم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك سألت عزة عن الدين في هذا البيت فقالت : وعدته قبلة فحرجت منها ، فقالت أم البنين : أنجزيها وعلي إثمها . وهذا وما قبله من أحاديث الأسمار .

وقال العيني في إعراب البيت : قضى فعل ماض ، وكل ذي دين كلام إضافي فاعله ، فوفى : عطف على قوله قضى ، والضمير فيه يرجع إلى كل ذي دين ؛ غريمه مفعول « وفى » ؛ واستدل به البصريون على أولوية إعمال الثاني في باب التنازع ، بيانه أنّ قضى ووفى متوجهان إلى الغريم وأعمل الثاني إذ لو أعمل الأول لقال فوفاه . . .الخ ؛ وعزة مبتدأ وغريمها مبتدأ ثان ، وممطول معنى خبره ، والمبتدأ الثاني مع خبره خبر المبتدإ الأول ، ويقال ممطول خبره ، ومعنى حال من الضمير في ممطول ، وعلى هذا لا يكون تنازع وهذا هو موطن الاستشهاد في البيت .

٢١ وقد علِمَتْ بالغَيْبِ أنْ لن أوَدَّها   إذا هي لم يَكْرُمْ عليَّ كريمها

٢٢ فإن وصلتنا أمُّ عمروٍ فإنّنا   سنقبلُ منها الودَّ أو لا نلومها

٢٣ فلا تزجرِ الغاوينَ عن تَبَعِ الصِّبا   وأنت غويُّ النفسِ قدماً سقيمها

٢٤ بعزَّةَ متبولٌ إذا هيَ فارقتْ   مُعَنًّى بأسبابِ الهوى ما يَريمها

٢٥ ولما رأيتُ النفسَ نفساً مُصابةً   تَداعى عليها بَثُّها وَهُمومها

٢٦ عزمتُ عليها أمْرَها فَصَرَمْتُهُ   وخيرُ بَديعاتِ الأمورِ عزيمها

٢٧ وما جابةُ المِدْرَى خذولٌ خلا لها   أراكٌ بذي الريّانِ دانٍ صريمها

٢٨ بأحسنَ منها سُنّةً ومُقَلَّداً   إذا ما بَدَتْ لبّاتُها ونظيمها

٢٩ وتَفْرُقُ بالمِدرَى أثيثاً نباتُهُ   كجنّةِ غربيبٍ تَدَلّتْ كرومها

٣٠ إذا ضحكتْ لم تَنْتَهِزْ وتَبَسّمَتْ   ثنايا لها كالمُزْنِ غُرٌّ ظُلومها

---

٢٦ الضمير في « أمرها » عائد للنفس في البيت السابق . بديعات الأمور : الأمور المبدعة أي التي أوجبها المرء وعزم عليها ؛ وإنّما البديع بمعنى الجديد ، ولكن لا أظنه يلائم السياق هنا .

٢٧ جابة المدرى : يقال للظبية حين يطلع قرنها « جأبة المدرى » وأبو عبيدة لا يهمزه ، وإنما قيل جأبة المدرى لأن القرن أول ما يطلع يكون غليظاً (والجأب : الغليظ) ثم يدق ، فنبه بذلك على صغر سنّها ؛ الخذول : التي تتخلف عن صواحبها وتبقى مع ولدها ؛ ذو الريان : ماء بين مكة والمدينة ؛ الصريم : الشجر المصروم ، يريد بذلك الأراك وأنه داني الأغصان .

٢٨ السنّة : الوجه لصقالته وملاسته ؛ المقلّد : العنق ؛ اللبات : أعالي الصدر ؛ النظيم : العقد .

٢٩ المدرى : المشط ؛ أثيث : طويل ؛ الغربيب : ضرب من العنب بالطائف شديد السواد .

٣٠ انتهز في الضحك : أفرط فيه . الظلوم : جمع ظلم — بفتح الظاء — ماء الأسنان وبريقها ، أو رقّتها وشدة بياضها .

٣١ كأنَّ على أنيابها بَعْدَ رَقْدَةٍ إذا انتبهتْ وَهْناً لمن يستنيمها

٣٢ مُجاجَةَ نَحْلٍ في أباريق صَفْقَةٍ بصهباء يجري في العظامِ هَميمها

٣٣ رَكودُ الحميّا وردةُ اللونِ شابَها بماء الغوادي غَيْرَ رَنْقٍ مُديمها

٣٤ فإن تَصْدُفي يا عَزُّ عنّي وتَصْرِمي ولا تقبلي مني خِلالاً أسومها

٣٥ فقد أقْطَعُ المَوْماةَ يستنُّ آلُها بها جِيَفُ الحَسْرى يلوحُ هشيمها

٣٦ على ظَهْرِ حُرْجوجٍ يُقَطِّعُ بالفتى نِعافَ الفيافي سَبْتُها ورسيمها

٣٧ وقد أزْجُرُ العَوْجاء أنقبَ خُفُّها مناسمُها لا يستبِلُّ رثيمها

---

٣٧ التاج : العرجاء .

---

٣١ الرقدة : النومة والهجعة ؛ وهناً : بعد هدء من الليل ؛ استنام بمعنى نام ؛ ولعله يريد يستنيم إليها أي يطمئن إليها .

٣٢ مجاجة : خبر كأن في البيت السابق ؛ ومجاجة النحل : العسل ؛ صفقة : مصفوقة أي مملوءة ؛ ولعلها « صفقت » أي مزجت بصهباء ، وهي الخمر ؛ والهميم : الدبيب .

٣٣ الحميا : سورة الخمر ، ركود : تسكن سورتها ؛ وردة اللون : حمراء ؛ شابها : مزجها وخلطها ؛ الغوادي : السحائب ؛ الرنق : الكدر ؛ المديم : الذي يسكن منها ، وذلك بمزجها بالماء .

٣٥ الموماة : المفازة ؛ يستن : يجري ويمضي ؛ الآل : السراب ؛ الحسرى : الإبل التي أعيت فسقطت على الطريق ؛ هشيمها : مهشومها ، يريد عظامها وأعضاءها المكسّرة .

٣٦ الحرجوج : الناقة الطويلة ، وقيل الضامرة ، وقيل الحادة القلب ؛ النعف من الرملة : مقدمها وما استرق منها ؛ سبتها : فاعل الفعل يقطع ، والسبت : السير السريع وهو فوق العنق ؛ والرسيم : من سير الإبل فوق الذميل .

٣٧ العوجاء : الضامرة من الإبل ؛ أنقب : مثل نقب إذا حفي حتى يتخرق فرسنه ، فهو نقب ؛ أراد « ومناسمها » فحذف حرف العطف ، كذا قال في اللسان والتاج ؛ قلت : ولا حاجة إلى =

٣٨ وقد غَيّبتْ سُمْراً كأنّ حُروفَها مواثمُ وضّاحٍ يطيرُ جريمهـا

٣٩ وليلةِ إيجـافٍ بأرضٍ مخوفـةٍ تَقَتّني بجَوْناتِ الظّلامِ نجومهـا

٤٠ فبتُّ أُساري ليلَها وضريبَها على ظهرِ حُرْجوجٍ نَبيلٍ حزيمها

٤١ تُواهِقُ أطْلاحاً كأنّ عيونَها وقيعٌ تعادتْ عن نطافٍ هزومها

٤٢ أضرّ بها الإدلاجُ حتى كأنّها منَ الأيْنِ خِرْصانٌ نَحاها مُقيمها

٤٣ تُنازِعُ أشرافَ الإكامِ مطيّتي من الليل سِيجاناً شديداً فُحومها

---

٤٣ المحكم : أطراف ؛ المحكم واللسان : شيحاناً .

= هذا التقدير لاستقلال الجملة التالية بمبتدإ وخبر « مناسمها لا يستبل رثيمها » ؛ وقال في اللسان (نقب) ويروى : أنقبُ خفّها مناسمها ؛ يستبل : يبرأ ؛ الرثيم : المنسم الذي دمي لانكسار شيء من طرفه .

٣٨ الضمير في غيبت يرجع إلى المناسم أو إلى العوجاء ؛ والسمر : لعله يشير بها إلى الحصى ؛ المواثم : الحجارة الموثومة أي المكسرة ؛ وضاح — كذا كتبت في النسخة المخطوطة من منتهى الطلب ؛ ويغلب على ظني أنها « رضاخ » وهو الذي يدق الحب والنوى ؛ والجريم : جمع جريمة وهي النواة .

٣٩ الإيجاف : سرعة السير ؛ تقتني بمعنى اتّقتني ؛ الجونات : جمع جونة وهي الفحمة ، والمعنى جعلت النجوم بيني وبينها قطعاً من الظلام ، أي حال الظلام دونها ؛ قلت : والكلمة في المخطوطة قد تقرأ « جهومها » وتكون جمع « جهمة » وهي أول مآخير الليل .

٤٠ الضريب : ما يضرب الأرض من جليد وبرد ؛ الحزيم : موضع الحزام من الصدر والظهر ؛ نبيل : رابٍ ممتلىء .

٤١ تواهق : تباري ؛ الأطلاح : النوق المعيية ؛ الوقيع : مناقع الماء ؛ النطاف : الماء القليل ؛ الهزوم : جمع هزمة وهي الكسور والشقوق .

٤٢ الإدلاج : سير الليل ؛ الأين : التعب والإعياء ؛ خرصان : جمع خرص وهو الجريد من النخل أو القضيب الرطب ؛ مقيمها : من يريد أن يقيمها أي يسوّي انحناءها .

٤٣ الأشراف : جمع شرفة وهي أعلى شيء؛السيجان : جمع ساج وهو الطيلسان ؛ فحوم :=

٤٤ بمُشْرِفةِ الأجداثِ خاشعةِ الصُّوى تداعى ، إذا أمْسَتْ ، صداها وبومها

٤٥ إذا استقْبَلَتْها الريحُ حالَ رُغامها وحالفَ جَوْلانَ السّرابِ أُرومها

٤٦ يُمَشّي بِحِزّانِ الإكامِ وبالرُّبى كمستكبرٍ ذي مَوْزَجَيْنِ ظليمها

٤٧ رأيتُ بها العُوجَ اللهاميمَ تغتلي وقد صُقِلَتْ صَقْلاً وتُلّتْ جسومها

٤٨ تُراكِلُ بالأكوارِ في كلّ صيهبٍ من الحرّ أثباجاً قليلاً لحومها

٤٩ ولو تسألينَ الركبَ في كلّ سَرْبَخٍ إذا العيسُ لم يَنْبِسْ بليلٍ بَغومها

---

٤٧ اللسان (صقل) : وشلّت .

= جمع فحمة ويجوز أن يكون فحومها سوادها كأنّه مصدر فحم (المحكم ٣ : ٢٢٩) .

٤٤ مشرفة الأجداث . عنى الصحراء التي هلك فيها كثيرون فأجداثهم ، أي قبورهم ، واضحة مشرفة ؛ خاشعة : متطامنة ؛ الصوى : معالم الطريق . الصدا : ذكر البوم .

٤٥ «حال» بالمهملة في الأصل، ولعلّ صوابه «جال»،وجال التراب : ذهب وسطع ؛ وحالف: وافق ؛ والجولان : التراب والحصى الذي تجول به الريح على وجه الأرض ؛ أرومها : أعلامها .

٤٦ حزّان : جمع حزيز وهو ما غلظ وصلب من الأرض ؛ الموزج : الخفّ ، فارسي معرب ، وأصله «موزه» ؛ الظليم : ذكر النعام ، وهو فاعل الفعل يمشي ؛ شبهه حين يمشي فوق حزان الآكام والربى برجل ذي خيلاء يلبس خفين .

٤٧ العوج : جمع عوجاء وهي الناقة الضامرة ؛ اللهاميم : جمع لهموم وهي الناقة الغزيرة اللبن الكثيرة المشي . قال أبو عمرو : صقلت الناقة إذا أضمرتها وصقلها السير إذا أضمرها . وتلت : صرعت ، والأجود «وشلّت» بمعنى يبست . تغتلي : ترتفع في سيرها .

٤٨ تراكل : تدافع ، من الركل ؛ الصيهب : شدة الحرّ ؛ الأثباج : الظهور ، يعني أنها تدافع أكوارها بظهور قد نحلت وذهب أكثر لحمها .

٤٩ السربخ : الأرض الواسعة البعيدة المضلة التي لا يهتدى فيها لطريق ؛ البغوم : الذي يبغم أي يصوت ، يعني أن عادته كذلك ولكنّ إعياءه يمنعه من التبغم فلا ينبس .

٥٠ من الحُجْرَةِ القُصْوى وراء رحالها إذا الأسْدُ بالأكوارِ طافَ رَزُومها

٥١ وجرَّبتُ إخوانَ الصَّفاء فمنهمُ حميدُ الوِصالِ عندنا وذميمها

٥٢ وأعلمُ أني لا أُسَرْبَلُ جُنَّةً منَ الموتِ معقوداً عليَّ تميمها

٥٣ ومَن يَبْتَدِعْ ما ليس من سوسِ نفسه يدَعْهُ، ويغْلِبْهُ على النفس خِيمها

---

٥٢ منتهى الطلب : لم أسربل .

٥٣ اللسان : من خيم نفسه .

---

٥٠ يصوّر شدة المخافة ويشير إلى زيارة الأسد لرحالهم عندما يعرسون للراحة ؛ الرزوم : الأسد الذي يجثم على فريسته .

٥٣ السوس : الطبع والسجية ؛ الخيم : الخلق والشيمة . يريد أنّ من ينتحل شيئاً ليس ملائماً لسجيته ، فإنّه لا بدّ متخلّ عنه ، عائد إلى خيمه وطبيعته الأصلية .

تخريج القصيدة ٨

اعتمدنا فيها على منتهى الطلب .

الأبيات ٤ — ٦ في ياقوت ٣ : ٢٨٧

» ٥ ، ١٠ ، ١١ في الزهرة : ١٢

» ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢١ في العيني ٣ : ٣ — ٤

البيتان ١٣ ، ١٥ في الزهرة : ٢٨٦

البيت ١ في البكري : ٣٥٦ ، ١٠١٠ وياقوت ١ : ٥٧٩ ، ٢ : ٢٦٨ ، والمغانم : ١١٥ ، والتاج (برق)

» ٣ في اللسان (أبر)

» ٦ في البكري : ٧٩٦

» ١٤ في ابن خلكان ٣ : ٢٦٣ ، والعيون ٤ : ٩٢ ، ولباب الثعالبي : ٢٠ ، ومصارع العشاق ٢ : ٨٤ ، ونهاية الأرب ٣ : ٧٨ ، والخزانة ٢ : ٣٨٢ ، والتمثيل : ٧٢ ، وزهر الآداب : ٢٤٦ ، والأغاني ٩ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، وابن يعيش ١ : ٨ والشنقيطي ٢ : ١٤٦ ، والشذور : ١٠٩

» ٢٩ في الزينة ٢ : ١٩٧

» ٣٧ في اللسان والتاج (نقب)

» ٤٣ في المحكم ٣ : ٢٩٩ واللسان (فحم)

» ٤٧ اللسان (صقل) .

» ٥٣ في العيون ٢ : ٥ والشعر والشعراء : ٤٢٠ واللسان (خيم) والمسالك ١٤ : ٧١ .

وهذا البيت ورد مع ثلاثة أبيات أخرى منسوبة لخالد بن عبد الله الطائي وقيل لحاتم الطائي في الفاضل : ٤٠ ، وكذلك في الحماسة (المرزوقي : ٧٥٦) ، وهو في الوساطة : ١٥٦ للأعور الشني وفي مجموعة المعاني : ١٦٠ لسليمان بن المهاجر .

وفي المصادر أبيات تنسب لكثير على وزن هذه القصيدة ورويها وهي :

١ وَعُلَّ ثرى تلك الحفيرةِ بالندى   وبورك مَنْ فيها وطابت تُخومها

٢ إذا مستثاباتُ الرياح تنسّمت ومرَّ بسفسافِ التّرابِ عقيمها
٣ وسارت إلى شهباء ثابتة الرحى مقنعة أُخرى تزول نجومها

ووردت الأبيات الآتية في النسخة الهندية من نوادر الهجري (ص : ٣٣٦) :

٤ فقد سرتُ غربيَّ البِـلادِ وشرقها وقد ضربتـني شمسُها وغيومُها
٥ وعاهدتُ أقواماً فأوفيتُ عهدهم بأحسنِ ما يوفي العهودَ زعيمها
٦ وما غرَّها بي غيرُ حُسْنِ تباعتي وأني إذا لم تَقْضني لا ألومهـا

١ اللسان (تخم) ويروى : وطاب تخومها – بفتح التاء – ؛ وهذا البيت لا يدخل في القصيدة لأنه في الرثاء .

٢ الأساس (ثوب) والعجز في الأنواء : ١٦٣ ؛ والمستثابات : التي تأتي بالخير ؛ والعقيم هي الشمال ، بينما يسمون الجنوب لاقحاً ؛ ولا بأس أن يكون البيت من القصيدة وسقط من رواية منتهى الطلب .

٣ المعاني الكبير : ١٠٠٠ ؛ والشهباء المقنعة بالحديد هي الكتيبة ، ونجومها : توقد من الحديد والبيض كأن فيها نجوماً ؛ تزول : تحرك ؛ وليس في القصيدة أي حديث عن الحرب والكتيبة وما أشبه .

٩

وقال كثير أيضاً :

١ أشاقك برقٌ آخرَ اللّيلِ واصِبُ   تضمّنهُ فرْشُ الجبا فالمَسارِبُ
٢ يجُرُّ ويستَأني نَشاصاً كأنّهُ   بغَيْقَةَ حادٍ جَلْجلَ الصَّوْتَ جالبُ
٣ تألّقَ واحْمَوْمى وخيّم بالرُّبى   أحمُّ الذُّرى ذو هيدبٍ متراكبُ
٤ إذا حرّكتْهُ الرّيحُ أرْزَم جانِبٌ   بلا هزَقٍ مِنه وأوْمضَ جانِبُ

---

١ أمالي القالي وياقوت والزهرة واللسان (جبى) : أهاجك؛ الزهرة : الحيا (وهو تصحيف) .
٢ اللسان : ويستأبي . . . لما جلجل ؛ التاج : لما جلجل .
٤ الموشح : إذا زعزعته ؛ الزهرة : هرق ؛ الموشح : بلا خلف منه .

---

١ الواصب : الدائم الدائب؛ الجبا : شعبة من وادي الجي عند الرويثة بين مكة والمدينة ؛ وقال البكري : الجبا موضع بنجد ؛ وفي اللسان (جبا) : فرش الجبا موضع ؛ والمسارب : جمع مسربة وهي المراعي ، وقد يسمى به المكان .

٢ يستأني : يبطىء ؛ النشاص : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض ؛ غيقة : حساء على شاطىء البحر فوق العذيبة بين مكة والمدينة (وانظر شرح البيت الأول من ق ٨) ؛ الجالب : الذي يزجر الناقة ويصيح بها من خلفها ويستحثها .

٣ تألق : التمع ؛ احمومى : أصبح أسود ؛ خيم : أقام ؛ أحم الذرى : أسود الأعالي ؛ هيدب السحاب : ما تهدّب منه أي ذيله وأن تراه ينصب كأنه خيوط متصلة .

٤ أرزم : صوّت ؛ الهزق : شدّة الصوت ، وقال الأصمعي : الهزق شدة صوت الرعد .

٥ كما أومضَتْ بالعَينِ ثمَّ تبسّمَتْ   خَريعٌ بدا منها جبينٌ وحاجبُ

٦ يمُجُّ النّدى لا يذكرُ السَّيرَ أهلُه   ولا يرجعُ الماشي بهِ وهوَ جادِبُ

٧ وَهبْتُ لسُعدى مـاءهُ ونباتـهُ   كما كلُّ ذي وُدٍّ لمن وَدّ واهبُ

٨ لتروى به سُعْدى ويَرْوى مَحلّها   وتُغدِقَ أعدادٌ به ومشاربُ

٩ تذكّرْتُ سُعْدى والمطيُّ كأنّـه   بآكام ذي رَيْطٍ غَطاطٌ قواربُ

١٠ فقد فتن مُلْتجّاً كأنّ نئيجَهُ   سُعالُ جَوٍ أعيتْ عليه الطبائبُ

---

٥ الزهرة : جريع (وهو خطأ) .

٦ الزهرة : يصحّ الندى (وهو خطأ) ؛ أمالي القالي : الماضي به .

٨ الموشح : ويروى : صديقها ويغدق .

---

٥ أومضت بالعين : أومأت ، أو سارقت النظر وأشارت إشارة خفية . الخريع : المرأة الشابة الناعمة اللينة ، وقيل هي الفاجرة ، والمعنى الأول أنسب هنا .

٦ لا يذكر السير أهله : لا يفكرون في الرحلة لأنهم قد مطروا ؛ الماشي ، قال في اللسان (مشى) : الماشي الذي يستقريه (أي يستقري هذا البرق الماطر) والتفسير لأبي حنيفة . جادب : عائب له ؛ وقد يكون من الجدب بمعنى المحل أي لا يرجع صفر اليدين .

٧ قيل إن سكينة بنت الحسين قالت لكثير : أتهب لها غيثاً عاماً جعلك الله والناس فيه أسوة ؟ فقال : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصفت غيثاً فأحسنته وأمطرته وأنبتّه وأكملته ثم وهبته لها ، فقالت : فهلا وهبت لها دنانير ودراهم (الموشح : ٢٤٥) .

٨ تغدق : تغزر ؛ الأعداد : جمع عد وهو البئر أو الركية القديمة التي لا تنتزح وهو أيضاً مجتمع المياه .

٩ الغطاط : القطا أو ضرب منه؛ القوارب : التي ترد الماء ، شبّه بها المطيّ وهي تسرع جماعات للورود .

١٠ الملتجّ : الذي قد عظمت لجته ؛ النئيج : الصوت ؛ الجوي : المريض مرضاً باطناً .

١١ فقلتُ ولم أملكْ سوابِقَ عَبْرةٍ   سقى أهلَ بَيْسانَ الـ

١٢ وإني ولو صاحَ الوشاةُ وطَرَّبوا   لمتّخذٌ سُعْدى

١٣ يقولون أجْمِعْ من عُزَيْزَةَ سَلْوَةً   وكيف وهل يسلو اللجوج

١٤ أعزُّ أجَدَّ الركبُ أن يتَزَحْزَحوا   ولم يعتب الزاري عليك المعاتبُ

١٥ فأحيي هداك الله من قد قتلته   وعاصي كما يُعْصى لديه الأقاربُ

١٦ وإنَّ طِلابي عانساً أمَّ ولدةٍ   لممّا تمنّيني النفوسُ الكواذبُ

١٧ ألا ليتَ شعري هل تغيّرَ بعْدنا   أراك فصُرْمـا قادِمٍ فتُناضِبُ

---

١١ ياقوت : الدجان .

١٧ ياقوت : أرال ؛ منتهى الطلب : أداك ؛ البكري : فصوقاواته . المغانم : بقصوى فرقة وتناضب .

---

١١ بيسان : موضع في جهة خيبر من المدينة ؛ الدجون : السحب ؛ الهواضب : التي تهضب أي ترسل مطراً شديداً .

١٢ طرّبوا : صاحوا ساعة بعد ساعة ؛ ناسب : يقول شعر النسيب .

١٦ العانس : المرأة التي أصبحت نصفاً ولم تتزوج ، ولكن قوله « أم ولدة » بعده يثير إشكالاً حول هذا المعنى المألوف للفظة « عانس » ؛ ولعلّ الصواب أن « العانس » هنا تعني الثيّب .

١٧ أراك : وادي الأراك قرب مكّة يتصل بغيقة . قال نصر : أراك فرع من دون ثافل قرب مكة ؛ ورواه ياقوت مرة أُخرى في « أرال » ؛ وذكر ياقوت « صرما قادم » — بضم الصاد — وقال : هي موضع ، ولم يعينه ؛ قال البكري : ويروى « فصرما قادم » وقال : موضع هناك ؛ وقال : أراك فرع من دون ثافل يدفع في الصوق ، والصوق يدفع في ملف غيقة والصوقات هي الصوق ، وفي المغانم : بقصوى فرقة ، وقال : فريقات اسم موضع بعقيق المدينة ؛ وأما تناضب فقد قال ابن حبيب إنها شعبة من أثناء الدوداء ، والدوداء يدفع في العقيق (البكري : ٣٢٠ « تناضب ») .

١٨ فبُرْقُ الجبا أمْ لا فهُنَّ كعَهْدنا تنزّى عـلى آرامِهِنَّ الثّعالـبُ

١٩ تقي الله فيه أمَّ عمروٍ ونَوّلي مَوَدّتهُ لا يَطْلُبنّكِ طالبُ

٢٠ ومن لا يُغمّض عينَهُ عن صديقه وعن بعض ما فيه يمُتْ وهوَ عاتبُ

٢١ ومن يتتَبّعْ جاهِداً كلَّ عثْرَةٍ يجدْها ولا يسْلَمْ له الدّهرَ صاحبُ

٢٢ فـلا تأمَنيه أنْ يُسِرَّ شَماتـةً فيظهرَها إنْ أعقبَتْهُ العواقبُ

٢٣ كأن لم أقُلْ والليلُ ناجٍ بريدُهُ وقد غال أميالَ الفجاجِ الركائبُ

٢٤ خليليَّ حُثّا العيس نُصْبحْ وقد بدتْ لنا من جِبالِ الرّامتينِ مَناكبُ

٢٥ فوالله ما أدري أآتٍ على قلًى وبـادي هوانٍ منكمُ ومغاضِبُ

٢٦ سأملك نفسي عنكمُ إن ملكتُهـا وهل أغْلِبَنْ إلاّ الذي أنا غالبُ

---

٢١ البصائر : يصبها ؛ وروى البيت في الصداقة والمعاهد :

إذا أنت لم تغفر ذنوباً كثيرة تريبك لم يسلم لك الدهر صاحب

---

١٨ برق : جمع برقة ، أضافها إلى « الجبا » وقد مرَّ التعريف به في البيت الأول من هذه القصيدة . تنزى : تتوثب .

١٩ لا يطلبنك : على تقدير لئلا يطلبك طالب إذا أنت لم تنوّلي مودته .

٢٢ أعقبته العواقب : تحوّلت به من شرّ إلى خير وعوّضته عما فاته .

٢٣ ناجٍ : سريع ، شبه الليل بخيل البريد في سرعة المضيّ ؛ غالت أميال الفجاج : قطعت المسافات الطويلة من الصحراء .

٢٤ رامة : قيل إنها موضع بالعقيق ويكثرون من تثنيته فيقولون رامتين ؛ وقال ابن سيده : « وإنّما قضينا على رامتين أنها تثنية سميت بها البلدة للضرورة لأنهما لو كانتا أرضين لقيل الرامتين بالألف واللام كقولهم الزيدان » ؛ والردّ على ابن سيده موجود في بيت كثير هذا .

٢٧ حليلةُ قذّافِ الديارِ كأنّهُ إذا ما تدانينا من الجيشِ هاربُ

٢٨ إذا ما رآني بارزاً حال دونها بمَخْبَطَةٍ يا حُسْنَ من هو ضاربُ

٢٩ ولو تُنْقَبُ الأضلاعُ أُلْفِيَ تحتها لِسُعْدى بأوساطِ الفؤادِ مَضاربُ

٣٠ بها نَعَمٌ من ماثلِ الحبّ واضحٌ بمجتمعِ الأشْراجِ ناءٍ وقاربُ

٣١ تَضَمّنَ داءً منذ عشرينَ حِجّةً لكم ما تُسَلّيه السّنونَ الكواذبُ

---

٢٨ التاج : إذا خرجت من بيتها . . . من أنت .

---

٢٧ حليلة : زوجة ؛ قذاف : بعيد ، أي هي زوجة رجل يتحرّى الأماكن النائية خوفاً عليها ، فكأنّه إذا اقتربنا منه هارب من الجيش .

٢٨ بارزاً : ظاهراً ؛ المخبطة : القضيب والعصا ، يعني أن زوجها يخبطها بالعصا .

٢٩ تنقب : تفتح وتكشف ؛ أي لو نقبت الأضلاع وكشف عن القلب لوجد فيه أثر الضرب .

٣٠ الأشراج : العرى المتداخلة ؛ يعني بها ملتقى شؤون الصدر .

تخريج القصيدة ٩

اعتمدنا فيها على نسخة منتهى الطلب ، وجاء في حاشية النسخة « ليست في المختار » .

الأبيات ١ – ٦ في أمالي القالي ١ : ١٧٦

« ١ ، ٣ – ٦ في الزهرة : ٢٣١

« ١ – ٣ ، ٧ ، ٨ في الموشح : ٢٤٥

« ١ ، ٥ ، ٧ في الأغاني ١٢ : ١٨٤

« ٢٠ – ٢٢ في المسالك ١٤ : ٧١

البيتان ١ ، ٣ في السمط : ٤٤١

« ١٧ ، ١٨ في ياقوت ١ : ٥٧٩ والتاج (برق)

« ٢٠ ، ٢١ في العيون ٣ : ١٦ ومعجم المرزباني : ٢٤٣ ونهاية الأرب ٣ : ٧٨ ولباب الثعالبي : ٢٠ ، وحماسة البحتري : ٧٢ ، وأمالي القالي ٣ : ٢٢٠ (دون نسبة) والصفوة ، ٩٦ / أ ، والشعر والشعراء : ٤٢٠ ، والعقد ٤ : ٤٤٣ ، والمعاهد ١ : ١٢١ (دون نسبة)

« ٢١ ، ٢٠ في الصداقة : ٢٤٤ (دون نسبة)

البيت ١ في ياقوت ٢ : ١٢ ، ٣ : ٨٧٥ ، والبكري : ٣٦٠ واللسان (جبي)

« ٢ في اللسان (جلل) (دون نسبة)

« ٣ في اللسان (حمى)

« ٤ في المخصص ٩ : ١٠٦ (دون نسبة)

« ٦ في اللسان (مشي)

« ١١ في ياقوت ١ : ٧٨٩

« ١٦ في الموازنة ١ : ١٦٤

« ١٧ في البكري : ٣٢٠ وياقوت ١ : ١٨٣ والمغانم : ٣١٧

« ٢١ في البصائر ٢ : ٣٧٦ (دون نسبة)

« ٢٤ في اللسان والتاج (روم)

« ٢٨ في اللسان والتاج (خبط)

وقد زاد جامع الديوان البيت الآتي :

فليت معلاوين لم يك فيهما   طريق يعدّيه من الناس راكب

١٠

وقال كثير :

١ عفا السّفْحُ من أُمّ الوليدِ فكَبْكَبُ   فنَعْمانُ وَحْشٌ فالرّكيُّ المثقّبُ

٢ خلاءٌ إلى الأحواضِ عافٍ وقد يُرى   سَوامٌ يعافيه مُراحٌ ومُعْزَبُ

٣ على أنّ بالأقوازِ أطلالَ دِمْنَةٍ   تُجِدُّ بها هُوجُ الرياحِ وتلعبُ

٤ لعزّةَ إذ حَبْلُ المودّةِ دائمٌ   وإذ أنت متبولٌ بعزّةَ مُعْجَبُ

٥ وإذْ لا ترى في الناسِ شيئاً يفوقها   وفيهنّ حُسْنٌ – لوتأمّلتَ – مَجْنَبُ

---

٥ أمالي القالي : وإذ ما رأى . . . .حسناً . . محسب ؛ التاج : لا نرى .

---

١ كبكب : هو الجبل الأحمر الذي تجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الإمام بعرفات أي هو إلى شمال عرفات بشرق وهو جبل عظيم ذو شعاب كثيرة ولا يزال معروفاً بهذا الاسم (الأصفهاني : ١٧ الحاشية) . نعمان– بفتح أوله وإسكان ثانيه – واد ينحدر من جبل شداد ويلتقي بوادي عرنة وهو يحف جنوب عرفات (المناسك : ٥٠٩ الحاشية) . وحش : موحشٌ . فالركيّ : اسم جنس للركية وهي البئر ؛ والخبر في البيت التالي : « خلاء » .

٢ يعافيه : يتردد إليه ؛ السوام : الماشية ، وهي نوعان مراح ومعزب ، فالمراح الذي يرد منها إلى مُراحها بعد الرّعي ، والمعزب الذي يبيت الرعيان فيه بعيدين عن الحيّ .

٣ الأقواز : جمع قوز وهو العالي من الرمل كأنّه جبل .

٤ متبول : قد أتبله الحب أي أسقمه وأفسده وذهب بعقله .

٥ المجنب : الكثير من الخير والشرّ ؛ وفي الصحاح : الشيء الكثير ، يقال إن عندنا لخيراً مجنباً ، وخصّ به أبو عبيدة الكثير من الخير ، قال الفارسي : وهو مما وصفوا به فقالوا =

٦ هَضيمُ الحَشا رُودُ المَطا بَخْتَرِيّةٌ   جميلٌ عليها الأَتْحميُّ المُنَشَّبُ

٧ هي الحرّةُ الدلّ الحَصانُ وَرَهْطُها   – إذا ذُكرَ الحيُّ – الصريحُ المهذّبُ

٨ رأيْتُ وأصحابي بأيلة موْهِناً   وقد لاح نَجْمُ الفرْقد المُتصوِّبُ

٩ لعزّة ناراً مـا تبوخُ كأنّها   إذا ما رَمقْناها من البُعْد كوْكبُ

١٠ تعجّبَ أصْحابي لها حينَ أُوقدَتْ   ولَلمُصْطلوها آخرَ اللّيلِ أعجبُ

١١ إذا ما خبتْ من آخرِ اللّيلِ خبْوةً   أُعيدَ لهـــا بالمَنْدليّ فتُثْقَبُ

---

٦ اللسان والتاج (أتب) : الأتحمي المؤتب .

٨ البكري وياقوت : غار ؛ الزهرة : عاد ؛ أمالي القالي والجمان : غاب .

٩ ياقوت : من الليل ؛ الزهرة : إلى ضوء نار . . . من البعد والإقواء جيب لها نقب . الجمان: على الأفق .

١٠ ياقوت : وللمصطليها ؛ اللباب : لها ولضوئها . . وللمصطليها .

= خيرٌ مجنب ، قال الفارسي : وهذا يقال بكسر الميم وفتحها . وفي رواية القالي « مُحْسِب » قال : وتقول العرب أحسبني الشيء يحسبني إحساباً وهو محسب (أي كافٍ) .

٦ هضيم الحشا : لطيفة الحشا ؛ رود : لينة ؛ المطا : التمطي ؛ بخترية : متبخترة في مشيتها ؛ الأتحمي : ضرب من البرود وهو أحمر اللون وقيل مخطط بالصفرة . والمنشب : البرد الموشى على صورة النشاب ووشيه يشبه أفاويق السهام . وفي اللسان (أتب) : الأتحمي المؤتب أي الذي جعل إتباً ، والإتب : بردة تشق فتلبس من غير كمين ولا جيب ، وهو أيضاً ما كان قصيراً حتى يبلغ نصف الساق .

٨ قال ابن حبيب : أيلة شعبة من جبل رضوى وهو جبل ينبع ؛ المتصوّب : المنحدر .

٩ ما تبوخ : ما تخمد ، قاله أبو علي القالي .

١١ المندليّ : عود ينسب إلى مندل بالهند ، والعود المندليّ طيب الرائحة يتبخر به ؛ ثقبت النار : اتقدت ، وأثقب النار إثقاباً : أوقدها .

١٢ وقفنا فَشُبّتْ شبّةً فبدا لنا   بأهضامِ واديها أراك وتَنْضُبُ
١٣ ومن دون حيثُ استُوقدتْ من مُجالِخٍ   مَراحٌ ومغْدًى للمطيّ وسَبْسبُ
١٤ أتَتْنا بريّاها وللعيسِ تَحْتَنا   وجيفٌ بصحراء الرُّسَيْسِ مُهذّبُ
١٥ جنوبٌ تُسامي أوْجُهَ الركبِ، مسُّها   لذيذٌ، ومَسْراها منَ الأرض طيّبُ
١٦ فيا طولَ ما شوقي إذا حال دونها   بُصاقٌ ومن أعلامِ صِنْدِدَ مَنْكِبُ
١٧ كأنْ لم يوافقْ حجَّ عزّةَ حَجُّنا   ولم يلقَ ركباً بالمحصَّبِ أركبُ

---

١٣ البكري : للنواعج سبسب .
١٥ التاج : أوجه القوم .
١٧ ياقوت : كأن لم يؤالف .

---

١٢ شبت النار تشب شبوباً : اشتعلت ؛ وشبّ هو النار يشبها إذا أوقدها . أهضام الوادي : بطن الوادي وما اطمأن منه ، ويقولون في التحذير من الأمر المخوف : الليلَ وأهضام الوادي . التنضب : شجر له شوك قصار تقطع منه العصيّ الجياد والعمد للأخبية ، وينبت التنضب بالحجاز وليس بنجد منه شيء ، عيدانه بيض ضخمة وورقه متقبض ولا تراه إلا كأنّه يابس مغبر وشوكه مثل شوك العوسج وله جنى مثل العنب الصغار .

١٣ مجالخ : واد من أودية تهامة . مراح ومغدى : مكان للرواح والغدو ؛ السبسب : الأرض المستوية البعيدة ؛ النواعج : السراع من الإبل أو البيض الكريمة منها .

١٤ الوجيف : ضرب من السير دون التقريب ؛ الرسيس : واد ذكره القتال في شعره مما يدلّ على أنّه قرب المدينة ، وقال ابن دريد : هو واد بنجد . مهذب : سريع .

١٥ زعم ابن الأعرابي أن الجنوب إنّما يشتد حرّها بالعراق فأمّا بالحجاز فلا (الأزمنة والأمكنة ٢ : ٨٣) ولهذا قال كثير « مسّها لذيذ ومسراها . . .طيب » .

١٦ بصاق : جبل قرب أيلة فيه نقب ؛ صندد : جبل بتهامة الحجاز .

١٧ يوافق : يؤالف ويؤانس ؛ المحصب : موضع فيما بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب .

١٨ حلفتُ لها بالراقصاتِ إلى منًى تُغِذُّ السُّرى كلبٌ بهنَّ وَتغْلِبُ
١٩ وربِّ الجيادِ السّابحاتِ عَشيّةً مع العصْرِ إذ مرّتْ على الحبلِ تلحَبُ
٢٠ لَعزّةُ هَمُّ النفسِ منهنّ لو ترى إليها سبيلاً ، أو تُلِمُّ فتَصْقبُ
٢١ ألامُ على أمّ الوليد ، وحبُّها جوًى داخلٌ تحتَ الشّراسيفِ مُلهَبُ
٢٢ ولو بذلَتْ أمُّ الوليدِ حديثَها لعُصْمٍ بِرَضْوى أصبحَتْ تتقرّبُ
٢٣ تهَبّطْنَ مِن أكنافِ ضأسٍ وأيلةٍ إليها ولو أغْرى بهنّ المُكَلِّبُ

---

٢٣ ياقوت : من أركان .

---

١٨ الراقصات : الإبل تهتز في سيرها ؛ تغذ : تسرع ؛ كلب وتغلب : قبيلتان .

١٩ السابحات : المسرعات في جريهن ؛ الحبل — بفتح الحاء — هو جبل عرفة ؛ تلحب : تقطع الطريق .

٢٠ تلمّ : تزور وتأتي ؛ تصقب : تصبح مصاقبة أي مجاورة .

٢١ جوى : داء وحرقة ؛ الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو رأس الضلع مما يلي البطن .

٢٢ العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذي في رجله بياض ، يضرب به المثل في التأبد والمكث في الجبال وعدم النزول إلى السهول ؛ فإذا ضربوا المثل في الحديث أو بلاغته قالوا إنّه يستنزل العصم . رضوى : جبل ضخم من جبال تهامة وهو من ينبع على يوم ومن المدينة على سبع مراحل ميامنة طريق المدينة ومياسرة طريق البرّ لمن كان مصعداً إلى مكة وعلى ليلتين من البحر وهو يطلّ على ينبع النخل ويشاهد من ينبع البحر (انظر البيت : ٣٨ من ق ١) ؛ تتقرّب : تتنزل وتدنو .

٢٣ ضأس : جبل من أقبال رضوى أي من بعض سفوحه ؛ قال ابن حبيب : أيلة من رضوى (وانظر البيت الثامن من هذه القصيدة) . المكلّب : صاحب الكلاب ؛ يقول : لو أنّ أم الوليد بذلت حديثها للعصم لأصبحت تتقرب دانية من فوق رضوى ، هابطة من نواحي شعبتيه — ضأس وأيلة — ولو كانت في خطر من أن يؤسد الصائد كلابه للحاق بها .

٢٤ تَلَعّبُ بالعِزْهاةِ لم يدر ما الصِّبا ويبأسُ من أمّ الوليد المجرِّبُ
٢٥ ألا لَيْتنا يا عزّ كنّا لذي غنًى بعيرينِ نَرْعى في الخلاءِ ونعزُبُ
٢٦ كلانا بهِ عَرٌّ فمَنْ يَرَنا يقُلْ على حُسنها جرْباء تُعْدي وأجرَبُ
٢٧ إذا ما ورَدنا مَنْهلاً صاح أهلُهُ علينا فما ننفكُّ نُرْمى ونُضرَبُ
٢٨ نكونُ بعيريْ ذي غنًى فيُضيعُنا فلا هوَ يرْعانا ولا نحنُ نُطْلبُ
٢٩ يُطرّدُنا الرُّعيانُ عن كلّ تلْعةٍ ويمنع منّا أن نُرى فيه نَشْربُ

---

٢٥ العيون : فيا ليتنا . . . من غير ريبة بعيران . . . في الفلاة ؛ عيار الشعر وبديع أسامة : من غير ريبة . . . بعيران ؛ الخزانة : ألا . . . من غير ريبة بعيران . . . في الخلا ونعذّب .

٢٦ الخزانة : جربى تعدّي .

٢٧ الموشح : هاج أهله إلينا .

٢٨ الموشح وعيار الشعر والمعاهد : نكون لذي مال كثير مغفل ؛ العيون والزهر : نكون لذي مال كثير يضيعنا .

٢٩ بديع أُسامة : فلا عيشنا يصفو ولا الموت يقرب .

---

٢٤ تلعَّب : تتلعب ؛ العزهاة : العزوف الصدوف عن شؤون الصبا ؛ أي هي من براعة الجمال والدل بحيث تفتن حتى من لم يكن مشغول الخاطر بالحبّ ، كما أن المجرب ييأس منها ، لتمنعها وإبائها .

٢٥ نعزب : نبعد في المرعى عن الحيّ .

٢٦ العر : الجرب ؛ قال الخالديان : والذي دعا الشعراء إلى هذه الأماني – حتى تمنوا أن يكونوا جمالاً جربة وغير ذلك من الأماني التي لا يريدها الناس – التفرد ، وأن لا يأخذهم أحد للجرب الذي بهم لأن العرب لا تبغض شيئاً بغضها الجرب ولا تحذر من شيء حذرها منه (الأشباه والنظائر ٢ : ٨٥) .

٣٠ وددتُ وبَيْتِ الله أنّك بَكْرَةٌ   هِجانٌ وأنّي مُصْعبٌ ثمَّ نهرُبُ

---

٣٠ البكرة : الناقة الفتية ؛ الهجان : الكريمة ؛ المصعب : الفحل من الإبل . وروى صاحب العمدة (٢ : ١٠١) أن عزة عاتبته على هذه الأمنية وقالت : لقد أردت بنا الشّقاء الطويل، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ؟ قال : وإنّما أقتدي بالفرزدق حيث يقول :

ألا ليتنا كنّا بعيرين لا نرد   على حاضر إلاّ نشل ونقذف

كلانا بــه عـر يخاف قرافه   على الناس مطلي الأشاعر أخشف

بأرض خلاء وحدنا وثيابنـا   من الريط والديباج درع وملحف

تخريج القصيدة ١٠

اعتمدنا فيها على رواية منتهى الطلب ، وكتب في الحاشية « ليست بمختارة » .

الأبيات ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ في ياقوت ١ : ٤٢٣

» ٢٥ – ٢٧ ، ٣٠ ، ٢٨ في الخزانة ٣ : ٥٤٦ ، والأغاني ١٢ : ١٠٧

» ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ في حماسة الخالديين ٢ : ٨٥

» ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٣٠ في عيار الشعر : ٩١

» ٣٠ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٧ في زهر الآداب : ٣٥١ ، وجمع الجواهر : ١٨٦ ، والعمدة ٢ : ١٠١ ، والمعاهد ١ : ١٨٣

» ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٧ في الموشح : ٢٤٦

» ٣٠ ، ٢٦ ، ٢٨ في الأغاني ١٢ : ١١٦

البيتان ٨ ، ٩ في أمالي القالي ٢ : ٢٠١ ، والزهرة : ٢٣٤ والتشبيهات : ٢٠٤ والجمان : ١٤٨ (ونسبها لجميل وقال : وتروى لكثير)

» ١٦ ، ١٧ في ياقوت ١ : ٦٣٦

» ٢٢ ، ٢٣ في ياقوت ١ : ٤٢٣ ، والبكري : ٨٥٣

» ٢٥ ، ٢٨ في العيون ١ : ٢٦٢

» ٢٥ ، ٢٩ في بديع أسامة : ١٦٧

البيت ٢ في اللسان والتاج (ناء)

» ٥ في أمالي القالي ٢ : ٢٦١ (دون نسبة) واللسان والتاج (جنب)

» ٦ في اللسان (أتب)

» ٨ في البكري : ٢١٧

» ١٣ في البكري : ١١٨٥

» ١٥ في الأزمنة والأمكنة ٢ : ٨٣ والتاج (جنب)

» ١٦ في التاج (بصق)

» ٢٥ في حلية المحاضرة : ٩٥

١١

وقال كثير * :

١ ألا طَرَقَتْ بعد العِشاء جَنوبُ وذلك منها إنْ عَجِبْتَ عجيبُ

٢ تسَدَّتْ وَمَرٌّ دوننـا وأراكُهُ وَدُونانُ أمسى دونَها ونَقيبُ

٣ ونحن ببطحـاء الحَجونِ كأنّنا مِراضٌ لهم وَسْطَ الرِّحالِ نحيبُ

٤ فحيّتْ نياماً لم يرُدُّوا تحيّةً إليها ، وفي بعضِ اللّمامِ شُغوبُ

٥ لقد طرَقَتْنا في التنائي وإنهـا على القُرْبِ علمي للسّرى لهيُوبُ

---

* يمدح فيها بعد المقدمة الغزلية أبا حفص عمر ويقول له « أبوك أبو العاصي » ، مما يؤكد أن الممدوح أمويّ ، وأنه موصوف بالتقوى ، وكل ذلك ينصرف إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وقد تولّى الخلافة سنة ٩٩ ــ ١٠١ ؛ فالأرجح أنها من قصائد هذه الفترة ، لذكره الخلافة فيها « وما الناس أعطوك الخلافة والتقى » .

١ طرقت : زارت ليلاً ، يعني طيفها ؛ جنوب : اسم امرأة .

٢ تسدّت : علت ، يعني أن طيفها علاه ؛ مرّ : يعني ذا مرّ ويقع في بطن إضم بعد ذي المروة إلى المدينة ، وبعد المرّ تقع السويداء ثم يليها الأراك (المناسك : ٦٥٠ ــ ٦٥١) وقد يعني شجر الأراك دون مرّ ، وربما أشار بمرّ إلى مرّ الظهران وبينه وبين مكة خمسة أميال . النقيب : برأس حرة ليلى في إحدى طرق الذاهب من المدينة إلى تيماء ، قبل بطن قوّ . ولم أجد « دونان » ولعلها مصحفة عن دوران وهو واد عند طرف قديد مما يلي الجحفة .

٣ البطحاء : بطن الوادي أو حصاه اللين السهل ؛ الحجون : موضع بمكة عند المحصب ، وهو الجبل المشرف بحذاء المسجد .

٤ اللمام : الزيارة ؛ شغوب : إثارة أو مخالفة للمعهود ، وفسّر هذه المخالفة في البيت التالي .

٥ علمي ، يريد : حسب علمي .

٦ أُحِبّكِ ما حَنّتْ بغَوْرِ تِهامَةٍ   إلى البوّ مِقْلاتُ النّتاجِ سَلوبُ

٧ وما سَجَعَتْ من بطنِ وادٍ حمامةٌ   يجاوبُهـا صاتُ العشيِّ طروبُ

٨ وإني لَيَثْنيني الحياءُ فأنثني   وأقعدُ والممشى إليكِ قريبُ

٩ وآتي بيوتاً حولكمْ لا أُحِبّها   وأُكْثِرُ هَجْرَ البيتِ وهو جَنيبُ

١٠ وأغضي على أشياء منكِ تَريبُني   وأُدعى إلى ما نابكمْ فأُجيبُ

١١ وما زلتُ مِن ذكراكِ حتى كأنني   أَميمٌ بأكنافِ الدّيارِ سليبُ

١٢ وحتى كأني من جوى الحبِّ منكمُ   سليبٌ بصحراء البُرَيْحِ غَريبُ

١٣ أبُثّكِ ما ألقى وفي النفسِ حاجةٌ   لها بينَ جلدي والعظامِ دبيبُ

١٤ أراكمْ إذا ما زُرْتُكُمْ ـ وزيارتي   قليلٌ ـ يُرى فيكم إليَّ قُطوبُ

١٥ أبيِني أتعويلٌ علينا بما أرى   من الحبّ أم عندي إليكِ ذنوبُ

---

٦ البوّ : أن يؤخذ جلد ولد الناقة فيحشى تبناً ويقدم إلى أمه فتحن عليه وتدرّ ، تحسبه ولدها ؛ المقلات : القليلة الولد أو التي لا يعيش ولدها ؛ السلوب : الناقة التي تلقي بولدها قبل أن يتمّ .

٧ يقال صيّت وصات أي شديد الصوت ؛ قال ابن سيده : يجوز أن يكون صات فاعلاً ذهبت عينه (يعني أن أصله : صائت) .

٩ جنيب : مجاور قريب .

١١ الأميم : المأموم الذي يهذي من أمّ رأسه لأنها أُصيبت ، ومنه الآمّة وهي الشجة التي تبلغ أم الدماغ . سليب : مستلب العقل .

١٢ سليب : مسلوب أخذ ما معه من مال وثياب وسلاح ؛ ولم أجد « البريح » ولا أقطع بصحة قراءتي لهذه الكلمة .

١٥ التعويل هنا ، الإدلال ، يعني : وضحي أهذا إدلال منك علينا أم تعتدين علينا ذنوباً .

١٦ أبيني : فإمّا مُسْتَحيرٌ بعلّةٍ عليّ ، وإما مذنبٌ فأتوبُ
١٧ حلفتُ وما بالصدقِ عيبٌ على امرىء يراه ، وبعضُ الحالفينَ كذوبُ
١٨ بربّ المطايا السابحاتِ وما بنَتْ قريشٌ ، وأهْدَتْ غافقٌ وتُجيبُ
١٩ ومُلقى الولايا من مِنًى حيثُ حلّقتْ إيادٌ وَحَلّتْ غامدٌ وَعَتيبُ
٢٠ يمينَ امرىء لم يَغْشَ فيها أثيمةً صَدوقٍ وفَوْقَ الحالفينَ رقيبُ
٢١ لنِعْمَ أبو الأضيافِ يغْشَوْنَ نارَهُ وَمُلْقى رحالِ العيس وهي لغُوبُ
٢٢ وَمُخْتَبَطُ الجادي إذا ما تتابعَتْ على الناس مثْنى قَرَّةٍ وجُدوبُ
٢٣ وحامي ذمارِ القومِ في ما يَنوبُهمْ إذا ما اعترَتْ بعد الخطوبِ خطوبُ
٢٤ على كلّ حالٍ إنْ ألمّتْ مُلِمّةٌ بنا عُمَرٌ ، والنائباتُ تَنوبُ
٢٥ فتًى صَمْتهُ حِلْمٌ ، وفصْلٌ مقالهُ وفي البأسِ محمودُ الثناء صَليبُ
٢٦ خطيبٌ إذا ما قال يوماً بحكمةٍ من القولِ ، مغْشيُّ الرّواقِ مَهيبُ
٢٧ كثيرُ الندى يأتي الندى حيثما أتى وإن غابَ غابَ العُرفُ حيثُ يغيبُ

---

١٦ المستحير : الراجع ؛ اعتل عليه بعلة : تجنّى عليه .

١٨ أهدت : قدمت الهديَ وهو ما يهدى إلى مكة من النعم لتنحر ، والهدي مخففاً لغة أهل الحجاز فإذا شددت الياء « هديّ » فهي لغة بني تميم وسفلى قيس . غافق وتجيب : قبيلتان .

١٩ الولايا ، جمع ولية : البرذعة ، أي حيث تلقى عن تلك الإبل ؛ حلّقت : قصّرت شعورها ؛ حلّت : دخلت في الحلّ بعد الإحرام ، وإياد وغامد وعتيب أسماء قبائل .

٢١ لغوب : أصابها اللغوب وهو التعب والإعياء .

٢٢ مختبط : موضع طلب المعروف ؛ وبالكسر : طالب الرفد ، والاختباط : طلب المعروف . الجادي : الذي يسأل الجدوى ؛ القرّة : شدة البرد ، وقد نونت « قرة » بالكسر في نسخة منتهى الطلب ولا بأس بالرفع على أنها فاعل تتابعت ، و « مثنى » حال .

٢٨ كريمُ كرامٍ لا يُرى في ذوي النَّدى ... له في الندى والمأثُراتِ ضَريبُ

٢٩ أبيٌّ أبى أن يعرفَ الضيمَ ، غالبٌ ... لأعدائه ، شَهْمُ الفؤادِ أريبُ

٣٠ يقلّبُ عَيْنَيْ أزْرَقٍ فوْقَ مرْقَبٍ ... يَفاعٍ له دون السماء لُصُوبُ

٣١ غدا في غداةٍ قَرَّةٍ فانْتَحَتْ لـه ... عـلى إثر وُرّادِ الحمامِ جَنوبُ

٣٢ جنى لأبي حفصٍ ذُرَى المجدِ والدٌ ... بـنى دونـَهُ للبانِيَيْنِ صُعوبُ

٣٣ فهذا على بنيانِ هذاك يَبْتـني ... بنـاهُ ، وكلٌّ مُنجبٌ ونجيبُ

٣٤ وجدٌّ أبيه قد يُنافي على البُنـا ... بنـاهُ ، وكلٌّ شبَّ وهو أديبُ

٣٥ فأنتَ على منهاجهمْ تقتدي بهم ... أمامك ما سَدّوا وأنتَ عَقيبُ

٣٦ فأصبحتَ تحذو من أبيك كما حذا ... أبوك أبـاه فعلَهُ فتُصيبُ

---

٢٨ المأثرات : المكرمات لأنها تؤثر وتذكر ؛ ضريب : مثيل .

٣٠ الأزرق : صفة للنسر ، يعني أنه صافي العين ؛ المرقب : المكان المشرف ، يفاع : مرتفع . اللصوب : جمع لصب وهو كل مضيق في الجبل ، والضمير في « له » يعود إلى « مرقب » أي جبل ذو لصوب .

٣١ ورّاد الحمام : القطا الذي يرد إلى المياه ؛ الجنوب : الريح الجنوبية ؛ يصف النسر في هذا البيت .

٣٣ يبتني : غير واضحة ؛ ولست على يقين من قراءتي لها .

٣٤ ينافي : كذا في الأصل ، ولعلها « أناف » ، تقول : أناف البناء فهو منيف أي طويل ؛ والبنا – بضم الباء – جمع بُنوة أو بِنوة .

٣٥ سدّى الثوب : أقام سداه ، عقيب : تالٍ ، يريد أنّه ينسج على منوالهم ؛ ولا بأس أن تقرأ « أسدوا » بمعنى أحسنوا وقدّموا من معروف ، وأنت تتلوهم في ذلك وتكمل فعالهم .

٣٧ وأمسيتَ قلباً نابتاً في أرومةٍ كما في الأروم النابتاتِ قلوبُ

٣٨ أبوك أبو العاصي فمن أنتَ جاعلٌ إليه ، وبعضُ الوالدين نجيبُ

٣٩ وأنت المنقّى من هنا ثمَّ من هنا ومن هاهنا والسّعدُ حين تؤوبُ

٤٠ أقمتَ بهلكى مالكٍ حين عَضَّهُمْ زمانٌ يَعُرُّ الواجدينَ عَصيبُ

٤١ وأنت المرجّى، والمفدَّى ، لهالكٍ وأنت حليمٌ نافعٌ وَمُصيبُ

٤٢ وليتَ فلم تُغْفِلْ صديقاً،ولم تدَعْ رفيقاً ، ولم يُحْرَمْ لديكَ غريبُ

٤٣ وأحييتَ من قد كان مَوَّتَ مالَهُ فإن متَّ مَنْ يُدعى له فيجيبُ

٤٤ مضيتَ لسَوْراتِ العُلا فاحتويتَها وأنت لسَورات العَلاء كَسُوبُ

٤٥ وما الناسُ أعطَوْكَ الخلافةَ والتُّقى ولا أنت ، فاشكُرْهُ يثِبْكَ مُثيبُ

٤٦ ولكنّما أعطاكَ ذلكَ عالمٌ بما فيكَ معطٍ للجزيلِ وهوبُ

---

٣٧ قلب النبتة والنخلة : لبها ، تفتح قافه وتضم وتكسر ؛ والقلب أيضاً الخالص ، تقول هو عربي قلب أي محض خالص . الأرومة : الأصل .

٤٠ أقمت بهم : أصبحت قيماً لأمورهم سائساً لها ، يريد : قمت بما يحتاجون إليه ؛ يعرُّ : يغض من شأنهم ويعيبهم ؛ الواجدين : الذين يجدون ما ينفقون ؛ عصيب : شديد ؛ ومالك : هم بنو مالك .

٤١ لهالك : هذه اللفظة قد تقرأ « لمالك » ، وقد مرّت في البيت السابق .

٤٤ سورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه ؛ قال النابغة :

ولآل حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار

تخريج القصيدة ١١

هي في منتهى الطلب ، وعلى هامش النسخة « ليست في المختار » . ووردت في المنحول لكثير أبيات على وزنها ورويها وسنثبتها في موضعها .

١٢

وقال كثير :

١ أبائنةٌ سُعْدى ؟ نعَمْ ستَبينُ كما انبتَّ مِن حبلِ القرينِ قرينُ
٢ أإنْ زُمَّ أجمالٌ وفارَقَ جيرةٌ وصاحَ غُرابُ البَينِ أنتَ حزينُ
٣ كأنّكَ لم تَسْمَعْ ولم تَرَ قَبْلَها تَفَرُّقَ ألاّفٍ لَهُنَّ حَنينُ
٤ حنينٌ إلى أُلاّفهِنَّ وقدْ بَدا لهُنَّ مِن الشّكّ الغَداةَ يَقينُ
٥ وهاجَ الهوى أظعانُ عزّةَ غُدوَةً وقَدْ جعلَتْ أقرانُهُنَّ تَبينُ
٦ فلمّا استَقلّتْ عن مناخٍ جمالُها وأسفرن بالأحمالِ قُلْتُ سَفينُ

---

٥ المغانم : أقرابهن .

٦ ياقوت والمغانم : من مناخ ، وأشرفن، قلن ؛ اللسان (وني) : مِ المناخِ ، وأشرفن .

---

١ بائنة : مفارقة ؛ انبتّ : انقطع ؛ القرين : البعير المقرون بآخر ؛ وقد نبّه الآمدي في الموازنة (١ : ٤١٩) إلى غرام كثير باستعمال لفظة « نعم » في مطالع قصائده وعدّ نماذج منها ثم قال : وهي في كل هذه الأبيات رديئة ، وموقعها في هذا البيت الأخير (أبائنة سعدى . . .) أصلح .

٣ الألاف : الإبل التي كانت تألف بعضها بعضاً .

٥ الأقران : جمع قرن وهو الحبل ؛ ومن قرأه : أقرابهن على الخواصر، وتبين الأقراب : تظهر . تبين الأقران : تقطع وتفصل .

٧ تأطّرْنَ في الميناء ثُمَّ تَرَكْنَهُ وقد لاح مِنْ أثقالهنَّ شُحونُ

٨ كأني وقد نكّبنَ بُرقَةَ واسطٍ وخلّفْنَ أحواضَ النُّجَيلِ طعينُ

٩ فأتبَعْتُهُم عَيْنَيَّ حتى تلاحمتْ علَيها قِنانٌ من خَفَيْنَ جونُ

---

٧ ياقوت والتصحيف والسمهودي : بالمينا ؛ وفي منتهى الطلب والمغانم : بالميثاء ؛ لحن العامة : وقد لجَّ ، المحكم والتاج (أطر) : وقد لجَّ ؛ اللسان (شحن) : لجَّ . . . أحمالهن شحون ؛ اللسان والتاج (أطر) : ثم جزعنه . . . أحمالهن شجون ؛ اللسان (وني) : جزعنه . . . لجَّ من أحمالهن ، التاج (ونى) خرعنه ،وقد لج من أحمالهن شجون ؛ المخصص : خرجن . . . ثم جزعنه . التصحيف والمغانم : شجون .

٨ ياقوت والهجري : وقد جاوزت ؛ ياقوت : النجيل (مكبراً) . الهجري : خطباء واسط ، صوادر عن ماء .

٩ الهجري : حتى تحفظت ، عليهم جبال .

---

٧ تأطّر : انثنى ؛ الميناء : مرفأ السفن يمد ويقصر والمدّ فيه أكثر ، ومن رواه الميثاء عنى الأرض السهلة ؛ شحون : يجوز أن يكون مصدر شحن وأن يكون جمع شحنة نادراً ، قاله ابن سيده (المحكم ٣ : ٧٨) ؛ وقد جاء شجون — بالجيم — في بعض المصادر .

٨ واسط هنا موضع بالحجاز ، وعلى هامش نوادر الهجري : واسط : واد ؛ وخطباء : ثنية . و « النجيل » بالجيم مصغراً قال ياقوت : وهو من أعراض المدينة من ينبع وذكره كثير في شعره . وذكر النجيل (مكبراً) واستشهد عليه ببيت كثير وقال : هو قاع قريب من المسلح فيه مزارع على السواني ؛ فللكلمة ثلاث صور (النُّخيل ، النُّجيل ، النَّجيل) . ويرى العلامة الشيخ حمد الجاسر أنها « النجيل » بالجيم والتصغير ، وهو موضع لا يزال معروفاً بهذا الاسم بقرب ينبع بينه وبين الصفراء ؛ طعين : جريح من الوجد والحرقة أو مريض كأنّه مصاب بالطاعون .

٩ تلاحمت : التقت ؛ قنان : جمع قنة وهي رأس الجبل ؛ خفين : واد أو قرية بين ينبع والمدينة ؛ جون : سود ؛ أي أن رؤوس الجبال قد تلاقت في مرأى العين فحجبت عنه رؤية الأظعان ؛ وفي رواية الهجري : حتى تحفظت ، وشرحه في الهامش بخط كاتب الأصل: تحفظت استولت ؛ قال : خفين (نونان) .

١٠ فقد حال من حزْم الحماتينِ دونهم ... وأعرَض من وادي البُليدِ شُجونُ

١١ وفاتَتْكَ عيرُ الحيِّ لمّا تقلَّبَتْ ... ظُهورٌ بهم مِن يَنْبعٍ وبُطونُ

١٢ وقد حال من رَضْوى وَضَيْبَرَ دونهم ... شماريخُ ، للأرْوَى بهِنَّ حُصُونُ

١٣ على الكُمْتِ أو أشباهها غير أنّها ... صُهابيّةٌ حُمْرُ الدُّفوفِ وَجُونُ

١٤ وأعرضَ ركبٌ من عَباثِرَ دونهم ... ومن حدّ رَضْوى المكْفهرّ جبينُ

١٥ فأخْلَفْنَ ميعادي وَخُنَّ أمانتي ... وليس لمن خانَ الأمانةَ دينُ

---

١٠ في منتهى الطلب : البلين .

١١ البكري والهجري : ظعن الحيّ لما تقاذفت . . . بها ؛ السمهودي : ظهور لها .

١٤ ياقوت : وأعرض ركن . . . حنين .

---

١٠ الحماتان : موضع بنواحي المدينة ، والحزم كالحزن : الأرض الغليظة ، وقال السمهودي (وفاء ٢ : ٢٩٥) : الحمايان موضع قرب البليدة يضاف إليه اليوم حزم الحمايين ، وأورده في موضع آخر بالتاء ؛ بليد : قرية قرب المدينة بواد يدفع في ينبع ، وقال الهجري (أبو علي : ١٩٩) : وبأسفل نخلى البلدة والبليدة ، واستشهد بشعر كثير في « البليد » . الشجون : مسايل الأودية .

١٢ ضَيْبر : اسم جبل بالحجاز ، وقال البكري : ضيبر جبل من صدر نجلاء يدفع في ينبع . شماريخ : جمع شمراخ وهو الشنخوب أي رأس الجبل . الأروى : أنثى الوعل .

١٣ جمل صهابي : أصهب اللون أو منسوب إلى فحل اسمه صهاب ؛ الدفوف : الجوانب ؛ الجون : السود أو البيض ، من الأضداد .

١٤ عباثر : نقب منحدر من جبل جهينة يسلك فيه من يخرج من إضم يريد ينبع ، وقال ابن السكيت : وهي عباثر وقاعس والمناخ ومنزل أنقب يؤدين إلى ينبع الساحل (وانظر الأصفهاني : ٤٠٨) ؛ ورواية ياقوت « وأعرض ركن » أصوب ؛ وهي تدلُّ على أن عباثر جبل ، ويبدو من كلام الهجري أن عباثر واد (أبو علي : ١٩٨) قال : وفي عباثر طريق يفضي إلى ينبع .

١٦ وأورثنه نأياً فأضحى كأنّه مُخالِطُهُ يَوْمَ السُّرَيرِ جُنونُ

١٧ كذَبْنَ صَفاء الوُدّ يومَ شَنوكَةٍ وأدركَنْي مِن عَهْدِهِنّ وُهونُ

١٨ وإنّ خَليلاً يُحدثُ الصُّرمَ كلما نأيتَ وشَطّتْ دارُهُ لَظَنونُ

١٩ وطاف خيالُ الحاجبيّةِ موْهناً ومرٌّ وقَرْنٌ دونَها ورنينُ

٢٠ وعاذلةٍ ترجو لياني نَجَهْتُها بأنْ ليس عندي للعواذلِ لِينُ

٢١ تلومُ امرءاً في عنفوانِ شبابهِ وللتّرك أشْياعُ الصَّبابةِ حينُ

٢٢ وما شعَرَتْ أنّ الصِّبا إذ تلومُني على عَهْدِ عادٍ للشبابِ خَدينُ

٢٣ وأني ولو داما لأعلمُ أنني لحفرةِ موتٍ مرةً لدفينُ

---

١٧ الأغاني : وأنكدنني من وعدهن ؛ ياقوت : رهون .

---

١٦ السرير : موضع بقرب الجار وهي فرضة السفن القادمة من مصر والحبشة للسفر إلى المدينة .

١٧ شنوكة : بين العذيب والجار على ستة عشر ميلاً من الجار واثنين وثلاثين من ينبع ؛ الوهون : الضعف .

١٨ الصرم : القطيعة ؛ شطت داره : بعدت ؛ الظّنون : السيء الظن بكل أحد .

١٩ مرّ : يعني مرّ الظهران ؛ القرن : الجبيل الصغير ؛ وفي الحديث « احتجم على رأسه بقرن حين طبّ » وهو اسم موضع وعلى ذلك يدلّ بيت كثيّر ، وقال الأصمعي : القرن جبل مطل على عرفات ، وهو أشبه بتحديد ما يذكره كثيّر . ورنين — النون الأولى غير منقوطة في نسخة منتهى الطلب ؛ ورنين من أسماء المواضع .

٢٠ نجهتها : قابلتها بما تكره .

٢١ وللترك أشياع الصبابة حين : يريد : ولأشياع الصبابة حين للترك والتخلي عن صبابتهم .

٢٢ خدين : صديق ؛ أي أن الصبا كان خديناً للشباب منذ عهد قديم .

٢٣ داما : أي الصبا والشباب .

٢٤ وأنيَ لم أعلمْ ولم أجدِ الصِّبا يُلائِمُهُ إلا الشبابَ قرينُ

٢٥ وأنَّ بياضَ الرَّأسِ يُعقبُ بالنُّهى ولكنَّ أطلالَ الشَّبابِ تَزينُ

٢٦ لعمري لقد شَقّتْ عليَّ مريرةٌ ودارٌ أحَلّتْكِ البويبَ شَطونُ

---

٢٤ القرين : الصاحب ؛ أي ليس من صاحب يلائم الصبا إلا الشباب .

٢٥ يعقب : يحدث عاقبة ، يُخلف . أطلال الشباب : بقاياه وآثاره .

٢٦ المريرة : العزيمة ؛ البؤيب : مدخل أهل الحجاز إلى مصر ؛ شطون : بعيدة ، وهي نعت « دار » .

تخريج القصيدة ١٢

اعتمدنا فيها على رواية منتهى الطلب .

الأبيات ١ – ٤ ، ١٥ في الموشى : ١٠٦

» ٥ – ٧ ، ٩ في ياقوت ٢ : ٤٥٦ والمغانم : ١٣١

» ١ ، ٢ ، ١٥ في العقد ٦ : ٢١

» ١ ، ١٥ ، ١٧ في الموشح : ٢٣٨

» ٥ ، ٧ ، ٩ في السمهودي ٢ : ٢٩٩

» ٩ ، ١٠ ، ١١ في البكري : ١٥٨

البيتان ٣ ، ٧ في التصحيف : ١٣١

» ٦ ، ٧ في اللسان (وني)

» ٨ ، ٩ في نوادر الهجري (النسخة الهندية) : ٣٩٨

» ١٠ ، ١١ في العباسي : ٢٧٧ والسمهودي ٢ : ٢٦٦

» ١١ ، ١٢ في ياقوت ٣ : ٤٨٣

» ١٢ ، ١٧ في البكري : ٨٨٤

» ١٥ ، ١٧ في ياقوت ٣ : ٣٣٠ والمغانم : ٢٠٩

البيت ١ في الموازنة ١ : ٤١٩ والصدر وحده في الأغاني ٥ : ٨٨

» ٢ في الأغاني ٧ : ١٦٠ وابن يعيش ٢ : ١٣٠٩

» ٧ في المحكم ٣ : ٧٨ واللسان (شحن ، أطر) والتاج (أطر ، ونى) ولحن العامة : ١٩ والمخصص ١٠ : ٢٨ (دون نسبة)

» ٨ في ياقوت ٤ : ٧٦٤

» ١٠ في ياقوت ١ : ٧٣٥ ، ٢ : ٣٢٧ والمغانم : ١١٩

» ١٤ في ياقوت ٣ : ٥٩٧

» ١٥ في الأغاني ٥ : ٨٩

» ١٧ في الأغاني ٥ : ٨٩

وقد ورد في المصادر أبيات على وزن هذه القصيدة ورويها وهي :

١ ألا يا ضعيف الحبل مِن أم مالك   بقيت وزادت في قواك متونُ

٢	وقد جعل الأعداء يَنْتَقِصوننا	وتطمعُ فينا أَلْسُنٌ وعيونُ
٣	ألا إنّما ليلى عصا خيزرانةٍ	إذا غمزوها بالأكُفّ تلينُ
٤	إذا خدِرَتْ رجلي ذكرتك أشتفي	بذكركِ من مذلٍ بها فيهونُ
٥	تَمَتّعْ بها ما ساعفتكَ ولا تكنْ	على شجَنٍ في البينِ حين تبينُ
٦	وإن هي أعطتكَ اللّيانَ فإنها	لآخرَ من خلاّنها ستلينُ
٧	وإن حلفتْ لاينقضُ النأيُ عهدها	فليس لمخضوبِ البنانِ يمينُ

الأبيات ١ – ٣ في الوحشيات : ١٩٤ لكثير ، والثاني والثالث في نور القبس : ١٤٥ والزجاجي : ١٣٦ والموشح : ٢٤٨ وأمالي المرتضى ١ : ١٠٩ والأغاني ٣ : ١٤٨ (دون نسبة) ، والثالث في الخصائص ٣ : ٢٨١ والموشح : ٢٤٧ والكامل ٣ : ١١٤ والمختار : ٣٤ وبديع أسامة : ١٥٧ (منسوباً لبعض العرب) ، والرابع في عيار الشعر : ٣٥ واللسان (مذل) – دون نسبة – ونهاية الأرب ٣ : ١٢٥ والمخصص ٥ : ٨٤ (دون نسبة) والأبيات ٣ ، ٥ – ٧ في زهر الآداب : ٧ ، والأبيات ٣ ، ٥ ، ٧ لكثير في المسالك ١٤ : ٧١ .

١٣

وقال كثيّر يرثي عمر بن عبد العزيز * :

١ لقد كنتَ للمظلومِ عِزّاً وناصراً ... إذا ما تعيّا في الأمورِ حُصُونُها

٢ كما كانَ حِصْناً لا يُرامُ مُمَنّعاً ... بأشبالِ أُسْدٍ لا يُرامُ عرينها

٣ ولِيتَ فما شانَتْكَ فينا ولايةٌ ... ولا أنت فيها كنتَ ممّنْ يَشينها

٤ فعَفّتْ عن الأموالِ نفسُك رغبةً ... وأكْرِمْ بنفسٍ عند ذاك تَصُونها

٥ وَعَطّلْتَها مِنْ بَعْدِ ذلك كالذي ... نَهى نفسَه أنْ خالَفَتْهُ يُهينها

٦ كدَحْتَ لها كَدْحَ امرىء مُتحرّج ... قدَ أيقنَ أنّ الله سوف يَدينُها

٧ فما عابَ من شيء عليهِ فإنّه ... قد اسْتَيْقَنَتْ فيه نفوسٌ يقينها

٨ فَعِشْتَ حميداً في البريّة مُقْسِطاً ... تؤدي إليها حقّها ما تخونها

---

* توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لستّ بقين من رجب سنة ١٠١ هـ ، وهذا يحدّد تاريخ هذه القصيدة على وجه التقريب .

١ تعيّا مثل تعنّى : أي قاسى وعانى ؛ ولعلّ المقصود هنا بمعنى أعيا وصعب مرامه ؛ الحصون : جمع حصن وهو كل ممتنع لا يرام .

٢ يريد : كما كان العرين حصناً ممنعاً بأشبال الأسد تحميه وتذود دونه فلا يرام .

٥ عطّل : أزال الحليّ ؛ كأنه يريد أنّه أزال عن نفسه ما كانت تتحلّى به من شؤون الدنيا .

٦ الضمير في « لها » يعود إلى النفس في البيتين السابقين ؛ كدح : جهد وتحمل المشقة ؛ المتحرج : المتأثم .

٨ المقسط : العادل ؛ حقها : حق البرية .

٩ ومتَّ فقيداً فهي تبكي بعَوْلَةٍ	عليكَ وحزنٍ ، ما تجفُّ عيونها
١٠ إذا ما بدا شجواً حمامٌ مُغَرِّدٌ	على أثْلةٍ خضراء دانٍ غصونها
١١ بَكَتْ عُمَرَ الخيراتِ عيني بعَبْرةٍ	على إثْرِ أُخرى تَسْتهِلُّ شُؤونها
١٢ تذكرتُ أيّاماً خلَتْ ولياليًا	بها الأمْنُ فيها العدلُ كانتْ تكونها
١٣ فإن تصبح الدنيا تغيّرَ صَفْوُها	فحالتْ وأمْسَتْ وهي غَثٌّ سمينها
١٤ فقد غَنِيَتْ إذ كنتَ فيها رخيّةً	ولكنّها قِدماً كثيرٌ فنونها
١٥ فلو كان ذاقَ الموتَ غيرك ، لم تجدْ	سخيّاً بها — ما عشتَ فيها — يمونها
١٦ فمن لليتامى والمساكينِ بَعْدَهُ	وأرملةٍ باتَتْ شديداً أنينُها
١٧ وليس بها سُقْمٌ سوى الجوعِ لم تجد	على جُوعِها من بعدها مَن يُعينها
١٨ وكنتَ لها غيثاً مَريعاً ومَرْتعاً	كما في غمارِ البحرِ أمْرَعَ نونها
١٩ فإنْ كان للدنيا زوالٌ وأهلِها	— لعدلٍ إذا ولّى — فقد حان حينها
٢٠ أقامتْ لكم دنيا وزال رَخاؤها	فلا خيرَ في دنيا إذا زالَ لينها

---

١١ تستهل : تبكي ؛ الشؤون : مجاري الدموع .

١٣ أصبح السمين غثاً : أصبح الجيد رديئاً وحالت الدنيا .

١٤ غنيت : أقامت وظلت ؛ فنونها : أحوالها وضروبها .

١٨ المريع : الخصيب الناجع ، وإذا وصف به الغيث فمعناه الذي تمرع به الأرض أي تخصب ؛ النون : السمك ؛ أمرع : شبع وأخصب .

١٩ يريد : إن كان زوال العدل سمة على فناء الدنيا ، فهذا أوان ذلك بموت الخليفة العادل .

٢٠ أقامت : بقيت ؛ يقول للناس إن الدنيا ما تزال باقية لكم ولكن الرخاء منها قد زال وإذا زال الرخاء منها فلا خير فيها .

٢١ بَكَتْهُ الضَّواحي واقشعرَّتْ لفقده ... بِحُزْنٍ عليها ، سهلُها وحُزُونُها

٢٢ فكلٌّ بلادٍ نالها عَدْلُ حُكْمِهِ ... شديدٌ إليها شَوْقُها وحنينُها

٢٣ فلمّا بكته الصالحاتُ بعدله ... وما فاتها منه ، بكتْهُ بُطونها

٢٤ ولما اقشعرَّتْ حين ولّى وأيْقَنَتْ ... لقد زال منها أُنْسُها وأمينها

٢٥ وقالت له أهلاً وسهلاً وأشرقت ... بنورٍ له مستشرفاتٍ بطونها

٢٦ فإن أشْرَقَتْ منها بطونٌ وأبْشرَتْ ... له إذ ثوى فيها مقيماً رهينها

٢٧ وقد زانها زيناً له وكرامةً ... كما كان في ظَهْرِ البلادِ يَزينها

٢٨ لقد ضُمّنَتْهُ حُفْرةٌ طاب نَشْرُها ... وطابَ جنيناً ضُمّنَتْهُ جنينُها

٢٩ سقى رَبُّنا مِن دَيْرِ سمعان حُفْرَةً ... بها عُمَرُ الخيْراتِ رَهْناً دَفينها

٣٠ صَوابِحَ مِن مُزْنٍ ثِقالٍ غَوادياً ... دوالِحَ دُهْماً ماخِضاتٍ دُجونها

---

٢١ الضواحي : نواحي البلاد البارزة منها ، وفي البيت **٢٣** يتحدث عن بطون الأرض التي بكته وهي تقابل الضواحي من البلاد ، أي المناطق المطمئنة غير البارزة .

٢٢ إليها : كذا في النسخة ، ولعلّ « إليه » أصوب .

٢٣ الصالحات : البلاد التي صلحت بعدله وهي الضواحي ؛ البطون : المناطق غير البارزة ، أو المغيّبة .

٢٥ البطون هنا : باطن الأرض التي دفن فيها ، وهي غير بطون البلاد في البيت : **٢٣** .

٢٨ الجنين : الدفين ؛ والجنين : القبر .

٢٩ دير سمعان : دير بضواحي دمشق ، وفيه دفن عمر .

٣٠ صوابح : مفعول به للفعل سقى في البيت السابق ؛ والصوابح : السحب التي تجيء صباحاً ؛ دوالح : ممتلئة ؛ دهماً : لشدة تكاثفها وثقلها بالماء ؛ ماخضات : اسم فاعل من المخض ، أي كأن السحاب يمخض بمائه ، كما يمخض الزق . الدجون : المطر المطبق .

تخريج القصيدة ١٣

اعتمدنا فيها على منتهى الطلب ، وفيه : « وليست في المختار » .
البيتان ٢٩ ، ٣٠ في ياقوت ٢ : ٦٧١

١٤

وقال كثيّر :

١ لعزّةَ هاجَ الشّوْقَ فالدّمعُ سافحُ مَغانٍ ورَسْمٌ قد تقادمَ ماصِحُ

٢ بذي المَرْخِ والمسروحِ غيّرَ رَسمَها ضَروبُ النّدى قد أعتقَتْها البوارحُ

٣ لِعينَيْكَ مِنها يوم حزْمٍ مبَرّةٍ شريجانِ مِن دمعٍ : نزيعٌ وسافِحُ

٤ أتيٌّ ومَفْعومٌ حثيثٌ كأنّهُ غُروبُ السّواني أتْرعَتْها النواضحُ

---

١ ياقوت : بعزّة .

٢ ياقوت والمغانم : بذي المرخ من ودان . . . ثم اعتقتها .

---

١ تقادم : قدم عهده ؛ ماصح : دارس ، وقد مصحت الدار : عفت وذهبت آثارها .

٢ ذو المرخ : من الحوراء وهو في ساحل البحر قرب ينبع ؛ المسروح : موضع فوق سويقة وسويقة قريبة من المدينة ؛ وفي ياقوت « بذي المرخ من ودّان » وودان موضع بين مكّة والمدينة قريب من الجحفة ؛ ضروب الندى يعني الندى الضروب أي المطر الشديد الضرب ؛ أعتقتها : جعلتها عتيقة ؛ ثم اعتقتها : ثم حلت بعقوتها أي ساحتها ، وهذا أجود ؛ البوارح : الرياح الشديدة .

٣ الحزم : ما غلظ من الأرض وكثرت حجارته ؛ مبرة : موضع ؛ الشريجان : مسيلان للدمع ؛ النزيع : الذي نفد ماؤه أو قلّ ، وسافح : منهمر ، ويروى : وسائح ؛ وقال البكري : النزيع والنزيف واحد .

٤ يصور كثرة دموعه وغزارتها ؛ الأتي : الجدول أو السيل ، المفعوم : الممتلىء ، الحثيث : =

٥ إذا ما هَرَقْنَ الماء ثم استقينه سقاهنَّ جَمٌّ من سُمَيْحَةَ طافحُ

٦ لَيالِيَ مِنْها الواديان مَظِنّةٌ فبُرْقُ العُنَابِ دارُها فالأباطحُ

٧ ليالِيَ لا أسماءُ قالٍ مودّع ولا مُرْهِنٌ يوماً لك البذلَ جارحُ

٨ صديقٌ إذا لاقيْتَهُ عن جَنَابةٍ ألدُّ إذا نَاشدتَهُ العهدَ بائحُ

٩ وإذ يُبرىء القَرْحى المراضَ حديثُها وتسمو بأسماءَ القلوبُ الصحائحُ

١٠ فأُقْسِمُ لا أنْسَى ولو حال دونها مع الصَّرْمِ عَرْضُ السَّبْسَبِ المتنازحُ

١١ أمِنّي صرمتِ الحبلَ لما رأيتني طريدَ حروبٍ طرَّحَتْهُ الطوارحُ

---

٦ البكري وياقوت والتاج : فالأمالح .

١١ السمط : طوحته .

= السريع ؛ الغروب : جمع غرب وهو الدلو العظيمة ؛ السواني والنواضح : الإبل التي يستقى عليها .

٥ يتحدث عن النواضح – يهرقن الماء في الأحواض ثم يعدن لاستقائه وهكذا أبداً . الجمّ : الغزير ؛ سميحة : بئر للأنصار في المدينة ؛ طافح : ملآن .

٦ مظنّة : أي يظن كونها في الواديين ؛ العناب – قال ابن حبيب : جبل أسود في جانب رمل العذيبة (البكري) ؛ وفي ياقوت : برقة العناب جبل في طريق مكة ؛ والأمالح والأميلح (وهي رواية ياقوت والبكري والتاج) : من أسافل ينبع .

٧ قالٍ : هاجر ؛ أرهن بالشيء : غالى فيه أو أدامه وأثبته . جارحٌ : معطية جانباً من بذلها لك ؛ يقال : جرح له من ماله إذا قطع له منه قطعة .

٨ عن جنابة : عن بعد ؛ ألدّ : شديد الخصومة ، أي هي صديق ما دامت بعيدة عنك فإذا ناشدتها العهد خاصمتك بشدة وباحت بسرك .

٩ القرحى : الجرحى ؛ تسمو : ترتفع وتصعد اضطراباً وشوقاً . بأسماء : بسبب أسماء .

١١ صرمت الحبل : قطعته ؛ طرّحته : كذا في منتهى الطلب ، والأصوب « طوّحته » – كما =

١٢ فأسحقَ بُرداهُ وَمَحَّ قميصه فأثوابُهُ ليست لهن مضارحُ

١٣ فأعرضتَ إن الغَدْرَ منكنّ شيمةٌ وَفَجْعَ الأمينِ بغتةً وهو ناصحُ

١٤ فلا تَجْبَهيهِ وَيْبَ غيرِكِ إنّه فتًى عن دنيّاتِ الخلائقِ نازحُ

١٥ هوَ العسلُ الصّافي مراراً وتارةً هو السمُّ تستدمي عليه الذّرارحُ

١٦ لعلّكِ يوماً أن تَرَيْهِ بغبطةٍ تَوَدّينَ لو يأتيكمُ ، وهو صافحُ

١٧ يروقُ العيونَ الناظراتِ كأنه هرقليُّ وزنٍ أحمرُ التبرِ راجحُ

---

١٥ حماسة البحتري : مذروراً عليه .

١٧ الغفران : عيون الناظرين ؛ المعرب : تروق . . . كأنها .

= في السمط — الطوائح : أي ذهبت به هنا وهناك وتوهته ، وقذفته القواذف .

١٢ أسحق : بلي وأخلق ؛ ومحَّ مثلها في المعنى ؛ المضارح والموادع والمباذل واحد، يقول ليس له ما يتبذل به ويصون به ثيابه ، وقيل : المضارح : فضول الثوب ، سميت بذلك لأنها تضرح أي تدفع بالأرجل ؛ وفي اللسان والتاج (ضرج) أن المضارج هي الخلقان تبتذل مثل المعاوز ، وبيت كثير شاهد على « المضارح » بالحاء المهملة .

١٣ وفجع : معطوفة على الغدر ، يريد أن الغدر وفجع الأمين الناصح بغتةً من شيم النساء .

١٤ جبهه : ردّه بعنف ؛ ويب : كلمة مثل ويل ، وبعض العرب يقول : ويباً لفلان وويبك وويب غيرك . نازح : بعيد .

١٥ تستدمي : يسيل منها الدم ؛ الذرارح : جمع ذُرّاح وذُرَحرَح . . . الخ : وهي دويبة أعظم من الذباب شيئاً ، وهي سامّة ، فإذا كانت تستدمي عليه فمعنى ذلك أنّه أشدّ منها سمّاً ؛ وذلك للمبالغة .

١٦ في هامش النسخة : الإصفاح : رد الحاجة ، أي يعرض بوجهه .

١٧ يروق : يعجب ؛ هرقليّ يعني الدينار ، إذ كانت الدنانير حتّى عهد عبد الملك بن مروان تحمل من بلاد الروم ؛ راجح : تام الوزن ، شبه نفسه عندما يحلّ في الغبطة ويستأنف الخصب بالدينار الهرقلي الوازن الأحمر فهو يروق العيون الناظرات .

١٨ وآخر عهدٍ منكِ يا عزُّ إنـه — بذي الرِّمثِ قولٌ قُلْتِـهِ وهو صالحُ

١٩ مُلاحك بالبردِ اليماني وقد بدا — من الصَّرمِ أشراطٌ له وهو رائحُ

٢٠ ولم أدْرِ أنَّ الوصلَ منكِ خَلابَةٌ — كجاري سرابٍ رَقْرَقَتْهُ الصَّحاصحُ

٢١ أغرَّكِ منَّا أنَّ دلَّكِ عندنا — وإسجادَ عينيك الصَّيودَيْنِ رابحُ

٢٢ وأنْ قد أصبتِ القلبَ مني بغُلَّةٍ — وحبٍّ له في أسودِ القلبِ قادحُ

٢٣ ولو أن حبي أُمَّ ذي الوَدْعِ كلّهُ — لأهْلِكِ مالٌ لمْ تَسَعْهُ المسارحُ

٢٤ يهيمُ إلى أسماء شوقاً وقد أتى — له دونَ أسماءَ الشّغولُ السّوانحُ

٢٥ وأقْصَرَ عن غَرْبِ الشّبابِ لداتُهُ — بعاقبةٍ ، وابيضَّ منه المسائحُ

---

١٨ الهجري : غير صالح .

١٩ الهجري : لعجلان رائح .

---

١٩ الأشراط : العلامات . قلت : ولم أدر ما وجه الصواب في « ملاحك » .

٢٠ الصحصح : الأرض المنبسطة .

٢١ الاسجاد : فتور النظر وغض الطرف ، يقال : قد أسجدت المرأة إذا غضت طرفَها ، ويقال : قد سجدت عينها إذا فتّر نظرها ؛ الصيود : الشديدة الصيد والإصابة .

٢٢ الغلة : شدة العطش وحرارته ؛ القادح : الصدع ، أو هو التأثير ، أو الاشتعال ، من قدح النار .

٢٣ ذو الودع : الصبيّ لأنّه يقلّد قلادة من الودع وهو الخرز ما دام صغيراً . يقول : لو كان حبّي لأم الصبيّ — تلك المحبوبة — مالاً لضاقت عنه المسارح لكثرته ، وقد يكون المال هنا نَعَماً .

٢٤ السوانح : السانحة أي العارضة ؛ شغول : جمع شغل .

٢٥ غرب الشباب : حدته ونشاطه ؛ لداته : أقرانه ؛ بعاقبة : بأَخِرة . المسائح : الذوائب .

٢٦ ولكنّهُ من حبّ عزّةَ مضمرٌ حباءً به قد بُطِّنَتْهُ الجوانحُ
٢٧ تُصَرِّدُنا أسماء ، دامَ جمالها وَيَمْنَحُها منّي المودّةَ مانِحُ
٢٨ خليليَّ هل أبصرتُما يومَ غَيقَةٍ لعزّةَ أظعاناً لهنَّ تمايحُ
٢٩ ظعائنُ كالسّلوى التي لا يحُزْنها أو المنّ ، إذ فاحتْ بهنَّ الفوائحُ
٣٠ كأنَّ قنا المرّانِ تحتَ خُدورِها ظباءُ الملا نِيطَتْ عليها الوشائحُ
٣١ تحمّل في نجرِ الظهيرةِ بعدما تَوَقّدَ من صحن السُّرَيْرِ الصرادحُ

---

٣٠ اللسان : تحت خدودها .

---

٢٦ حباء به ،هنا : منعاً له وحياطة وصوناً ؛ أي أنّه مضمر من حبّ عزة ما لا يفرط به وإنّما يصونه أبداً ويبقيه مستكناً بين الجوانح .

٢٧ تصرّد : تقلّل في العطاء ، أو الشرب ، يريد أنها لا تبذل من مودتّها إلا النزر اليسير ، أما هو فيمنحها مودته بسخاء .

٢٨ غيقة : موضع بين مكة والمدينة ، وقد تقدم التعريف به في غير موضع (انظر البيت الأول من ق : ٨) ؛ تمايح : تمايل .

٢٩ الظعائن : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج ؛ وشبه النساء في حلاوتهن على قلبه بالسلوى والمنّ ، وقوله « لا يحزنها » غير واضح الدلالة ؛ وكذلك قوله « فاحت بهن الفوائح » ولعلها « ماحت بهن الموائح » أي اهتزت بهن الإبل عند تحركها .

٣٠ المرّان : النبات الذي تؤخذ منه القنا أي الرماح ، قال ابن الأعرابي : سمّي جماعة القنا المرّان للينه ؛ سمّى النساء في الخدور قنا المرّان لجمال قدودهن ، وشبههن بظباء الملا ، والملا : اسم موضع بحمى ضرية ؛ نيطت : علقت . الوشائح : جمع وشاح .

٣١ النجر : العطش وشدة الشرب ؛ السرير : واد يقع من الجار على سبعة أميال . الصرادح : جمع صردح وهي الأرض الملساء أو الفلاة التي لا شيء فيها .

٣٢ عـلى كلّ عيهامٍ يبلُّ جديلَهُ يُجيلُ بذِفْراهُ ، وباللِّيتِ قامحُ

٣٣ خليليَّ روحا وانظرا ذا لُبانةٍ به باطنٌ منْ حُبّ عزَّةَ فادحُ

٣٤ سَبَتْني بعَيْنَيْ ظبيةٍ يستنيمها أغنُّ البُغامِ أعيسُ اللونِ راشحُ

٣٥ إلى أُرُكٍ بالجزع من بَطْنِ بيشَةٍ عليهنَّ صَيّفْنَ الحمامُ النوائحُ

٣٦ كأنَّ القماريّ الهواتفَ بالضحى إذا أظهرتْ قيناتُ شَرْبٍ صوادحُ

٣٧ وذي أُشُرٍ عذبِ الرُّضابِ كأنّهُ — إذا غارَ أردافُ الثّريا السوابحُ —

٣٨ مُجاجةُ نحلٍ في أباريقَ صُفّقَتْ بِصَفْقِ الغوادي شَعْشعَتْهُ المجادحُ

---

٣٥ اللسان : بالجذع . . . صيفي الحمامِ النوائحِ .

---

٣٢ العيهام : الجمل الماضي السريع ؛ الجديل : الحبل المجدول . الذفرى : الموضع الذي يعرق منه البعير خلف الأذن ؛ الليت : صفحة العنق ؛ قامح : يرفع رأسه عطشاً .

٣٤ البغام : صوت ولد الظبية ؛ أعيس اللون : أبيض ؛ الراشح : ولد الظبية إذا أخذ يستجمع قوّته .

٣٥ أرك : جمع أراكة وهي الشجرة التي تتخذ منها المساويك . بيشة : واد من أودية تهامة ؛ صيّفن : قضين فصل الصيف ؛ «إلى أرك» متعلق بقوله « يستنيمها » في البيت السابق .

٣٦ القماري : جمع قمرية وهي الحمامة ؛ الهواتف : السواجع ؛ أظهرت : دخلت في وقت الظهيرة ؛ الشرب : جماعة الشاربين ؛ صوادح : مغنيات .

٣٧ الأشر : التحزيز في الأسنان . غار أرداف الثريا : كناية عن وقت السحر ، وذي أشر معطوف على قوله سبتني بعيني ظبية في البيت : ٣٤ .

٣٨ مجاجة النحل : العسل ، شبه به الرضاب ؛ صفقت : مزجت ؛ المجادح : جمع مجدح ، أداة لخلط الشراب ، يريد أن فمها عذب الريق يشبه عسل النحل المصفق بالماء حتّى في وقت السحر ، وهو وقت يتغير فيه طعم الأفواه بعد النوم .

٣٩ تروقُ عيونَ اللائي لا يَطْمَعونها ويروى بريّاها الضجيعُ المكافحُ

٤٠ وَغُرٍّ يُغادي ظَلْمَه بنانها مع الفجرِ من نَعمانَ أخضرُ مائحُ

٤١ قضى كلّ ذي دَينٍ وعزّةُ خُلّةٌ له لم تُنِلْهُ فهو عَطْشانُ قامحُ

٤٢ وإني لأكْمي الناسَ ما تعدينني منَ البخلِ أن يَثْري بذلكَ كاشحُ

٤٣ وأرضى بغير البذلِ منها لعلّها تُفارقُنا أسماء والودُّ صالحُ

٤٤ وأصبحتُ وَدَّعْتُ الصِّبا غير أنني لعزَّةَ مُصْفٍ بالمناسبِ مادحُ

٤٥ أبائنةٌ يا عزُّ غَدواً نَواكمُ سقَتْكِ الغوادي خِلْفَةً والروائحُ

٤٦ من الشمِّ مشرافٌ يُنيفُ بقُرْطها أسيلٌ إذا ما قُلّدَ الحَلْيَ واضحُ

---

٤٢ الفصول : وإني . . . ما أنا مضمر مخافة (وهي رواية ابن بري في اللسان والتاج — ثرا —).

---

٣٩ المكافح : المقبّل ، كفح المرأة وكافحها : قبلها غفلةً .

٤٠ وغرّ : معطوف على قوله : سبتني بعيني ظبية وذي أشر (البيت ٣٤ ، ٣٧) ولعلّ الصواب « وثغرٍ » ؛ والمائح هنا : المسواك ، وهو يؤخذ من الأراك الذي ينبت بنعمان ، أي أنها تغادي ثغرها مع الفجر بمسواك أخضر أخذ من نعمان فتجلو ظلمه وهي تجيله ببنانها .

٤٢ أكمي : أخفي وأستر ؛ يثري : يفرح ويشمت ؛ الكاشح : المبغض ، والمعنى : إنّني أخفي عن الناس ما تعدينني ثم لا تفين به بخلاً ، وذلك لئلا يشمت بي المبغض ويفرح .

٤٤ يريد : أنا أصفي عزّة — أي أخصّها — بما أقوله في مدحها من نسيب ، دون سائر النساء ، رغم أنني قد باينت عهد الصبا .

٤٥ خلفة : واحدة بعد الأخرى ، تسقيك الغوادي مرة ثم الروائح مرة .

٤٦ مشراف : طويلة القامة ؛ ينيف : يرتفع ؛ الأسيل : الخد الطويل ؛ الواضح : النقي .

تخريج القصيدة ١٤

اعتمدنا فيها على منتهى الطلب .

الأبيات ١١ – ١٤ في السمط : ١٥٤

البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٤ : ٤٩٢ والمغانم : ٣٧٦

« ١٨ ، ١٩ في نوادر الهجري ، الورقة : ١٤١ (نسخة القاهرة)

البيت ٣ في البكري : ١١٨٠

« ٦ في البكري : ٩٧٢ وياقوت ١ : ٥٨٤ والتاج (برق)

« ١٢ في أمالي القالي ١ : ٣٧

« ١٥ في حماسة البحتري : ١١٢

« ١٧ في المعرب : ٢٧٧ والغفران : ٥٦٢ والأغاني ١٢ : ١٨٣ والمحاسن والأضداد : ١٣٨

« ٢١ في اللسان والتاج (سجد) والمخصص ١ : ١١٧ (دون نسبة) وإصلاح المنطق : ٢٤٧ وأضداد الأنباري : ٢٩٥

« ٣٠ في اللسان والتاج (وشح) والمحكم ٣ : ٣٦٠ وابن جني ٣ : ٥٠ ب

« ٣٥ في اللسان والتاج (أرك) – مكسور القافية –

« ٤٢ في اللسان والتاج (ثري) والفصول : ٤٥١

وهذه الأبيات زادها بيريس على القصيدة ولم ترد فيها حسب رواية منتهى الطلب :

١ رمتني بسهمٍ ريشُهُ الكحلُ لم يُصِبْ ظواهرَ جلدي وهو في القلبِ جارحُ

٢ وجدت بها وَجْدَ المضلّ قلوصَهُ بمكّة والركبان غادٍ ورائح

٣ وجدتُ بها ما لم يجدْ ذو حرارةٍ يمارسُ جمّاتِ الركيِّ النوازح

٤ وجدت بها ما لم تجد أُمُّ واحدٍ بواحدها تطوى عليه الصفائح

والبيت الأول في الواحدي : ٣٠ والأبيات ٢ – ٤ في الموشح : ٢٣٦ . وأضاف جامع الديوان كذلك الأبيات التي أولها :

ولما قضينا من منًى كلَّ حاجةٍ ومسّحَ بالأركان من هو ماسح

وسنوردها في قسم المنحول ، مع التخريج اللازم لها .

١٥

وقال كثيّر :

١ ألَمْ يَحزُنْكَ يومَ غدَتْ حُدوجُ ... لعَزّةَ إذ أجدَّ بها الخُروجُ

٢ بضاحي النَّقْبِ حينَ خرجن مِنهُ ... وخَلّفَ مُتونِ ساقتِها الخليجُ

٣ رأيتُ جِمالها تعْلو الثّنايا ... كأنَّ ذرى هوادِجِها البُروجُ

٤ وقَد مرّتْ على تُربانَ تُحْدى ... لها بالنعف مِنْ مَلَلٍ وَسيجُ

٥ رأيتُ حُدوجَها فظللتُ صَبّاً ... تُهَيّجني مَعَ الحَزَنِ الحُدوجُ

---

١ ياقوت والمغانم : قد أجد .

٢ ياقوت : يضاهي . . . ظهرن . . . ساقيها ؛ المغانم : تضاهي (وفي أصله : يضاهي) ظهرن ، ساقيها .

٤ ياقوت : بها بالجزع ؛ المغانم : لها بالجزع .

---

١ الحدوج : جمع حِدْج ، وهو الهودج للنساء على ظهر الجمل .

٢ الضاحي : البارز للشمس ؛ النقب : الطريق في الجبل ؛ الساقة : جمع سائق ، ومنه ساقة الجيش وهي مؤخرته ؛ ومن قرأه « تضاهي » عنى : تعارض ؛ الخليج : شعبة تشعب من الوادي .

٤ تربان : واد بين ذات الجيش وملل والسيالة فيه مياه كثيرة مريّة ؛ وقيل في شرح بيت كثير « تربان قرية من ملل على ليلة من المدينة » (ياقوت) . النعف : ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط . ملل : منزل على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة ، وفي التاج (ملل) على سبعة عشر ميلاً من المدينة . الوسيج : ضرب سريع من سير الإبل .

٦ إذا بَصُرَتْ بها العينانِ لجّتْ بِدَمْعِهما معَ النّظرِ اللّجوجُ

٧ وبالسّرْحاتِ مِنْ وَدّانَ راحَتْ عليها الرَّقمُ كالبَلَقِ البهيجُ

٨ وهاجتني بِحَزْمِ عُفارياتٍ وقد يهتاجُ ذو الطّرَبِ المهيجُ

٩ على فُضُلِ الرّواعِ تَضَمّنَتْها خَصيباتُ المعالفِ والمروجُ

١٠ يَشُجُّ بها ذؤابةَ كلّ حَزْنٍ سَبوتٌ أو مُواكبةٌ دَروجُ

١١ وفي الأحداجِ حينَ دنَوْنَ قَصْراً بِحَزْنِ سُوَيْقَةٍ بَقَرٌ دُموجُ

---

٨ ياقوت : وهيجني ؛ منتهى الطلب : عقاريات .

---

٦ لجت اللجوجُ بدمعهما ، على تقدير : لجت النفس اللجوج ، وهي التي استمرت في التمادي ، وفي ديوان أبي ذؤيب (١ : ١٣٧) : وقد لج من ماء الشؤون لجوج ، وقال الشارح : أراد قد لجَّ دمع لجوج .

٧ السرحة : كل شجرة لا شوك فيها . ودان : قرية بين مكة والمدينة ؛ الرقم : الخز الموشى ، وهو أيضاً ضرب من البرود . البلق : نوعٌ من الحجارة شفاف كالزجاج ؛ وإذا قرئت « اليلق » بالياء فمعناها الأبيض من كل شيء ، وقيل البيض من البقر .

٨ القاف من « عقاريات » واضحة في نسخة منتهى الطلب ، ولكن الذي أورده ياقوت « عفاريات » بالفاء ، قال : هو واد بنواحي العقيق ، وقال نقلاً عن بعضهم في شرح شعر كثيّر « عفارية جبل أحمر بالسيالة ، والسيالة بين ملل والروحاء » ، وهذا البعض المنقول عنه هو ابن حبيب كما صرَّح البكري بذلك .

١٠ يشج : يعلو ؛ ذؤابة : رأس ؛ الحزن : ما غلظ من الأرض ؛ سبوت : ناقة تسير السبت وهو سيرٌ فوق العنق ؛ دروج : تشبه الريح في سرعة مرّها . وقال الهجري : السبوت الدائمة السير ، والسبت : دوامه ومواصلته في رفق ؛ ومواكبة : تلزم المواكب .

١١ قصراً : مساء ؛ سويقة : قرية على مقربة من المدينة . دموج : داخلةٌ في جوف الخدور غير بارزة .

١٢ حسانُ السّيرِ لا متــواتــراتٌ ولا مِـيلٌ هوادِجُـها تموجُ

١٣ فكِـدتُ وقد تَغَـيّبّتِ التّـوالي وَهُنّ خواضِـعُ الحَكَمات عُوجُ

١٤ بذي جَـدَدٍ من الجوزاء موفٍ كأن ضَبابَهُ القُطُنُ النّسيجُ

١٥ وقد جاوَزْنَ هَضْبَ قُتائداتٍ وعنّ لهُنّ مِن ركَكٍ شُروجُ

١٦ أموتُ ضمانـــةً وتَجَلّلتْني وقد أتهَمْنَ مُرْدِمةً ثَلوجُ

---

١٣ ياقوت : وقد تغورت .

١٦ ياقوت : أموت صبابة ؛ وفي منتهى الطلب : ثليج ، وكتب تحتها بخط دقيق جداً « ثلوج » .

---

١٣ تغورت وتغيبت بمعنى ؛ التوالي : أواخر المطايا ؛ الحكمات : جمع حكمة وهي من اللجام ما أحاط بحنكي الدابة . عوج : مائلة .

١٤ الجدد : الطريق المستوية ؛ موفٍ من الجوزاء : بالغ في ارتفاعه إليها .

١٥ قُتائدات : جبل وقيل نخيل بين المنصرف والروحاء ؛ عنّ : لاح ؛ ركك : اسم ماء وأصل الكاف فيه مدغمة فإذا احتاج الشاعر فكّ الإدغام ؛ الشروج : مسايل الماء ومتسعات الأودية .

١٦ أتهمن : توجهن إلى تهامة . مُرْدِمَةً : هكذا ضبطت في منتهى الطلب ، وضبطها ياقوت بالفتح ثم السكون ودال مفتوحة ، وهو جبل أسود عظيم لبني أبي بكر ابن كلاب ؛ وهذا التحديد لا يتفق مع قوله « أتهمن » فإن ديار بني أبي بكر هؤلاء ليست في تهامة ولا يكون الإتهام إلى جبل . والصواب أن تقرأ « مُرْدِمةٌ » فاعلاً للفعل تجللتني ، بمعنى الحمّى ؛ أو أن تنصب على الحال « مردمةً » ويكون الفاعل « ثلوج » وتكون مردمة بمعنى « ملازمة » من قولهم : أردمت الحمى بمعنى : دامت فلم تفارق . وقد وصف كثير الحمى بأنها ثلوج في بيت آخر أورده ابن جني (٢ : ٢٣٥) :

كأن ثلوجاً وردها خيبرية لذكرتها تعلو عظامي بافكل

١٧ كأنَّ دموعَ عيني يومَ بانَتْ دَلاةٌ بَلّها فَرَطٌ مَهيجُ

١٨ يريعُ بها غداةَ الوِرْدِ ساقٍ سريحُ المتحِ بَكْرَتُهُ مَريجُ

١٩ فلو أبديتِ وُدّكِ أُمَّ عمروٍ لدى الإخوانِ ساءهمُ الوليجُ

٢٠ لكان لحبّك المكتومِ شأنٌ على زَمنٍ ونحنُ به نعيجُ

٢١ تُؤمِّلُ أن تُلاقيَ أمَّ عمروٍ بمكّةَ حيثُ يجتمعُ الحجيجُ

---

١٧ الدلاة : الدلو الصغيرة ؛ الفرط : السابق إلى الحوض . مهيج : معجَل قد استبد به الهياج .

١٨ يريع : يملأ ؛ سريح : سهل سريع ؛ مريج : قلقة أو عوجاء .

١٩ الوليج : لعلها جمع وليجة ، وهم بطانة الرجل ودخلاؤه وخاصته .

٢٠ نعيج به : نهتم به ونكترث له .

تخريج القصيدة ١٥

اعتمدنا فيها على نسخة منتهى الطلب .

الأبيات	١ – ٤	في ياقوت ١ : ٨٣٣ والمغانم : ٧٤
«	١٣ ، ١٥ ، ١٦	في ياقوت ٤ : ٣٦
البيتان	٣ ، ٤	في العباسي : ٢٨٦ والسمهودي ٢ : ٢٧٠
البيت	٤	في ابن جني ١ : ٣٣ ب
«	٧	في ابن جني ٣ : ١٨٨ ب
«	٨	في ياقوت ٣ : ٦٨٨
«	١٠	في نوادر الهجري ، الورقة : ١٤١ (نسخة القاهرة)
«	١٥	في البكري : ١٥٠
«	١٧	في ابن جني ١ : ١٢٨ /أ
«	٢٠	في ابن جني ١ : ١٢٨ / أ

١٦

وقال كثيِّر يمدح أبا بكر ابن عبد العزيز بن مروان * :

١ ألا أن نأتْ سلمى فأنتَ عميدُ ولمّا يُفِدْ منها الغَداةَ مُفيدُ

٢ ولستَ بمُمْسٍ ليلةً ما بقيتَها ولا مُصْبِحٌ إلا صِباكَ جديدُ

٣ ديارٌ بأعْناء السُّريرِ كأنّما علَيْهِنَّ في أكنافِ غَيْقَةَ شِيدُ

٤ تَمُرُّ السّنونَ الخالياتُ ولا أرى بصَحْنِ الشَّبا أطلالهن تَبيدُ

---

٣ اللسان والتاج (شرر) : الشرير .

---

* أبو بكر ابن عبد العزيز : أُمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان من خيار المسلمين وكان عمر بن عبد العزيز على توليته عهده ، وكان معجباً به (أنساب الأشراف ٥ : ١٨٥) ويقول ابن حزم إن أبا بكر كان أسنَّ من أخيه عمر ، وإنهما سقيا السمّ معاً فماتا جميعاً (أي سنة ١٠١ﻫ – انظر الجمهرة : ١٠٥) . وفي القصيدة يترحّم الشاعر على عبد العزيز والد الممدوح ونحن نعلم أن عبد العزيز توفي سنة ٨٥ ﻫ ؛ فهذه القصيدة ممّا جاء بعد هذا التاريخ .

٣ السرير : موضع بقرب الجار وهو أيضاً واد من أودية خيبر ؛ وغيقة : سهل واسع على ساحل البحر يقابل بدراً بين مكّة والمدينة ؛ الأعناء : جمع عنا وهو الجانب والناحية ؛ وفي اللسان والتاج : الشرير – بالشين – وقال إنّه من الجار على سبعة أميال . الشيد : كل ما طلي به الحائط من جص أو بلاط .

٤ الشبا : واد بالأثل من أعراض المدينة .

٥ فغَيْقةُ فالأكفالُ أكفالُ ظَبْيةٍ تظَلُّ بها أُدْمُ الظّباء ترُودُ
٦ وخطباءُ تبكي شَجْوهـا فكأنّها لهـا بالتّلاعِ القاويـاتِ فقيدُ
٧ كما استلعبتْ رأدَ الضحى حميريّةٌ ضَرُوبٌ بكفّيها الشّراعَ سَمودُ
٨ ليالِيَ سُعْدى في الشبابِ الذي مضى ونسوتُهـا بيضُ السّوالفِ غيدُ
٩ يُباشرْنَ فأرَ المسكِ في كلّ مهجعٍ ويُشْرِقُ جاديٌّ بهِنَّ مَفيدُ
١٠ فدَعْ عنكَ سلمى إذ أتى النأيُ دونها وأنتَ امرؤ ماضٍ ـزَعمتَـ جليدُ
١١ وسلِّ همومَ النفسِ إنَّ علاجَها إذا المرء لم يَنْبَلْ بهنَّ شديدُ
١٢ بعَيساء في داياتهـا ودفوفِها وحاركِها تحتَ الوَليّ نُهـودُ

---

٥ الأكفال : مآخير الجبال ؛ وظبية : موضع بين ينبع وغيقة بساحل البحر ، وقال البكري : هضبة قريبة من غيقة ؛ الأدم : جمع آدم وأدماء وهي الظباء البيض ؛ ترود : تذهب وتجيء .

٦ خطباء : صفة للأتان وهي التي لها خط أسود على متنها ؛ التلاع : الأراضي المرتفعة ؛ القاويات : الدارسات .

٧ استلعبت : لعبت ؛ رأد الضحى : عند ارتفاع الضحى ؛ حميرية : قينة يمانية . الشراع : الأوتار ؛ سَمود : ميالة إلى اللهو ؛ والسُّمود بلغة حمير الغناء ، يقال للقينة : اسمدينا أي الهينا بالغناء .

٩ المهجع : الهجوع أو موضعه ؛ الجاديّ : الزعفران ؛ مفيد : اسم مفعول من فاد (أي داف) تقول فادت المرأة الطيب : دلكته في الماء ليذوب أي دافته فهو مدوف ومَفيد .

١١ نبل به : رفق ، بهنَّ : أي هموم النفس ، إذا لم يرفق الإنسان في مداراتها كان علاجها شديداً .

١٢ عيساء : ناقة بيضاء ؛ الدأيات : فقار الكاهل من البعير خاصة ؛ الدفوف : جمع دف وهو الجنب ؛ الحارك : عظم مشرف من جانبي الكاهل ؛ الوليّ : جمع ولية وهي البرذعة التي تكون تحت الرحل ؛ نهود : ارتفاع .

١٣ وفي صدرها صبٌّ إذا ما تدافعَتْ   وفي شَعْبِ بَيْنَ المنكبينِ سُنودُ
١٤ وتحت قُتودِ الرَّحْلِ عَنْسٌ حريزَةٌ   عَلاةٌ يُباريها سواهِمُ قُودُ
١٥ تراها إذا ما الركبُ أصبحَ ناهلاً   وَرُجّيَ وِرْدُ الماء ، وهو بعيدُ
١٦ تَزِيفُ كما زافتْ إلى سَلِفاتِها   مُباهِيَةٌ طيَّ الوشاح مَيودُ
١٧ إليكَ أبا بكرٍ تَخُبّ براكبٍ   على الأيْن فتلاءُ اليدين وخودُ
١٨ تجوزُ رُبَى الأصرامِ أصرامِ غالبٍ   أقولُ – إذا ما قيل أين تريدُ – :

---

١٤ منتهى الطلب : حريرة .
١٥ منتهى الطلب : ناحلاً .
١٨ التاج : تجوز بي .

---

١٣ صبّ : انحدار ؛ سنود : تصعيد وارتفاع ؛ الشعب : موضع الانفراج .
١٤ حريزة : ناقة نفيسة لا تباع لنفاستها ؛ وفي منتهى الطلب : حريرة ، أي مغيظة تجد حرّاً في جوفها عند المشي ؛ علاة : ناقة صلبة شبهت في صلابتها بالعلاة أي السندان . سواهم : متغيرة عابسة . قود : جمع قوداء وهي الطويلة العنق .
١٥ رواية المسالك : ناهلاً ، أي ظامئاً ؛ وهو موافق لقوله بعد ذلك « ورجي ورد الماء » ، ولذلك لم أثبت في المتن رواية منتهى الطلب « ناحلاً » .
١٦ تزيف : تسترخي في مشيتها ، وزافت الحمامة : إذا نشرت جناحيها وذنبها على الأرض وفي ذلك معنى من الخيلاء . السلفات : جمع سلفة ، إذا تزوج أخوان بامرأتين فكل امرأة منهما سلفة لصاحبتها . ميود : شديدة التمايل زهواً وليناً .
١٧ الأين : التعب ؛ الوخود : واسعة الخطو سريعة ، والوخد ضرب من سير الإبل سريع .
١٨ الأصرام : جمع صرم – بكسر الصاد – وهو أبيات مجتمعة منقطعة عن الناس ؛ وغالب : موضع نخل دون مصر حماها الله عزّ وجل (اللسان) .

١٩ أُريدُ أبا بكرٍ ولو حالَ دونــهُ   أماعِزُ تغتالُ المطيَّ وبيدُ

٢٠ لتعلمَ أنّــي للمودَّةِ حـافظٌ   وما لليدِ الحُسْنى لديَّ كنُودُ

٢١ وإنّكَ عندي في النّوالِ وغيرِهِ   وفي كلّ حالٍ ما بقيتَ حميدُ

٢٢ فآلاء كفّ منكَ طَلْقٍ بَنانُها   بِبَذْلكَ إذ في بعضهن جمودُ

٢٣ وآلاء مَنْ قد حال بيني وبينه   عِدًى وَنَقاً للسّافياتِ طريدُ

٢٤ فلا تبعدنْ تحتَ الضّريحةِ أعظُمٌ   رميمٌ وأثوابٌ هناكَ جُرودُ

٢٥ بما قد أرى عبدَ العزيزِ ونَجْمُهُ   إذا نلتقي طَلْقُ الطّلوعِ سُعودُ

٢٦ لـه من بنيه مجلسٌ وبنيهمُ   كرامٌ كأطرافِ السيوفِ قُعودُ

٢٧ فما لامرىء حيّ وإن طالَ عمرُهُ   ولا للجبالِ الراسياتِ خُلُــودُ

٢٨ وأنت أبــا بكر صفيّيَ بعــدَه   تحنّى على ذي وُدّهِ وتعودُ

---

١٩ التاج . وإن حال . . . يحتال .

---

١٩ الأماعز : جمع أمعز وهو المكان الكثير الحصى . البيد : جمع بيداء وهي الفلاة .

٢٠ الكنود : الجمود وكفران النعمة ؛ وفي التنزيل : ﴿ إنَّ الإنْسانَ لربِّهِ لَكَنود ﴾ .

٢٣ العدى : ما يطبق على القبر من الصفائح ، قال كثيّر أيضاً :

وحال السفا بيني وبينك والعدى   ورهن السفا غمر النقيبة ماجد

للسافيات طريد : تطرده السافيات وهي الرياح يعني الرمل .
وهو يشير هنا إلى عبد العزيز الذي سيذكره في البيت : ٢٥ ، ويتذكر آلاءه .

٢٤ الضريحة كالضريح وهو القبر . جرود : جمع جَرْد وهو الخلق من الثياب .

٢٥ طلق الطلوع : مشرق ؛ ونجمه سعود أي ذو سعود ، أي هو سعدٌ لا نحس فيه .

٢٩ وأنت امرؤ أُلهِمْتَ صدقاً ونائلاً   وأوْرَثَكَ المجدَ التليدَ جُدودُ
٣٠ جدودٌ من الكَعْبينِ بيضٌ وجوهها   لهُمْ مأثُراتٌ مَجْدُهنَّ تَليدُ

---

٣٠ الكعبان : كعب قريش وكعب خزاعة (الأساس) ؛ وقال في اللسان : الكعبان كعب ابن كلاب وكعب بن ربيعة . مأثرات : مكرمات ؛ تليد : قديم موروث .

تخريج القصيدة ١٦

اعتمدنا فيها على منتهى الطلب .

الأبيات ١١ – ١٥ ، ٢٦ في المسالك ١٤ : ٦٨
البيتان ٤ ، ٥ في ياقوت ٣ : ٥٧٣
« ١٨ ، ١٩ في اللسان والتاج (غلب)
البيت ٣ في البكري : ٧٣٧ واللسان والتاج (شرر)
« ٥ في البكري : ٩٠٣
« ٩ في اللسان والتاج (فيد)
« ١٣ في المأثور : ٤٢
« ٢٤ في اللسان (جرد)
« ٣٠ في الأساس (كعب)

١٧ أ

وقال كثير :

١ نظَرْتُ وأعلامُ الشّريّةِ دونَنا فهُضْبُ المَرَوْراةِ الدّواني وَسودُها

. . . .

١ الشريّة : ناحية من بلاد كانت بالشام ؛ والمروراة : الفلاة الواسعة الممتدة لا ماء فيها ، وهو اسم جبل أيضاً .

تخريج القصيدة ١٧ أ

هي إحدى قصائد منتهى الطلب ، وتجيء في أول القسم الثاني منه ، ولكن النسخة التي لدينا أخلت بما تبقى من أشعار كثير بعد القصيدة السابقة ؛ وكان الاطلاع عليها من الأهمية بمكان عظيم ، لأنها كانت حرية بتصحيح الفوضى الشديدة في القصائد الدالية التالية ، وتصحيح ما ينسب منها لكثير ، وما قد يدخل في هذه القصيدة من أبيات وما قد يكون خارجاً عنها . وقد دلنا الحاتمي في الحلية (٦٤) على أن البيت المذكور مطلع قصيدة لكثير ، حين أورد خبراً عن الزبير بن بكار يقول فيه إن كثيراً اصطرف قول جميل :

ولا يلبث الواشون أن يصدعوا العصا إذا هي لم يصلب على البري عودها

في قصيدته التي أولها : « نظرت وأعلام . . . . » .

وقد أورد ياقوت بيت كثير هذا ووقع خطأ فيه إذ كتب « فسورها » بالراء مما جعل جامع الديوان يلحقه بإحدى القصائد الرائية (ياقوت ٣ : ٢٨٦) . وأورده الحازمي « فنشورها » وكسر الوزن ، ورواه « فبرق المروراة » .

وهذا البيت الذي ذكره الحاتمي لجميل ورد في قصيدة للعوام بن عقبة (حماسة الخالديين ١ : ١٩٨) وهي قصيدة تختلط أبياتها بدالية تروى لكثير ، كما سيتضح فيما يلي ، عند عرض القصيدة التالية لهذه ، وهي أو بعضها فيما نعتقد جزء من القصيدة التي مطلعها « نظرت وأعلام . . . » ؛ ولكن شدة الاضطراب في الرواية ، وانقطاع ما بين هذا البيت وسائر القصيدة ، يجعلنا نفردها .

١٧ ب

وقال كثير :

١ (لقد هجرَتْ سُعدى وطال صُدودُها — وعاودَ عَيْـني دمْعُها وسُهودُها)

٢ وقد أُصفيت سُعدى طريفَ مودّتي — ودامَ على العهدِ الكريم تليدُها

٣ (نظرْتُ إليها نظْرَةً وهْيَ عاتِقٌ — على حينِ أن شَبّتْ وبانَ نُهودُها)

٤ (وقد درَّعوها وَهْيَ ذاتُ مؤصَّدٍ — مَجُوبٍ ولمّا يلْبَسِ الدِّرْعَ رِيدُها)

٥ (نظَرْتُ إليها نَظْرةً ما يسُرُّني — بها حُمْرُ أنعامِ البلادِ وسودُها)

٦ (وكنتُ إذا ما زُرْتُ سُعْدى بأرْضها — أرى الأرض تُطوى لي ويدنو بعيدُها)

٧ (منَ الخَفِراتِ البيض ودَّ جَليسُها — إذا ما انقضَتْ أُحْدوثةٌ لوْ تُعيدُها)

٨ مُنَعَّمةٌ لم تَلْقَ بُؤسَ مَعيشةٍ — هيَ الخُلْدُ في الدُّنيا لِمَن يَسْتفيدُها

٩ هيَ الخُلْدُ ما دامتْ لأهْلكَ جارَةً — وهَلْ دامَ في الدُّنيا لنفْسٍ خلُودُها

....

٧ حماسة الخالديين : قضت أحدوثة .

....

٣ العاتق : الجارية أول ما تدرك أو هي التي لم تتزوج .

٤ درّعوها : ألبسوها الدرع وهو ثوب تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها ؛ المؤصّد من الأصدة وهي قميص صغير للصغيرة . مجوب : مقوّر الجيب ؛ الريد : الترب أي القرين في السن .

٥ الأنعام الحمر والسود : من أشرف أموالهم .

٧ الخفرة : المرأة الشديدة الحياء ؛ الأحدوثة : ما يتحدث به .

١٠ فتلكَ التي أصْفيتُهـا بمودَّتي ... وَليداً ولمّا يَسْتَبِنْ لي نُهودُها

١١ وقد قتلَتْ نَفْساً بغَيرِ جَريرةٍ ... ولَيس لها عَقْلٌ ولا مَن يُقيدُها

١٢ (تُحَلِّلُ أحقادي إذا ما لقيتُها ... وتبقى بلا ذنبٍ عليَّ حُقودُها)

١٣ ويَعذبُ لي مِن غَيرِها فأعافُها ... مشاربُ فيها مَقْنَعٌ لو أُريدُها

١٤ وأمنحها أقصى هوايَ وإنّني ... على ثقة من أنَّ حظّي صدودُها

١٥ (فكيفَ يودُّ القلْبُ مَن لا يودُّهُ ... بلى قد تُريد النّفسُ مَن لا يُريدها)

١٦ ألا ليتَ شعري بعدنا هل تغيّرتْ ... عنِ العهد أم أمستْ كعهدي عُهودُها

١٧ إذا ذكرَتْها النّفْسُ جُنّتْ بذكْرها ... وريعتْ وحنّتْ واستخَفَّ جليدُها

١٨ فلَوْ كان ما بي بالجبالِ لهَدَّها ... وإن كانَ في الدُّنيا شديداً هدودُها

١٩ ولستُ وإنْ أُوعِدتُ فيها بمُنْتَهٍ ... وإن أُوقدَتْ نارٌ فشُبَّ وَقودُها

٢٠ أبيتُ نجيّاً للهُمومِ مُسَهَّداً ... إذا أُوقدتْ نحوي بلَيْلٍ وُقودُها

٢١ فأصْبحتُ ذا نفسينِ نَفْسٍ مريضةٍ ... مِن اليأسِ ما يَنْفَكُّ همٌّ يعودُها

٢٢ ونفسٍ تُرجّي وَصْلها بعد صرْمِها ... تَجَمَّلُ كيْ يزداد غيظاً حَسودُها

٢٣ ونَفسي إذا ما كنتُ وحدي تقطّعتْ ... كما انسَلَّ مِن ذاتِ النّظام فريدُها

---

١١ الجريرة : الجناية ؛ والعقل : الدية ؛ يقيدها : يطلب القود وهو القصاص وقتل القاتل .

١٨ الهدود : مصدر هدّ ؛ شديداً : عسيراً صعباً .

١٩ النار هنا : كناية عن الخصام والشحناء ، أي لن أنتهي بالوعيد عن حبها ولو جرَّ ذلك إلى إيقاد نار العداوة بين الحيين .

٢٢ تجمَّل : تتصبر .

٢٣ ذات النظام : القلادة ؛ النظام : الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ؛ الفريد : صفة للؤلؤ أو الدرّ .

٢٤ فلَمْ تُبدِ لي يأساً ففي اليأسِ راحةٌ   ولم تُبدِ لي جوداً فينفعَ جودُها

٢٥ كذاك أذودُ النّفس يا عزَّ عنكُمُ   وقد أعورَتْ أسْرارُ من لا يذودها

٢٥ أعورت : أمكنت ؛ أي من لم يذد نفسه عن هواها فحش إعوارها وفشت أسرارها .

تخريج القصيدة ١٧ ب

رواها صاحب الأغاني (ما عدا ٢ ، ١٢ – ١٤) لكثير مع أنه صرح أن المطلع مطلع قصيدة لنصيب وأن البيتين ٥ ، ٦ لنصيب أيضاً (الأغاني ٩ : ٣٧)

وقد روي البيتان ٥ ، ٦ للعوام بن عقبة عند الخالديين (١ : ١٩٨) وأورد البكري في السمط (٣٧٤) البيت الخامس للعوام وهو له أيضاً عند العيني (٢ : ٤٤٢)

والبيت السابع للعوام أيضاً عند كل من الخالديين والعيني .

والبيت ١٢ مزيد من الكامل للمبرد دون أن يصرح بنسبته ولكنه أورده مع البيت ١٥ ؛ وهذا الأخير قد ذكره البكري (السمط : ١٤٠) ولم ينسبه لكثير ، وإنما أورده مع بيت ثان (بعد بيتين لكثير) وصدرهما بقوله : وقال آخر .

وهذه الأبيات التي لم تثبت نسبتها لكثير وضعت بين قوسين (   )

الأبيات ١ ، ٦ ، ٨ ، ٩ – ١١ ، ١٥ – ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ في الأغاني ٧ : ٨٥ – ٨٦

» ٣ ، ٥ – ٧ في الأغاني ٩ : ٣٧

» ٣ ، ٤ ، ٧ في الأغاني ٩ : ٢٥

» ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ١٥ في الكامل ٢ : ٢٥٢ (دون نسبة)

البيتان ٣ ، ٥ في تزيين الأسواق ١ : ٤٧

» ٦ ، ٧ في الأغاني ٧ : ٨٤ ، ٩ : ٣٨ والتاج (حدث) – دون نسبة –

» ١٣ ، ١٤ في السمط : ١٤٠

» ٢١ ، ٢٢ في أمالي المرتضى ١ : ٣٢٥

البيت ٢ في الصداقة : ٤٥٦

» ٤ في التاج (أصد ، ريد) واللسان (رؤد)

» ٧ في أضداد الأنباري : ٢٤٢

» ١٨ في اللسان والتاج (هدد)

» ٢٥ في اللسان والتاج (عور)

وأورد الأنطاكي في تزيين الأسواق (١ : ٥١) الأبيات التالية لكثير :

يقولون سوداء العيونِ مريضةٌ   فأقبلتُ من مصرٍ إليها أعودها
فوالله ما أدري إذا أنا جئتُها   أأُبرئُها من دائها أم أزيدها

إذا جئتها وَسْطَ النّساء منحتُها صدوداً كأنَّ النفس ليس تريدها
ولي نظرةٌ بعد الصدود من الجوى كنظرة ثكْلى قد أُصيبَ وحيدها

(قال) : وقيل إن هذه الأبيات لذي الرمة لأنه بعدما ذكر يقول :

وكنتُ إذا ما جئتُ ميّاً أزورها أرى الأرضَ تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفراتِ البيضِ ودَّ جليسها إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

وأكثر هذه الأبيات رواها العيني (٤ : ٤٤٢) للعوام بن عقبة وهذه هي كما رواها في هذا الموضع :

وخُبِّرتُ سوداء الغميم مريضةً فأقبلتُ من مصرٍ إليها أعودها
فيا ليت شعري هل تغيّر بعدنا ملاحةُ عَيْنَيْ أمِّ يحيى وجيدها
وهل أخْلَقَتْ أثوابُها بعدجِدَّة ألا حبذا أخلاقها وجديدها
ولمْ يبقَ يا سوداء شيء أُحِبّهُ وإن بقيت أعلامُ أرضٍ وبيدها
فوالله ما أدري إذا أنا جئتها أأبرئها من سقمها أمْ أزيدها
من الخفراتِ البيضِ ودَّ جليسها إذا ما انقضتْ أحدوثةٌ لو تعيدها
نظرتُ إليها نظرةً ما يسرني بها حُمْرُ أنعامِ البلاد وسودها

وقد أورد الخالديان هذه القصيدة في ١٩ بيتاً (١ : ١٩٧ – ١٩٩) للعوام بن عقبة ابن كعب بن زهير ؛ ثم إن العيني روى أبياتاً على هذا الوزن والروي (٤ : ٤٥٧) وقال : قائلها هو أبو العوام ابن كعب ويقال الحسين بن مطير ويقال كثير عزة ، وهذه هي الأبيات التي رواها في ذلك الموضع :

وَخُبّرْتُ ليلى بالعراقِ مريضة فأقبلتُ من مصرٍ إليها أعودها
فوالله ما أدري إذا أنا جئتها أأُبرئها من دائها أم أزيدها
ألا ليت شعري بعدنا هل تغيرت ملاحة عيني أم عمروٍ وجيدها

إلى أن قال :

رفعت عن الدنيا المنى غير وجهها فلا أسألُ الدنيا ولا أستزيدها

إلى أن قال :

ولو أنَّ ما أبقيت مني مُعَلّقٌ بعودِ ثُمامٍ ما تأوَّدَ عودها

وهذا البيت آخر أبيات القصيدة .

١٨

وقال كثير :

١	أمِنَ آلِ قَيلَةَ بالدَّخول رسومُ	وبحَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلوحُ قَديمُ
٢	لعِبَ الرِّياحُ برَسْمِهِ فأجَدَّهُ	جُونٌ عواكفُ في الرّمادِ جُثومُ
٣	سُفْعُ الخدودِ كأنّهُنَّ ،وقد مضَتْ	حججٌ ، عوائِدُ بَيْنهُنَّ سَقيمُ
٤	أجوازُ داويَةٍ خلالَ دِماثِها	جُدُدٌ صحاصِحُ بَيْنَهُنَّ هُزومُ

١ الخزانة والبكري : قتلة .

١ الدخول : موضع اختلف في تحديده ، قال محمد بن حبيب : الدخول وحومل في بلاد أبي بكر ابن كلاب ، وأنشد لكثير « أمن آل قتلة . . . » وقال أبو الحسن : الدخول وحومل بلدان بالشام ، وأنشد لامرىء القيس « قفا نبك . . . . . » .

٢ قال الآمدي (الموازنة ١ : ٤٥٧) : قوله « فأجده جون عواكف » يعني الأثافيّ ، لأن الريح لما كشفت عنها فظهرت سوداء كأنها هي أجدت الرسم ، شبهها بالعوائد ؛ والجون : الأسود ، والجون : الأبيض ، وهو من الأسماء المتضادة . . . وقال المرتضى (الأمالي ٢ : ٣٣) : ويحتمل وجه آخر : وهو أن يكون معنى « أجدَّت » أنها حمت الرماد الذي أحاطت به عن لعب الرياح ، فبقي بحاله يستدلّ به المترسّم ، فكأن الرياح درست الربع ومحته إلا ما أجدته هذه الأثافي من الرماد ومنعت الريح منه . اهـ . جثوم : جمع جاثمة .

٣ سفع : سود يخالط سوادها حمرة ؛ الحجج : الأعوام ؛ عوائد : جمع عائدة وهي التي تأتي لزيارة السقيم .

٤ الداوية — بتخفيف الياء وتشديدها — الصحراء الملساء ؛ الدماث : الأراضي المستوية ؛ الجدد : الطرائق ؛ صحاصح : مستوية ؛ الهزوم : جمع هزم وهو ما اطمأن من الأرض .

٥ ولقد أردتُ الصَّبرَ عنكِ فعاقَني   عَلَقٌ بقَلْبي من هواكِ قديمُ

٦ كذبَ العواذلُ بل أردن خِيانتي   وبدتْ روائعُ لِمَّتي وقتومُ

٧ ولقد شهدتُ الخيل يحملُ شكّتي   مُتَلمّظٌ خَذِمُ العِنان بهيمُ

٨ عتَدُ القيادِ كأنّهُ مُتحجّرٌ   حَرِبٌ يُشاهدُ رَهْطَهُ مَظْلومُ

٩ باقي الذَّماء إذا ملكْتَ مُناقِلٌ   وإذا جمعتَ به أجشُّ هزيمُ

١٠ عَوْمَ المُعيدِ إلى الرَّجا قذفَتْ بهِ   في اللُّجّ داويَةُ المَكانِ جَمومُ

---

٧ المعاني الكبير : متملط .

٩ السمط : إذا ملكت عنانه .

١٠ التاج : عود .

---

٥ العلق : الهوى يكون للرجل في المرأة ، وإنّه لذو علق في فلانة .

٦ القتوم : الشحوب والتغير ؛ وروائع اللمة : أول بدو الشيب فيها .

٧ متلمظ : ذو لمظة وهي بياض في جحفلة الفرس السفلى من غير الغرة ، وكذلك إن سالت غرته حتى تدخل في فمه فيتلمظ بها فهي اللمظة ؛ وفي المعاني الكبير « متملط » أي ذاهب ماض ، يقال : « تملط مني » وقولهم « فلان ملط » منه . الخذم : السريع ؛ البهيم : سائر لونه غير أبيض .

٨ عتد : شديد ؛ المتحجر : المتشدد ؛ الحرب : الغضبان أي كأنّه زعيم أو قائد غضبان مظلوم ينظر إلى رهطه .

٩ الذماء : بقية نفسه ؛ المناقل : سريع نقل القوائم ، أجش : غليظ الصهيل وهو مما يحمد في الخيل ؛ هزيم : ذو هزمة أي ذو صوت شديد . يقول : إذا ملكت عنانه فهو مناقل في السير وإذا جمعت به رجليك للحضر فهو أجش هزيم ؛ يقال : جمع رجليه به إذا طلب عدوه (المعاني الكبير : ٤٩) .

١٠ يريد أنّه في سبحه يشبه عومَ المعيد ؛ المعيد : الحاذق العالم بالأمور ؛ الرجا : جانب الحوض والبئر ؛ الجموم : التي تجمّع ماؤها وغزر .

تخريج القصيدة ١٨

ذكر الأستاذ الميمني (السمط : ٤٨) أنها مما أورده صاحب منتهى الطلب في ٢٩ بيتاً ؛ ولكن النسخة التي اعتمدنا عليها من الكتاب المذكور قد أخلت بها .

الأبيات ١ – ٣ في الموازنة ١ : ٤٥٧ وأمالي المرتضى ٢ : ٣٣

» ٧ – ٩ في المعاني الكبير : ٤٩

البيتان ٧ ، ٩ في الحيوان ٦ : ٦٥

البيت ١ في الموازنة ١ : ٤١٩ والخزانة ٤ : ٤٠٣ والبكري : ٥٤٨

» ٤ في اللسان (دوا)

» ٥ في الخصائص ٢ : ١٧١

» ٦ في الشريشي ٢ : ٢٠٤ وابن جني ٣ : ١٨٨ ب

» ٩ في السمط : ٤٨ (وفي الهامش ٧ ، ٨)

» ١٠ في اللسان والتاج والتهذيب (عود)

١٩

قال أبو الفرج (٩ : ٢٣) إن كثيراً شبّ في حجر عم له صالح ، فلما بلغ الحلم أشفق عليه أن يسفه ، وكان غير جيد الرأي ولا حسن النظر في عواقب الأمور فاشترى له عمّه قطيعاً من الإبل وأنزله فرش ملل ، فكان به ، ثم ارتفع فنزل فرع المسور بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف من جبل جهينة الأصغر ، وكان قبل المسور لبني مالك بن أفصى ، فضيقوا على كثيّر وأساءوا جواره فانتقل عنهم وقال ؛ ويقال هو أول شعر قاله :

١ أبَتْ إبِلي مـــاء الرِّداهِ وشفّها   بنو العمّ يحمون النّضيحَ المبرَّدا

٢ وما يمنَعون المـاء إلاّ ضَنانةً   بأصلابِ عُسرى شوكُها قد تخدّدا

٣ فعادتْ فلم تجهدْ على فضْل مائهِ   رياحاً ولا سقيا ابن طلْقِ بن أسْعدا

٤ إذا ورَدتْ رغْباءَ في يومِ وِرْدها   قَلوصي دعا إعْطاشَهُ وتبَلّدا

---

١ الأغاني : الرداة .

٢ الهجري : فلا منعاها . . . بأطراف .

٣ الهجري : فآبت ولم تحمد . . . يساراً .

---

١ الرداه : جمع ردهة وهي النقرة في الجبل أو الصخرة ؛ والرداة : الصخرة ؛ النضيح : الحوض . شفها : سببوا هزالها لأنهم منعوها الورود .

٢ ضنانة : بخلاً ؛ أصلاب : جذوع ؛ عسرى : بقلة شائكة ؛ تخدد : تفرق ، أي يدفعون الإبل عن ورود الماء بتلك العصيّ الشائكة أو بخلاً بتلك البقول الشائكة أن ترعاها إبل كثيّر .

٤ رغباء : اسم بئر ؛ الإعطاش : الإظماء ، وهو حبس الإبل عن الماء يوم الورود ؛ تبلد : تحيّر .

٥ فإنّي لأستحييكُمُ أنْ أذمّكُمْ وأُكرِمُ نفسي أن تُسيئوا وأحْمدا

تخريج القصيدة ١٩

الأبيات ١ – ٣ في الأغاني ٩ : ٢٣

» ١ ، ٣ ، ٢ في نوادر الهجري (الورقة : ١٤٢ ، نسخة القاهرة)

» ١ ، ٤ ، ٥ في ياقوت ٢ : ٧٩٥

البيت ٤ في اللسان والتاج (رغب)

٢٠

وقال ايضاً :

١ حبالُ سُجَيفةَ أمْستْ رِثاثا فسَقياً لها جُدُداً أوْ رِماثا

٢ إذا حلَّ أهْليَ بالأبرقَينِ أبرقِ ذي جُددٍ أو دَعاثا

٣ وحلّت سُجَيفةُ مِن أرضها روابيَ يُنْبتنَ حِفْرَى دِماثا

٤ تُتاربُ بِيضاً إذا استَلعبَتْ كأُدمِ الظّباء تَرُفُّ الكَباثا

---

١ الغفران : سلامة .

٢ الحازمي : بأبرق .

---

١ سجيفة : امرأة من جهينة ولدت في قريش (اللسان والتاج– سجف) ؛ ويروى : حبال سلامة ؛ رثاث : رثة بالية ، وكذلك رماث جمع رمث وهو الخلق البالي .

٢ أبرق ذي جدد وأبرق دعاثى بتهامة .

٣ الدماث : السهلة ، وهي نعت روابي ، أي حلت روابي دماثاً (جمع دمثة) ؛ والحفرى : نبتة ذات ورق وشوك صغار لا تكون إلا في الأرض الغليظة ولها زهرة بيضاء وهي تكون مثل جثة الحمامة . ويروى : وجاءت سحيفة من أرضها رواء .

٤ تاربت الجاريةُ الجاريةَ إذا خادنتها ؛ يعني أن سجيفة (أو سلامة) تصاحب أترابها إذا لهت ولعبت ، فكأنها وهنّ أدم الظباء ؛ ترف الكباث : تأكل نضيج ثمر الأراك .

٥ كَــأنَّ حدائــجَ أظعانِهــا بِغَيْقَةَ لمّــا هبَطْنَ البِراثا

٦ نواعمُ عُمٌّ عــلى ميثَبٍ عظامُ الجذوع أُحلّتْ بُعاثا

٧ كدُهمِ الرّكابِ بأثْقالها غدتْ من سماهيجَ أوْ مِن جُواثا

٨ وخُوصٍ خَوامسَ أوْرَدتُها قُبيل الكواكبِ وِرْداً مُلاثا

٩ من الرَّوْضتينِ فجَنْبَي رُكيحٍ كلَقْطِ المضلّةِ حَلْياً مُباثا

١٠ تُوالي الزِّمامَ إذا ما دنَتْ ركائبُها واختنَثْنَ اختناثا

---

٥ ياقوت والهمداني : أظعاننا .

---

٥ أظعانها : أي أظعان سجيفة ؛ غيقة : سهل واسع على ساحل البحر يقابل بدراً ؛ البراث : جمع برث وهو الأرض اللينة السهلة .

٦ نواعم : جمع ناعمة يعني النخل ؛ العمّ : الطوال ؛ الميثب : الأرض السهلة ؛ بعاث : من أموال بني قريظة فيها مزارع نخل ؛ شبه الظعائن بالنخل الطويلة في منطقة النخيل ببعاث .

٧ الركاب : الإبل تحمل السلع ؛ سماهيج : بالبحرين ، وكذلك جواثا وهو حصن لعبد القيس بالبحرين ، وقال ابن الأعرابي : جواثا : مدينة الخط .

٨ خوص : إبل خوص أي غائرة العيون ؛ خوامس : لا ترد إلا الخمس أي ترعى أربعة أيام وترد في اليوم الخامس . ملاثا : من ألاثَ بمعنى أبطأ .

٩ الروضتان : موضع بالحجاز ؛ ركيح : اسم موضع ؛ المضلة : التي فقدت حبات عقدها حين تناثر ؛ مباث : متفرق مبدّد ؛ ولعلّ هذا البيت يقع بحسب المعنى بعد البيت : ١٢ لقوله هنالك : تلقطها تحت نوء السماك . . . وتكون التكملة الطبيعية : « كلقط المضلة حلياً مباثا » وبذلك يكون البيتان في وصف أتن الوحش .

١٠ اختنثن : تثنين ؛ يصف ناقته .

١١ وذِفرَى ككاهِلِ ذِيخِ الخَليف　　أصابَ فَرِيقةَ لَيْلٍ فعاثـا

* * *

١٢ تَلَقَّطها تحتَ نوء السِّماكِ　　وقد سمِنَتْ سَورةً وانْتجاثا

١٣ لوى ظِمْئَها تحت حرّ النّجوم　　يحْبِسُها كسلاً أو عَبـاثا

١٤ فلمّا عصاهُنَّ خابَثْنَهُ　　برَوْضَةِ آليتَ قَصْراً خِباثا

---

١١ المعاني الكبير : ذيخ الرفيض .

١٤ اللسان (ألت) : وروضة أليت وقصر خناثي (وهو خطأ خارج عن وزن القصيدة) .

---

١١ الذفرى : أصل الأذن ؛ الذيخ : الذئب الجريء ؛ الخليف : الطريق بين جبلين ، شبه ذفرى ناقته بكاهل هذا الذئب الجريء الذي أصاب غنماً فرتع فيها . الفريقة : قطعة من الغنم ؛ عاث فيها : أفسد وقتل ؛ وقال ابن قتيبة : الذيخ : ذكر الضباع ، والرفيض : قطعة من الجبل وجمعه رفض ، والفريقة : الغنم الضالة ، يقال أفرق غنمه إذا أضلها (المعاني الكبير : ٢١٤) .

١٢ بدأ بتشبيه ناقته بحمار الوحش ، وقد سقط هذا من القصيدة ، ثم أخذ يصف مسير الحمار بأتنه إلى الماء ؛ تلقطها : يعني حمار الوحش تلقط الأتن ؛ السورة : تجمع الشحم فيها ؛ الانتجاث : الانتفاخ وظهور السمن ؛ تحت نوء السماك : أي بعد أن رعت ما أصابته غبّ المطر .

١٣ لوى : حبس ؛ الظمء : ما بين الشربتين والوردين ، يعني أطال حبسها عن الماء في القيظ « حرّ النجوم » وكان يفعل ذلك إما كسلاً عن الورود أو عبثاً وهزلاً .

١٤ لما استطالت الأتن هذا الحبس عن الورود ، وعصاهن الحمار ، خابثنه : أي كايدنه مكايدة ؛ بروضة آليت : موضع بالحجاز ، يقال فيه « ألّيت » وبالمدّ ، ويقال أليةَ . وفي التعليق على « ألّيت » قال ابن سيده : وهذا البناء عزيز أو معدوم . قصراً : عشاء .

١٥ فأوْرَدهُنَّ مِنَ الدَّوْنكَيْنِ حَشارِجَ يحفرْنَ منها إراثا

١٦ لَواصبَ قد أصبحَتْ وانطوتْ وقد أطولَ الحيُّ عَنْها لِباثا

١٧ مُدِلٌّ يَعَضُّ إذا نالهُنَّ مِراراً ويُدنينَ فاهُ لِكاثا

١٨ وصفراءَ تَلْمَعُ بالنّابلِينَ كلَمْعِ الخَريعِ تحلّتْ رِعاثا

١٩ هتوفاً إذا ذاقها النازعون سمعتَ لها بعد حبضٍ عِثاثا

٢٠ تئنُّ إلى العَجْمِ والأبهرينِ أنينَ المريضِ تشكّى المُغاثا

---

١٥ اللسان (حشرج) : يحفون .

١٦ المقاييس : وقد طوّل .

---

١٥ قال ابن السكيت : الدونكان واديان في بلاد بني سليم (وانظر البيت السابع في ق : ٧) . الحشارج : جمع حشرج وهو الماء العذب من ماء الحسي ؛ الإراث : بقايا قد بقيت هذه منها ، والمفرد : إرث .

١٦ قد أصبحت تلك الأحساء لواصب ، وهي الآبار الضيقة البعيدة القعر ؛ اللباث : اللبث والمكث ؛ وفهم أبو عمرو أنّه يصف في البيت إبلاً ، فقال : اللواصب التي قد لصبت جلودها أي لصقت من العطش .

١٧ مدلّ : صفة للحمار الوحشي يعني أنّه واثق من نفسه بين الأتن ، فهو يهيجهن بالعضاض ، وهنّ يضربنه بأرجلهن على فمه ؛ ولكث لكاثاً : ضرب بيد أو رجل .

١٨ حين تقترب الأتن من الورد يكون الصائد لاطئاً مترقباً كي يرميها بسهامه ، ولهذا انتقل الشاعر إلى وصف قوس الصائد . النابلون : الحاذقون بالنبل ؛ الخريع : المرأة الناعمة ؛ الرعاث : جمع رعثة وهي ما تذبذب من قرط أو قلادة .

١٩ الهتوف : المصوتة ؛ النازعون : الذين يوترون القوس للرمي ؛ الحبض : انطلاق السهم ؛ العثاث : رفع الصوت بالغناء والترنم به ، وعثثت : رجعت رنينها .

٢٠ إلى العجم : إلى موضع العجم ، حيث يذوقها النابل ؛ الأبهر من القوس كبدها وهما أبهران . المغاث : الحمّى .

تخريج القصيدة ٢٠

الأبيات ٥ – ٧ ، ٢ ، ٣ في صفة الهمداني : ٢٢٩

» ٨ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤ في ياقوت ٢ : ٨٤٢

» ٥ – ٧ في ياقوت ١ : ٦٧٠ والحازمي (بعاث) والمغانم : ٥٨

البيتان ٥ ، ٦ في السمهودي ٢ : ٢٦٢

» ٦ ، ٧ في البكري : ١٢٨٢

» ١٠ ، ١١ في التاج (خلف)

» ٩ ، ١٤ في البكري : ٦٧١

» ١٨ ، ١٩ في التاج (عثث) (١٨ في الهامش)

البيت ١ في اللسان والتاج (سجف) والغفران : ٤٧٨

» ٢ في البكري: ٥٢٩ وياقوت ١ : ٨٢ ، ٨٣ والتاج (دأث ، برق) والحازمي : (دآث)

» ٤ في الأساس والتاج (ترب)

» ٧ في ياقوت ٣ : ١٣٢

» ٩ في ياقوت ٢ : ٨١١

» ١١ في اللسان (عيث) والمعاني الكبير : ٢١٤

» ١٢ في اللسان والتاج (نجث)

» ١٤ في اللسان والتاج (ألت) – العجز وحده – وياقوت ٢ : ٨٤٥

» ١٥ في اللسان (حشرج ، أرث) والتاج (أرث)

» ١٦ في المقاييس ٥ : ٢٤٩ والتاج (لصب)

» ١٧ في اللسان والتاج (لكث)

» ١٩ في اللسان والتاج (عثث) والمقاييس ٤ : ٢٧ والمخصص ٦ : ٤٩ (دون نسبة)

٢١

وقال يرثي صديقه خندقاً الأسديّ :

كان خندق بن مرّة الأسديّ ـــ أو خندق بن بدر ـــ صديقاً لكثير ، وكانا يقولان بالرجعة ، فاجتمعا بالموسم فتذاكرا التشيع ، فقال خندق : لو وجدت من يضمن لي عيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد صلى الله عليه وسلّم ، وظلم الناس لهم وغصبهم إياهم على حقهم ، ودعوت إليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر ، فضمن كثيّر عياله ، فقام ففعل ذلك وسبَّ أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرّأ منهما ، وقال : أيها الناس ، إنّكم على غير حق ، قد تركتم أهل بيت نبيّكم ، والحق لهم وهم الأئمة (ولم يقل عمر بن شبة إنّه سبَّ أحداً) فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتّى قتلوه ، ودفن خندق بقنونى ، فقال إذ ذاك كثيّر يرثيه :

١ أصادِرَةٌ حُجّاجُ كعبٍ ومالكٍ — على كل عَجْلى ضامِرِ البطن محنقِ

٢ بمَرْثيَةٍ فيهـا ثَنـاء مُحَبَّرٌ — لأزْهرَ مِن أولادِ مُرَّةَ مُعْرِقِ

٣ كأنَّ أخاهُ في النّوائبِ مُلْجـأً — إلى عَلَمٍ من ركْنِ قُدس المُنَطَّقِ

---

١ الأغاني (١٢ : ١٦٨) : على كل فتلاء الذراعين .

---

١ الصادر : المنصرف وهو ضد الوارد ، وأصله من ورود الماء والصدر عنه ثم يقال لكل مقبل إلى موضع ومنصرف عنه . كعب من خزاعة ؛ ومالك : يعني مالك بن النضر بن كنانة ، وكان كثير ينتمي وينمي خزاعة إليهم ؛ محنق : ضامرة .

٢ بمرثية : يعني أصادرة تلك الجموع من الحجاج بمرثية ؛ محبّر : مجوّد مزين ؛ الأزهر : المشرق ؛ مرّة : بنو مرة ؛ المعرق : الذي يكون ذا أصل (أو عرق) في الكرم .

٣ أخاه : يعني نفسه ؛ العلم : الجبل ؛ قدس : جبل شامخ بأرض نجد ؛ وقال عرّام : بالحجاز جبلان يقال لهما القدسان : قدس الأبيض وقدس الأسود وهما عند ورقان . المنطق : الذي التف حوله الغيم ؛ يريد أن من عاذ بخندق فكأنّما لجأ إلى ركن من جبل منيع عالٍ .

٤ يَنالُ رجالاً نفْعُهُ وهْوَ منْهُمُ بَعيدٌ كعيّوقِ الثّريّا المُعلّقِ
٥ تقولُ ابنَةُ الضَّمْريّ ما لكَ شاحِباً ولوْنُك مُصْفرّ وإنْ لم تَخَلّقِ
٦ فقلتُ لها لا تَعْجَبي مَن يمُت لهُ أخٌ كأبي بَدْرٍ وجدّكِ يُشْفِقِ
٧ وأمْرٍ يُهِمُّ النّاسَ غبُّ نتاجِهِ كفيتَ وكرْبٍ بالدّواهي مُطرّقِ
٨ كشَفْتَ أبا بَدْرٍ إذا القَوْمُ أحجموا وعَضّتْ مَلاقي أمْرِهِمْ بالمُخَنَّقِ
٩ وخصْمٍ أبا بَدْرٍ ألَدَّ أبَتَّهُ على مِثْلِ طَعْمِ الحَنْظلِ المتفلّقِ
١٠ جزى اللهُ خيْراً خِنْدِقاً مِن مكافِىء وصاحِبِ صِدْقٍ ذي حِفاظٍ ومصْدَقِ

---

٤ الأغاني (١٢ : ١٧٢) ونال رجالاً .

٩ ياقوت : أبا بكر . . . المتعلق .

---

٤ العيوق : كوكب أحمر مضيء بحيال الثّريا في ناحية الشمال ويطلع قبل الجوزاء ؛ ويضرب به المثل في البعد .

٥ ابنة الضمري : عزّة ؛ تخلّق : تتخلق ، أي تطلّي بالزعفران .

٦ يشفق : يصاب بالإشفاق أي الجزع .

٧ غبُّ نتاجه : عاقبته ؛ كفيت : قمت به نيابة عن الآخرين ؛ مطرّق : يعني يلد الدواهي ، يقول : ورب كرب يلد الدواهي كشفته . . . الخ (في البيت التالي) .

٨ كشفته : أزلته ورفعته ؛ المخنّق : موضع الخناق أي العنق ، عضت به ملاقي الأمر ؛ والملاقي : الشعب ، التقت فتشابكت وضيقت عليهم الخناق .

٩ الألدّ : الشديد الخصومة . أبتّه : جعلته يبيت ، أي جرعته المرارة التي تشبه مرارة الحنظل المتفلق .

١٠ ذو مَصْدَق : ذو جد وصلابة ؛ وتقول أيضاً : هو ذو مصدق ، إذا عنيت أنه صادق الحملة شجاع .

١١ أقامَ قَناةَ الوُدّ بَيْني وبَيْنَهُ   وفارَقني عَن شيمةٍ لَمْ تُرَنّقِ

١٢ حلَفْتُ على أن قد أجَنّتْكَ حُفْرةٌ   ببَطْنِ قَنَوْنا لَوْ نَعيشُ فنَلْتقي

١٣ لألْفَيْتَني بالوُدّ بَعْدَكَ دائماً   عَلى عَهْدِنا إذْ نحنُ لم نتفرّقِ

١٤ إذا ما غَدا يَهْتَزُّ للمَجْدِ والنّدى   أشَمُّ كغُصْنِ البانَةِ المُتورّقِ

١٥ وإنّي لجازٍ بالّذي كانَ بَيْنَنا   بَني أسدٍ رَهْطَ ابْنِ مُرَّةَ خِندِقِ

---

١٢ ياقوت : أحيتك (وهو تصحيف) .

١٣ ياقوت : للودّ . . . راعياً .

١٥ حماسة البحتري :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه   فتى الناس والإفضال عمرو بن خندق

---

١١ القناة : العصا ؛ يكني بذلك عن أنّه وصل أسباب المودة به ، والعرب يكنون باستواء العصا وملاستها عن دوام الودّ فإذا تشققت العصا فمعنى ذلك تفرق الشمل والاختلاف . ترنق : تكدّر .

١٢ أجنتك : أخفتك ؛ قنونا : من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكّة قرب حلي ، وبالقرب منها قرية يقال لها يبت (يبة عند البكري) — كذا قال ياقوت ، وقال البكري : قنونى : موضع بقرب مكّة ؛ وقال الأصفهاني (٤١٥) قنونا جبل في بلاد غطفان والذي عنى كثير ليس به لكنه في طريق اليمن لمن خرج من مكّة في طريق تهامة ، وعلّق الأستاذ الجاسر على ذلك بقوله : وقنونى لا يزال معروفاً ، ووادي يبة لا يزال معروفاً وينطق الآن يبا ويقع جنوب القنفذة .

١٥ كان خندق الأسدي من مرّة بن كبير بن جن بن دودان بن أسد بن خزيمة فلذلك سمّاه ابن مرّة .

تخريج القصيدة ٢١

الأبيات ١ – ١٥ في الأغاني ١٢ : ١٧٠ – ١٧١

» ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ٩ في ياقوت ٤ : ١٩٤

البيتان ١ ، ١١ في الأغاني ١٢ : ١٦٨

» ١٥ ، ١١ في حماسة البحتري : ٦٧

البيت ١ في الأغاني ١٢ : ١٧٣

» ٤ في الأغاني ١٢ : ١٧٢ ، ٩ : ٨

» ١٢ في البكري : ١٠٩٩

٢٢

وقال يرثي صديقه خندقاً الأسديّ :

١ شَجا أظْعانُ غاضِرَةَ الغوادي بغيرِ مَشورةٍ عرَضاً فؤادي

٢ أغاضِرَ لَوْ شَهدتِ غَداةَ بنتُمْ جُنوء العائداتِ على وسادي

٣ أوَيْتِ لعاشِقٍ لَمْ تَشْكُميهِ نوافِذهُ تَلَذَّعُ بالزِّنادِ

٤ ويومَ الخيلِ قَدْ سفرَتْ وكفّتْ رِداءَ العَصْبِ عَنْ رَتَلٍ بُرادِ

٥ وعَنْ نَجلاء تدْمَعُ في بياضٍ إذا دمَعَتْ وتَنْظُرُ في سَوادِ

---

١ الأغاني (١٢ : ١٨٢) بغير مشيئة ؛ المحاسن : عوضاً .

٢ الشعر والشعراء والمحاسن : حنو ؛ العيني : العاديات .

٣ الشعر والشعراء : لوامق ؛ المحاسن : جوانحه .

٤ أمالي المرتضى : ويوم الحبل .

---

١ الشجا : الحزن ، وشجاه أحزنه وأثار شجوه . الأظعان جمع ظعينة وهو هودج المرأة ما دامت فيه ؛ الغوادي : الذاهبة في الغداة ؛ عرضاً : دون قصد .

٢ الجنوء : مصدر جنأ أي أكبّ وانحنى ، ويجيء في بعض المصادر « حنوّ » وهو بمعناه .

٣ أويت : رققت ورحمت ؛ تشكميه : من الشكيمة وهي العطية ؛ الوامق : المحبّ .

٤ قال ياقوت : بقيع الخيل موضع بالمدينة ، وهو أيضاً جبل قرب المدينة بين مخنب وصرار ؛ كفت : ضمّت . رتل : حسن التنضيد ، يعني أسنانها ؛ براد : بارد .

٥ وعن نجلاء ؛ كفت رداء العصب عن عين نجلاء ، دموعها تسيل على خدّ أبيض وتنظر من حدقة سوداء .

٦ وعَن متكاوِسٍ في العَقْص جَثْلٍ أثيثِ النّبْتِ ذي عُذَرٍ جِعادِ

٧ وغاضِرَةُ الغداةَ وإنْ نأتْنا وأصْبَحَ دونها قُطْرُ البِلادِ

٨ أحَبُّ ظَعينَةٍ ، وبَنَاتُ نفسي إلَيْها لَوْ بَلِلْنَ بها صوادي

٩ ومِنْ دونِ الذي أمّلْتُ وُدّاً ولَوْ طالبْتُها خَرْطُ القَتادِ

١٠ وقالَ النّاصحون تَحَلَّ مِنها ببَذْلٍ قَبْلَ شيمتها الجمادِ

١١ فإنّكَ مُوشِكٌ ألاّ تراها وتَعْدو دونَ غاضرةَ العَوادي

١٢ فقدْ وعدَتْكَ لَوْ أقْبلْتَ وُدّاً فَلَجَّ بكَ التّدلّلُ في تَعادِ

---

٦ متكاوس : ملتف ، من تكاوس النبت إذا التف ؛ العقص : الضفيرة ؛ جثل : كثير ملتف ، وقال ابن جني : هو الكثير الأصول الشديد السواد ؛ أثيث : كثير ؛ العذر : خصلات الشعر ، وقد تقرأ في ابن جني « الغدر » كأنّه جمع غديرة وهي الضفيرة من الشعر . جعاد : فيها التواء .

٧ القطر : الناحية .

٨ أحبّ : خبر للمبتدإ « وغاضرة » في البيت السابق ؛ بللن بها : ظفرن بها ؛ يعني أن بنات نفسي ظامئات إليها فيا ليتهن ظفرن بها .

٩ دون هذا خرط القتاد : هو شيء ممتنع لا يوصل إليه ، وكذلك ما أؤمله منها .

١٠ تحلَّ : من حليت بكذا بمعنى أصبت ؛ الجماد : البخيل .

١١ موشك : اسم فاعل من أوشك وأصله من الوشك وهو السرعة ، يقال : عجبت من وشك ذلك الأمر أي سرعته ، ويقال : وشكان ذا خروجاً أي عجلان ، ووشك البين : أي سرعة الفراق ؛ وتعدو دون غاضرة العوادي : أي تصرف عنها الصوارف . والاستشهاد فيه في قوله « موشك » حيث استعمل اسم الفاعل من أوشك وهو نادر . (عن العيني ٢ : ٢٠٨ بإيجاز) .

١٢ التعادي : التوالي والتتابع ، أي ازددت لجاجاً في تدللك ؛ وربما كان التعادي بمعنى التهاجر والتباعد .

١٣ فأسْرَرْتُ النّدامَةَ يومَ نادى بِرَدٍّ جِمالِ غاضِرَةَ المُنادي

١٤ تمادى البُعْدُ دونَهُمُ فأمْسَتْ دُموعُ العَيْنِ لجَّ بها التّمادي

١٥ لقد مُنِعَ الرُّقادُ فبِتُّ ليلي تُجافيني الهُمومُ عَنِ الوِسادِ

١٦ عداني أنْ أزُورَكَ غَيرَ بُغضٍ مُقامُكَ بينَ مُصْفَحَةٍ شِدادِ

١٧ وإني قائلٌ إن لم أزُرْهُ سقَتْ ديَمُ السّواري والغوادي

١٨ محلَّ أخي بني أسَدٍ قَنَوْنا إلى يَبَةٍ إلى بَرْكِ الغِمادِ

---

١٨ البكري وياقوت والتاج : بوجه ؛ ياقوت : إلى يبت إلى برك ؛ الأغاني : فما والى إلى برك ؛ اللسان والتاج : بيت .

---

١٣ أسررت : كتمت .

١٥ تجافيني : تبعدني ، يريد : أن الهموم تنأى به عن الوساد فلا يستطيع نوماً .

١٦ عداني : صرفني . مصفحة : عريضة يعني حجارة القبر ، وفي هذا البيت انتقل إلى رثاء خندق الأسدي .

١٨ محلَّ : مفعول به للفعل « سقت » ، وقنونا : بدل منها . ومن رواه « بوجه » فالمعنى : سقت ديم السواري قنونا ، بوجه أخي بني أسد ، أي من أجله . وقنونا : من أودية السراة وبالقرب منها قرية يقال لها يبت « يبة » وفي التاج واللسان : بيت . وقال صاحب التاج : وقرأت في معجم ياقوت أنه يبت . . . فلا أدري أيهما أصح فليراجع ؛ قلت : والصواب يبة وهو ينطق اليوم يبا (انظر شرح البيت ١٢ ق:٢١) وهو يقع إلى جنوب القنفذة. وبرك الغماد ــ بالكسر حسب رواية ياقوت وبضم الغين في رأي ابن دريد ، والكسر أشهر ــ موضع وراء مكة بخمس ليال ممّا يلي البحر (وفي التاج أن غينه مثلثة) ، وبرك تفتح باؤها ــ وهو الأكثر ــ وقد تكسر ؛ وإلى الجنوب من القنفذة اليوم ميناء يدعى البرك ، قال الأستاذ الجاسر (الأصفهاني : ٤١٦) وهو على ما يظهر برك الغماد .

١٩ مُقيمٌ بالمجازَة مِنْ قنَوْنــا وأهْلُكَ بالأجَيْفِرِ والثِّمادِ

٢٠ فَــلا تبعَدْ فكُلُّ فتًى سيأتي عَلَيْهِ المَوْتُ يطْرُقُ أو يُغادي

٢١ وكُلُّ ذخـيرَةٍ لا بُــدَّ يوْماً ولو بقِيَتْ تَصيرُ إلى النّفـادِ

٢٢ يَعِزُّ عليَّ أن نغدو جَميعاً وتُصْبحَ ثاويـاً رَهْنـاً بِـوادِ

٢٣ فلَوْ فوديتَ من حدثِ المَنـايا وقَيْتُكَ بالطّريفِ وبالتّلادِ

٢٤ لقد أسمَعْتَ لَوْ ناديْتَ حيّـاً ولَـكن لا حياةَ لِمَن تُنادي

---

١٩ البكري : فالثماد .

---

١٩ الأجيفر : قال ياقوت : هو جمع أجفر لأن جمع القلة يشبه الواحد فيصغر على بنائه وهو موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس ، والأصمعي يقول هو لبني أسد (وانظر الأصفهاني : ٥٨) ، والثماد — بكسر الثاء — موضع في ديار بني تميم .

٢٠ لا تبعد : لا تهلك ، وهو دعاء يقال لمن مات ؛ يطرق : يأتي ليلاً ؛ يغادي : يأتي في الغداة .

٢٤ هكذا قيل البيت في الرثاء ؛ ثم أصبح مثلاً يضرب لمن يوعظ فلا يقبل ولا يفهم .

تخريج القصيدة ٢٢

اعتمدنا فيها على رواية الأغاني واحتفظنا بترتيب الأبيات ، وزيد البيت الأخير من ياقوت.

الأبيات ١ – ٢٤ (ما عدا ١١) في الأغاني ١٢ : ١٧٣ – ١٧٤

» ١ – ٣ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ في العيني ٢ : ٢٠٦ – ٢٠٧

» ١٦ – ٢١ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢٤ في ياقوت ٤ : ١٠٠٧

» ١ – ٣ في المحاسن والأضداد : ١٤٠ والأغاني ٦ : ٢٠٦ ، ٢٠٨

» ٤ – ٦ في أمالي المرتضى ٢ : ١٧٨ والموازنة ٢ : ١٠٤

البيتان ٢ ، ٣ في الشعر والشعراء : ٤٢٠ والتاج (خبأ)

البيت ١ في الأغاني ١٢ : ١٨٢

» ٢ في المعاني الكبير : ٤٣٨ (العجز وحده) وكله في الفصول والغايات : ٣٧٦

» ٤ في ابن جني ٢ : ٢٩/أ

» ٥ في الموازنة ١ : ١٢٤ والعمدة ٢ : ٨

» ٦ في ابن جني ٢ : ٢٠٣/أ

» ١١ في العيني : ٢٠٥ والشنقيطي ١ : ١٠٤

» ١٨ في ياقوت ٤ : ١٩٤ ، ١٠٠٥ والبكري : ٢٤٥ والتاج واللسان (بيت)

» ١٩ في البكري : ١١٦

» ٢٠ في الأغاني ١٢ : ١٨٨

٢٣

لما قام عبد الله بن الزبير مطالباً بالخلافة سمّى نفسه العائذ وحبس محمد بن الحنفية في خمسة عشر رجلاً من بني هاشم وقال : لتبايعُنّي أو لأحرّقنكم ، فقال كثيّر :

١ لكَ الوَيلُ من عَيْنيْ خُبيبٍ وثابتٍ وحمزَةَ أشْباهِ الحِداء التّوائمِ

٢ تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنّكَ عائِذٌ بَلِ العائذُ المظلومُ في سجنِ عارِمِ

٣ ومَن يرَ هذا الشيخَ بالخيفِ من مِنًى منَ النّاس يعلَمْ أنّهُ غيرُ ظالمِ

---

٢ ثمار القلوب : تخبر من تلقاه ؛ تمام المتون : المحبوس .

٣ ياقوت والكامل والقزويني وتمام المتون : ومن يلق .

---

١ خبيب وثابت وحمزة أبناء عبد الله بن الزبير وخبيب أكبر أبناء عبد الله وبه كان يكنى ؛ وكان خبيب من النساك قد لقي كعب الأحبار ولقي العلماء وقرأ الكتب ؛ ولما كان عمر ابن عبد العزيز والياً على المدينة في خلافة الوليد حبسه وجلده مائة سوط ، فكان موته في ذلك ؛ وأما حمزة فقد ولاّه أبوه البصرة حين كان يدعو لنفسه بالخلافة ، وقد مدحه الفرزدق وغيره من الشعراء ، ثم عزله عنها ورده إلى مكة وولاه قتال من جاء من طريق المسعى ، وكان حمزة آدم أدلم ضخماً وتوفي في حياة عبد الملك بن مروان ؛ وأمّا ثابت ابن عبد الله بن الزبير فكان لسان آل الزبير جلداً وفصاحة وبياناً ، وكان يشهد القتال مع أبيه ويبارز بين يديه ، وتوفي وهو ابن سبع أو ثمان وسبعين سنة منصرفه من عند سليمان ابن عبد الملك (انظر صفحات متفرقة من جمهرة النسب للزبير بن بكار) . الحداء : جمع حدأة وهي من الجوارح ، فعيناها حادّتا النظر ؛ وقال ابن سيده إن جمع حدأة على حداء جمع نادر .

٢ عائذ : محتمٍ بالبيت ؛ وعارم : السجن الذي حبس فيه محمد بن الحنفية ، قال ياقوت : =

٤ وصِيُّ النّبيّ المُصطفى وابنُ عمّهِ وفَكّاكُ أغْلالٍ وقاضي مَغارِمِ

٥ أبى فَهْو لا يَشْري هدًى بضَلالةٍ ولا يتّقي في اللهِ لومةَ لائِمِ

٦ ونحنُ بحمْدِ الله نتلو كتابَهُ حُلولاً بهذا الخيفِ خيفِ المحارِمِ

٧ بحَيْثُ الحمامُ آمِنُ الرَّوْعِ ساكنٌ وحَيْثُ العدُوُّ كالصَّديقِ المُسالمِ

٨ فما ورَقُ الدُّنيا بِباقٍ لأهْلهِ ولا شدّةُ البَلْوَى بضَرْبةِ لازِمِ

٩ فلا تجزَعَنْ مِنْ شِدّةٍ إنّ بعدها فوارِجَ تَلْوي بالخطوبِ العظائمِ

---

٤ المروج : سميّ نبي الله وابن وصيه ؛ القزويني والعقد والحيوان وياقوت والأغاني وتمام المتون : سميّ النبي ؛ ثمار القلوب : وانك آل ؛ الكامل : وفكاك أعناق .

٧ الأغاني : آمنات سواكن . . . كالوليّ . ياقوت : وتلقى العدوّ .

٨ مجموعة المعاني والأغاني : فما فرح ؛ ياقوت : فما رونق ؛ القزويني : فما نعمة .

= أظنه بالطائف ، وقال البكري : سجن بمكة .

٤ في رواية « سميّ النبي » أي أن اسمه محمد ؛ ووصيّ النبي : المراد ابن وصي النبي فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

٦ خيف المحارم : يعني الحرم ومناسكه .

٧ حيث الحمام . . . يعني مكة ، يقول ابن قيس الرقيات :

بلد يأمن الحمائم فيه حيث عاذ الخليفة المظلوم

٨ ورق الدنيا : رونقها وزهرتها ؛ ضربة لازم : يريد ضربة لازب ، واللازب الثابت .

٩ تلوي : تذهب وتصرف .

تخريج القصيدة ٢٣

الأبيات ٢ – ٨ في ياقوت ٣ : ٥٨٦

» ٣ – ٨ ، ٢ في الأغاني ٩ : ١٥

» ٣ – ٧ في الحيوان ٣ : ١٩٥

» ٢ – ٥ ، ٨ في القزويني : ٩٩

» ٢ – ٥ في تمام المتون : ٢١٧ – ٢١٨ (منسوبة لمحمد بن كثير)

» ٢ – ٤ في المروج ٣ : ٨٥ والكامل ٣ : ٢٦٥

البيتان ٢ ، ٤ في الكامل ٣ : ٢٠٤ والعقد ٤ : ٤١٣ وثمار القلوب : ٢٩٥

» ٢ ، ٨ في أنساب الأشراف ٤ : ٢٧

» ٨ ، ٩ في حماسة البحتري : ٢٢٤

البيت ١ في التاج (حدأ) وابن جنّي ٣ : ١٦٩/أ

» ٢ في البكري : ٩١١

» ٣ في نسب قريش : ٤٢

» ٤ في اللسان (وصي)

» ٨ في مجموعة المعاني : ٧٤ والسمط : ٥٠ والتاج (لزب)

٢٤

وقال :

١ عرَفتُ الدّارَ كالحِلَلِ البوالي   بفَيفِ الخائعَينِ إلى بَعالِ
٢ ديارٌ مِن عُزَيزَةَ قَدْ عَفاها   تَقادُمُ سالفِ الحقبِ الحوالي
٣ كأنَّ حُمولهمْ لمّا تولّتْ   بيَلْيَلَ والنّوى ذاتُ انْفتالِ
٤ وعدَّتْ نحوَ أيمَنها وصدَّتْ   عن الكثبانِ من صُعْدٍ وخالِ

---

١ ياقوت : كالحلل . . . الخائعان .

٣ ياقوت : كأن حمولها ؛ ياقوت (٤ : ٣٧٨) والمغانم : لما ازلأمت بذي المأثول مجمعة التوالي (وانظر البيت : ١٢) .

---

١ الخلل : جمع خلة وهي جفن السيف المغشى بالأدم ؛ وعند ياقوت «كالحلل» وهي البرود . الفيف : المكان المستوي ، وقيل المفازة لا ماء فيها ؛ الخائعان : شعبتان تدفع واحدة في يليل والأخرى في غيقة ، وهو وادي الصفراء . وبعال : جبل بين الأبواء وجبل جهينة ، وقال الحازمي : أرض لبني غفار قرب عسفان تتصل بغيقة .

٢ عزيزة : تصغير عزّة ؛ الحقب : السنون ، الحوالي : الماضية السالفة .

٣ في رواية ياقوت : ازلأمت أي ارتفعت ؛ ويليل موضع مضى التعريف به ؛ وذو المأثول : من نواحي المدينة .

٤ صعد – بضم ثم سكون : موضع ؛ وخال : أكيمة صغيرة ، وجبل ببلاد غطفان .

٥ (شوارِعُ في ثرى الحرْماء ليستْ   بجاذيةِ الجذوعِ ولا رِقالِ)

٦ فسَجّفْنَ الخدورَ بكلّ وجهٍ   نقيّ لونُـهُ كسنا الهـلالِ

٧ بكلّ تـلاعةٍ كالبدرِ لمّـا   تنوّرَ واستقلَّ عـلى الجبالِ

٨ كأن الريحَ تثني حين هبّتْ   ـولوضَعُفَتْـ بهن ّفروعَ ضالِ

٩ كسونَ الرَّيطَ ذا الهُدْبِ اليماني   خُصوراً فوقَ أعجازٍ ثِقالِ

١٠ ويجعلنَ الخلاخلَ حين تُلْوى   بأسؤقهنَّ في قَصَبٍ خِدالِ

١١ وكنتُ قُبيلَ أن يُخْلِفْنَ ظنّي   أُكذّبُ بالتفرُّقِ والزِّيالِ

١٢ فلمّا أن رأيتُ العيسَ صبّتْ   بذي المأثولِ مُجمعةَ التوالي

---

٥ ياقوت والمغانم : كوارع .

---

٥ شوارع : واردة للماء يعني نخلاً ، ويروى : كوارع أي تشرب . الحرماء : عين بالصفراء ، وقال الهجري (أبو علي : ٣٠٥) : كانت بالصفراء لحكيم بن نضلة الغفاري ثم اشتريت من ولده ؛ جاذية : دانية من الأرض ؛ والرقال : النخل التي تفوت اليد . قال البكري : وهذا البيت في شعر نصيب الذي أوله :

تنادى آل زينب باحتمال   وردوا غدوة ذلل الجمال

٦ سجفن : جعلن سجفاً وهو الستر .

٧ التلاعة : المرأة المشرفة الطويلة العنق ؛ تنوّر : أشرف مضيئاً ؛ استقلّ : ارتفع .

٩ الريط : الملاءة ؛ اليماني : نعت للريط .

١٠ الأسؤق : جمع ساق ؛ الخدال : جمع خدل وهو العظيم الممتلىء .

١١ الزيال : الفراق .

١٢ هذه رواية البيت : ٣ الذي مرّ آنفاً عند ياقوت ؛ وهذا ما جاء في اللسان (أثل) .

١٣ وقحّمَ سيرُنا من قُورِ حِسْمى مُروتَ الرَّعْي ضاحيةَ الظلالِ
١٤ وأرغمَ ما عَزَمْنَ البينُ حتى دفعن بذي المزارع والنجالِ
١٥ فقلتُ وقد جعلنَ بِراقَ بدرٍ يميناً والعُنابةَ عن شمالِ

* * *

١٦ وأشمتَّ العدى حتى كأنّي وإيّاها لهم غَرَضُ النبالِ
١٧ وأبعد ما بدا لك غيرَ مُشْكٍ خليلاً لست أنتَ له بقالي
١٨ أقولُ لها عُزَيْزَ مطلتِ دَيْني وشرُّ الغانياتِ ذوو المطالِ
١٩ فقالتْ ويبَ غيركَ كيف أقضي غريماً ما ذهبتُ له بمالِ

---

١٣ المخصص : من ظهر نجد .
١٤ الحازمي : بذي المذارع .
١٥ المحكم والتاج والحازمي : وقلت ؛ البكري : فقلن .

---

١٣ قحّم : طوى بمعنى أن الراكب لم ينزل في المنازل ؛ حسمى : جبال بين أيلة وجانب التيه الذي يلي أيلة وبين أرض عذرة ؛ مروت : جمع مرت وهو المفازة لا نبت فيها ، ورواه أبو سعيد السكري : مروت — بفتح الميم — وغيره يرويه بالضم ، والمروت بالفتح كالمرت وهو المفازة القفر ؛ وفي المخصص : « من ظهر نجد » قال : ورواه ثعلب : « من قور حسمى » .
١٤ ذو النجال : موضع بين الشام وسماوة كلب .
١٥ العنابة : قارة سوداء أسفل من الرويثة بين مكة والمدينة وهي إلى المدينة أقرب ، ولم يأت مقول القول لسقوط أبيات بعد هذا البيت .
١٩ ويب غيرك : ويحاً لغيرك .

٢٠ فأقسمُ لو أتيتُ البحرَ يوماً لأشربَ ما سقَتْني من بِلالِ
٢١ وأقسمُ أنَّ حُبّكِ أُمَّ عمروٍ لدى جَنْبي ومُنْقطَعِ السّعالِ

---

٢٠ ذكر ابن قتيبة أن عزّة اتهمت كثيّراً بأنه قال :

بآية ما أتيتك أم عمرو فقمت بحاجتي والبيت خالي

فقال : لم أقله ولكني قلت : فأقسم لو أتيت . . . البيت .

٢١ يروى : لداء غير منقطع السؤال .

تخريج القصيدة ٢٤

فصلنا عنها القطعة التالية ولم نورد فيها بيتاً هو :

أبا مروان لست بخـارجي وليس قديم مجدك بانتحال

وهو منسوب لكثير في اللسان والتاج (خرج) وشروح السقط : ٣٥٣ على أنه ورد في الأغاني (١ : ٣٤٤) ضمن أبيات لنصيب يمدح فيها الحكم بن المطلب .

الأبيات ٦ – ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٦ في المسالك ١٤ : ٦٩

البيتان ٣ ، ٥ في ياقوت ٢ : ٤٢٦ ، ٤ : ٣٧٨ والمغانم : ١٢٩ ، ٣٦٧

» ١٨ ، ١٩ في ابن خلكان ٣ : ٢٦٧

» ٢٠ ، ٢١ في الشعر والشعراء : ٤١٨ والأغاني ٩ : ٣٢

البيت ١ في الحازمي (بعال) وياقوت ١ : ٦٧١ والبكري : ٤٨١

» ٣ في ياقوت ٣ : ٣٨٨ ، ٤ : ١٠٢٦ والبكري : ٤٨٤ والحازمي (يليل)

» ٤ في الحازمي (صعد)

» ٥ في البكري : ٤٩٤

» ٧ في المحكم ٢ : ٣٧ واللسان (تلع)

» ٩ في الموازنة ١ : ١٤٧

» ١٠ في نهاية الأرب ٢ : ٩٤

» ١٢ في اللسان (أثل)

» ١٣ في اللسان والتاج (مرت) والمخصص ١٠ : ١٦١

» ١٤ في ياقوت ٤ : ٧٤٣ والحازمي (النجال)

» ١٥ في المحكم ٢ : ١٣٥ والتاج (عنب) والبكري : ٢٧٢ وياقوت ٣ : ٧٣٢ والسمهودي ٢ : ٢٥٩ والحازمي (عنابة) والمغانم : ٢٨٤

» ١٧ في ابن جني ٣ : ٢٥١/أ

٢٥

وقال يمدح ابن الحنفية :

١ أقَرَّ اللهُ عَيْني إذ دعاني　　أمينُ اللهِ يلْطُفُ في السؤالِ

٢ وأثنى في هوايَ عليَّ خيْراً　　ويسْألُ عَن بنيَّ وكيفَ حالي

٣ وكيفَ ذكرْتُ حال أبي خُبيبٍ　　وزلّةَ فِعْلهِ عِند السؤالِ

٤ هو المَهديُّ خبّرَناه كَعْبٌ　　أخو الأحبار في الحِقَبِ الخوالي

---

١ أمين الله : يريد محمد بن الحنفية .

٣ أبو خبيب : عبد الله بن الزبير ، وقد هجاه كثير في القصيدة (رقم : ٢٢) ومدح محمد ابن الحنفية عندما حبسه ابن الزبير في سجن عارم .

٤ كعب : يريد كعب الأحبار ؛ وقيل لكثيّر : ألقيت كعباً ؟ قال : لا ، قيل : فلم قلت « خبرناه كعب » ؟ قال : بالتوهم .

تخريج القصيدة ٢٥

لعلها من القصيدة السابقة ، ولكن المصادر أوردتها منفصلة ، فلا أقطع باتصالها .

الأبيات ١ – ٤ في الأغاني ٩ : ١٦

« ٤ ، ١ ، ٢ في المروج ٣ : ٨٧

البيت ٤ في نسب قريش : ٤١

٢٦

اختلف النسابون في خزاعة فنسبهم ابن إسحاق ومصعب الزبيري في مضر ، وقال آخرون انهم من ولد عمرو بن لحيّ ، قال ابن الكلبيّ : عمرو بن لحيّ هو أبو خزاعة كلها ، منه تفرقت ؛ وعلى هذا القول الثاني تكون خزاعة قحطانية . وكان بنو مليح بن عمرو من خزاعة يعدّون أنفسهم أبناء الصلت بن النضر بن كنانة ، ومن هؤلاء كثير عزّة ، غير أن أكثر علماء النسب يقولون إن الصلت لم يعقب . قال هشام الكلبي : ولا أعرف معنى لقول من زعم أن الصلت يجمع خزاعة وجهاً ولم أرَ عالماً إلا منكراً لذلك ، ورأيت أبي والشرقي يثبتان أن الصلت ابن النضر درج (أنساب الأشراف ١ : ٣٩) ؛ وحدث عبد الرحمن بن الخضر الخزاعي عن ولد جمعة بنت كثير أنّه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كثير أن عبد الملك قال لكثير : ويحك الحق بقومك خزاعة ، فأخبره أنّه من كنانة قريش ، فأنشده كثير الأبيات التالية ، وقد ذكر ابن هشام في السيرة (١ : ٩٤) أنها من قصيدة له ، ولكن بقية أبياتها لم تصلنا .

١ أليْسَ أبي بالصَّلْتِ أمْ ليس أسرتي ... لكلّ هِجانٍ مِن بني النّضرِ أزْهرا

٢ لبسنا ثِيابَ العَصْبِ فاختلطَ السَّدى ... بنا وبهِمْ والحَضْرَميَّ المُخصَّرا

---

١ الخزانة وسيبويه : بالنضر . . . والدي ؛ نجيب من خزاعة . الأغاني (٩ : ٧) بالنضر . . . بكل . . . بني الصلت ؛ اليعقوبي : إخوتي . . . بكل ؛ انباه ابن عبد البر : إخوتي .

٢ نسب قريش والسيرة والروض : رأيت ثياب .

---

١ الصلت بن النضر بن كنانة ؛ قال الشنتمري (سيبويه ١ : ٤٨٥) : الشاهد في وقوع « أم » لسؤال بعد سؤال ، والمعنى : أليس أبي بالنضر بل أليس والدي لكل نجيب ، وتكرير ليس بعد أم يدل على انقطاعها .

٢ العصب : برود اليمن لأنها تصبغ بالعصب وهو ينبت باليمن ؛ قال أبو حنيفة : يريد أن قدورنا من قدورهم فسدى أثوابنا مختلطة بسدى أثوابهم . والحضرميّ : النعال المخصرة =

٣ إذا ما قطعنا من قريشٍ قرابــةً بأيّ نجــادٍ تحملُ السيفَ ميْسرا

٤ أبَيتُ التي قد سُمْتَني ونكْرتُها ولو سُمتَها قبلي قبيصَةَ أنْكَرا

٥ فإن لم تكونوا من بني النّضْرِ فاتركوا أراكاً بأذنابِ الفوائجِ أخْضرا

---

٣ انباه ابن عبد البر : فأي قسي تحفز النبل ؛ أنساب الأشراف : فأي قسي يحمل النبل .

٤ انباه ابن عبد البر : وان التي قد سمتني .

٥ الأغاني : القوابل ؛ الأغاني : الحمائل ؛ أنساب الأشراف : الفوائح .

= التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الحصرين .

٣ ميسرة : ابن أم حدير من خزاعة ؛ يقول : إذا قطعنا قرابتنا من قريش فبمن نستعين على عدونا ؟ وضرب حمل السيف (أو ضرب القسي في رواية أُخرى) مثلاً فالسيف أداة الضرب ، كما أن القسي تحفز النبل وتعينها على الذهاب .

٤ قبيصة المذكور هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي .

٥ يقول : إن لم تكونوا من بني النضر فارتحلوا من مواطنكم ؛ قال المصعب : الفوائج : عيون بأستار ، حدثت تسمى الفوائج . وفي رواية للأغاني : الحمائل ، وفي رواية أُخرى : القوابل ، يعني الوديان .

تخريج القصيدة ٢٦ والتذييل عليها

الأبيات ١ – ٣ ، ٥ في نسب قريش : ١١
» ١ ، ٥ ، ٤ ، ٢ في الأغاني ٩ : ١١
» ١ ، ٢ ، ٥ في السيرة ١ : ٩٤ والروض الأنف ١ : ٧١
» ١ ، ٣ ، ٤ في انباه ابن عبد البر : ٩٤
» ١ ، ٣ ، ٥ في أنساب الأشراف ١ : ٣٨
البيتان ١ ، ٥ في الأغاني ٩ : ٧
البيت ١ في الخزانة ٢ : ٣٨١ وسيبويه ١ : ٤٨٥ وانباه ابن عبد البر : ٦٧ وتاريخ اليعقوبي ١ : ٢٣٣

وقال عبد الملك لكثير : لا بد أن تنشد هذا الشعر على منبري الكوفة والبصرة ، وحمله وكتب إلى العراق في أمره ، فأجابته خزاعة الحجاز ، فهجاه شعراء العراق فقال أبو علقمة البارقي (وهو ميسرة الذي ذكره في شعره) يرد عليه :

لعمري لقد زار العراق كثير　　بأُحدوثة من وحيه المتكذب
أتزعم أني من كنانة والدي　　وما ليَ من أم هناك ولا أب
فإن كنت حرّاً أو تخاف معرّة　　فخذ ما أخذت من أميرك واذهب

وقال عبد العزيز بن وهب بن جبير مولى خزاعة ، ورواه صاحب الأغاني للأحوص :

ستأبى بنو عمرو عليك وينتهي　　بهم نسب في جذم غسّان معرق
فإنك لو أعذرت أو قلتَ شبهة　　من الأمر فيها للمخاصم مَعْلَق
عذرناك أو قُلنا صدقت وإنّما　　يصدق بالأقوال من كان يصدق
فإنّك لا عمراً أباكَ بررته　　ولا النضر إذ ضيعت شيخك تلحق
فأصبحتَ كالمهريق فضل سقائه　　لجاري سراب بالفلا يترقرق

هذا ما أورده المصعب في نسب قريش (١١ – ١٢) وعند أبي الفرج زيادات في أبيات الأحوص (الأغاني ٩ : ١٢) وانظر أيضاً أنساب الأشراف ١ : ٣٩

٢٧

لما حدث ما حدث بشأن نسب خزاعة ، وتصدّى أبو علقمة الخزاعي للردّ على كثير ، هجاه كثير وردّ عليه بقوله :

١ لا تَكفُرَنْ قوماً عزَزْتَ بعزّهم   أبا علْقمٍ والكُفْرُ بالرّيقِ مُشرِقُ

٢ أبا خُبَثٍ أكرِمْ كنانةَ إنّهُمْ   مواليكَ إنْ أمْرٌ سما بك مُعْلِقُ

٣ بنو النّضرِ ترمي من ورَائك بالحصى   أولو حسبٍ فيهم وفاء ومَصْدَقُ

٤ يُفيدونك المالَ الكثير ولم تجِدْ   لمُلْكهم شبهاً لو آنّكَ تصْدُقُ

٥ إذا ركبوا ثارَتْ عليكَ عجاجةٌ   وفي الأرْض من وقعِ الأسنّة أوْلَقُ

---

٢ في رواية الزبير : أبا علقم :

---

١ لا تكفرن : لا تجحدن وتنكرنّ ؛ الكفر مشرق بالريق : كناية عن الحرج المعنوي الذي يفسد استساغة الأمور .

٢ أمر معلق : عظيم مهم ، وأعلق : جاء بداهية .

٣ ترمي بالحصى : تدافع عنك بكثرة عددها ؛ المصدق : الصدق .

٥ الأولق : الجنون ؛ وراجع قصيدة مولى خزاعة أو الأحوص (في ذيل القصيدة السابقة) فإنّها ردٌّ على قصيدة كثير هذه .

تخريج القصيدة ٢٧

الأبيات ٢ – ٥ في الأغاني ٩ : ١٢

البيت ١ في حماسة البحتري : ١١١

١ – وورد البيت :

ويـا عزّ للوصل الذي كـان بَيْننا نضا مثل ما ينضو الخضاب فيخلق

لكثير في اللسان (نضا) ؛ ولا أعرف له علاقة بما تبقى من أبيات القصيدة .

٢ – وورد في اللسان (قشو) هذا البيت :

دع ِ القوم ما احتلوا جنوب قراضم بحيثُ تقشى بيضه المتفلّق

وهو للأحوص في الأغاني وياقوت (قراضم) ٤ : ٤٧

٣ – وفي اللسان (هرق) لكثير :

فأصبحتْ كالمُهريق فضلة مائـه لضاحي سراب بالمـلا يترقرق

وهو أيضاً من أبيات الأحوص .

٢٨

وقال يعاتب قومه :

١ بَكى سائبٌ لمّا رأى رَمْلَ عالِجٍ أتى دونهُ والهضْبُ هضْبُ مُتالعِ

٢ بكى أنّهُ سهْوُ الدُّموعِ كما بكى عشيّةَ جاوَزْنا نجادَ البَدائعِ

* * *

٣ أوَدُّ لكُمْ خيْراً وتطّرِحونني أكعبَ بنَ عمروٍ لاختلافِ الصَّنائعِ

٤ وكيفَ لكُمْ صدري سليمٌ وأنتمُ على حسَكِ الشّحْناء حُنْوُ الأضالعِ

٥ أُحاذرُ أن تَلْقَوْا ردًى ومطيّكُمْ خواضِعُ تبْغيني حِمامَ المَصارعِ

---

٢ ياقوت (١ : ٥٢٣) : سهل الدموع .

٣ حماسة البحتري : أحار بن كعب ؛ الموشح : أسعد بن ليث .

٤ حماسة البحتري : قلبي سليم .

---

١ سائب : راوية كثير ، وهو السائب بن حكيم السدوسي ؛ رمل عالج : موضع بالبادية ، ومتالع : ماء في شرقي الظهران .

٢ السهو : السهل من الناس والأمور والحوائج . البديعان : موضع بالحجاز ولكن كثيراً ذكرهما بلفظ الجمع .

٣ اختلفت الرواية في اسم القبيلة التي يخاطبها الشاعر فهي: كعب بن عمرو أو حارث بن عمرو أو سعد بن ليث ؛ والأولى منها هي خزاعة قبيلته ، وتدلُّ روح القصيدة على أنّه يعاتبها . الصنائع : جمع صنيعة وهي المعروف ، أي لا أستوي وإياكم فيما نقدمه من صنائع . ويروى : « أود لكم خيراً وتتهمونني » .

٤ وكيف : يريد وكيف نستوي ، وأنا بريء الصدر نحوكم ، وأنتم تحنون أضلاعكم على حسك الشحناء ، والحسك : الشوك والحقد أيضاً ، والشحناء : العداوة .

٥ خواضع : ناكسة الرؤوس ؛ وذلك كناية عن رحلتهم في الكيد له .

٦ على كلِّ حالٍ قد بلَوْتم خليقتي — على الفقرِ منّي والغنى المتتابعِ

٧ (غنيتُ فلم أرْدُدْكُمُ عن بغيةٍ — وجُعتُ فلم أكدُدْكُمُ بالأصابعِ)

٨ إذا قلَّ مالي زاد عِرضي كرامةً — عليَّ ولم أتبعْ دقيقَ المطامعِ

٩ وإني لَمُستأنٍ ومُنتظِرٌ بِكُمْ — على هفَواتٍ فيكُمُ وتَتَايُعِ

١٠ وبَعْضُ الموالي تُتّقى دَرَءاتُهُ — كما تُتّقى روسُ الأفاعي الأضالعِ

١١ ومحترِشٍ ضَبَّ العداوَةِ مِنهُمُ — بحلوِ الخلا حَرْشَ الضّبابِ الخوادعِ

---

٧ المخصص : وحجتُ؛ التاج (حوج ، كدّ) : وحجت (ونسبه للكميت بن معروف الأسدي) .

٩ حماسة البحتري : وتتابع .

١٠ حماسة البحتري : زيغ رهطه . . . القواطع .

١١ المعاني الكبير : بحلو الرقى .

---

٧ فسر في هذا البيت ما أشار إليه من خليقته في البيت السابق ، حين الفقر والغنى ، يقول : غنيت فبذلت لكم من ثرائي ولم أرددكم عن طلب ، وجعت فلم ألحف عليكم بالسؤال ؛ والكدّ بالأصابع كناية عن الالحاح ، كما يكدّ المرء رأسه بأصابعه ؛ وحجت : أصبحت ذا حاجة ، وهي أجود ؛ ويروى أيضاً بكسر الحاء .

٨ ثم زاد في تفسير نفسيته حين يصبح فقيراً ، فذهب إلى أن الفقر يزيده تمسكاً بعرضه وحفاظاً عليه ، وأنّه لا يتبع المطامع الدقيقة الصغيرة التي يدفع إليها الفقر أحياناً .

٩ المستأني : المترقب المنتظر ؛ يريد أنّه يحلم عنهم ولا يردّ الإساءة نحوهم رغم ما فيهم من هفوات وتتايع ؛ والتتايع : الإسراع إلى الشرّ .

١٠ الموالي : أبناء العمّ ؛ الدرءات : الدفعات ، يريد التدافع في الخصومة والاندفاع نحو الشر ؛ الأضالع : الشديدة القوية ؛ وإذا قرىء « القواطع » فذلك أبين .

١١ الاحتراش : الخداع في صيد الضب ، ومن المجاز قولهم « احترش ضب العداوة » . يقال إنّه لحلو الخلا أي حلو الكلام ؛ ووضع الحرش موضع الاحتراش لأنّه إذا احترشه فقد حرشه . واحتراش الضب يكون بتحريك اليد عند جحره ليخرج ظانّاً أن حية تريد الدخول عليه فينخدع بهذه الحيلة ويصاد .

تخريج القصيدة ٢٨

أورد بيريس فيها ثلاثة أبيات تعد دخيلة على القصيدة وهي ٣ ، ٤ ، ٥ ؛ فالبيت :

بها العين والآرام فوضى كأنّها ذبالٌ تزكى أو نجوم طوالع

من عينية مرفوعة لا مكسورة لذي الرمة ؛ والبيت :

كأن يدي حربائها متشمّساً يدا مذنب يستغفر الله خاضع

لذي الرمة أيضاً ، وقافيته مغيرة وأصلها « تائب » ؛ والبيت :

فنلنا سقاطاً من حديث كأنّه جنى النحل ممزوجاً بماء الوقائع

من عينية مكسورة لذي الرمة أيضاً .

وليس من المقطوع به أن يكون البيتان الأولان (١ ، ٢) من هذه العينية التي يعاتب فيها كثير بني قومه ؛ وفي معنى هذا الموضوع اطرد ترتيب الأبيات ٣ – ١٠ ، والبيت ١١ أصيل فيها ولكن موضعه قلق وصلته بما قبله منقطعة ؛ وفي الأبيات ٣ – ١٠ آثرنا رواية « لباب الآداب » .

الأبيات ٣ – ٦ ، ٩ ، ١٠ في لباب الآداب : ٣٨٨

« ٣ ، ٥ ، ٤ ، ٩ ، ١٠ في حماسة البحتري : ٢٤٢

البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٤ : ٤١٢ ، ١ : ٥٢٣

البيت ٢ في البكري : ٢٣٣ ، ١٣٢٢ (العجز وحده)

« ٣ في الموشح : ٢٤٤

« ٥ في ابن جني ٢ : ١٠٤ ب

« ٧ في الأساس والتاج (كدّ) والتاج (حوج) والمخصص ١٢ : ٢٢٢(دون نسبة)

« ٨ في معجم المرزباني : ٢٤٣

« ١١ في المعاني الكبير : ٦٤٣ والتاج (حرش ، خدع) وشروح السقط : ٧٥١ والمحكم ٣ : ٧٤ واللسان (خلا) والمخصص ٣ : ٨٠ ، (دون نسبة) ٨ : ٩٧

٢٩

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

١ سيأتي أميرَ المؤمنينَ ودونَهُ جماهيرُ حِسْمى قُورُها وحُزُونُها

٢ تجاوبُ أصدائي بكلّ قصيدةٍ من الشعرِ مهداةٍ لمن لا يُهينها

٣ أُفخِّمُ فيها آلَ مروانَ إنّهُمْ إذاعمَّ خوفٌ عبدَ شمسٍ حُصونُها

٤ أسودٌ بوادي ذي حماسٍ خوادرٌ حوانٍ على الأشبال محمًّى عرينها

٥ إذا طلبوا أعلى المكارمِ أدركوا بما أدركتْ أحسابُ قومٍ ودينها

٦ لقد جَهد الأعداءفوْتَكَ جُهدَهمْ وضافتكَ أبكارُ الخطوبِ وعونُها

٧ فماوجدوا فيكَ ابنَ مروان سقْطَةً ولا جَهْلَةً في مأزِقٍ تستكينُها

---

٦ الهجري : وقد حفر الأعداء نؤيك .

---

١ الجمهور : الرمل الكثير المتراكم والجمع جماهير ؛ حسمى : أرض بين أيلة وجانب التيه الذي يلي أيلة وبين أرض بني عذرة ؛ القور : الجبيلات الصغيرة المنفردة ، والمفرد قارة ؛ الحزون : جمع حزن وهو الأرض الغليظة .

٢ يعني مهداة لمن يقدر الشعر حق قدره .

٤ ذو حماس : بفتح الحاء وبالسين المهملة ، مأسدة ؛ وفي شعر أبي زبيد الطائي : « يرون بوادي ذي حماس مزعفرا » . محمى : كذا هو ، ولعله « يحمى » بالبناء للمجهول .

٦ يريد الأنواع المختلفة من الخطوب ، فمنها الأبكار التي تواجهك لأول مرة ومنها العون التي طال تكررها ؛ وفي رواية الهجري « وقد حفر الأعداء نؤيك » وهي كناية عن المكيدة .

٧ السقطة : الزلة والعثرة ؛ تستكينها : تستكين لها فتتحكم في إرادتك .

٨ ولكن بلوا في الجدّ منك ضريبَةً بَعيداً ثراها مُسْمَهِرّاً وجينُها

٩ إذا جاوَزُوا معرُوفَها أسْلمتهُمُ إلى غَمْرَةٍ لا يَنْظُرُ العوْمَ نونُها

١٠ إذا ما أراد الغزْوَ لم تثْنِ عزْمَهُ حَصانٌ عليها نَظْمُ دُرٍّ يَزينُها

١١ نَهَتْهُ فلمّا لم تَرَ النّهْيَ عاقَهُ بكَتْ فبكى مِمّا شجاها قطينُها

١٢ ولم يثْنِهِ عِندَ الصَّبابةِ نَهْيُها غداةَ استْهلّت بالدُّموع شؤونُها

---

٩ اللسان (بون) : معروفه . . . القوم بونها (مصحفاً) .

١٠ الموازنة : لم يثن ؛ المعاني الكبير والحماسة البصرية : إذا همّ بالأعداء لم يثن همه كعاب .

١٢ في الحماسة البصرية : ٥٥ ب (رئيس الكتاب: ٧٨٧) :

ولم يثنه إيماضها وابتسامها ولا حين جادت بالدموع عيونها

---

٨ الضريبة : الطبيعة ؛ بعيداً ثراها : مثل ضربه ؛ يقول : إنك بعيد الغور ؛ والمسمهر : الغليظ الصلب ؛ والوجين : ما غلظ من الأرض (المعاني الكبير : ٨٣٠) ؛ يصف خليقته بأنها بعيدة الغور صلبة كالكدية الغليظة في العزم والتصميم .

٩ إذا جاوزوا معروفها : معروف الطبيعة أي تركوا المقاربة ، وقعوا في غمرة من الماء يهلك فيها النون وهو السمكة ؛ والعوم : السباحة (المعاني الكبير : ٨٣٠) .

١٠ الحصان : المرأة العفيفة ؛ والقصة المتصلة بهذا البيت والذي يليه مشهورة ، فقد خرجت عاتكة مع حشمها في وداع عبد الملك عندما خرج لغزو مصعب ، فلما ودعته بكت وبكى حشمها معها فقال عبد الملك : قاتل الله كثيّراً كأنّه كان يرى يومنا هذا حيث يقول ... الخ ، وإذا صحت هذه القصة دلّت على أن القصيدة قبل سنة ٧٠ وهو العام الذي خرج فيه عبد الملك لقتال مصعب ؛ أو على الأقل قبل خروج عبد الملك في ذلك العام نفسه . ومثله للحطيئة :

إذا همّ بالأعداء لم يثن همّه كعاب عليها لؤلؤ وشنوف

١٣ ولكن مضى ذو مِرَّةٍ مُتثبِّتٌ لسُنَّةِ حقٍّ واضحٍ يسْتبينُها
١٤ أشمُّ عميمٌ في العمامةِ أظهرتْ حزامتُهُ أجلادَ جسمٍ يُعينُها
١٥ وصدقَ مواعيدٍ إذا قيل إنّما يُصَدِّقُ موعودَ المغيبِ يقينُها
١٦ وهم يضربون الصَّفَّ حتّى يُثبِّتوا وهم يرجعون الخيلَ جُمّاً قرونُها
١٧ فتى أخلَصَتْهُ الحربُ حتى تقلَّبتْ كما أخلصتْ عضباً بضربٍ قيونُها

---

١٣ الحماسة البصرية : ذا مرة متثبتاً .
١٦ ابن جني : الصفر .

---

١٣ المرة : إحكام الرأي ؛ يستبينها : يجدها واضحة .
١٤ العميم : الطويل من الرجال ؛ ويقال فلان عظيم الأجلاد : إذا كان ضخماً قويّ الأعضاء والجسم ؛ يريد أن حزامته مؤيدة بقوة جسمانية تعينه على الحزم والصبر .
١٦ أي حتى يثبتوا ما أرادوا ؛ جماً قرونها : وقد قتل فرسانها (المعاني الكبير : ١٠٤) والأجم : الذي لا قرون له ؛ وعند ابن جني : يضربون الصفر ، يعني الروم .
١٧ أخلصته : أثبتت نقاء جوهره ؛ القيون : صانعو السيوف .

تذييل على القصيدة ٢٩ وتخريج لها

أورد الهجري هذه الأبيات (النسخة الهندية : ٣٣٦) وقال إنها من إنشاد الأزرقي لكثير ، ولعلها جزء من المقدمة الغزلية للقصيدة السابقة :

١ ولي حاجةٌ في آلِ عزة لا أرى لساني ولا طولَ المقامِ يبينُها

٢ وما بيَ عيٌّ أن أُبيّنَ حاجتي ولا بيَ والرحمن ما عزَّ هونُها

٣ ولكنَّ لي نفساً أبَتْ ليس عندها عزاءٌ ولا مجلودُ صبرٍ يُعينُها

٤ تهابُ اقتضابَ الوصلِ لم يكُ قبلَهُ قوًى من حبالٍ غيرِ رثّ متينُها

الأبيات ٢ – ٥ ، ١٠ – ١٥ ، ١٧ في المسالك ١٤ : ٧٠

« ٣ ، ٤ ، ٦ – ٨ في نوادر الهجري (الورقة : ١٣٧ ، نسخة القاهرة) .

« ٦ ، ٧ ، ١٠ – ١٣ في الصفوة : ١٢ ب

« ١٠ – ١٣ في أمالي القالي ١ : ١٣ والحماسة البصرية : ٥٥ ب

البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٢ : ٢٦٧

« ٨ ، ٩ في المعاني الكبير ٨٣٠

« ١٠ ، ١١ في الأغاني ٩ : ٢١ وأنساب الأشراف ٥ : ٣٣٧ وابن خلكان ٣ : ٢٦٦ وابن سلام : ٤٦٠ ودرة الغواص : ٤٧ وعيار الشعر : ٨٦ والعقد ٤ : ٤٠٧ والدميري ١ : ٢٦٧

البيت ٩ في اللسان (بون)

« ١٠ في المعاني الكبير : ٨٩٧ والموازنة ١ : ٦١

« ١٦ في المعاني الكبير : ١٠٤ وابن جني ٢ : ٢٢٩ ب

وقد نسب له الحاتمي في الموضحة (١٨٠) بيتاً على هذا الوزن والروي وهو :

أطافت بشُعْثٍ كالأسنَّة هُجَّدٍ بخاشعة الأصواءِ غبرٍ صحونها

وهو للبعيث في الموازنة ١ : ٢١ وأخبار أبي تمام : ١١٧

٣٠

وقال يمدح عبد الملك بن مروان * :

١ ودِدْتُ وما تُغْنـي الودادةُ أنّني — بما في ضميرِ الحاجبيّةِ عالمُ

٢ فإن كان خيراً سَرَّني وعلِمْتُـهُ — وإن كان شرّاً لم تلُمْني اللّوائمُ

٣ وما ذكرَتْكِ النّفْس إلاّ تفرَّقتْ — فريقينِ منها عاذِرٌ لي ولائمُ

٤ فريقٌ أبى أن يقبَلَ الضّيْم عنْوَةً — وآخرُ منها قابلُ الضَّيْمِ راغمُ

---

* الأبيات الثلاثة الأولى حماسية ، ولهذا ننقل شرحها عن المرزوقي .

١ يقول : تمنيت أني عالم بما ينطوي عليه قلب هذه المرأة لي ، وما ينفع التمني إذا لم يساعد القدر . وقوله « وما يغني الودادة » اعتراض بين وددت ومفعوله وهو أنني ؛ ويقال : وددت وَدادة ووِدادة — بفتح الواو وكسرها . قال صاحب الخزانة : والشاهد فيه أن « أن » المفتوحة يجوز أن تقع بعد فعل غير دال على العلم واليقين — خلافاً للزمخشري في مفصله فإن وددت بمعنى تمنيت (الخزانة ٣ : ٥٤٤) .

٢ قوله : فإن كان خيراً يريد : فإن كان ما تضمره لي وداً صافياً وميلاً ناصعاً سرني ذلك وسكنت إليه ، فلا يذهب ما أتكلفه في هواها باطلاً ، وإن كان ما تضمره لي وتنطوي عليه اعتراضاً خالصاً وجفاء مراً قتلت نفسي وأرحتها من لوم اللائمات ؛ وقوله « وعلمته » اكتفى بمفعول واحد لأنّه بمعنى عرفته .

٣ — ٤ يقول : ما أخطرتها ببالي على ما أقاسي فيها ويوافيني من اطراحها وزهدها إلا تفرقت نفسي فريقين ، ففريق يعذرني ويقول : إن مثلها في كمالها وظرفها وحسبها ومنصبها وشرفها وسروها يصبر على كل أذى يعرض في اكتسابها ويعتلق على جميع علاّتها احتفالاً باسمها في العشاق وتكثراً بمكانها بين ذوي الأهواء ؛ وفريق يلومني ويقول : إنّك جاهل بما لك وعليك ، متبذل الروح في هوى من لا يشفق عليك ولا يرفق بك ، =

٥ أروحُ وأغدو من هواكِ وأستَرِي وفي النّفْس ممّا قد علمْتِ علاقمُ

* * *

٦ إلى أهْلِ أجنادَينِ مِن أرْض منبجٍ على الهوْلِ إذ ضَفْرُ القوى متلاحمُ

٧ وما لستُ من نُصْحي أخاكَ بمُنكرٍ ببُطْنانَ إذ أهْلُ القبابِ عماعِمُ

٨ سيأتي أمــيرَ المؤمنينَ ودونَــهُ رُحابٌ وأنْهارُ البُضَيعِ وجاسمُ

٩ ثَنائي تُنَمّيهِ عليّ ومِدْحتي سَمامٌ على رُكبانِهِنّ العمائمُ

= ولا يرجع إلى شيء ممّا تؤثره، وان امتدّ مدى ذهابها عنك . وهذا قاله على عادة الناس فيما يهمّون ، وترددهم بين ما يقوي العزم عليه وبين ما يضعفه فجعل كل واحد منهما كأنّه نفس على حيالها . قلت : وقد استعمل كثير هنا « عنوة » بمعنى القهر ، وقد وردت عنده في غير موضع بمعنى الطوع والاختيار ، والراغم : الذليل الملصق أنفه بالرغام .

٥ أستري : مثل أسري يعني أسير ليلاً ؛ العلاقم : كل شيء مرّ .

٦ انتقل في هذا البيت إلى ذكر الرحلة للممدوح وسقط قبله أبيات . أجنادين : في فلسطين بين الرملة وبيت جبرين وعندها كانت الوقعة المشهورة في الفتوح ؛ ومنبج : بالشام ؛ ضفر القوى : أي طاقاته مضفورة متلاحمة ، فهي قوية .

٧ بطنان : موضع من أرض الشام كان عبد الملك يشتو فيه في الحرب بينه وبين مصعب ومصعب يشتو بمسكن ؛ والعماعم : الجماعات المتفرقة .

٨ قال ابن حبيب : البضيع من عمل غوطة دمشق ، ورحاب من عمل حوران ، وجاسم من عمل جولان ، وقال الأثرم : إنّما هو « البصيع » ـ بالصاد المهملة ـ وقد رأيته وهو جبل قصير بأرض البثنية .

٩ ثنائي ، فاعل الفعل« سيأتي » في البيت السابق ؛ السمام : النوق السريعة .

تخريج القصيدة ٣٠

الأبيات ١ – ٤ في الخزانة ٣ : ٥٤٤ والتبريزي ٣ : ١٤٠
« ١ – ٣ في الزهرة : ٢٧٩ وحماسة المرزوقي : ١٢٨٧
البيتان ١ ، ٢ في الأغاني ١٢ : ١٠٨
« ٨ ، ٩ في ياقوت ٢ : ٧٥٨
البيت ١ في الخزانة ٣ : ٥٤٧
« ٥ في رفع الحجب ١ : ٩٢
« ٦ في البكري : ١١٤
« ٧ في رفع الحجب : ٢٥٩ وياقوت ١ : ٦٦٤
« ٨ في رفع الحجب : ٢٥٦

٣١

وقال أيضاً يمدح عبد الملك بن مروان * :

١ أأطْلالُ دارٍ مِنْ سُعادَ بيَلْبَنِ وقفْتُ بها وحشاً كأنْ لم تُدمَّنِ

٢ إلى تلَعاتِ الحُرْجِ غيّرَ رَسْمَهَا همائمُ هطّالٍ من الدَّلْوِ مُدْجِنِ

٣ عرَفْتُ لسُعدى بعد عشرين حجّةً بها درسُ نؤيٍ في المحلّةِ مُنحنِ

---

١ المغانم : وإن لم .

٢ البكري : الجزع ؛ الحازمي : هماهم .

---

* زعم صاحب العقد (٣ : ٨) أنّ كثيراً أنشد هذه القصيدة عبد العزيز بن مروان فاستحسنها فقال : سل حاجتك ، فقال : توليني مكان ابن رمانة ؛ وقد ذكرت المناسبة في معرض قصيدة أُخرى (انظر رقم : ٤٨) .

١ يلبن : غدير بالنقيع ، وقال الهجري إنّه أذكر غُدُر النقيع ، والفصحاء يقولون فيه : « ألبن » وقال ابن السكيت : هو قلت عظيم بالنقيع من حرة سليم . وقال ابن حبيب : يلبن على ليلة من المدينة . تدمن : يترك الناس والدواب فيها آثارهم .

٢ الحرج : واد عند يلبن ، وفي البكري « الجزع » . الهمائم : جمع هميمة وهي المطر اللين الدقيق القطر ؛ الهطال : السحاب يدوم ماؤه في لين ؛ الدجن : السحاب الملبس آفاق السماء بظلامه .

٣ الدرس : الدارس ؛ منحن : مستدير .

٤ قديمٌ كوَقْفِ العاج ثُبِّتَ حوْلهُ مَغارِزُ أوتادٍ برَضْمٍ موضَّنِ

٥ فلا تُذكراهُ الحاجبيةَ إنّه متى تُذكراهُ الحاجبية يحزنِ

* * *

٦ تراها إذا استقبلتها محزئلة على ثفن منها دوامٍ مسفّنِ

٧ كأنَّ قتودَ الرَّحلِ منها تُبينُها قرونٌ تحنّتْ في جماجمِ أبْدُنِ

٨ كأنَّ خليفَيْ زَوْرها ورحاهُما بُنى مَكوَينِ ثُلّما بعدَ صَيدَنِ

٩ إلى ابن أبي العاصي بدَوّةَ أرْقلَتْ وبالسّفحِ من ذاتِ الرُّبى فوْقَ مُطْعِنِ

---

٤ الموازنة : برخم .

٩ ياقوت : أدلجت . البكري : فوق مطعن .

---

٤ الوقف : السوار ؛ الرضم : صخور عظام ؛ والرخم أيضاً هضاب صغار . الموضن : الذي بعضه فوق بعض ، يقول : ضربت الأوتاد بحجارة الرخمة أو بالرضم حتّى تنغرز في الأرض وتثبت .

٦ انتقل إلى وصف ناقته التي ارتحل عليها إلى الممدوح وقبل البيت سقطت أبيات ؛ واحزأل البعير في سيره : ارتفع ؛ والثفن : داء في الركبة ؛ المسفن : المقشور .

٧ أبدن : جمع بدن وهو الوعل المسنّ ، شبه قتود الرحل بقرونه .

٨ خليفا الناقة : ما تحت إبطيها ؛ والرحى : الكركرة ؛ المكوان : مثنى مكا وهو جحر الثعلب والأرنب وغيره ؛ بعد صيدن : بعد رحيله عنهما ، والصيدن : الثعلب ، وقال ابن خالويه (كتاب ليس : ٥٤) : لم يجيء الصيدن إلا في شعر كثيّر ؛ قال الجوهري : الصيدن دويبة تعمل لنفسها بيتاً في الأرض تعميه أي تغطيه .

٩ دوة : موضع من وراء الجحفة على تسعة (الحازمي : لستة) أميال ؛ ومظعن – في قول ابن السكيت – واد بين السقيا والأبواء . وأثبته البكري في « مُطْعُن » بالطاء المهملة وبضم أوله وإسكان ثانيه وضم العين المهملة .

١٠ بشُعْثٍ عليها ، غيَّرَ السيرُ منهمُ صفاءَ وجوهٍ ، وهي لم تتشنَّنِ

١١ إذا ذرَّ قرنُ الشمسِ مالتْ طُلاهمُ عليها وألْقَوْا كلَّ سوطٍ ومِحجَنِ

١٢ كأنهمُ كانوا منَ النومِ عاقَروا بِلَيْلٍ خراطيمَ السُّلافِ المسخَّنِ

١٣ إلى خيرِ أحياء البريّةِ كلّها لذي رَحِمٍ أوْ خُلّةٍ مُتأسِّنِ

١٤ لهُ عَهْدُ وُدّ لم يُكدَّرْ يَزينُهُ ردى قولِ معروفٍ حديثٍ ومزْمنِ

١٥ وليس امرؤٌ من لم ينلْ ذاك كامرىء بدا نُصحه فاستوجبَ الرِّفد محسنِ

١٦ فإنْ لم تكُنْ بالشّـأم داري مُقيمةً فإنَّ بأجنادَينِ منّي ومسْكِنِ

---

١٤ المعاني الكبير : لم يكذب .

١٦ خلط الحازمي بين عجز هذا البيت وصدر تاليه وجعل القافية « رسومها » .

---

١٠ تشنّن : تشنج ، يعني أن تلك الوجوه ذهب منها صفاؤها بسبب التعب ولم تيبس من هرم أو شيخوخة .

١١ الطلى : الأعناق ؛ المحجن : عصا معقفة الرأس .

١٢ عاقروا : تعاطوا ؛ الخرطوم : الخمر السريعة الإسكار ؛ المسخن : المخلوط بالماء السخين .

١٣ متأسن : متعلل مبطىء ؛ وتأسن العهد : تغير .

١٤ الردى : الزيادة ، ردى قول : زيادة قول ؛ يقال : ما بلغت ردى عطائك أي زيادتك في العطية ، ويعجبني ردى قولك أي زيادة قولك ، يعني : يزين عهد ودّه زيادة قول معروف حديث وقديم .

١٥ محسن : نعت لكلمة « كامرىء » ، يقول ليس من لم ينل ذاك كامرىء محسن مخلص في نصحه مستوجب للمعونة .

١٦ أجنادين : بين الرملة وبيت جبرين ؛ ومسكن : من أرض العراق .

١٧ منازلَ لم يعْفُ التّنائي قديمَها   وأُخرى بمَيّافارقين فمَوْزَنِ

١٨ إذ النَّبْلُ في نحرِ الكُميتِ كأنّها   شوارِعُ دَبْرٍ في حُشافةِ مُدْهُنِ

١٩ وأنت كريمٌ بينَ بيتي أمانـة   بعلياءِ مجدٍ قُدِّمَتْ لك فابتنِ

٢٠ مصانعَ عزّ ليس بالترب شُرِّفَتْ   ولكِنْ بِصُمّ السَّمْهريّ المُعرَّنِ

٢١ وقد علمتْ قِدماً أُميّةُ أنكمْ   من الحيّ مأوى الخائفِ المتحصّنِ

٢٢ وان تقصرِ الدعوى إلى الرهطِ قَصرَةً   فإنّك ذو فضلٍ على الحقّ بيِّنِ

٢٣ بحقّك إنْ تنطقْ تقلْ غيرَ مُهْجِرٍ   صواباً، وإن يخففْ حصَى القوم ترزُنِ

---

١٧ الحازمي وياقوت (٤ : ٧٠٣) والبكري (أجنادين) : مشاهد ؛ الحازمي : منازل صدق لم تغير رسومها .

١٨ اللسان والتاج (حسف) : حسافة .

---

١٧ ميافارقين بديار بكر ؛ وموزن بالجزيرة ؛ «منازلَ» منصوب على أنّه اسم إنّ في البيت السابق .

١٨ الدبر : الزنابير ؛ شوارع : يشربن من الماء في النقرة وهو بقية قليلة . الحشافة : الماء القليل ؛ والمدهن : نقرة في الصخرة يبقى فيها الماء ؛ يصف وقع السهام في صدور الخيل ونحورها . والحسافة كالحشافة .

٢٠ المصانع : الدور والقصور ؛ ونصب على المفعولية للفعل «فابتن» في البيت السابق . المعرّن : المسمور ، والعران : المسمار الذي يضم بين القناة والسنان ، أصله من عران الناقة ، وهو العود الذي يجعل في أنف البختية .

٢١ المتحصن : اللائذ إلى حصن طلباً للحماية .

٢٣ المهجر : الذي يخلط في قوله أو يفحش فيه ؛ خفت حصاته : كناية عن الطيش وذهاب الحلم .

٢٤ بهاليلُ معروفٌ لكم أن تفضّلوا ... وأن تحفظوا الأحسابَ في كلّ موطنِ

٢٥ بصبرٍ وإبقاء على جُلّ قومِكُمْ ... على كلّ حالٍ بالأُنا والتحنّنِ

٢٦ ولينٍ لهم حتى كأنَّ صدورَهُمْ ... من الحِلم كانت، عِزّةً، لم تَخشّنِ

٢٧ وأنتَ فلا تُفقَدْ ولا زال منكُمُ ... إمامٌ يُحيّا في حجابٍ مُسَدَّنِ

٢٨ أشَمُّ مِن الغادِينَ في كلّ حُلّةٍ ... يميسُون في صِبْغٍ من العصْب متقَنِ

٢٩ لهُمْ أُزُرٌ حُمْرُ الحواشي يطَوْنَها ... بأقْدامهِمْ في الحضرَميّ المُلسَّنِ

---

٢٤ البهاليل : السادة الأشراف .

٢٥ الأنا : جمع أناة وهي الرفق والتؤدة .

٢٧ المسدَّن : المرسل ، وسدَّن الحجاب أو الثوب أرسله وأرخاه .

٢٨ العصب : برود اليمن .

٢٩ يطونها : يطؤونها ؛ الحضرمي : نوع من النعال ؛ والملسنة من النعال : التي جعل طرف مقدمها كطرف اللسان ؛ وصف بني أمية بالمرح والنعمة والخيلاء وذكر سبوغ أزرهم وأنهم يطؤونها بنعالهم الحضرمية الملسنة هواناً بها .

تخريج القصيدة ٣١

أورد بيريس فيها قوله :

ذكرْتُ عطاياهُ وليسَتْ بحُجّةٍ   عليكَ ولكنْ حُجّةٌ لك فاتّنِ

والبيت لكثير في اللسان (ثنى) والمعاني الكبير : ٨٣١ ومعناه : إن عطايا أبيك ليست توجب عليك أن تعطيني مثلها ولكنها حجة لك إن فاخرت ، فاثن افتعل من ثنيت أي بدأ هو فكن أنت ثانياً ، وفي اللسان (فاثني) قال : قيل في تفسيره أعطني مرة ثانية ولم أره في غير هذا الشعر . وقد صرح ابن قتيبة أن كثيراً يخاطب فيه عمر بن عبد العزيز ، فإذا كان ابن قتيبة على صواب فالبيت من قصيدة أخرى غير السابقة . وإن كان ذلك سهواً منه فإنه قد يلحق بها .

الأبيات ١٠ – ١٢ ، ٢١ – ٢٩ في مسالك الأبصار ١٤ : ٦٨
» ١٣ – ١٦ في ياقوت ١ : ١٣٧
» ٢٧ – ٢٩ في العقد ٣ : ٨

البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٢ : ٤١٩ والبكري : ١٣٢٥
» ٣ ، ٤ في الموازنة ١ : ٤٥٩ وأمالي المرتضى ٢ : ٣٤
» ١٦ ، ١٧ في البكري : ١١٥ وياقوت ٤ : ٦٨٠ والحازمي (مسكن ، موزن)

البيت ١ في الحازمي (يلبن) وياقوت ٤ : ١٠٢٥ والمغانم : ٤٣٩
» ٢ في الحازمي (الخرج)
» ٥ في ابن جني ٢ : ١٣٣ ب
» ٦ في ابن جني ٣ : ٢٣٤/أ
» ٨ في اللسان (صدن) والتاج (خلف ، صدن)
» ٩ في ياقوت ٢ : ٦٣١ ، ٤ : ٥٦٨ والبكري : ١٢٤٠ والحازمي (دوة) والمغانم : ٣٨٥
» ١٤ في اللسان (ردى) والمعاني الكبير : ٨٣٠
» ١٧ في ياقوت ٤ : ٧٠٣
» ١٨ في اللسان والتاج (حسف) والمعاني الكبير : ٦٢٨
» ٢٠ في المعاني الكبير : ١٠٩١ (العجز وحده)
» ٢٩ في اللسان (لسن) والمقاييس ٥ : ٢٤٧ وسرقات أبي نواس : ٣٩ والوساطة : ٢٠٩

٣٢

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

١ صحا قلبُهُ يا عزَّ أوْ كادَ يذْهلُ   وأضْحى يريدُ الصّرْمَ أوْ يتبَدّلُ
٢ (أيادي سَبا يا عزّ ما كنتُ بعدكمْ   فلمْ يحلَ للعَينَينِ بعدكِ مَنْزِلُ)
٣ وخبّرَها الواشونَ أنّي صرَمْتُها   وحمّلها غيظاً عليَّ المُحمِّلُ
٤ وإني لمُنقادٌ لها اليومَ بالرّضَى   ومُعْتذِرٌ مِن سُخْطِها مُتنصِّلُ
٥ أهيمُ بأكنافِ المُجمّرِ مِن مِنًى   إلى أُمّ عَمْرٍو إنّني لمُوكَّلُ
٦ إذا ذكرتْها النفس ظلّت كأنّما   عليها من الوَرْدِ التهاميّ أفْكَلُ
٧ وفاضتْ دُموعُ العينِ حتّى كأنّما   بوادي القرى من يابس الثّغرِ تُكحَلُ

---

٧ السمط : وظلت دموع ؛ اللسان والتاج (ثغر) والمخصص : براد القذى . . . يكحل .

---

١ تقول : صحا من السكر وأصحت السماء ، الأول دون ألف والثاني بألف ولا يجوز غير ذلك ؛ يذهل : ينسى ويسلو .

٢ سيجيء هذا البيت بقافية رائية : . . . . بعدك منظر (القصيدة : ٥٥)

٤ متنصّل : متبرىء ممّا نسب إليّ .

٥ المجمّر : موضع رمي الجمار من منى ؛ موكل بالهيام : مقبل عليه مضطلع به .

٦ أي ظلت تنتفض كأن بها حمى ؛ والورد : الحمّى ؛ والأفكل : الرعدة والارتعاش .

٧ قال البكري (السمط : ٢٢٣) يقول : كأن عينه كحلت بثغر فهي تسيل ؛ والثغر : =

٨ إذا قُلتُ أسلو غارَتِ العينُ بالبُكا غِراءً ومدَّتْها مدامِعُ حُفَّلُ

٩ إذا ما أرادتْ خُلَّةٌ أن تُزيلَنا أبَيْنا وقُلْنا الحاجبيّةُ أوّلُ

١٠ سنوليكِ عُرْفاً إنْ أرَدْتِ وِصالَنا ونحنُ لتِلْكَ الحاجبيّةِ أوْصَلُ

---

٨ المحكم : فاضت العين ؛ المخصص والسمط : إذا قيل مهلاً . السبع الطوال : إذا قلت مهلاً . العيني وابن يعيش : نُهّل .

٩ المحاسن والأضداد والعيون والموازنة والخزانة : إذا وصلتنا ؛ بديع أسامة : أن نزورها .

=ضرب من النبت فيه حرارة يلذع العين إذا أصابها . وفي اللسان (ثغر) : الثغرة من خيار العشب خضراء غبراء تضخم حتى تصير كأنها زنبيل مكفأ مما يركبها من الورق والغصنة وورقها على طول الأظافير وعرضها ، وفيها ملحة قليلة مع خضرتها وزهرتها بيضاء ، وهي تنبت في جلد الأرض ولا تنبت في الرمل ، والإبل تأكلها أكلاً شديداً ، وجمعها ثغر .

٨ ثم قال : إذا نُهي عن البكاء غارت عينه من الغراء وهي الملاجّة ؛ يقال غاراني فلان إذا لاججته فصنع مثلما تصنع ؛ ويروى وآدتها مدامع بهّل (وهي رواية اليزيدي عن محمد ابن حبيب) ، ومعناه أعانتها ومدتها ؛ وبهّل : مطلقة من قولهم ناقة باهل إذا لم يكن لها صرار (عن السمط : ٢٢٣) . وحفل الدمع : كثر ، فالدموع حفّل ، ومعنى غارت : فاعلت من الولاء ، وقال أبو عبيدة : فاعلت من غريت بالشيء أغرى به ، وهو أيضاً قول الأصمعي (السبع الطوال : ٤٥٥) وقال ابن سيده (المخصص ١٥ : ١٠٣) قال بعض أصحابنا إن غِراء هو المصدر وغَراء – بفتح الغين – هو الاسم .

٩ في الشعر والشعراء (٤١٥ – ٤١٦) أن عائشة بنت طلحة بعثت إلى كثير : يا ابن أبي جمعة ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزّة وليست على ما تصف من الجمال ، لو شئت صرفت ذلك إلى من هو أولى به منها – أنا أو مثلي – وإنّما أرادت تجربته بذلك فقال : « إذا وصلتنا . . . » الأبيات ؛ وفي رواية «أن تزيلنا» يعني تزحزحنا عن هوانا ؛ =

١١ لها مَهَلٌ لا يُسْتطاعُ دِراكُهُ وسابقَةٌ في الحُبّ مـا تتحوَّلُ

* * *

١٢ ترامى بِنا مِنها بحَزْنِ شَراوَةٍ مُفَوِّزَةً أيْدٍ إليْكَ وأرْجُلُ

١٣ كأنَّ وِفارَ القوْمِ تحتَ رِحالها إذا حُسرَتْ عنها العمائمُ عُنصُلُ

١٤ يَزُرْنَ أميرَ المؤمنينَ وعِنْدَهُ لذي المدحِ شُكْرٌ والصَّنيعةِ مَحمِلُ

١٥ لهُ شيمَتانِ مِنهُما أنسيّةٌ ووحْشيّةٌ إغراقُها النّهيَ مُعْجَلُ

١٦ فراعِهِما مِنْهُ فإنّهُما لهُ وإنّهُما مِنْهُ نجاةٌ ومَحْفِلُ

---

١١ الخزانة : م الحبّ .

= وأن تزيلها أي تزحزحها لتحلّ محلها .

١١ المهل : التقدّم والسبق ، يريد أن حبها متمكن لأنّه أسبق .

١٢ يصف في هذا البيت وما سقط قبله رحلته إلى الممدوح والإبل التي ارتحلوا عليها . وحزن شراوة : موضع قريب من تريم دون مدين ؛ مفوزة : تقطع المفازة ، وهي منصوبة على الحال .

١٣ الوفار : جمع وفرة وهو الشعر المجتمع على الرأس، وقيل ما سال على الأذنين من الشعر . العنصل : البصل البري .

١٤ المحمل : المعتمد والمعوّل .

١٥ ــ ١٦ قال ابن قتيبة (المعاني الكبير : ٨٣١) انسية ووحشية : واحدة تؤنس وأُخرى يستوحش منها ، وهو كقولك : حلو ومرّ ؛ إغراقها : من أغرقت في الأمر ؛ والنهي : الزجر عن الشيء والنهي عنه ؛ والنجاة : مثل النجوة وهو الموضع المرتفع الذي لا يبلغه السيل ، والمحفل : مجرى السيل . يقول : فيهما عطب وسلامة .

١٧ وأنتَ المعلّى يومَ لُفّتْ قِداحُهُمْ وجالَ المنيحُ وَسْطَها يتقلقلُ
١٨ ومثلُك من طلاّبها خلصَتْ له وقارُكَ مرضيٌّ ورَبْعُكَ جحفلُ
١٩ نَهيتَ الألى راموا الخلافَةَ منهمُ بضربِ الطُّلى والطعنِ حتى تنكّلوا
٢٠ وأنكرْتَ أن مارَوْكَ في مستنيرةٍ لكمْ حقّها ، والحقُّ لا يتبدّلُ
٢١ أبوكُم تلافى يومَ نقْعاء راهِطٍ بَني عبد شمسٍ وهْيَ تُنفى وتُقتلُ
٢٢ إذا النّاس سامُوكُمْ من الأمْرِ خُطّةً لها خَمْطَةٌ فيها السِّمامُ المُثَمَّلُ
٢٣ أبَى اللهُ للشُّمّ الأنوفِ كأنّهُمْ صَوارِمُ يَجْلُوها بمؤتَةَ صَيقَلُ

---

١٧ المعلّى : أكثر السهام نصيباً ؛ والمنيح : سهمٌ لا نصيب له ؛ ويروى : فكنت المعلى إذ أجلت قداحهم ؛ قال ابن قتيبة (المعاني الكبير : ١١٥٧) : شبهه بالمعلى وهو قدح له سبعة أنصباء وليس فوقه سهم ، وشبههم بالمنيح أي لا خير عندهم كما أنّه لا خير عند المنيح ا هـ . يتقلقل : يتحرك ويضطرب . وزعم الطرماح أن كثيراً موه هنا على عبد الملك إذ عنى في الحقيقة أنّه السابع من الخلفاء الذين كان كثير لا يقول بإمامتهم ، إذ أخرج علياً منهم ، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع وكذلك المعلّى هو السابع من القداح (الأغاني ١٢ : ٣٧) قلت : وهذا تأويل بعيد .

١٨ طلابها : يعني طلاب الخلافة ؛ جحفل : عظيم القدر .

٢٠ مستنيرة : واضحة ، يعني خطة الخلافة .

٢١ هو مرج راهط وسمّاه كثير : « نقعاء راهط » . أبوكم : يعني مروان بن الحكم ؛ تلافى : تدارك ؛ وفي معركة مرج راهط استنقذ مروان الدولة من الضياع وثبتها في بني أمية ؛ النقعاء : القاع الذي يمسك الماء .

٢٢ خمطة : خمر ذات ريح أو حامضة ؛ السمام المثمل : السم الناقع ؛ يريد خطة نكداء قاتلة .

٢٣ مؤتة على اثني عشر ميلاً من أذرح ، وفيها كانت الوقعة المشهورة . وكلام كثير يدلّ على أنها كانت مشهورة بصنع السيوف .

تخريج القصيدة ٣٢

الأبيات ٨ ، ٩ ، ١٧ – ٢٠ في مسالك الأبصار ١٤ : ٦٩
« ٦ – ٨ في السمط : ٢٢٣
« ٩ – ١١ في الشعر والشعراء : ٤١٦ والخزانة ٢ : ٣٨٢
البيتان ٣ ، ٤ في ياقوت ٤ : ٤٢٠
« ٩ ، ١٠ في تزيين الأسواق ١ : ٤٧
« ١٥ ، ١٦ في المعاني الكبير : ٨٣١
« ٢٢ ، ٢٣ في ياقوت ٤ : ٦٧٧
البيت ١ في الاقتضاب : ١٨٨ والكامل ٢ : ٢٩٩ ، والصدر وحده في السبع الطوال : ٥٦٤
« ٢ في اللسان والتاج (سبأ)
« ٧ في اللسان والتاج (ثغر) والمخصص ١١ : ١٥١
« ٨ في اللسان والتاج (حفل) وأمالي القالي ١ : ٦٠ والبارع : ٦٤ والمحكم ٣ : ٢٦٢ والمخصص ١٥ : ١٠٣ ، ١٢ : ٦٨ والسبع الطوال : ٤٥٥ وابن يعيش ١ : ٧٩٨
« ٩ في العيون ٤ : ٢٨ والموازنة ١ : ٦٦ ودلائل الإعجاز : ٢٧٩ والتمثيل: ٧٢ والمحاسن والأضداد : ١٤١ و الصناعتين : ٢٠٤ وبديع أسامة:١٩٨
« ١٢ في اللسان والتاج (شرى)
« ١٣ في اللسان والتاج (وفر)
« ١٤ في الأساس (حمل)
« ١٧ في المعاني الكبير : ١١٥٧ والمصون : ٨٩ والاشتقاق : ٥٥ والأغاني ١٢ : ٣٧
« ٢١ في ياقوت ٢ : ٧٤٣ ، ٤ : ٨٠٥ والمغانم : ٤١٤

وفي المحكم (٣ : ١٥٧) بيت قد يلحق بهذه القصيدة وهو :

مدلّ بوادي ذي حماسٍ مرايسٌ بجنبِ العرين جانبُ العين أشهلُ

وأورد له ابن جني (٢ : ١٧٦ ب) :

وما يظننْ من خلة في مودّة ببخل لنا فالحاجبية أبخلُ

ولعله يقع بعد البيت : ٩ من هذه القصيدة .

٣٣

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

١ أهاجك ليلى إذ أجدَّ رحيلها   نعم وثنت لما احزألَّتْ حمولُها

* * *

٢ لقد سِرْتُ شرقيَّ البلاد وغرْبها   وقد ضربَتْني شمسُها وظُلولها

* * *

٣ ينوء فيعدو من قريبٍ إذا عدا   ويكمُنُ في خشباء وعثٍ مَقيلُها

* * *

٤ سيأتي أميرَ المؤمنينَ ودونَهُ   صِمادٌ من الصَّوَّانِ مرْتٌ مُيولُها

---

٢ ابن جني : غوري البلاد وجلسها ؛ طلولها (ويروى) : ظلولها .

٤ ياقوت (روضة بصرى) : ضمار من الصوان مرَّت سيولها .

---

١ احزألت : انتصبت وارتفعت .

٢ الظلول : جمع ظلّ ؛ ويروى لقد سرت غوريّ البلاد وَجَلْسها ، والجلس : ما ارتفع من الغور ، وسميت به نجد وانظر التذييل على القصيدة ٨ .

٣ الخشباء : مؤنث أخشب وهو القفّ الغليظ ، وجبل أخشب : أخشن عظيم ، وقيل : الخشباء — في قول كثير — الغيضة ، والأول أعرف ؛ والأرجح أن البيت في وصف حمار الوحش .

٤ الصماد : جمع صمد وهو المكان الغليظ المرتفع من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلاً ؛ والمرت : الأرض التي لا نبت فيها ؛ والميول : جمع ميل وهو من الأرض قدر منتهى مدّ البصر ، أو مسافة من الأرض متراخية بلا حدّ ، أو هو أربعة آلاف ذراع وقيل أربعة آلاف خطوة .

٥ فبِيدُ المُنقّى فالمشارِفُ دونَهُ   فرَوْضَةُ بُصرى أعرَضَتْ فبسيلُها

٦ ثنائي تؤدّيه إليكَ ومدْحَتي   صُهابيّةُ الألوانِ باقٍ ذميلُها

٧ عَسوفٌ بأجوازِ الفَلا حِمْيريّةٌ   مَريشٌ بذئبان السَّبيب تَليلُها

٨ يُغادى بفارِ المِسك طوْراً وتارَةً   تُرى الدّرعُ مُرفضّاً عليه نثيلُها

---

٥ البكري واللسان والتاج (بسل) : فالمشارب ؛ ياقوت : فنسيلها .

٦ اللسان والتاج (ميل) : تنميه إليك .

٧ اللسان والتاج (جوز – ذأب) : مريس .

---

٥ المنقى : موضع بين أحد والمدينة ؛ المشارف : المرتفعات ، أو هي مشارف الشام أي أوائل حدوده ؛ بصرى بأرض حوران ؛ بسيل : قرية بحوران .

٦ ثنائي فاعل الفعل « سيأتي » في البيت : ٤ ؛ صهابية : فيها صهبة وهي بياض تخالطه حمرة ؛ الذميل : ضرب من سير الإبل سريع فوق العَنَق ودون الرسيم ، قال الأصمعي : لا يذمل بعير يوماً وليلة إلا مهريّ .

٧ يصف الناقة التي ستنقل ثناءه أي تنقله هو ليمدح أمير المؤمنين ؛ العسوف : الناقة التي تمر على غير هداية فتركب رأسها في السير ولا يثنيها شيء ؛ أجواز : أوساط ؛ حميرية ، يريد : مهرية منسوبة إلى مهرة ، ومهرة من حمير . الذئبان : الشعر على عنق البعير ومشفره ؛ السبيب : الشعر المتدلي على وجه الفرس من ناصيته ؛ جعل الشعر على عينَي الناقة بمنزلة السبيب . التليل : العنق ؛ قال ابن بري : لم يورد الجوهري شاهداً على « ذئبان » ورأيت على الحاشية بيتاً شاهداً عليه لكثير يصف ناقة : « عسوف بأجواز . . . » .

٨ يصفه في حالي السلم والحرب : فهو في السلم يؤتى إليه بفأر المسك وفي الحرب تصب عليه الدرع . النثيل : المنثول ، من قولهم نثل عليه درعه ونثرها إذا صبّها .

٩ وقد شخصتْ بالسَّابريَّةِ فوقه مُعلَّبة الأنبوبِ ماضٍ أليلُها
١٠ ترى ابن أبي العاصي وقد صفَّ دونهُ ثمانون ألفاً قدْ توافتْ كمولُها
١١ يُقلّبُ عَيْنيْ حيّةٍ بمحارَةٍ أضافَ إليها الساريات سبيلُها
١٢ يصدُّ ويُغْضي وهو ليثُ خفيّةٍ إذا أمكنته عَدْوةٌ لا يقيلها

---

٩ ابن جني : مقومة الأنبوب .
١٢ ابن سلام : شَدَّةٌ .

---

٩ استمر يمدحه في حال الحرب : السابرية : شقة من سابري جعلت راية ، ويروى : مقومة الأنبوب وهو أجود ؛ ومعلبة : مشدودة بالعلباء ؛ والأليل : الحربة ، سميت أليلاً لأنها محددة (عن المعاني الكبير : ١٠٩١) .

١٠ قال الأستاذ محمود شاكر في شرح هذا البيت (ابن سلام : ٤٦٣) : توافى القوم : تتاموا وكمل عددهم ، والكمل جمع كمل – بفتحتين – بمعنى كامل ، قال أصحاب اللغة : أعطاه المال كملاً أي كاملاً ، هكذا يتكلم به في الجمع والوحدان سواء ولا يثنى ولا يجمع وليس بمصدر ولا نعت إنّما هو كقولك أعطيته كلّه ، ويقال : لك نصفه وبعضه وكماله ؛ وبيت كثيّر ناقض لما يقولون وشاهد على خلافه ، فقد جمع الصفة بالمصدر ، ولو قال قائل : إنّه جمع كاملاً على كمول – كشاهد وشهود – لكان قولاً لا بأس به .

١١ وقال في شرح هذا البيت (المصدر نفسه) : المحارة : المكان الذي يحار فيه أو إليه ، أي يرجع ، وأراد الجحر الذي تستكن فيه الحية ؛ والشدة : الهجمة والحملة على العدو ؛ أقاله البيع إقالة : فسخه ، وأقال الله عثرته : صفح عنه وعفا ، وأراد كثير : لم يفسخ عزيمته ولم يتردد ؛ ا هـ. وهذا شرح لشطر البيت التالي حسب رواية ابن سلام . وقوله : أضاف . . . يعني أن السبيل قد جعل ماء المطر يطيف بتلك المحارة ؛ ويروى أضاف إليها السيل وعراً سبيلها .

١٢ العدوة : الوثبة ؛ ويروى «شدة» وقد تقدم شرحها .

١٣ بسطْتَ لباغي العُرْفِ كفّاً بسيطةً   تنالُ العدى بلْهَ الصَّديقَ فضُولُها
١٤ ولم يكُ عن عَفرٍ تفرُّعُكَ العُلى   ولكن مواريثُ الجدودِ تؤولُها
١٥ حَمَوْا منزلَ الأملاكِ من مرجِ راهطٍ   ورَمْلةِ لُدٍّ أنْ تُباحَ سُهولُها

---

١٣ الهجري : لباغي الخير .

---

١٣ باغي : طالب ؛ العرف : المعروف ؛ بسيطة : سمحة بالخير ؛ فضولها : أفضالها ، يريد أن معروفه يصل إلى العدى دع عنك ذكر الصديق ، فهؤلاء تصلهم حتماً قبل ذلك .

١٤ يقال للرجل إذا كان له شرف قديم : « ما شرفك عن عفر » أي هو قديم غير حديث ؛ تؤولها : تسوسها .

١٥ رملة لد : يعني رملة فلسطين ، أضافها إلى لدّ لتجاور البلدتين . وكانت لدّ أقدم من الرملة ، فلمّا عمر سليمان بن عبد الملك مدينة الرملة تضاءل شأن مدينة لدّ .

تخريج القصيدة ٣٣

الأبيات ٤ – ٦ في ياقوت ٢ : ٨٤٥

البيتان ٤ ، ٦ في اللسان والتاج (ميل)

» ١٠ ، ١١ في الموشح : ٢٢٧ وابن سلام : ٤٦٣

» ١١ ، ١٢ في الموشح : ٢٣٠

البيت ١ في الموازنة ١ : ٤١٩

» ٢ في اللسان والتاج (ظلل) وابن جني ١ : ١٦/أ

» ٣ في اللسان والتاج (خشب)

» ٥ في البكري : ٢٥٤ واللسان والتاج (بسل)

» ٧ في الفاخر : ٢١٣ واللسان والتاج (جوز ، ذأب) والتاج (ذيب)

» ٨ في الأساس (نثل)

» ٩ في المعاني الكبير : ١٠٩١ وابن جني ٢ : ١٨٩/أ

» ١٣ في الموازنة ١ : ١٧٢ ، ١٧٧ ونوادر الهجري (الورقة : ١٤٢ ، نسخة القاهرة)

» ١٤ في الأساس (عفر) والمقاييس ٤ : ٦٧

» ١٥ في البكري : ١١٥٣ وياقوت ٢ : ٨٢٠

٣٤

دخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين إن أرضاً لك يقال لها عرب ربما أتيتها وخرجت إليها بولدي وعيالي فأصبنا من رطبها وتمرها بشراء مرّة وطعمة مرّة ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يعمرنيها فعل، فقال له عبد الملك : ذلك لك . فندّمه الناس وقالوا له : أنت شاعر الخليفة ولك عنده منزلة فهلا سألت الأرض قطيعة ، فأتى الوليد فقال : إن لي إلى أمير المؤمنين حاجة ، فأجلسني قريباً من البرذون ؛ فلمّا استوى عليه عبد الملك قال له: إيه — وعلم أن له إليه حاجة — فقال كثير :

١ جزَتك الجوازي عن صديقك نضرَةً وأدناكَ ربّي في الرفيقِ المُقرَّبِ

٢ فإنّك لا يُعطي عليك ظلامَةً عدُوٌّ ، ولا تَنأى عن المُتقرِّبِ

٣ وإنّك ما تمنَعْ فإنّكَ مانِعٌ بحقٍّ ، وما أعطَيْتَ لم تتعقّبِ

* * *

٤ متى تأتِهِمْ يوماً من الدَّهرِ كلِّهِ تجدهُم إلى فضْلٍ على النّاس تُرتَبِ

٥ كأنّهُمُ مِن وحْشِ جنٍّ صريمةٌ بِعَبْقَرَ لمّا وُجّهتْ لم تَغَيّبِ

---

١ ياقوت : نظرة .

---

١ جزتك الجوازي : من المجاز ، يعني أفعالك ، أي وجدت الجزاء على ما فعلت ، وكان جزاؤك نضرة النعيم التي تعرف في وجوه المؤمنين ؛ وجعلك الله من المؤمنين المقربين إليه يوم القيامة .

٤ ترتب : نعت فضل ؛ والترتب : المقيم الثابت .

٥ أي لاستيحاشهم وتشردهم أصبحوا وكأنهم قطعة من الجنّ ؛ عبقر : أرض الجن ، إلا =

٦ إذا حُلَلُ العَصْبِ اليماني أجادها أكفُّ أساتيذٍ على النّسْجِ دُرَّبِ
٧ أتاهُم بها الجاني فرَاحُوا ، عليهِمُ توائِمُ مِن فضْفاضِهِنّ المُكَعَّبِ
٨ لها طُرَرٌ تحتَ البنائقِ أُذنِبَتْ إلى مُرْهَفاتِ الحَضْرَميّ المُعقرَبِ

= أنهم يختلفون عن الجن في أنهم ظاهرون، والجن لا يظهرون؛ وهذا البيت أحق أن يكون في القصيدة رقم : ٦٢ وصفاً لآل المهلب ، ففيها يتشفع فيهم إلى يزيد بن عبد الملك .

٦ العصب : برود اليمن ؛ الأساتيذ : المدربون في الصناعة .

٧ الجاني : الكاسب؛ توائم : أي أثواب منسوجة على خيطين كأنّه مكون من طاقين؛ الثوب المكعب : المطويّ الشديد الادراج في تربيع ، وقيل هو برد فيه وشي مربع .

٨ الطرر : جمع طرة وهي جانب الثوب؛ أذنبت : جعل لها فضلة مرخاة كالذنب؛ المرهف : الرقيق ؛ الحضرمي : النعل ؛ المعقرب : ذو عقربة وهي عقد الشراك من النعل أو سير من سيوره .

تخريج القصيدة ٣٤

انظر القصيدة : ٦٢ ، فلولا المناسبة التي ذكرها صاحب الأغاني هنا ، لجاز الجمع بين القصيدتين واعتبارهما قصيدة واحدة قيلت في يزيد بن عبد الملك وفي الشفاعة لآل المهلب ، وقد جمعهما بيريس معاً في الديوان .

الأبيات ١ – ٣ في الأغاني ٩ : ١٠

« ١ ، ٤ ، ٥ في ياقوت ٣ : ٦٠٦

البيتان ٧ ، ٨ أوردهما بيريس ٢ : ١٤٤ ولم أعثر عليهما في مصدر آخر

البيت ٦ في ابن جني ١ : ٣٠/أ

٣٥

وقال :

١ ويوم الوَغى يومُ الطعانِ إذا اكتسى مُحَجَّلُ خَيْلِ الملتقى وبهيمُها
٢ من الماء لوناً واحداً فتَشابَهَتْ وغيَّرَ ألوانَ الجيادِ حميمُها
٣ وصارتْ إلى شهباء ثابتةِ الرحى مقنَّعةٍ أُخرى تزولُ نجومُها
٤ وطارتْ خلال الضربِ أيدٍ وأرجلٌ وحانتْ رقابٌ لم تُعَقَّدْ تميمُها

* * *

٥ وإنّي بخيرٍ ما بقيتَ وما ولي قناةَ الهدى منكم إمامٌ يُقيمُها

---

١ البهيم من الخيل : ما خلا من الغرة والتحجيل .
٢ الحميم : العرق .
٣ الشهباء : الكتيبة ؛ ثابتة الرحى : كناية عن ركانتها وشدة وطأتها .
٤ رقاب لم تعقد تميمها : أي هي رقاب رجال محاربين لا رقاب غلمان صغار ، لأن الذين تعقد التمائم في أعناقهم لا يحاربون .

تخريج القصيدة ٣٥

الأبيات ١ – ٤ في المسالك : ٧٠
البيت ٥ في ابن جني ٣ : ١٣٨/أ

٣٦

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

١ دعينا ابنةَ الكعبيِّ والمَجدَ والعُلى وراعي صِواراً بالمدينَةِ أحْسَبا

* * *

٢ أبوكَ الذي لمّا أتى مَرْجَ راهِطٍ وقد ألّبوا للشّرّ فيمَنْ تألّبا

٣ تشَنّأ للأعداء حتّى إذا انتهوا إلى أمرِهِ طوْعاً وكَرْهاً تحبّبا

---

١ راعي : راقبي واهتمي به ؛ الصوار : القطعة من المسك ؛ الأحسب : الذي في لونه حُسبة وهي سواد يضرب إلى الحمرة ؛ وقيل الصوار : نفحات ريح المسك ومن جعله الريح أراد ريح الصوار وذلك أنّه ينعت فيقال صوار أحسب ، والريح لا ينعت بأحسب . والمعنى : دعينا نحن وأقبلي على الطيب والمسك وما يصلح للنساء .

٢ هذا البيت والذي يليه في مدح عبد الملك بن مروان ، يذكر بلاء والده في معركة مرج راهط . ألبوا : جمعوا ، يعني الأعداء .

٣ تشنّأ : أظهر البغض والشناءة ؛ وكان خلف الأحمر يقدم كثيّراً بهذين البيتين ، ويقول : هو أشعر الناس .

تخريج القصيدة ٣٦

البيتان ٢، ٣ في معجم المرزباني : ٢٤٢ ومسالك الأبصار ١٤ : ٦٧

البيت ١ في شرح السبع الطوال : ٣٠٩

٣٧

وقال في عبد الملك بن مروان :

١ رأيتُ أبا الوليدِ غداةَ جَمْعٍ ... بـه شَيْبٌ وما فقَدَ الشّبابا

٢ فقُلْتُ لـهُ ولا أعْيا جوابـاً ... إذا شابَتْ لِداتُ المَـرْءِ شابـا

٣ ولكن تحتَ ذاك الشّيْبِ حزْمٌ ... إذا مـا ظَنَّ أمرَضَ أوْ أصابـا

---

٣ أمالي القالي والحيوان : إذا ما قال .

---

١ جمع : اسم للمزدلفة ، سميت بذلك للجمع بين صلاتي المغرب والعشاء فيها ؛ في بعض أصول البيان : « وقد فقد » ولفظة « قد » لا تلائم الجوّ العام في هذا الموقف .

٢ اللدات : الأقران والأتراب ؛ وقوله : « إذا شابت . . . شابا » : يعني أن للشيب عمراً وحدّاً لا يختلف عنه .

٣ أمرض : قارب الصواب في الرأي وإن لم يصب كلَّ الصواب ، ومنه إنّه ليمرّض في القول : إذا لم يصرح ؛ قال البكري : ويروى : إذا ما قال قارب .

تخريج القصيدة ٣٧

الأبيات ١ – ٣ في الحيوان ٣ : ٦٠

البيتان ١ ، ٣ في اللسان (مرض) وأمالي القالي ٢ : ٩١ (دون نسبة) والفاضل : ٧٦ والبيان ٤ : ٧٦ والتاج (مرض) منسوبين للأقيشر

البيت ١ في السمط : ٧٢٩

٣٨

وقال :

١ عفتْ غَيقةٌ مِن أهلِها فجنوبها فرَوْضَةُ حسنا قاعُها فكَثيبُها

٢ منازِلُ مِن أسْماءَ لم يعْفُ رَسْمَها رِياحُ الثّريّا خِلفَةً فضَريبُها

٣ تلُوحُ بأطْرافِ البُضَيعِ كأنّها كتابُ زبورٍ خُطَّ لدْناً عَسيبُها

* * *

٤ إذا لم تكونوا ناصري أهْلِ حقّها ومُلْفَيْنَ عند النّصرِ ممّن يجيبُها

٥ فسيروا بُراءً في تفرُّقِ مالكٍ بنُصْحٍ وأرْحامٍ يَئِطُّ قريبُها

---

٢ المغانم : تعف .

---

١ غيقة : سهل يقابل بدراً بين مكّة والمدينة ، وقد مرّ التعريف به كثيراً وذكرنا قول العلماء أنّه لا يكون مع غيقة إلا حسنا ، فإذا ذكر كثير طريق الشام ذكر « حسمى » .

٢ خلفة : واحدة تخلف الأخرى من الرياح ؛ الضريب : الجليد .

٣ قال السكري في شرح شعر كثير ونقله ياقوت : البضيع : ظريب عن يسار الجار أسفل من عين الغفاريين واسم العين « النجح » ؛ اللدن : الرطب . العسيب : جريدة من النخل يكتب عليها .

٤ الخطاب لقومه بني خزاعة ، وأهل حقها : لعله يعني بني مالك ؛ يريد إن لم تكونوا ناصري بني مالك فسيروا . . . الخ .

٥ يقول : فسيروا براء الصدور من غش مالك في الإصلاح فيما بينهم ، يريد مالك بن النضر =

٦ وهَل مالكٌ إلاّ أسود خفيّةٍ إذا لم تعاط الحقّ بادٍ نيوبها
٧ تلظّى النصالُ الزُّرقُ فوق خدورها وتمضي أنابيبُ القَنا وكعوبُها

= ابن كنانة ؛ يئط : يتحرك ويعطف (المعاني الكبير : ٥٢٩).

تخريج القصيدة ٣٨

البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٣ : ٨٢٩ والمغانم : ٣٠٧
« ٢ ، ٣ في ياقوت ١ : ٦٥٨
« ٤ ، ٥ في المعاني الكبير : ٥٢٩
البيت ٦ في ابن جني ٣ : ١٢٣ ب
« ٧ في ابن جني ٣ : ٨٥ ب

وقد نسب له أسامة في كتاب البديع : ٩٢ بيتين على وزن هذه القصيدة ورويها وهما :

وما هجرتك النفس يا ليلَ أنها قلتك ولكن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أكثروا بقول إذا ما جئت هذا حبيبها

وينسبان للمجنون (انظر ديوانه ق : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨) كما ينسبان لغيره .

٣٩

وقال يمدح سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان * :

١ اذكرْ سعيداً بخلاّتٍ سَبَقْنَ له : ميراثُ والدهِ والعرقُ مُنْتَسِبُ

٢ يا ابن الأكارمِ والمحمودِ سَعْيُهُمُ وابن الذي عوقبتْ في قتْلِهِ العَرَبُ

---

* أمه ابنة سعيد بن العاص ، وكان كثير المال يقول للسحابة « امطري حيث شئت فما تمطرين إلا على بلد لي فيه مال » ، إلا أنّه كان بخيلاً ؛ وقد زوج إحدى بناته لهشام ، وتزوج إحداهن الوليد بن يزيد وطلقها قبل الخلافة ثم تزوج أختاً لها وهو خليفة (أنساب الأشراف ٥ : ١٠٧ — ١٠٨) .

٢ الذي عوقبت في قتله العرب : يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان بعضهم يعتقد أن كلّ ما أصاب أهل المدينة من بعد فإنما تم عليهم لتخليهم عن عثمان يوم حصر ، وأن كل فتنة وقعت بعد ذلك فإنّها عقاب للعرب الذين تآمروا على عثمان وقتلوه .

تخريج القصيدة ٣٩

البيتان ١ ، ٢ في أنساب الأشراف ٥ : ١٠٨

٤٠

وقال في رثاء خالد بن عبد الله الأسدي * :

١ على خالدٍ أصبحتُ أبكي لخالدٍ وأصْدُقُ نَفْساً قد أُصيبَ خليلُها
٢ تذكرتُ منه بعدَ أوّلِ هجعةٍ مساعيَ لا أدري على من أُحيلها
٣ وكنتَ إذا نابتْ قريشاً ملمّةٌ وقال رجالٌ سادةٌ : من يُزيلُها
٤ تكونُ لها لا معجَباً بنجاحها ولا يحملُ الأثقالَ إلا حَمولها
٥ فأين الذي كانتْ معدٌّ تنوبُهُ ويحتملُ الأعباء ثم يَعولُها

---

* الأسدي . كذا ورد في حماسة الخالديين ولعله « الأسيدي » ؛ وهو فيما أرجح خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص أحد رجالات بني أمية ، اشترك مع عبد الملك في حرب مصعب وبعد انتصار عبد الملك على مصعب سنة ٧٠ ولاّه البصرة فبقي والياً عليها إلى أن ضمت لبشر بن مروان ، وبعد وفاة بشر ردّت إليه إلى أن تولى الحجاج العراق ، فعزله عنها .

تخريج القصيدة ٤٠

الأبيات ١ – ٥ في حماسة الخالديين ٢ : ٣٥١

٤١

وقال كُثَيِّر يمدح :

١ كأنَّ فاها لِمَنْ توَسّنها أوْ هكذا مَوْهناً ولم تَنَمِ

٢ بَيضاء مِنْ عُسْلِ ذرْوَةٍ ضَرَبٍ شُجّتْ بماء الفَلاةِ مِن عَرِمِ

٣ دعْ عنكَ سَلمى إذ فات مطلبُها واذكُرْ خليليك من بني الحَكَمِ

٤ ما أعطياني ولا سألْتُهُما إلاّ وإني لحاجزِي كَرَمي

٥ إني مَتى لا يَكُنْ نوالُهُما عندي بما قَد فعَلْتُ أحْتشِمِ

٦ مُبدي الرّضا عنهُما ومُنْصرِفٌ عَن بَعْض ما لو فعَلْتُ لم أُلَمِ

---

١ ياقوت : توسمها .

٥ ابن جني : عطاؤهما .

---

١ توسنها : جاءها وهي نائمة . موهناً : بعد هدأة من الليل .

٢ عسل : جمع عَسَل في لغة هذيل وخزاعة وكنانة ؛ وذروة – قال ابن السكيت – : واد ينحدر من حرة النار على نخل . الضرب : العسل الأبيض ؛ شجت : مزجت ؛ العرم : واد ينحدر من ينبع .

٥ قال في الاقتضاب (١٠٩) : معناه أني أغضب وآنف أن يكون لهما فضل علي ولا أجازيهما به .

٧ لا أنْزُرُ النّائِلَ الخليلَ إذا ما اعْتَلّ نَزْرُ الظّؤور لم تَرِمِ

---

٧ القصول : زجر الظؤور .

---

٧ لا أنزر النائل الخليل : لا ألحّ عليه بالمسألة ، يقال نزرته : ألححت عليه ؛ الظؤور : العاطفة على أولادها ؛ لم ترم يعني لم ترأم – حذف الهمز – أي لم تعطف على ولدها . يعني إذا ألح على الظؤور بالحلب لم تعد ترأم على أولادها ، ضربه مثلاً لسوء الإلحاح والاستقصاء في الطلب .

تخريج القصيدة ٤١

الأبيات ٣ – ٧ في الأغاني ٩ : ٩
البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٢ : ٧٢٤
« ٤ ، ٦ في المصون : ١٦٨
البيت ٢ في ياقوت ٣ : ٦٥٥
« ٥ في الاقتضاب : ١٠٩ وابن جني ٣ : ١٤٩/أ
« ٧ في اللسان (نزر) والفصول : ٢٣٦ والموشح : ٢٣٢

٤٢

وقال يمدح بشر بن مروان * :

١ عفا مَيْثُ كُلْفى بعدنا فالأجاوِلُ   فأثمادُ حَسْنى فالبراقُ القوابلُ

٢ كأنْ لم تكنْ سُعْدى بأعناء غَيْقةٍ   ولم تُرَ مِن سُعدى بهنّ منازلُ

٣ ولم تتربّعْ بالسُّرَيرِ ولم يكُنْ   لها الصيفَ خيماتُ العُذيبِ الظلائلُ

---

١ البكري : فأجماد حسنى .

٢ المنازل : بأحياء . . . من ليلى ؛ المغانم : بأفناء .

٣ المنازل : ولم تكن به .

---

* ليس لدينا ما يثبت أنها في مدح بشر سوى مخاطبته بكنيته « أبي مروان » كما فعل في قصيدة أخرى .

١ الميث : الرمال اللينة ؛ كلفى : قال ابن السكيت بين الجار وودان أسفل من الثنية وفوق شقراء ؛ وقال في موضع آخر : كلفى ضلع في جانب الرمل أسفل من دعان . الأجاول : قال ابن السكيت : أبارق بجانب الرمل عن يمين كلفى من شماليها ؛ وقال محمد بن حبيب : الأجاول نواحي كلفى وهي بين الجار وودان أسفل من الثنية ؛ والأثماد : جمع ثمد وهو الماء القليل ؛ والأجماد : جمع جمد وهو ما صلب من الأرض ؛ حسنى ، في قول ابن حبيب ، جبل قرب ينبع .

٢ أعناء : نواحي ؛ غيقة : خبت في ساحل بحر الجار فيه أودية وحساء على شاطىء البحر فوق العذيبة ، وهو قريب من بدر .

٣ السرير : موضع بقرب الجار ؛ العذيب : يعني هنا العذيبة وهي ماء بين ينبع والجار ، فحذف التاء (انظر البيت الأول ، ق : ١) .

٤ أبَى الصبرَ عن سُعدى هوًى ذو علاقةٍ ووجدٌ بِسُعْدى شارَكَ القلبَ قاتلُ

٥ تصدُّ فلا تُرمى إذا الشخصُ فاتَها وترمي إذا ما أمكنتها المقاتلُ

٦ متى أسْلُ عن سعدى يَهِجْني لذكرِها حمائمُ أو أطلالُ دارٍ مواثِلُ

٧ أضرَّت بها الأنواء والريحُ والنّدى وغَيّر مغناها الضّحى والأصائلُ

٨ ووالله ما أدري ولو حُبَّ قربُها إلى النفس ماذا الله في القرب فاعلُ

٩ فدعْ عنك ما لا تستطيعُ طِلابَهُ ومَنْ لكَ عنه لو تفكّرْتَ شاغلُ

١٠ إلى طيّبِ الأثوابِ قد أُلْهِمَ التّقى هجانِ البنين يعتريه المُعاقِلُ

١١ وهوبٌ ، بأعناقِ المئينَ عطاؤهُ غلوبٌ على الأمرِ الذي هو فاعلُ

١٢ إذا قال إني فاعلٌ تمَّ قولُهُ فأمْضى مواعيدَ الذي هو قائلُ

١٣ أُريدُ أبا مروانَ إني رأيتُهُ كريماً وتَنْميه الفروعُ الأطاوِلُ

١٤ طويلُ القميصِ لا يُذَمُّ جَنابُهُ نبيلٌ إذا نيطتْ عليه الحمائلُ

١٥ أمينٌ مُقِرُّ الصدرِ ، يسبقُ قوْلَهُ بفعلٍ ، فيأبى أن يُخيَّبَ آملُ

---

٤ شارك القلب : خالطه .

٨ حُبّ إليه : الأصل فيه أن يكون بمعنى : ما أحبّه إليه ، وحُبّ هنا كأنّه كان حبب فأدغم ، أي كان محبباً إلى النفس .

١٠ هجان البنين : أبناؤه هجان أي كرام الأصل ؛ المعاقل : الذي يطلب ما يدفع به الدية ، يقول : يقصده من يريد مالاً ليدفع دية .

١٣ الأطاول : جمع الأطول .

١٤ طويل القميص : شريف ؛ وهم يكنون بقصر القميص عن القلة والدناءة . نيطت : علقت ، يريد أنّه طويل القامة .

١٦ ولا هوَ مسبوقٌ بشيء أرادَهُ ولا هو مُلْهيه عن الحقّ باطلُ

١٧ بنى لك أشرافَ المعالي وسورَها — بِنا كلِّ بنيانٍ لها متضائلُ —

١٨ أبٌ لك راضَ الملكَ حتى أذَلَّهُ وحتى اطمأنّتْ بالرجالِ الزلازِلُ

١٩ وأنت أبو شِبلَينِ شاكٍ سلاحُهُ خفيّةُ منهُ مألفٌ فالغياطِلُ

٢٠ لهُ بجنوبِ القادسيّةِ فالشّرى مواطنُ لا يمشي بهنّ الأراجلُ

٢١ يرى أنّ أُحدانَ الرجالِ غفيرةٌ ويَقْدُمُ وَسْطَ الجمعِ والجمعُ حافلُ

---

٢٠ ابن جني (٣ : ٧٧) : فالشبا .

٢١ ابن جني : وحدان .

---

١٨ أب : فاعل للفعل بنى في البيت السابق ؛ الزلازل : المخاوف والوساوس .

١٩ شاك سلاحه : سلاحه شائكة حديدة فهو ذو شوكة ؛ خفية : أجمة في سواد الكوفة تنسب إليها الأسود ، فيقال : أسود خفية ، المألف : المكان الذي يألفه الحيوان ، الغياطل : جمع غيطلة وهي الشجر الملتف .

٢٠ الشرى : مأسدة على شاطىء الفرات ؛ الأراجل : المشاة الراجلون .

٢١ يرى : أي هذا الأسد ، وقد صرّح ابن قتيبة (المعاني الكبير : ٢٥١) أن البيت في وصف أسد ، قال : غفيرة أي يغتفر الواحد لا يلتفت إليه من احتقاره إيّاه . وأحدان الرجال : من انفرد منهم (واحداً بعد واحد) .

تخريج القصيدة ٤٢

الأبيات ١ – ٣ ، ١٩ ، ٢٠ في صفة الهمداني : ٢٢٩

« ٢ – ٤ في المنازل والديار : ٢٤ ب

« ٥ – ٧ ، ٩ – ١٨ في المسالك ١٤ : ٦٧

البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٢ : ٢٦٨ والمغانم : ١١٤

« ٦ ، ٧ في المنازل والديار : ٧٦ ب

البيت ١ في البكري : ١١١ ، ٣٥٦ وياقوت ١ : ٢١٣١ و٧٥٦ ، ٤ : ٣٠٠ (الصدر وحده) والتاج (برق)

٨ في ابن جني ٣ : ٢٥١

٢٠ في ابن جني ٢ : ٢٠٥ ب ، ٣ : ٧٧ ب

٢١ في المعاني الكبير : ٢٥١ وابن جني ٣ : ٢٣١ ب

٤٣

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان * :

١ فلوْلا اللهُ ثم ندى ابنِ ليلى   وأني في نوالكَ ذو ارْتغابِ

٢ وباقي الوُدّ ما قطعتْ قَلوصي   مَهامِهَ بَيْنَ مِصْرَ إلى غُرابِ

٣ فلم تقرِض بلاكِثَ عن يمينٍ   ولم تمرُرْ على سَهْلِ العُنابِ

٤ وكنتُ عتَبْتُ مَعْتَبَةً فلجّتْ   بي الغُلَواءُ عن سَنَنِ العِتابِ

---

* ذكر ابن سلام أن قوله « وما زالت رقاك . . . » في مدح عبد الملك بن مروان ؛ وقد صرّح البكري (السمط : ٦٢) والعسكري (الصناعتين : ٧٥) أن البيتين في مدح عبد العزيز وهو الذي يمدحه الشعراء بذكر « ليلى » أمه ، ومن هنا يرجح أن تكون هذه الأبيات بقية قصيدة في مدح عبد العزيز .

٢ وباقي الودّ : ولولا باقي الود ؛ القلوص : الناقة الفتية ؛ غراب : جبل بناحية المدينة ، قاله البكري في رسم (غران) ؛ ونقل ياقوت عن ابن السكيت في شرح شعر كثيّر أن غراب موضع معروف بدمشق ؛ ولعلّ هذا وهم جرّه إليه اعتباره القصيدة مدحاً في عبد الملك ؛ والبيت التالي يوضح أن خط السير إلى مصر الذي يصفه الشاعر إنّما ابتدأ من المدينة .

٣ بلاكث : بين غزة ومدين ، وقال ياقوت : عرض من أعراض المدينة ؛ قرضت : قطعت وتجاوزت ؛ والعناب : أراد العنابة وهي على مراحل من فيد إلى المدينة ؛ وقيل العناب : اسم الطريق المطروقة بين فيد والمدينة .

٤ يشير إلى أنّه كان عاتباً على الممدوح لأمر ما ، واشتطّ حتى تجاوز خطة العتاب الصحيحة لجاجاً مع الغلواء .

٥ وما زالتْ رُقاكَ تَسُلُّ ضِغْني وتُخرِجُ مِن مكامِنِها ضِبابي

٦ ويرْقيني لكَ الحاوُونَ حتّى أجابَكَ حيّةٌ تحتَ الحجابِ

٧ سأجزيه بها رصَداتِ شُكْرٍ على عُدَواء داري واجتنابي

* * *

٨ ونازعني إلى مدح ابن ليلى قوافيها مُنازعة الطرابِ

* * *

---

٥ الحيوان وابن سلام : من مضابئها .

٦ السمط وحلية المحاضرة : تحت اللصاب ؛ الصناعتين: التّراب ؛ حلية المحاضرة وشروح السقط : ويحويني لك الحاوون . السمط والصناعتين : ويرقيني لك الراقون .

---

٥ الرقى : جمع رقية وهي التميمة ؛ الضغن : الحقد ؛ الضباب : الأحقاد ، وفي رواية : « من مضابئها » ، يعني مخابئها جمع مضبأ ؛ والمعنى : ظلت تتوسل باللطف والحيلة حتى استطاعت أن تسلّ سخيمتي وتستخرج حقدي من مكمنه .

٦ في رواية « تحت اللصاب » جمع لصب وهو الشق في الجبل ؛ ويحوي : يحاول السيطرة على الحية كفعل الحاوي ، وكل هذا كناية عن التلطف والاحتيال في استجلاب مودته وإماتة بغضه .

٧ بها : يعني بآلائه بعد أن استماله إليه وقضى على ما في نفسه من حقد ؛ يقال : لك عندي رصدات خير أو شر أي أكافئك بما يكون منك ، فالرصدات هي المرات من الرصد الذي هو مصدر رصده بالمكافأة ، ويجوز أن يكون جمع رصدة وهي المطرة . عدواء الدار : بعدها .

البيت السابق سقط ما يصوّر أنّه نظم في مدح ابن ليلى قصيدة ، كانت تنثال قوافيها بعد أن تشرد من بين يديه ، كما أن الإبل الطراب أي الحزينة تحنّ للعودة

٩ فليس النيلُ حين علَتْ قَراهُ غوالبُهُ بأغلبَ ذي عُبابِ
١٠ بأفضلَ نائـلاً منه إذا ما تسامَى الماءُ فانغمسَ الروابي
١١ ويغمرُنا إذا نحن التقينا بطامي الموج مُضطرِبِ الحبابِ
١٢ ويضربُ من نوالِكَ في بلادٍ من المعروفِ واسعةٍ رِحابِ
١٣ وأنت دعامَةٌ منْ عبدِ شمسٍ إذا انتُجِبوا من السرّ اللُّبابِ
١٤ من اللائي يعودُ الحلمُ فيهمْ ويُعْطونَ الجزيلَ بلا حسابِ
١٥ وهم حُكّامُ مُعْضِلَةٍ عقامٍ فكم بعثوا بها فَصْلَ الخطابِ
١٦ إذا قَرَعوا المنابرَ ثم خطّوا بأطرافِ المخاصرِ كالغضابِ
١٧ قضَوْا فيها — ولم يتَوهّموها — بفاصلةٍ مُبَيّنةِ الصّوابِ

---

٩ القرا : الظهر ، يريد ثبج الماء ؛ الغوالب : الأمواج المرتفعة ؛ الأغلب : يريد هنا الماء المرتفع .

١٢ ويضرب : أي النيل ؛ ذهب إلى أن الخير الذي يفيضه النيل على الناس إنّما هو مستمد من سخاء الممدوح .

١٣ السرّ : الخالص المحض .

١٥ المعضلة : المشكلة ؛ العقام : الشديدة ؛ وفي الأصل المنقول عنه من مسالك الأبصار : « فلم يعبوا » ، وغيّرته بما يلائم المعنى .

١٦ يصف بني أمية بأنهم خطباء ، يخطون بأطراف المخاصر في المنافرات والخطابة ، والمخاصر : جمع مخصرة ، وهي عصا يحملها الخطيب ، وتعد من شعائر الخطابة عند العرب .

١٧ قضوا : جواب إذا في البيت السابق ؛ بفاصلة : يعني بحكومة فاصلة ، وهي متعلقة بالفعل « قضوا » .

١٨ وهُمْ أحلى إذا ما لم تُثِرْهُم ··· على الأحناك من عَذَقِ ابن طابِ

١٩ أبوكَ حَمى أُميّةَ حينَ زالتْ ··· دعائمُها وأصْحرَ للضِّرابِ

٢٠ وكان المُلْكُ قد وهَنَتْ قواهُ ··· فرَدَّ المُلْكَ منها في النِّصابِ

---

١٨ الموشح : نثرهم . . . من رطب ؛ الموضحة : وهم أحلى إذا ما ذقت يوماً . . . من رطب .

١٩ المسالك : حين مالت .

٢٠ المسالك : قد نصلت يداه .

---

١٨ في رواية « نثرهم » أي نجعل لهم وتراً وهو الثأر ؛ عذق ابن طاب : تمر بالمدينة منسوب إلى رجل من أهلها ، يضرب به المثل في الحلاوة .

١٩ زالت دعائمها: تحطمت عمد الخلافة . أصحر : برز للمضاربة .

٢٠ ردّ الملك في نصابه : أقرّه قراره وجعله في أهله المستحقين له .

تخريج القصيدة ٤٣

الأبيات ٤ – ٦ في الموشح : ٢٣٠

» ٩ – ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ في المسالك ١٤ : ٦٩

البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٣ : ٧٧٩

» ٥ ، ٦ في الحيوان ٤ : ٢٥٠ ، ٣٠٣ وشروح السقط : ٧٥١ والأغاني ٢١ : ٣٨٣ وابن سلام : ٤٦٤ والموشح : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٦ وحلية المحاضرة : ١٥ وعيار الشعر : ٩١ والصناعتين : ٧٥ والسمط: ٦٢ وبديع أسامة : ١٦٦ .

البيت ٣ في البكري : ٢٧١

» ٥ في المعاني الكبير : ٦٤٤ والحيوان ٦ : ١٠١ والتاج والأساس (ضبب)

» ٧ في الأساس (رصد)

» ٨ في الموازنة ١ : ١٠٠

» ١٦ في البيان ٣ : ٩

» ١٨ في الموضحة : ٤٢ والأساس (عذق) والموشح : ٢٣٥

٤٤

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان :

١ إرْبَعْ فحَيِّ مَعارِفَ الأطْلالِ   بالجزْعِ مِن حُرُضٍ فهُنَّ بَوالِ

٢ فشِراجَ ريمةَ قد تقادم عهدُها   بالسّفحِ بينَ أُثَيِّلٍ فبَعالِ

٣ وحشاً تعاوَرَها الرِّياحُ كأنّها   توشيحُ عَصْبٍ مُسَهَّمِ الأغيالِ

---

١ الأغاني : هلا سألت معالم ؛ المغانم : معالم .

٢ البكري (حرض) : أثيث فثعال .

---

١ اربع : أقم ؛ حرض – قال ابن السكيت – : واد من وادي قناة من المدينة على ميلين (ياقوت والمغانم) .

٢ الشراج : مسايل الماء من الحرة إلى السهل ؛ ريمة : واد لبني شيبة قرب المدينة بأعلاه نخل لهم ؛ وأثيل منها مشترك وأكثره لبني ضمرة ، وذو أثيل واد كثير النخل بين بدر والصفراء لبني جعفر بن أبي طالب ؛ بَعال – بفتح الباء – هكذا ورد في شعر كثيّر وصحّت روايته (البكري) ، وبعال : جبل ، وجعله البكري في هذا الموضع ثعال ، وجعل « بعال » في البيت السادس . وعند البكري « أثيث » وهما قلتان بشرقي البقيع في الحرة .

٣ تعاورها : تتداولها فمرة تهب جنوباً ومرة شمالاً وهكذا ؛ الأغيال : جمع غيل وهو العلم في الثوب ، قاله أبو عمرو ، وقال غيره : الغيل : الواسع من الثياب ، قال ابن سيده : وكلا القولين في الغيل ضعيف لم أسمعه إلاّ في هذا التفسير . العصب : برود اليمن ؛ المسهم : المخطط .

٤ لمّا وقفْتُ بها القَلوصَ تبادرَتْ حَبَبُ الدُّموع كأنّهنَّ عَزالي

٥ وذكرْتُ عزّةَ إذْ تُصاقبُ دارُها بِرُحيِّبٍ فـأُرابِنٍ فنُخالِ

٦ أيّامَ أهْلونا جَميعاً جيرَةٌ بكتانَـةٍ فَفُراقِدٍ فَثُعالِ

٧ سَقْياً لعزّةَ خُلّةً سَقْياً لها إذ نحنُ بالهَضبات مِن أمْلالِ

٨ إذ لا تُكلّمُنا وكان كلامُها نَفَلاً نُؤمّلُهُ مِن الأنْفالِ

---

٥ ياقوت (أرينة) : برحيب فأرينة ؛ التاج : فأرينة (وأورد الروايتين في المغانم) .

٦ المغانم : بكتانة فقراقر ؛ البكري : فبعال .

---

٤ القلوص : الناقة الفتية ؛ تبادرت : انهلت مسرعة ؛ حبب الدموع : الدموع التي تشبه الحبب ؛ عزالي : جمع عزلاء وهي مصبّ الماء من المزادة أي القربة .

٥ تصاقب : تجاور وتواجه ؛ رحيب : من نواحي المدينة، وقال السمهودي : جبل معروف قرب أرابن . وأرابن : اسم منزل على نقا مبرك (وأراه تصحيف قفا إذ لا نقا هناك ، قاله في المغانم : ٤٤٤) ينحدر من جبل جهينة على مضيق الصفراء قرب المدينة . ويروى «وأرينة» وهي من نواحي المدينة . ونخال : شعب واد يصب في الصفراء بين مكة والمدينة ؛ وذكر الفيروزبادي (المغانم : ٤٤٤) أن أرابن وردت عند البكري بالياء من الرين ، وقال عنه فراقد : شعبتان بكتانة .

٦ قال ابن السكيت : كتانتان : هضبتان مشرفتان على الجار من جانب الرمل ، وقال الأصفهاني (٤١٧) : كتانة عين بين الصفراء والأثيل ؛ وفراقد : من شق غيقة تدفع إلى وادي الصفراء ؛ وثعال : شعبة بين الروحاء والرويثة .

٧ قال ابن السكيت في الأملال : أراد ملل وهو منزل على طريق المدينة إلى مكّة على ثمانية وعشرين ميلاً إلى المدينة .

٩ وبجيدِ مُغزلَةٍ ترودُ بِوَجْرَةٍ   بجَلات طلْحٍ قد خُرِفن وَضالِ

١٠ إذ هنَّ في غلسِ الظّلام قواربٌ   أعدادَ عينٍ مِن عُيون أثـالِ

١١ يجتزنَ أوديَةَ البُضَيعِ جوازِعاً   أجوازَ عَيْنونـا فنَعْفَ قبالِ

١٢ ترْمي الفجاجَ إذا الفجاجُ تشابهَتْ   أعْـلامُها بمهامِـهٍ أغْفالِ

---

١٠ البكري (أثال) : أعداد أيلة من مياه .

١١ البكري : ويجزن أودية ؛ ياقوت (قبال) : عين أبا ، ياقوت (أنى) : عين أنا ؛ البكري (حبرى) : فقف قبال .

---

٩ سقط ما قبله ؛ وتقديره فتنتنا بكذا من جمالها وبجيد مغزلة . . . أو ما هو من قبيل هذا ؛ المغزلة : أم الغزال ، وخصّ المغزلة لأن عنقها أشد امتداداً لحذرها على ولدها . وجرة : موضع في الصحراء ترود فيه الوحش فيقال « وحش وجرة » ؛ البجلات : جمع بجلة وهي الصغيرة من الشجر ؛ خرفن : أصابهن مطر الخريف ؛ والخرف أيضاً أن تجنى الثمر .

١٠ قوارب : واردات القَرَب ؛ الأعداد : جمع عدّ وهو ماء قديم لا ينقطع ؛ أثال : موضع على طريق الحاج بين الغمير وبستان ابن عامر ، وقال السمهودي : واد يصب في وادي الستارة المعروف بقديد ، وقال محمد بن حبيب : أثال واد قريب من مصر وهو وادي أيلة .

١١ البضيع : موضع بمصر ، وقال ابن حبيب : البضيع من عمل غوطة دمشق ؛ وقد تباين التحديدان كثيراً ؛ وقال السكري في شرح شعر كثيّر : البضيع : ظريب عن يسار الجار أسفل من عين الغفاريين واسم العين « النجح » . وعينون : بين وادي القرى والشام ، أو هي قرية من وراء البثنية من دون القلزم في طرف الشام ، قال يعقوب : وسمعت من يقول هي « عين أنا » وهي بين الصلا ومدين على الساحل ؛ فأنى واد قرب الساحل يطؤه حجاج مصر وفيه عين يقال لها عين أنا ؛ وقبال : جبل عال بقرب دومة الجندل .

١٢ الأغفال : الصحارى التي ليس فيها علامات وصوى .

١٣ بركائبٍ مِن بينِ كلّ ثنيّةٍ   سُرُح اليدينِ وبـازلٍ شِمْلالِ

١٤ ناجٍ إذا زُجرَ الرّكائبُ خلْفهُ   فلحقْنَهُ وثُنينَ بالحلْحالِ

١٥ يهدي مطايا كالحَني ضَوامراً   بنِياطِ أغبرَ شاخِصِ الأميالِ

١٦ تمطو الجديلَ إذا المكاكي بادرَتْ   جُحْلَ الضِّبابِ محافِرَ الأدحالِ

١٧ وتعانقتْ أُدمُ الظّباء وباشرَتْ   أكنافَ كُلّ ظليلةٍ مِقْيالِ

١٨ فكأنّهُ إذْ يغْتدي مُتَسنّماً   وَهْداً فوَهْداً ناعِقٌ برِئالِ

---

١٣ بركائب متعلّق بقوله « ترمي » في البيت السابق ؛ سرح اليدين : نعت لركائب ؛ والسرح : السريعة ؛ البازل : الجمل المسنّ ؛ الشملال : الخفيف السريع .

١٤ وصف هذا الجمل المذكور في البيت السابق ، فقال : ناجٍ أي سريع يتقدم الركائب فهي تساق وتحث وراءه . الحلحال : زجر الإبل بقولك لها « حلْ » و « حلٍ » . وكل هذا زجر للإناث منها خاصة ، واشتق منه اسم فقيل « الحلحال » .

١٥ الحني : جمع حنية وهي القوس ؛ النياط : المسافة البعيدة من المفازة ، فكأن مفازة نيطت أي علقت بأخرى ؛ الأغبر : صفة للطريق ؛ الأميال : جمع ميل وهو علامات الطرق .

١٦ يقول : هذه المطايا في شدة الهاجرة تظلّ على سرعتها ؛ تمطو : تمدّ ؛ الجديل : الزمام المجدول ، وذلك كناية عن سرعتها . المكاكي : جمع مكاء وهو طائر صداح ؛ بادرت : سابقت ؛ والجحل : جمع جحل وهو العظيم من الضباب ؛ والأدحال : جمع دحل وهو الغار ؛ يقول : في هذا الوقت الذي تسابق فيه المكاكي الضباب لكي تنجحر في محافر الغيران والأجحار تظلّ هذه الناقة قوية على السير .

١٧ وتعانقت : معطوف على بادرت ؛ يمضي في وصف وقت الهاجرة وشدة الحرّ فيه وكيف أن الظباء تكف عن ارتياد المرعى وتتعانق في ظلال الأشجار ، قال ابن قتيبة (المعاني الكبير : ٧٩٢) يقول : تجتمع فيتقي بعضها من الحرّ ببعض ؛ وظليلة : شجرة ؛ ومقيال : يقال فيها .

١٨ عاد إلى ذكر الجمل الذي كان يصفه في البيت : ١٤ وهو يتقدم الإبل ؛ فشبهه وهو يقطع الوهاد ويعلوها براعٍ ينعق بالرئال ؛ والرئال : صغار النعام وهي تسكن السهول ولا ترقى =

١٩ كالمضرحيّ عدا فأصبح واقعاً من قُدسَ فوق معاقلِ الأوعالِ

* * *

٢٠ فنبَذْتُ ثمَّ تحيّةً فأعادَها غَمْرُ الرّداء مُفضْفضُ السِّرْبالِ

٢١ يُعطي العشيرَةَ سؤلها ويسودُها يومَ الفَخارِ ويومَ كلِّ نَبالِ

٢٢ وبثثتَ مكرمةً فقد أعددتَها رَصَداً ليومِ تفاخرٍ ونضالِ

٢٣ غَمرُ الرّداء إذا تبسّمَ ضاحِكاً غَلِقَتْ لضَحْكته رِقابُ المالِ

---

٢٣ المقاييس : صلت الجبين .

= في الجبال ولذلك جعلها في الوهاد .

١٩ المضرحي : الصقر ، شبه الجمل وهو يتسنم الوهاد بصقر ؛ قدس : اسم لجبلين بالحجاز ، أحدهما قدس الأبيض والآخر قدس الأسود .

٢٠ غمر الرداء : إذا كان واسع المعروف سخياً — وإن كان رداؤه صغيراً (إصلاح المنطق : ٤٢) وقال القالي : يريد بالرداء هنا البدن ، والعرب تقول : فدى لك ردائي وفدى لك ثوبي ، يريدون البدن (الأمالي : ٢٩٢) وقال ابن قتيبة : غمر الرداء أي كثير العطية (المعاني الكبير : ٤٨٠) ؛ فضفض الثوب : وسعه .

٢١ يعطي العشيرة سؤلها : يحقق لها ما تريد ؛ النبال والنبالة من النبل .

٢٣ قال البكري (السمط : ٩٣٥) : ويروى جزل العطاء إذا تبسم ؛ والرداء في هذا البيت العطاء ، وله مواضع ، منها أن الرداء : الحسن والنضارة ، والرداء : السيف ، والرداء : الدين ؛ غلقت : حصلت للموهوب له ويئس من ردّها وارتجاعها ؛ ورقاب الأموال : نفس المال من إبل وماشية وغيرها ، يريد أنّه لا يجود مثلاً باللبن وحده وإنّما يجود برقاب المال نفسها .

تخريج القصيدة ٤٤

الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ – ٦ في البكري : ٤٣٩
« ١ ، ٧ ، ٨ في الأغاني ٣ : ٣١١
« ١٢ ، ١٣ ، ١٠ في ياقوت ١ : ١١٦
« ٢٠ – ٢٢ في السمط : ٩٣٤
البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ١ : ١٢١ ، ٢ : ٨٩٠ والمغانم : ١٦٨
« ٤ ، ٥ في ياقوت ١ : ١٨١ والمغانم : ٤٤٤
« ٥ ، ٦ في المغانم : ١٣
« ١٠ ، ١١ في ياقوت ٣ : ٧٦٥
« ١٥ ، ١٨ في الحيوان ٤ : ٣٥٣
البيت ١ في ياقوت ٢ : ٢٤٣ والسمهودي ٢ : ٢٨٧ والمغانم : ١٠٨
« ٣ في اللسان (غيل)
« ٥ في ياقوت ١ : ٢٣٠ ، ٢ : ٧٦٩ ، ٤ : ٧٦٦ والمغانم : ١٥٤ والسمهودي ٢ : ٢٤٤ والتاج (رحب)
« ٦ في ياقوت ١ : ٩٢٥ ، ٤ : ٢٣٥ والبكري : ٢٦٠ والمغانم ٧٩ ، ٣٥٥
« ٧ في ياقوت ١ : ٣٦٤ ، ٤ : ٦٣٧ والمغانم : ٣٩١
« ٩ في اللسان (بجل)
« ١٠ في البكري : ١٠٥
« ١١ في ياقوت ١ : ٣٦٧ ، ٣ : ٧٥٨ ، ٤ : ٢٦ والبكري : ٤٢٠
« ١٤ في اللسان (حلل)
« ١٦ في المعاني الكبير : ٢٩٦
« ١٧ في المعاني الكبير : ٧٩٢
« ١٩ في ابن جني ٣ : ٩٩ ب
« ٢٠ في اللسان (فضض)
« ٢٣ في الخصائص ٢ : ٤٤٥ (دون نسبة) والمقاييس ٣ : ٣٠٢ ، ٤ : ٣٩٣ والصناعتين : ٣٥٤ واللسان (غمر ، ضحك) وإصلاح المنطق : ٤ ، ٤٢ وأمالي القالي ٢ : ٢٩٢ والمعاني الكبير : ٤٨٠ والمخصص ١٣ ، ٢٣٩ (دون نسبة) والجامع : ١٦٠ وشواهد الكافية : ٢٣٧ والزاهر ١ : ١٦٦ وابن جني ١ : ٧/أ ، ١٢٠ ب

٤٥

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان :

١ ألمّا على سلمى نُسلّمْ ونسألِ سؤالَ حفيٍّ بالحبيبِ موكّلِ

٢ سبتْهُ بعذبِ الرّيقِ صافٍ غروبُهُ رقيقِ الثّنايا باردٍ لم يُفلّلِ

٣ وأسودَ ميّالٍ على جيدِ ظَبْيَةٍ مِن الأدْمِ حوراء المدامعِ مُغْزِلِ

٤ وأتْلعَ برّاقٍ كأنّ اهْتزازَهُ إذا انتصفتْ للرّوْعِ هِزّةُ مُنصُلِ

٥ وما قَرْقفٌ مِن أذرُعات كأنّها إذا سُكبتْ مِن دنّها ماء مفصِلِ

٦ يُصَبُّ على ناجودِها ماءُ بارِقٍ وعاهُ صفاً في رأس عَنقاء عَيْطَلِ

---

١ الحفيّ : الملطف في السؤال المكثر منه . موكّل به : قد قصر همّه عليه .

٢ الغروب : تحزيز الأسنان ؛ مفلل : مثلّم .

٣ الأسود : صفة للشعر . مغزل : غزالة ذات ولد ؛ الأدم : جمع أدماء ، وهي الظبية البيضاء .

٤ الأتلع : العنق الطويل ؛ المنصل : السيف ، اهتزازه : بريقه وتلألؤه .

٥ القرقف : الخمر ؛ أذرعات : بديار الشام يضرب المثل بجودة خمرها . المفصل : الشق بين صخرتين في الجبل ، وماء المفاصل يكون في غاية الصفاء ، قال أبو ذؤيب :

مطافيل أبكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

٦ الناجود : زق الخمر ؛ الصفا : الحجر الأملس ؛ عنقاء : هضبة مرتفعة طويلة ؛ عيطل : طويلة سامقة .

٧ بأطيبَ من فيها لمَن ذاقَ طعْمَهُ | وقد لاحَ ضوء النّجمِ أوكاد ينجلي
٨ أخاضَتْ إليَّ اللّيْلَ خَوْدٌ غَريرَةٌ | جبانُ السُّرى لم تَنتَطِق عن تفضُّلِ
٩ إليك ابنَ مَرْوانَ الأغرَّ تكلّفتْ | مسافةَ ما بينَ البُضَيْعِ فيَلْيَلِ
١٠ جرى ناشياً للمجدِ في كلّ حَلْبَةٍ | فجاء مَجيء السّابقِ المُتهلّلِ
١١ متى يعْتهدْهُ الرّاغبونَ فيكثروا | على بابهِ يَكْثُرْ قِراهُ فيَعْجَلِ
١٢ ويُعطي عطاء تنتهي دونهُ المُنى | عطاءَ وَهوبٍ للرّغائبِ مُجْزِلِ
١٣ أشَدُّ حياء مِن فتاةٍ حَيِيّةٍ | وأمضى مَضاءً مِن سِنانٍ مؤلَّلِ
١٤ وأخْوَفُ في الأعداء مِن ذي مهابَةٍ | بخَفّانَ وَرْدٍ واسعِ العَينِ مُطفِلِ

---

١٠ الحماسة البصرية : المتمهل .

---

٨ الخود : المرأة الشابة ؛ غريرة : حديثة السن لم تجرب الأمور ؛ جبان توصف به الأنثى أيضاً وقد يقال جبانة أيضاً . لم تنتطق : لم تشد عليها نطاقاً ، والتفضل : لبس ثوب واحد ، أي ليست بخادم فتتفضل وتنتطق للخدمة .

٩ الضمير في تكلفت يعود إلى غير مذكور يعني ناقته ولعله قد وصفها في أبيات سقطت من القصيدة ؛ البضيع : من أرض مصر ، كما حدّه البكري ؛ ويليل : من ديار خزاعة في الحجاز ، وهذا هنا أنسب من تحديد السكري بقوله إن البضيع ظريب عن يسار الجار ؛ قلت : والسكري لم يخطىء التحديد ولكن رواية البيت يجب أن تكون « بين البويب فيليل » وعندئذ تكون الرواية الأخرى – أي « البضيع » – هي التي أوقعت البكري في الوهم .

١٠ المتهلّل : المشرق الأسارير ، الذي لم ينله إعياء رغم سبقه .

١١ يعتهده الرّاغبون : يستمطرون جوده ، من العهاد وهو المطر .

١٤ ذو مهابة : يصف أسداً مهيباً بخفان وهي مأسدة ؛ ورد : أحمر اللون ؛ مطفل : ذو أطفال .

١٥ له جزَرٌ في كلّ يومٍ يجُرُّهُ إلى لبُواتٍ في العرينِ وأشبُلِ

١٦ إذا وفدتْ رُكبانُ كعبٍ وعامرٍ عليكَ وأردوا كلّ هوْجاء عَيهلِ

١٧ لقولكَ بقَوْلٍ من ثنائيَ صادِقٍ تخيّرْتُهُ حُرَّ القَصيدِ المُنَخَّلِ

١٨ ثناءً يُوافي بالمواسِمِ أهْلَها ويُنْشِدُهُ الرُّكبانُ في كلّ محْفلِ

---

١٥ جزر : فريسة ؛ وأشبل معطوفة على « لبؤات » ، يعني يسوق القوت إلى أطفاله ونسائه، يصف الأسد .

١٦ أردوا : جعلوها تسير الرديان وهو نوع من السير ؛ الهوجاء : الناقة ذات الحدة والنشاط . العيهل : الناقة السريعة النجيبة الشديدة .

تخريج القصيدة ٤٥

الأبيات ١ – ٧ في حماسة الشجري : ١٩١

« ١٠ – ١٨ في حماسة الشجري : ١٠٣

البيتان ١٠ ، ١٣ في الحماسة البصرية : ٥٢ – ٥٣

البيت ٨ في الأساس (جبن)

« ٩ في البكري : ١٣٩٩

وأورد له ابن جني (٢ : ٢٣٥ب) قوله – ولعله من هذه القصيدة – :

كأن ثلوجاً وردها خيبريّة لذكرتها تعلو عظامي بأفكل

٤٦

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان :

١ أَلِلشَّوقِ لمّا هيّجَتْكَ المَنازِلُ   بحيثُ التقتْ مِن بَيْنَتَينِ الغياطِلُ

٢ تذكَّرْتَ فانهَلّتْ لعينِكَ عَبْرَةٌ   يجودُ بها جارٍ من الدَّمْعِ وابلُ

٣ ليالِيَ مِنْ عَيْشٍ لهَوْنا بوجْهِهِ   زماناً وسُعدى لي صديقٌ مواصِلُ

٤ فدعْ عَنكَ سُعدى إنما تُسعفُ النّوى   قرانَ الثريّا مرةً ثم تافلُ

٥ إليكَ ابنَ ليلى تمتطي العيس صُحبتي   ترامى بِنا مِن مَبْرَكينِ المَناقِلُ

---

١ المنازل : من بيشتين .

٤ المقاييس واللسان : عداد الثريا .

---

١ بينة – بفتح أوله – موضع من الجبي (الجيّ عند ياقوت) من وادي الرويثة .

٣ ليالي : مفعول به للفعل « تذكرت » في البيت السابق .

٤ يقول : إنّما تلاقيها مرّة واحدة في السنة ثم تفترقان كما يفارق الثريا الهلال لأول ليلة مرّة واحدة في السنة ثم تغيب (الأنواء : ٢٩ ، ٨٧) وقال ابن السكيت : لقيت فلاناً عداد الثريا القمر أي مرّة في الشهر ، وزعموا أن القمر ينزل بالثريا مرة في الشهر .

٥ قال ابن حبيب في تفسير شعر كثير : مبركان : قريب من المدينة ، وقال ابن السكيت : أراد « مبركاً ومناخاً » وهما نقبان ينحدر أحدهما على ينبع بين مضيق يليل وفيه طريق المدينة من هناك ، ومناخ على قفا الأشعر . والمناقل : المنازل ، واحدها منقل (ياقوت ٤ : ٤١٠) .

٦ تَخَلَّلُ أحوازَ الحُبيبِ كأنّها قطاً قارِبٌ أعْدادَ حُلْوانَ ناهِلُ

٧ ومُسنِفَةٌ فضْلَ الزّمامِ إذا انْتحى بهِزّةِ هاديها على السّوْمِ بازِلُ

٨ تلغّبها دونَ ابنِ ليْلى وشَفّها سُهادُ السُّرى والسّبْسبُ المُتماحلُ

٩ دِلاثُ العَتيقِ ما وَضَعْتُ زِمامهُ مُنيفٌ به الهادي إذا احْتُثَّ ذاملُ

١٠ وأنتَ ابنَ ليْلى خيرُ قومِكَ مشهداً إذا ما احْمأرَّتْ بالعَبيطِ العوامِلُ

١١ جميلُ المُحيّا أبْلجُ الوَجهِ واضحٌ حليمٌ إذا ما زلزلتهُ الزّلازِلُ

١٢ لهُ حَسَبٌ في الحيّ وارٍ زِنادُهُ عَفارٌ وَمَرْخٌ حثّهُ الورْيُ عاجِلُ

---

١٢ الهجري : نشب .

---

٦ تخلل : تجتاز ؛ الأحواز : النواحي ؛ الحبيب : موضع بمصر ، رواه أبو عمرو «الحبيت» وقال ابن السكيت هو تصحيف إنّما هو الحبيب بالباء . قارب : وارد ؛ والقرب هو سير الليل لورد الغد . أعداد : جمع عدّ وهي البئر لا ينضب ماؤها ؛ ناهل : ظامىء .

٧ أي وتتخلله إليك مسنفة فضل الزمام ، والمسنفة : التي تقدم عنقها للسير ، فيمتد زمامها إلى الإمام ؛ الهادي : العنق ؛ البازل : الناقة التي بلغت تسعاً .

٨ تلغبها : أتعبها ؛ شفها : أنحلها ؛ السبسب : الأرض المستوية ؛ المتماحل : البعيد الأطراف .

٩ الدلاث : السريع من الإبل ، تقول : ناقة دلاث وجمل دلاث ؛ والعتيق : لعلّ معناها هنا السّبق ؛ ما وضعت زمامه : أي طوال وضعي لزمامه ؛ منيف : مرتفع مشرف ؛ ذامل : يمشي الذميل . وفي هذا البيت يصف الجمل لا الناقة .

١٠ احمأرت : يريد « احمارّت » فحرك الألف وأبدلها من همزة ، ويروى : الأنامل ؛ والعبيط : الدم الطري ؛ والعاملة : صدر الرمح وجمعها عوامل .

١١ البلج : أن يكون ما بين الحاجبين نقيّاً من الشعر . الزلازل : الشدائد .

١٢ المرخ والعفار أجود الشجر للإيراء ، وفي أمثالهم « في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار » .

١٣ فمن ينبُ عنّي نَبْوةَ البخلِ أو يُرِدْ   لمعروفِـهِ صَرْفاً فإنّك باذلُ

١٤ أُديرتْ حمالاتُ المكارِمِ كلّها   عليكَ فلم تبخلْ ففضلُكَ شاملُ

١٥ وأنتَ أبو ضيفينِ : ضيفٌ نَفَعْتَهُ   بِنَفْحةِ عُرْفٍ عاجلٍ فهو زائلُ

١٦ وآخرُ يرجو منكَ ما نال قَبْلَهُ   أخوه الذي جَهّزْته ، فهوَ نازلُ

١٧ جمعتَ خلالاً كلٌّ مَنْ نال مثلها   لحملِ الثّقالِ المُضْلِعاتِ حمائلُ

١٨ رَحُبْتَ بها سَرْباً فأجزأتَ كلّها   بحفظٍ ، فلم يَفْدَحكَ ما [أنتَ حاملُ]

١٩ وفيك ابنَ ليلى عِزّةٌ وبسالةٌ   وَغَرْبٌ وموزونٌ من الحلم ثاقِلُ

٢٠ أبأت الذي وُلّيتَ حتى رأبته   وأنتَ لذي القربى وذي الودّ واصلُ

٢١ وإنكَ تأبى الضيمَ في كلّ موطنٍ   قديماً ، وأنت الشيظميُّ الحُلاحلُ

* * *

٢٢ بغاكُمْ رجالٌ عند كلّ ملمّةٍ   معينٌ عليكُمْ ما استطاع وخاذلُ

---

١٣ نبا : أعرض ؛ الصرف : التحوّل .

١٤ الحمالات : المغارم ؛ أي أن المكارم ناطت بك تحمّل الديات والحمالات .

١٥ زائل : مفارق .

١٧ المضلع : الذي يبهظ حمله .

١٨ رحب سرباً بالشيء : اتسع له صدره ولم يبرم به .

١٩ الغرب : الحدة والنشاط ؛ موزون : راجح ؛ ثاقل : ذو ثقل .

٢٠ أبأت : جعلت له متبوأ أي منزلاً وكنفاً ؛ رأب الصدع : لأمه ؛ قلت : وهذه القراءة تقديرية ، وفي المسالك : « أمات . . . رأيته » .

٢١ الشيظمي : الجسيم الفتيّ ؛ الحلاحل : السيد الشريف .

٢٢ بغاكم رجال : مدّوا إليكم يد البغي أو حاولوا النيل منكم ، وهم فريقان : واحد يعين =

٢٣ فما زلتُمُ بالناس حتى كأنّهم   من الخوفِ طيرٌ أخذأتّها الأجادلُ

٢٤ طعان يفضُّ الجُدْلَ عن آنف الشبا   وضربٌ ببيضٍ أخلصتها الصياقلُ

٢٥ لوامعَ يخطفنَ النفوسَ كأنّها   مصابيحُ شبت أو بروقٌ عَواملُ

٢٦ إذا بلّت الخِرصان صاحت كُعوبها   فلم تبقَ إلاّ المارناتُ الذّوابلُ

* * *

٢٧ وإلا يُعقني الموتُ والموتُ غالبٌ   لـه شَرَكٌ مبثوثــةٌ وحبائـلُ

٢٨ أحبّرْ له قولاً تَناشَدُ شعرَهُ   إذا ما التقت بين الجبالِ القبائلُ

٢٩ وتصدر شتّى من مَصَبٍّ وَمُصْعدٍ   إذا ما خلت ممّن يحلُّ المَنازلُ

٣٠ يُغنّي بها الركبانُ من آلِ يحصُبٍ   وبصرى وترويهِ تميمٌ ووائلُ

* * *

٣١ وألاّ يلي ودي ولا حسن مدحتي   دنيٌّ ولا ذو وصمةٍ متضائلُ

= عليكمو آخر يتخاذل عن نصرتكم .

٢٣ أخذأتّها : أخضعتها وأذلتها ؛ الأجادل : الصقور .

٢٤ الجدل : جمع جدلاء وهي الدرع ؛ والشباة : حدّ الرمح هنا .

٢٥ لوامع : نعت للفظة «بيض» في البيت السابق ؛ شبّه السيوف بالمصابيح الموقدة أو بالبروق ، العوامل : جمع عاملة ، وهي المتحركة الناشطة في العمل .

٢٩ تصدر : القبائل أو القوافي ؛ مصب : منحدر . مصعد : صاعد في الأعالي ، وقال الزبيدي: الإصابة خلاف الإصعاد ، ورواه : مصيب .

٣١ الوصمة : العار في الحسب .

تخريج القصيدة ٤٦

الأبيات ١ – ٣ في المنازل والديار : ٣٠ / أ

» ١٣ – ١٨ في نوادر الهجري (الورقة : ١٣٩ ، نسخة القاهرة)

» ٢٢ – ٢٤ في المسالك ١٤ : ٧١

» ٢٧ – ٣٠ في حماسة الخالديين ١ : ٢٢٧

البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ١ : ٨٠٣

» ٥ ، ٦ في صفة الهمداني : ٢٢٧ وياقوت ٢ : ٤٠٠

البيت ١ في البكري : ٢٩٨

» ٤ في اللسان والتاج (عود ، أفل) – دون نسبة – والمقاييس ٤ : ٣٢ والجمان : ١٩١ والأنواء : ٢٩ ، ٨٧ وشروح السقط ٤ : ٣٢

» ٥ في التاج (برك) وياقوت ٤ : ٤١٠ والسمهودي ٢ : ٣٦٨ والمغانم : ٣٦٨

» ٦ في المخصص ٧ : ٩٦ (العجز وحده دون نسبة)

» ٧ في المخصص ١٠ : ١٦٧ واللسان والتاج (سنف)

» ٨ في اللسان والتاج (لغب)

» ٩ في اللسان والتاج (دلث)

» ١٠ في اللسان والتاج (جنن)

» ١٢ في الحيوان ٤ : ٢٦٥ والمخصص ١١ : ٢٧ ونوادر الهجري (الورقة: ١٣٩) وابن جني ٣ : ٦٥ ب

» ١٩ في اللسان (ثقل)

» ٢٠ في ابن جني ٣ : ٢١٤ / أ

» ٢١ في ابن جني ٢ : ٢٣٨ ب

» ٢٣ في المقاييس ٢ : ١٦٦

» ٢٦ في ابن جني ٣ : ٢٠٢ / أ

» ٢٩ في التاج (صوب)

» ٣١ في ابن جني ٢ : ٢٣٦ / أ

٤٧

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان :

١ أفي رَسْمِ أطلالٍ بشَطبٍ فمرجمِ   دوارسَ لمّا استُنطقتْ لم تكلّمِ
٢ تُكفكفُ أعداداً من العينِ رُكّبَتْ   سَوانيُّها ثم اندفعنَ بأسلُمِ
٣ فأصبحَ من تِرْبَيْ خُصيلةَ قلبُهُ   لهُ ردّةٌ مِن حاجةٍ لم تَصرَّمِ
٤ كذي الظّلعِ إن يَقصِدْ علَيهِ فإنّهُ   يَهُمُّ وإن يخرَقْ به يتَيمّمِ
٥ وما ذكرُهُ تِرْبَيْ خُصيلةَ بعدما   ظَعَنَّ بأجوازِ المراضِ فتغْلَمِ

---

٤ ياقوت : كذا الطلع . . . مهم .
٥ ياقوت (المراض) : فيعلم .

---

١ شطب — بفتح أوله ويروى بالضمّ وسكون ثانيه — واد حذاء مرجم دون كلية إلى بلاد ضمرة .
٢ أعداداً : آباراً ، لغزارة دموعه شبهها بالأعداد التي تستقي منها السواني أي النواضح ؛ الأسلم : جمع سَلْم وهو الدلو التي لها عرقوة واحدة كدلو السقائين .
٣ خصيلة : اسم امرأة ؛ والترب : اللدة ؛ الردة : العطفة والرغبة .
٤ ذو الظلع : الذي يعرج في مشيه ، إذا اقتصد ولم يجر على ظلعه استطاع أن يهم أي ينهض وإن يعنف بظلعه (يخرق : يعنف) . ولم أجد تصويباً ملائماً للفظة « يتيمّم » — فإن البيت شديد التحريف — ولعلّها : يتوثّم أي يندق وينكسر ، وهي قراءة تلائم المعنى ولكن صورتها بعيدة .
٥ المراض : قال ياقوت : بفتح الميم قرأته بخط ابن باقلاء وهو الصحيح ، إذ هو في قول كثير ، =

٦ فأصبحن باللّعباء يرْمينَ بالحصى ... مدى كلّ وحشيّ لهُنّ ومُستمي

٧ موازيةً هضْبَ المُضيَّحِ واتّقَتْ ... جبالَ الحمى والأخشبَينِ بأخرُمِ

٨ إليكَ تبارَى بعدما قُلتُ قد بدتْ ... جبالُ الشَّبا أو نكّبَتْ هضْبَ تريْمِ

٩ بنا العيسُ تجتابُ الفلاةَ كأنّها ... قطا الكُدرِ أمسَى قارباً جفرَ ضَمضَمِ

١٠ تشكّى بأعلى ذي جراولَ موْهِناً ... مناسِمُ مِنها تخضِبُ المَرْو بالدَّمِ

---

٧ ياقوت (المضيح) والبكري : موازنة ؛ ياقوت (أخرم) المصيح ؛ الحازمي : المصبح .

٨ الحازمي : تناءى ؛ ياقوت : حبال .

٩ السمط : حفر .

=والمراض بين رابغ والجحفة ، قاله ابن حبيب . تغلم : موضع قبل ريم في ديار بني فزارة .

٦ اللعباء : ماء سماء في حزم بني عوال ، وهو أيضاً جبل لغطفان في أكناف الحجاز . المستمي : الذي يستمي الوحش أي يطلبها في كنسها ولا يكون ذلك إلاّ في شدة الحرّ .

٧ قال البكري : المضيح : جبل بالشام ، وقال أبو عمرو الشيباني : جبل بناحية الكوفة ؛ وعند ياقوت : المضيح والأخشبان : مواضع بمصر ؛ أخرُم : قال الحازمي وياقوت : قد جاء في شعر كثير بضمّ الراء (وفي مادة أخزم ذكر أنّه جبل بقرب المدينة بين ملل والروحاء وهي الديار التي يصفها كثير في شعره) .

٨ الشبا : قريب من الأبواء ؛ تريم : موضع لبني جشم بعد بطن تربة على طريق الخارج إلى المدينة نحو عجز هوازن ، وقال الحازمي : واد بالحجاز قريب من ينبع .

٩ تجتاب : تقطع ؛ قارباً : وارداً ؛ الجفر : البئر العميقة القعر ، وجفر ضمضم : اسم موضع . وقطا الكدر يعني القطا الكدريّ وهي قصيرة الذنب لطيفة الحجم .

١٠ ذو جراول : كذا هو في صفة جزيرة العرب ، ولم يذكره ياقوت والبكري ؛ المرو : الحجارة ، مفردها مروة .

١١ تنوطُ العِتاقَ الحِمْيريّةَ صُحْبَتي بأعيسَ نهّاضٍ على الأينِ مِرْجَمِ

١٢ كأنَّ المطايا تتّقي مِن زُبانةٍ مناكبَ رُكنٍ من نَضادٍ مُلَمْلَمِ

١٣ تعالى وقد نكّبْن أعلامَ عابدٍ بأركانها اليُسرى هضابَ المُقطَّمِ

١٤ ترى طَبَقَ الأعناقِ منها كأنّه إليك كعوبُ السمهريّ المقوَّمِ

١٥ إذا انتقدتْ فضلَ الأزمّةِ زَعزعتْ أنابيبُها العُليا خَوابيَ حَنْتَمِ

١٦ تزور امرءاً أما الإلهَ فيتّقي وأمّا بفعلِ الصالحينَ فيأتمي

١٧ نُجِدُّ لك القولَ الحليَّ ونَمْتطي إليكَ بَناتِ الصَّيْعرِيّ وشَدْقَمِ

---

١٢ البكري : من ربابه ؛ ياقوت : مناكد .

١٦ السمط والابدال وأمالي القالي : نزور .

---

١١ تنوط : تعلّق ، والمعنى أن أصحابه يجعلون جمالهم الحميرية تقتدي بأعيس نهاض ، والأعيس : الجمل الأبيض ؛ النهاض : القويّ على النهوض والحركة ، رغم تعبه . مرجم : شديد الوطء .

١٢ زبانة كذا في صفة الهمداني وياقوت ؛ والصواب فيما أرى « ربابه » كما جاء في البكري (نضاد) ، يعني سحابه ، والضمير عائد إلى ذي جراول ، فالمطايا تفرق من سحابه كأنّها تحسبها مناكب ركن من نضاد ، ونضاد : جبل بالعالية ، قاله ابن حبيب . ململم : مجتمع شديد صلب .

١٣ تعالى : تعلو ؛ عابد : جبل دون مصر .

١٤ يعني أن أعناقها في مسيرها قد تطابقت على استواء كأنّها كعوب الرمح .

١٥ انتقدت : نقرت وحركت ، زعزعت : أثارت ؛ الحنتم : القطران .

١٦ نزور — وفي رواية تزور — أي هذه المطايا التي وصفها ؛ يأتمي : يأتمّ ، ابدل من إحدى الميمين ياء .

١٧ القول الحليّ : الذي يحلو في الفم . الصيعري وشدقم : فحلان من فحول الإبل .

١٨ إليكَ فليس النيلُ أصبح غادياً بذي حُبُكٍ يعلو القُرى مُتَسَنِّمِ
١٩ بطامٍ يكبُّ الفُلْكَ حولَ جَنابِهِ لأذقانِهِ مُعلَوْلِبَ المدّ يرتمي
٢٠ بأفضلَ سيباً منك ، بل ليس كُلّهُ كبعضِ أيادي سَيْبِكَ المتقسَّمِ
٢١ رأيتُ ابن ليلى يعتري صُلْبَ مالِهِ مسائلُ شَتّى من غنيٍّ ومُصْرِمِ
٢٢ مسائلُ إن توجَدْ لديه تَجُدْ بها يداهُ ، وإن يُظْلَمْ بها يتَظَلّمِ
٢٣ يداكَ ربيعٌ يُنْتَوى فَضْلُ سَيْبِهِ وَوَجْهُكَ بادي الخيرِ للمتوسِّمِ
٢٤ لقد أبْرَزَتْ منكَ الحوادثُ للعِدى على رغمهم ذَرِّيَّ عَضْبٍ مُصَمِّمِ
٢٥ وذي قَوْنَسٍ يوماً شككتَ لَبانَهُ بذي حُمَةٍ في عاملِ الرمح لَهْذَمِ
٢٦ وذي مَغْرَمٍ فرَّجْتَ عن لونِ وجههِ صُبابةَ ذي دَجْنٍ من الهمّ مظلمِ
٢٧ وعانٍ فككتَ الغُلَّ عنه وكَبْلَهُ وقد أندبا منه بساقٍ ومِعْصَمِ

---

١٨ الحبك : التجعد والتكسر ، يريد تموّج الموج ؛ متسنم : مرتفع .

١٩ الطامي : المدّ المرتفع . اعلولب : أخذ في الاشتداد .

٢٠ السيب : العطاء .

٢١ يقول إن الناس يسألونه وفيهم غني ومصرم ، والمصرم : القليل المال .

٢٢ يتظلّم : يقبل أن يظلم ، أي يجور على نفسه في السخاء .

٢٣ ينتوي : يقصد ؛ المتوسم : الناظر .

٢٤ ذريّ السيف : فرنده لأنّه يشبه آثار الذر .

٢٥ القونس : البيضة من السلاح ، يريد فارساً قد لبس الخوذة . والقونس من الفرس ما بين أذنيه ؛ واللبان : الصدر ؛ عامل الرمح : صدره ؛ اللهذم : القاطع .

٢٦ ذو المغرم : الذي أثقلته الحقوق ؛ الصبابة : البقية .

٢٧ العاني : الأسير ؛ أندبا : تركا ندوباً أي آثار جراح أو تحزيز .

٢٨ ولو وُزِنَتْ رَضْوى الجبالِ بحلمه   لمال برضوى حِلْمُهُ ويَرَمْرَمِ

٢٩ من النّفَرِ البيضِ الذين وجوههم   دنانيرُ شِيفَتْ من هرقلٍ بِرَوْسَمِ

٣٠ فأنت إذا عُدَّ المكارمُ بَيْنَهُ   وبينَ ابنِ حربٍ ذي النُّهى المتفخمِ

٣١ متى ما أقُلْ في آخرِ الدَّهرِ مدحةً   فما هي إلاَّ لابنِ ليلى المكرّمِ

---

٢٨ يرمرم : اسم جبل .

٢٩ شيفت : صقلت وجليت ؛ الروسم : أداة تجلى بها الدنانير .

٣٠ بينه : الضمير يرجع إلى شيء لم يذكر ولعل ما سقط كان فيه حديث عن والد الممدوح ؛ وابن حرب هو معاوية بن أبي سفيان .

٣١ من هذا أخذ أبو نواس قوله :

وان جرت الألفاظ يوماً بمدحة   لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

تخريج القصيدة ٤٧

الأبيات ٥ – ١٣ في صفة الهمداني : ٢٢٧

» ١٤ ، ١٥ ، ١٨ – ٢٩ في المسالك ١٤ : ٦٨

» ٣ – ٥ في ياقوت ٤ : ٤٧٥

» ٨ ، ٩ ، ١٦ في السمط : ٧٩١

» ٢١ – ٢٣ ، ٣١ في الصفوة : ١٢ ب

البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٣ : ٢٩٠

» ٦ ، ٧ في ياقوت ٤ : ٥٦٠

» ٨ ، ٩ في ياقوت ٢ : ٩٢

» ١٢ ، ١٣ في ياقوت ٣ : ٥٨٣ والبكري : ١٣١١

» ٢١ ، ٢٢ في الشعر والشعراء : ٧٩ ، ٨٢

البيت ١ في البكري : ٧٩٨

» ٢ في اللسان والتاج (سلم)

» ٥ في البكري : ٣١٦

» ٦ في البكري : ١١٥٦ وياقوت ٤ : ٣٥٨ والحازمي (لعبا)

» ٧ في البكري : ١٢٣٦ وياقوت ١ : ١٦١ والحازمي (أخرم)

» ٨ في الحازمي (تريم)

» ١٢ في التاج (نضد) وياقوت ٤ : ٧٩٠

» ١٣ في الحازمي (عابد)

» ١٦ في اللسان والتاج (أمى) وأمالي القالي ٢ : ١٦٧ والابدال ٢ : ٤٥٣

» ١٧ في اللسان والتاج (حلا)

» ٢٤ في الأساس (ذرّ)

» ٢٩ في اللسان والتاج (رسم)

» ٣١ في الموضحة : ١٠٤ وابن جني ١ : ١٧٤/أ والواحدي : ١٤٣ والعكبري ١ : ٣٦٥ وشرح المضنون : ١٦١ وزهر الآداب : ٩٢٣

٤٨

قال صاحب الخزانة (٣ : ٥٨٢) : ذكر أهل الأخبار أن كثيراً لما دخل على عبد العزيز أنشده قصيدته التي منها « إذا ابتدر الناس المكارم . . . » فأعجب به وقال : حكمك يا أبا صخر ، قال : فإني أحكم أن أكون مكان ابن رمانة (كاتب عبد العزيز وصاحب أمره) ، فقال له عبد العزيز : ترى حالك ، ما أردت ويلك ، ولا علم لك بخراج ولا بكتابة ، اخرج عني ، فخرج كثير نادماً على ما حكى ، ثم لم يزل يتلطف حتى دخل عليه فأنشده « وان ابن ليلى فاه لي بمقالة . . . » .

١ إذا ابتدرَ النّاسُ المكارمَ بَذّهُمْ ... عَراضَةُ أخلاقِ ابن ليلى وطولُها

* * *

٢ وإنّ ابن ليلى فاهَ لي بمقالةٍ ... ولو سِرْتُ فيها كنتُ مِمّن يُنيلُها

٣ عجبتُ لتركي خُطّة الرُّشد بعدما ... بدا ليَ مِن عبدِ العزيزِ قبولُها

---

٣ العقد : لأخذي خطة العجز . . . تبين من عبد العزيز .

---

١ بذهم : فاقهم وبزهم ، أي بزهم بسعة أخلاقه وتمامها وكمالها في الفضل ، لأن الأخلاق تمدح بالسعة وتذم بالضيق ، ولهذا وصفها بالعرض والطول .

٢ المعنى : ممّن ينيلوها ، والعائد إلى « من » هو ضمير المذكر المنصوب المحذوف ، وضمير المؤنث للمقالة ، وفي نيلها ضمير فاعل لابن ليلى والمعنى ممن ينيله ابن ليلى إياها ، أي لو سرت في طلبها ، وقال الأندلسي : فإن قلت : كيف ينيله المقالة ؟ قلت : يريد المقولة فيه ؛ لو سرت فيها : لو رحلت لأجلها أي لطلبها .

٣ الخطة ــ بالضم ــ الأمر والقصة ، وأراد بخطة الرشد تحكيم عبد العزيز إياه فيما يطلب .

٤ وأمّيَ صَعباتِ الأمورِ أروضُها وقد أمْكَنَتْني يومَ ذاكَ ذَلولُها

٥ حلَفْتُ بِربّ الرّاقصاتِ إلى مِنًى يغولُ البلادَ نَصُّها وذميلُها

٦ لئِن عاد لي عبدُ العزيزِ بمثلها وأمكنَني مِنها إذاً لا أقيلُها

٧ فهل أنتَ إن راجعتُك القولَ مرّةً بأحسنَ منها عائدٌ فمُنيلُها

---

٥ الخزانة (٣ : ٥٨٠) : يغول الفيافي .

٦ البيان : فإن عاد ؛ العقد : لا أقولها .

---

٤ الأمّ : القصد ؛ أروضها : أذللها ؛ والذلول — بفتح الذال — السهل المنقاد .

٥ الرّقص : ضرب من الخبب في العدو ، حلف برب الإبل التي يسار عليها إلى الحج ؛ تغول البلاد : تقطعها ، والنص والذميل : ضربان من العدو .

٦ بمثلها : بمقالة مثلها وهي قول عبد العزيز له «حكمك» ؛ لا أقيلها : أي أطلب منه ما لا اعتراض عليّ فيه ولا قدح — هكذا فسره العلماء وهو الصحيح ؛ وما قاله ابن سيده أن عبد العزيز ابن مروان كان أعطاه جارية فأبى كثير قبولها ثم ندم بعد ذلك فيقول : لئن عاد لي بجارية مثلها مرة أُخرى لا أقيلها ، غلط ؛ وهو قياس منه ، والصحيح ما تقدم (الخزانة ٣ : ٥٨٢) ويجوز أن يرجع الضمير في « بمثلها » إلى خصلة الرشد أو إلى مقالة عبد العزيز لا أقيلها أي العثرة ؛ والعثرة غير مذكورة في الكلام وإنّما أعاد الضمير عليها لأنها مفهومة من المقام ، والإقالة : الردّ ، قال ابن المستوفي وبعض فضلاء العجم في شرح أبيات المفصل : ويروى « لا أفيلها » — بالفاء — أي لا أفيل رأيه فيها أو في التأخر عنه والتثبط عن تنجيز ما وعدني به . يقال : فال يفيل فيلولة إذا ترك الرأي الجيد وفعل ما لا ينبغي للعقلاء أن يفعلوه ، فالفيلولة ضعف الرأي وهذه الرواية هي المناسبة (الخزانة ٣ : ٥٨٣ — ٥٨٤ بتصرف يسير) ؛ وقال الشنتمري (١ : ٤١٢) : الشاهد فيه إلغاء إذن ورفع لا أقيلها لاعتماده على القسم المقدّر في أول الكلام والتقدير : والله لئن . . .

٧ منيلها : معطيها ؛ قيل لما سمع عبد العزيز هذا البيت قال له : أما الآن فلا ، ولكن قد أمرنا لك بعشرين ألف درهم .

تخريج القصيدة ٤٨

الأبيات ٢ – ٧ في الخزانة ٣ : ٥٨٢
« ٤ – ٧ ، ١ في السيوطي ٢٤
« ٣ ، ٥ ، ٦ في العيني ٤ : ٣٨٢
البيتان ٣ ، ٦ في البيان ٢ : ٢٤١ والعقد ٣ : ٨ والروضات : ٥١٠
« ٥ ، ٦ في الخزانة ٣ : ٥٨٠
البيت ١ في الموازنة ١ : ١٨٨ والخزانة ٣ : ٥٨٢ وابن جني ٣ : ٧٧ (العجز وحده)
« ٣ في الشنقيطي ٢ : ٦
« ٥ في الشذور : ٧٧
« ٦ في الخزانة ٤ : ٥٤٠ ومغني اللبيب : ٢١ وسيبويه والشنتمري ١ : ٤١٢ وابن يعيش ٢ : ١٢٢٤ والجامع : ٢٣٦ والشنقيطي ٢ : ٥ والشذور : ٧٧

٤٩

وقال يمدح عبد العزيز بن مروان :

١ وقُلنَ وقد يكذِبْنَ فيك تعيّفٌ ... وشُؤمٌ إذا ما لم تُطَعْ صاحَ ناعِقُهْ

٢ فأعيَيْتَنا لا راضياً بكرامةٍ ... ولا تاركاً شكوى الذي أنتَ صادقُهْ

٣ وأدركْتَ صفْوَ الوُدّ منّا فلُمْتَنا ... وليسَ لنا ذنْبٌ فنَحْنُ مَواذِقُهْ

٤ وألفَيْتَنا سِلْماً فصدَّعْتَ بَيْننا ... كما صَدَّعَتْ بينَ الأديمِ خوالقُهْ

* * *

٥ يُرَجِّعُ في حيزومِهِ غيرَ باغمٍ ... يَراعاً من الأحشاء جُوفاً هنابِقُهْ

---

١ تعيّف : صدود وامتناع وتكرّه بسبب الأنفة أو ما أشبهها ؛ وشؤم يصيح ناعقه : شؤم ينذر بالشرّ ناجم عن ذلك التعسّر والحزونة في الخلق ؛ وذلك كلّه يظهر منه إذا عصينه ولم ينزلن على ما يهواه .

٢ قد حيّرهن أمره ، فإذا أنلنه كرامة لم يرض ، ثم هو لا يترك أن يشكو ما يحسّ به من ألم صادقاً .

٣ يقلن له : لمتنا حين نلت ودنا الخالص ، وليس في الإخلاص ذنب ولا نحن معك ممّن يمذق الودّ أي يشوبه ولا يجيء به خالصاً .

٤ يقلن له : وجدتنا في حال التئام شمل وطمأنينة نفس ،نحب وصالك ، فعرضت هذا الوصل للتصدّع ؛ والبين هنا : الوصل ؛ مثل من يقدرن الأديم قبل قطعه أين يقطعنه لكي يجدن شقه حسب المراد . والأديم : الجلد ؛ وخلق الأديم : قدّره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربة أو خفاً ؛ فالخالقات يفرقن شمل الأديم بالقطع .

٥ في هذا البيت والبيتين التاليين يصف حمار الوحش؛ الحيزوم: الصدر ؛ الهنابق : المزامير ، أراد هنابيقه فحذف الياء ؛ واليراع : القصبة ؛ شبه نهيقه بتردد الصوت في مزمار .

٦ إذا ما رمى قصْدَ المَلا لحِقَتْ بهِ علاةٌ كمِرْداةِ القِذافِ تُراشِقُهْ

٧ يُجرِّرُ سِرْبالاً علَيْهِ كأنّهُ سَبِيُّ هلالٍ لم تُخرَّقْ شرانِقُهْ

* * *

٨ إذا المرء لم يبذلْ من الودّ مثلما بذلتُ له فاعلمْ بأنّي مُفارِقُهْ

٩ ولا خيرَ في ودّ امرىء متكارهٍ عليكَ ولا في صاحبٍ لا توافِقُهْ

١٠ إذا المالُ لم يوجبْ عليكَ عَطاءَهُ صَنيعةُ قرْبى أو صديقٌ توامقُهْ

---

٧ المعاني الكبير : لم يفتق شنائقه . اللسان (سبى) : لم تفتق بنائقه . الحيوان (٣ : ٤٨٦) : لم تفتق ؛ الحيوان (٤ : ١٧٧) : لهزلى لم تقطّع . التاج (هلل) : لم تخربق شبارقه .

١٠ الأغاني : صنيعة تقوى ؛ الحيوان : صنيعة بر ؛ الصبح المنبي : تقوى . . . توافقه ؛ أمالي المرتضى : قرابة قربى ؛ الشعر والشعراء : تخالقه ؛ الحصري : ترافقه .

---

٦ الملا : موضع ؛ والعلاة : السندان شبه الأتان بها ؛ المرداة : الصخرة ؛ تراشقه : تباريه ؛ وقال الزمخشري في الأساس : راشقني مقصدي : باراني في المسير إليه ، كأنّها ترامي راكبها فيقع سيرها حيث يقع قصده وإرادته ؛ ويفهم من هذا أن صاحب الأساس قد جعل البيت في وصف ناقة ، وعلى هذا يكون البيت الأول في وصف جمل .

٧ السبيّ : جلد الحية تسلخه ؛ والهلال : الحية ؛ والشرانق : ما انسلخ من جلده ، وفي رواية شنائقه : أي دخاريصه ، صيرها شنائق لأنها معلقة . قال ابن قتيبة : يريد : يجرّر قميصاً كأنّه سبيّ هلال – أي جلد حية . . . الخ ؛ وهذا يعني أن الموصوف في هذا البيت رجل ، وهو على هذا التوجيه وصف غريب . وفي رواية الحيوان : « لهزلى » وهي الحيات أيضاً . وفي التاج « لم تخربق شبارقه » تخربق : أي تشقق وتفسد ، والشبارق : القطع ؛ ويبدو أن بيت كثير كما أنشده ابن سيده « لم تفتق بنائقه » أما البيت الثاني وهو « لم تقطع شرانقه » فإنّه منسوب للراعي عند الأزهري .

١٠ توامقه : تواده وتحبّه .

١١ منَعْتَ وبعْضُ المَنْعِ حزْمٌ وقوَّةٌ   فلَمْ يفتلذْكَ المالَ إلاَّ حقائِقُهْ

١٢ إذا ما أفاد المالَ أودى بفضلهِ   حقوقٌ فكُرْهُ العاذلات يوافِقُهْ

١٣ ويرفعُ نصلَ السيفِ عن كعبِ ساقِهِ   ولو أطْوَلَ القينُ الحمائلَ ، عاتقُهْ

١٤ فبورك ما أعطى ابنُ ليلى بنيّةٍ   وصامِتُ ما أعطى ابن ليلى وناطقُهْ

---

١١ الأغاني : بخلت وبعض البخل . . . فلم يفتلتك ؛ التاج : ومنع البعض . الصبح المنبي : ولم .

---

١١ يفتلذك : يأخذ منك فلذة أي قطعة ؛ يفتلتك : أي يفلته من يديك . الحقائق : جمع حقيقة وهي كلّ ما يحق على المرء أن يحميه .

١٢ أفاد : أعطى ؛ أودت الحقوق به : ذهبت به ، أي أدّاها عن أصحابها فذهبت بما لديه من فضل مال . كره العاذلات يوافقه : لأنّه كريم وهن يحاولن أن يثنينه عن كرمه .

١٣ عاتقه : فاعل للفعل يرفع ، يصفه بطول القامة .

١٤ المال الصامت : الذهب والفضة ، والناطق : الحيوان .

تخريج القصيدة ٤٩

الأبيات ١ – ٤ في الأغاني ١٢ : ١٠٧

» ٩ – ١١ في الشعر والشعراء : ٤٢٣

» ٨ – ١١ ، ١٣ في المسالك ١٤ : ٧٠

» ١ ، ٥ في نوادر الهجري (الورقة : ١٣٨ ، نسخة القاهرة)

البيتان ١٢ ، ٧ في الحيوان ٤ : ١٧٧

» ١٠ ، ١١ في اللسان والتاج (فلذ) والحصري : ٨٣٢ والحيوان ٣ : ٤٦٥ وأمالي المرتضى ٢ : ٢٦١ والأغاني ١١ : ١٨٢ ، ١٨٣ والصبح المنبي : ٩٧

البيت ٥ في اللسان (هنبق)

» ٦ في الأساس (رشق)

» ٧ في المعاني الكبير : ٦٧٣ والحيوان ٣ : ٤٨٦ واللسان (سبى) والتاج (هلل) والتاج (سبى) منسوباً للراعي النميري

» ١٤ في الحيوان ١ : ٣٢

وأورد له ابن جني قوله (٢ : ١٥٥ ب) :

على أن أطلالاً بموضع صالف كزقّ اليماني لم تُغَيّر مهارقه

وقوله (٢ : ١٣٩) :

عـلى ظهر عاديّ تلوح متونـه بنـان ترامى بالركاب سمالقه

ولعلهما من هذه القصيدة .

٥٠

وقال في عبد العزيز * :

١ يا أيّها المُتمنّي أن يكونَ فتًى مِثلَ ابنِ ليلى لقد خلّى لك السُّبُلا

٢ أُعْدُدْ ثلاثَ خلالٍ قد جُمِعنَ لهُ هل سبَّ مِن أحدٍ أوْ سُبَّ أوْ بخِلا

---

* اعتمدت فيها على الديوان المطبوع ، ولم أعثر عليها في مصدر آخر .

٥١

دخل كثيّر على عبد العزيز وهو مريض وأهله يتمنون أن يضحك فلمّا وقف عليه قال له : « والله أيها الأمير لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوت ربي أن ينصرف ما بك إليّ ولكني أسأل الله لك أيها الأمير العافية ولي في كنفك النعمة »، فضحك وأمر له بمال ؛ فقال كثيّر :

١ ونعودُ سَيّدَنا وسَيّدَ غيرِنا لَيْتَ التّشَكّي كانَ بالعُوّادِ

٢ لو كان يَقْبلُ فدْيَةً لفدَيْتُهُ بالمُصْطفى مِن طارِفي وتِلادي

تخريج القصيدة ٥١

البيتان ١ ، ٢ في الشعر والشعراء : ٤٢٣ والعقد ٢ : ٤٤٨ والعيون ٣ : ٥٠ وابن خلكان ٣ : ٢٦٩ والسبع الطوال : ١٩١ والزاهر ١ : ٦١

٥٢

وقال يرثي عبد العزيز بن مروان :

١ أهاجتكَ سلمى أمْ أجَدَّ بُكورها وحُفّتْ بأنْطاكيّ رَقْمٍ خُدورُها
٢ على هاجراتِ الشّوْلِ قدخفَّ خطرُها وأسلَمها للظّاعناتِ جُفورُها
٣ قوارِضُ حَضْنَيْ بطنِ ينبُعَ غُدوةً قواصِدُ شرْقيِّ العَناقَينِ عِيرُها
٤ على جِلّةٍ كالهَضْبِ تختالُ في البُرى فأحمالُها مَقصورةٌ وكؤورُها
٥ بُروكٌ بأعلى ذي البُلَيدِ كأنّها صريمَةُ نَخْلٍ مُغْطَئِلٍّ شكيرُها

---

٥ الحازمي وياقوت : نزولٌ ؛ المخصص : تجول ؛ التاج : بؤوك .

---

١ الرقم : ضرب من البرود أو الوشي المخطط ؛ أنطاكيّ : منسوب إلى أنطاكية .

٢ هاجرات الشول : التي بعد عهدها بالنتاج ، والشول من النوق : التي أتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية فلم يبق في ضروعها إلا شول من اللبن — أي بقية — مقدار ثلث ما كانت تحلب في حال نتاجها ؛ خفّ خطرها : قلَّ تحريكها لذنبها ، أي لم تعد تشوله للقاح ؛ جفورها : هنا بمعنى انقطاع لبنها ، وكل ذلك يرمز إلى قوّتها وتحملها للأسفار ، ولذلك فإن جفورها أسلمها لتكون مطية للظاعنات .

٣ قوارض : مائلة في وجهتها ؛ الحضن : الجانب ؛ العناقان : هو عناق واحد وثنّاه حسب المألوف في الشعر ؛ وعناق بحمى ضريّة .

٤ الجلة : المسانّ من الإبل ، شبهها في علوّها بالهضب ؛ البرى : جمع برة وهي حلقة تجعل في أنف البعير ؛ مقصورة : مرخاة الستور ؛ الكؤور : جمع كثرة لكور وهو الرحل .

٥ بروك : باركةٌ مناخة ؛ ذو البليد : موضع قرب المدينة بوادٍ يدفع في ينبع . الصريمة : =

٦ من الغُلْبِ من عِضْدانِ هامةَ شُرِّبتْ لسَقْيٍ وجَمّتْ للنّواضِحِ بيرُها

٧ غدتْ أمُّ عمرٍو واستقلّتْ خدورُها وزالتْ بأسدافٍ من اللّيلِ عيرُها

٨ تَبَدَّتْ فصادته عشيّةَ بينها وقد كُشفَتْ منها لبينٍ ستورها

٩ بجيدٍ كجيدِ الرئمِ حالٍ تزينُهُ غدائرُ مسترخي العقاصِ يصورها

١٠ تلوث إزارَ الخزِّ منها برملةٍ رَداحٍ كساها هائلَ الترب مُورُها

١١ أجدَّت خُفُوفاً مِن جنوبِ كُتانَةٍ إلى وجمةٍ لمّا اسجَهَرَّتْ حَرورُها

١٢ ومرَّت على التّقوى بهِنَّ كأنّها سفائِنُ بحرٍ طابَ فيها مَسيرُها

= القطعة من النخيل ؛ مغطئل : كثير متراكب ؛ الشكير : فراخ النخل أو الخوص الذي حول السعف .

٦ من الغلب : متعلق بقوله « صريمة نخل » ؛ الغلب : الغلاظ ؛ العضدان : النخلات التي امتدت جذوعها بحيث يتناول منها المتناول ؛ هامة : موضع قبل هجر فيه نخل كثير ؛ شرّبت لسقي : أرويت بإفاضة الماء عليها ؛ جمت : ترك ماؤها ليتجمع ويكثر ، كي يمدّ النواضح ، وهي الإبل التي تستقي لإرواء الزروع والنخيل .

٧ الأسداف : جمع سدف وهو الظلمة .

٩ يصورها : يميلها ؛ قال الهجري : يميلها من كثرته ، إذا صار في جانب مالت إليه ؛ والريم من الظباء : الأبيض .

١٠ المور : التراب الذي تحمله الريح ، وهو يعني الريح هنا ؛ والهائل : الذي لا يتماسك .

١١ أجدّت خفوفاً : ارتحلت مسرعة ؛ كتانة – فيما حدّه ابن السكيت – عين بين الصفراء والأثيل ؛ وفي البكري : موضع بنجد فيه نخل كثير ، وأحسبه من أوهامه ، فإنّه ظنّ الحديث في هذا البيت متصلاً بالكلام عن النخل في البيتين السابقين . ووجمة : جانب فعرى ؛ وفعرى جبل أحمر تدفع شعابه في غيقة في أرض ينبع . اسجهرّ : ابيض ؛ الحرور : حرّ الشمس .

١٢ التقوى ، فيما قاله البكري : موضع بنجد ؛ شبه الهوادج في مسيرها المطمئن بالسفن .

١٣ أوِ الدَّومُ مِن وادي غُرانَ تروَّحتْ لهُ الرّيحُ قصْراً شمْألٌ ودَبورُها

١٤ نظرْتُ وقد حالتْ بلاكِثُ دونَهم وبُطنانُ وادي بِرْمَةٍ وظُهورُها

١٥ إلى ظُعُنٍ بالنّعْفِ نعْفِ مَياسِرٍ حدَتْها تَواليها ومارَتْ صُدورُها

١٦ عليهِنّ لُعْسٌ من ظباء تَبالَةٍ مُذبْذبةُ الخِرْصانِ بادٍ نُحورُها

١٧ فلمّا بلَغنَ المُنتضى بينَ غَيقَةٍ ويَلْيَلَ مالتْ فاحزَألّتْ صُدورُها

---

١٤ الهجري : فبطنان . . فظهورها .

١٥ الهجري : وبارت .

١٧ الحازمي : دون غيقة .

---

١٣ أو الدوم : يعني أو أنها تشبه شجر الدوم ؛ غران : واد ضخم بالحجاز بين ساية ومكّة أو على التحديد بين أمج وعسفان يمتد إلى ساية . تروّحت : هبّت ؛ قصراً : عشاء ، يعني أن الهوادج في تمايلها تشبه شجر الدوم عندما أخذ يتمايل وقد هبت عليه الريح من شمال ودبور .

١٤ قال ابن السكيت : بلاكث قارة عظيمة فوق وادي المروة بينه وبين ذي خشب ببطن إضم ؛ وبرمة : بين خيبر ووادي القرى وهي عيون ونخل لقريش .

١٥ النعف : ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط ؛ ومياسر : موضع بين الرحبة والسقيا من بلاد عذرة وهو قريب من وادي القرى ، وقال ابن السكيت عن بعضهم : النعف هاهنا ما بين الدوداء وبين المدينة ؛ حدتّها : ساقتها . مارت : تحركت وتموّجت .

١٦ اللعس : جمع لعساء وهي التي في شفتها لعس أي سواد ؛ تبالة : واد مخصب من أعمال مكة إلى الجنوب . مذبذبة : متحركة ؛ الخرصان : جمع خرص وهو من حليّ النساء .

١٧ قال ابن السكيت : المنتضى واد بين فرع والمدينة ؛ وغيقة بين مكّة والمدينة، وقيل خبت في ساحل بحر الجار ؛ وحدّده ابن السكيت مرتين، فقال مرة : حساء على شاطىء البحر فوق العذيبة ، وقال مرة أُخرى : غيقة مويهة عليها نخل بطرف جبل جهينة الأشقر ، وكلها تحديدات متقاربة . يليل : واد يدفع في بدر ؛ احزألت : ارتفعت .

١٨ وأتبعتُها عينيَّ حتى رأيتُها ألمّتْ بفِعرَى والقَنانِ تزُورُها

١٩ وما زلتُ أستدمي وما طرَّ شاربي وصالَكِ حتى ضرَّ نَفْسي ضَميرُها

٢٠ فإني وتأميلي على النّأي وَصْلَها وأجبالُ تُرْعى دونَنا وثبيرُها

٢١ وعَنَّ لنا بالجزع فوقَ فراقد أيادي سبا كالسَّحْل بيضاً سفورها

٢٢ نشيمُ على أرْض ابنِ ليلى مخيلةً عريضاً سَناها مُكرهِفّاً صَبيرُها

---

٢٢ المخصص : يشمن بآفاق . . . مكفهرّاً .

---

١٨ فعرى : بكسر الفاء – وقال ابن حبيب بضمّها – وهي جبل أحمر تدفع شعابه في غيقة ؛ القنان – بفتح القاف – اسم موضع .

١٩ هنا يبدو أن أبياتاً سقطت من القصيدة ترك فيها الحديث عن رحلة الظعائن ، وأخذ يتحدث ناسباً . استدمى مودته : ترقبها ، ولم يقولوا فيه استدامَ . وما طرّ شاربي : وما نبت ، وهي جملة في موضع الحال ؛ ضميرها : ما تضمره من مودة .

٢٠ ترعى : موضع لم يثبته ياقوت ولم يحدّده البكري ؛ وثبير : جبل ويطلق على أربعة جبال متفاوتة في مواقعها ، والمقصود هنا ، ثبير المصاقب لترعى ، وهي قبل بوانة في طريق المصدق للأعراب الخارج من المدينة . ولم يأت خبر إنَّ ، والظاهر أن تمام المعنى في بيت لم يرد ؛ وتقديره : وإنّي وتأميلي وصلها على البعد وقد حالت دوننا هذه المواطن لكالمرتجي أمراً لم يقدر ، أو شيئاً بهذا المعنى .

٢١ عنَّ : لاح ؛ فراقد : في قول ابن السكيت من شق غيقة تدفع إلى وادي الصفراء ، وقال في موضع آخر : فراقد هضبة حمراء في الحرة بواد يقال له راهط . أيادي سبا : متفرقةً ؛ كالسحل : كالثوب السحولي وهو ثوب يماني أبيض ؛ سفورها : تفرقها ، يصف سحباً وأن الريح سفرتها أي فرقتها ، ويقارن بين هذه السحب فوق فراقد وبين السحب فوق أرض ابن ليلى .

٢٢ مخيلة : سحابة ؛ السنا : البرق ؛ والمكفهر والمكرهف ، وبكلتيهما جاءت الرواية : السحاب الذي يغلظ ويركب بعضه بعضاً ؛ ورواية المخصص أجود لاتصال السياق .

٢٣ فأصْبحتُ لو ألمَمْتُ بالحوفِ شاقني ... منازِلُ مِن حُلوان وَحش قصورُها

٢٤ أقولُ إذا ما الطّيرُ مرّتْ مُخيفةً ... سوانحُها تجري ولا أستثيرُها

٢٥ فدتك ابن ليلى ناقتي حدثَ الرّدى ... وراكِبُها إن كان كونٌ وكُورُها

٢٦ تقولُ ابنةُ البكريّ يوم لقيتُها ... لعمرك والدنيا متينٌ غرورُها

٢٧ لأصبحتَ هدّتك الحوادثُ هدةً ... نعم فشواةُ الرأس بادٍ قتيرها

٢٨ وأسلاكَ سلمى والشّبابَ الذي مضى ... وفاةُ ابن ليلى إذ أتاكَ خبيرُها

٢٩ فإن تكُ أيّامُ ابنِ ليلى سبقنني ... وطالتْ سنِيَّ بَعْدَهُ وشهورُها

٣٠ فإني لآتٍ قبرهُ فمسلّمٌ ... وإن لم تُكلّمْ حفرةٌ مَنْ يزورها

٣١ وما صُحْبَتي عبدَ العزيز ومِدحتي ... بعاريّةٍ يرْتدُّها مَن يُعيرُها

---

٢٨ حماسة الخالديين : فأنساك سلمى ؛ المغانم : وأسأل سلمى .

---

٢٣ الحوف : من أعمال مصر ؛ يقول إنني ما أكاد أقترب منه حتى يهيج بي الشوق إلى منازل حلوان وقصورها وقد أوحشت بعد ذهاب ابن ليلى .

٢٤ يتعيف الطير غير مصدّق النبأ الذي بلغه عن وفاة عبد العزيز ؛ مخيفة ومخيلة : موهمة ؛ يقول لا أزجرها لأثيرها لثقتي بك وعلمي بأنك لا تأتي ما أكره وإن جرت السوانح به ؛ قاله ابن قتيبة (المعاني الكبير : ٢٧٤ ، ١١٨٦) والصواب أنّه لا يريد أن يستثيرها لئلا تومىء إلى ما لا يحب سماعه من موت صاحبه . واقرأ « مخفة » بمعنى مسرعة .

٢٥ إن كان كون : إن حدث حادث ، وهو زيادة في التشكك من النعيّ الذي بلغه .

٢٧ شواة الرأس : جلدة الرأس ؛ القتير : الشيب ؛ هنا بلغ الشاعر حال اليقين الذي حاول دفعه مراراً ؛ وعبّر عما أصابه من تغيّر لفقد عبد العزيز .

٢٩ سبقته أيامه : مات قبله .

٣١ العارية ــ بتخفيف الياء وتشديدها ــ ما يأخذه المرء لينتفع به ثم يرده ، يقول : لقد كان =

٣٢ شهدتُ ابنَ ليلى في مواطنَ جمّةٍ   يزيدُ بها ذا الحلمِ حلماً حُضُورها

٣٣ ترى القومَ يخفونَ التّبسّم عِندَهُ   ويُنذرُهُمْ عُورَ الكلامِ نَذيرُها

٣٤ فلا هاجراتُ القول يُؤثرنَ عنده   ولا كلماتُ النُّصْح مُقصًى مُشيرُها

٣٥ فلستُ بناسيهِ وإن حِيلَ دونَهُ   وجال بأحوازِ الصَّحاصحِ مُورُها

٣٦ وإن طويَتْ من دونه الأرض وانبرى   لنُكبِ الرّياحِ وَفْيُها وَحفيرُها

٣٧ حياتيَ ما دامتْ بشَرْقيّ يَلْبَنٍ   بَرامٌ وأضحتْ لم تُسيَّرْ صُخورُها

٣٨ ولكن صفاءُ الودّ ما هبّت الصَّبا   وما لم تزل حسمى : رباها وقورُها

---

٣٥ المغانم : بأجواز .

٣٦ المغانم : هبّ فيها حفيرها .

= كلّ ما قلته في عبد العزيز نابعاً من الإخلاص ولم يكن عارية مستردة .

٣٢ يقول : حتى الحليم العاقل كان يزداد حلماً وعقلاً إذا هو شهد مجالس ابن ليلى .

٣٣ وصفه بالهيبة في مجلسه ، حتى إن جلساءه يكاتمون التبسم ؛ عور الكلام : هجر القول وقبيحه ، أي لا ينطقون عنده بالكلام الذي يقبح سماعه .

٣٤ هاجرات القول : الكلمات المفحشة ، ومنه الهجر – بضم الهاء – وهو الخلط والإفحاش .

٣٥ الصحاصح : جمع صحصح ، وهو الأرض الجرداء المستوية ؛ المور : التراب .

٣٦ طويت من دونه الأرض : أصبح فيها دفيناً ؛ الوفي من الأرض : الشرف – أي المكان المرتفع – يوفى عليه . والحفير : المنخفض المحفور .

٣٧ حياتي : طول حياتي ، أي لست بناسيه حياتي ؛ يلبن : قال ابن السكيت : قلت عظيم بالنقع من حرة بني سليم على مرحلة من المدينة ؛ وبرام : جبل في بلاد بني سليم عند الحرة ، وقيل هو على عشرين فرسخاً من المدينة .

تخريج القصيدة ٥٢

الأبيات ٢٦ – ٣٠ ، ٣٣ في حماسة الخالديين ٢ : ٣٢٤ – ٣٢٥
» ٢٨ ، ٣٥ – ٣٧ في ياقوت ٤ : ١٠٢٥ والمغانم : ٤٣٨ – ٤٣٩
» ١ – ٣ في ياقوت ٤ : ١٠٣٩ والمغانم : ٤٤٠
» ٨ – ١٠ في المسالك ١٤ : ٧٠
» ١٤ – ١٦ في ياقوت ٤ : ٧٠٢ والمغانم : ٣٩٩
» ١٤ ، ١٥ ، ٩ في نوادر الهجري (الورقة : ١٣٧ ، نسخة القاهرة)
البيتان ٧ ، ١١ في المغانم : ٣٥٥
» ١٢ ، ١٣ في البكري : ٣١٧
» ٢٤ ، ٢٥ في المعاني الكبير : ٢٧٣ ، ١١٨٦
» ٣٢ ، ٣٥ في أنساب الأشراف ٥ : ١٨٣
» ٣٣ ، ٣٤ في البيان ٣ : ٢٤٥
البيت ٣ في البكري : ٩٧٣ وياقوت ٣ : ٧٣٣
» ٤ في اللسان والتاج (كور)
» ٥ في الحازمي (بليد) في ياقوت ١ : ٧٣٥ واللسان والتاج (شكر) والمخصص ١١ : ١١٦ (دون نسبة)
» ٦ في البكري : ١٣٤٤
» ١١ في ياقوت ٤ : ٩٠٧ والبكري : ١١١٣
» ١٤ في ياقوت ١ : ٧١١ والسمهودي ٢ : ٢٦٦ والمغانم : ٦٥
» ١٥ في البكري : ١٢٨١ والحازمي (نعف)
» ١٦ ابن جني ٣ : ٢٣١ /أ
» ١٧ في ياقوت ٤ : ٦٥٧ ، ٣ : ٨٢٩ والحازمي (غيقة)
» ١٨ في البكري : ١٠٢٦ والمغانم : ٣١٨
» ١٩ في اللسان والتاج (دوم)
» ٢٠ في البكري : ٣١٠
» ٢١ في ياقوت ٣ : ٨٦٥ والحازمي (فراقد)
» ٢٢ في اللسان والتاج (كرهف) والمخصص ٩ : ١٠٩

البيت ٢٣ في البكري : ٤٧٦
« ٣١ في التاج (رد)
« ٣٦ في اللسان والتاج (وفى)
« ٣٨ في ابن جني ٣ : ١٢٥ ب

وأورد الهجري في نوادره (الورقة : ١٣٧) البيت :

وأصبح باقي الود إني لقـائـل ... ومنتظر صرف الردى : ما عذيرها

ولم أستطع تبين موضعه في القصيدة .

٥٣

وقال يرثي عبد العزيز بن مروان :

١ أتاني ودوني بَطنُ غَولٍ ودونَهُ   عمادُ الشَّبا من عينِ شَمْس فعابدُ
٢ نعيُّ ابنِ ليلى فاتّبعْتُ مُصيبةً   وقد ضِقْتُ ذرعاً والتّجلّدُ آيدُ
٣ وكدتُ وقد سالتْ من العينِ عَبرةٌ   سها عانِدٌ مِنها وأسبلَ عانِدُ
٤ قذيتُ بها والعينُ سَهْوٌ دُموعُها   وعُوّارُها في باطنِ الجَفْنِ زائِدُ
٥ فإن تُركتْ للكُحْلِ لم يترُكِ البُكا   وتَشْرى إذا ما حَثْحَثَتْها المَراوِدُ
٦ أموتُ أسًى يومَ الرِّجامِ وإنّني   يَقيناً لرَهْنٌ بالّذي أنا كائِدُ

---

١ غول : وادٍ بحمى ضرية ؛ عماد الشبا : موضع بمصر ؛ عابد : جبل في أطراف مصر .

٢ نعيّ : فاعل للفعل « أتاني » ؛ آيد : اسم فاعل من آد بمعنى أثقل وبهظ . ولفظة « فاتبعت » قلقة هنا .

٣ قال العيني : سها عاند يعني مخالف ، يقال عَند بالفتح يعنِد بالكسر عنوداً إذا خالف ،وأما عاند الثاني فمعناه « سائل » من عَنَدَ العرقُ إذا سال ولم يرقأ وهو عرق عاند .

٤ قذيت : من القذى وهو الذي يسقط في العين ، يقال : قذيت عينه تقذى فهو رجل قذي العين . . . إذا سقطت في عينه قذاة ؛ سهو : قال الجوهري : السهو السكون واللين والجمع سهاء مثل دلو ودلاء ؛ وعوّارها – بضم العين وتشديد الواو – قذى العين .

٥ تشرى : من شري الرجل واستشرى إذا لج في الأمر ؛ والحثحثة : التحريك ؛ والمراود : جمع مرود بكسر الميم .

٦ أسًى من أسيت على الشيء أسًى أي حزنت ؛ يوم الرجام – بكسر الراء – اسم موضع ؛ وقد ثبت في النسخ المعتمدة من شرح الكافية « يوم الزحام » وهو تحريف وتصحيف . =

٧ ذكرتُ ابن ليلى والسّماحةَ بعدما جرى بينْنا مَوْرُ النّقا المُتطارِدُ

٨ وحال السَّفا بَيْني وبينكَ والعدى ورهنُ السّفا غمرُ النّقيبةِ ماجدُ

٩ حلفْتُ يميناً بالذي وجبَتْ لَـهُ جُنوبُ الهدايا والجباهُ السّواجِدُ

١٠ لنِعْم ذوو الأضياف يغشَوْن بابهُ إذا هبَّ أرياحُ الشتاء الصَّوارِدُ

١١ إذا استغشتِ الأجوافَ أجلادُ شتوةٍ وأصبحَ يحمومٌ به الثّلجُ جامِدُ

= وجملة « أموت » خبر لقوله « وكدت » في البيت الثالث – وما بينهما جملة معترضة بين اسم كاد وخبرها ؛ أسي : منصوب على التعليل (مفعول لأجله) ويجوز أن يكون حالاً على معنى « أموت حالة كوني آسياً » ؛ يقيناً : مفعول مطلق ، واللام في « لرهن » للتوكيد . والشاهد فيه استعمال « كائد » اسم الفاعل من كاد الذي هو من أفعال المقاربة ، ولا يكون منه غير المضارع ؛ ويقال : الصواب هو « كابد » من المكابدة أي الاجتهاد في العمل وبهذا جزم ابن السكيت في شرح ديوان كثير ، فحينئذ لا يبقى فيه محلّ للاستشهاد ، ومعناه حينئذ « كدت أموت ولا بد لي يقيناً من هذا الأمر الذي أنا أكابده » (٣ – ٦ الشرح باختصار عن العيني ٢ : ١٩٨ – ٢٠٢) .

٧ مور : حركة ؛ النقا المتطارد : الرمل يطرد بعضه بعضاً .

٨ السفا : تراب البئر والقبر (قاله الأنباري في الأضداد : ٤٠٣ وأبو العلاء في الفصول : ١٩٣) وقال ابن قتيبة في المعاني الكبير (١٢٠٠) : السفا: البعد ، والعدى : البعد ؛ وفي اللسان : أن السفا التراب ، وخص ابن الأعرابي به التراب المخرج من البئر أو القبر ؛ والعدى : الحجارة والصخور تجعل على القبر . غمر النقيبة : واسع الخلق ؛ النقيبة : الطبيعة .

٩ الهدايا : جمع هدي وهي الجمال التي تنحر في الحج ؛ ووجبت قد تكون من الوجوب بمعنى حقّت له ، ومن الوجوب بمعنى خرَّت وسقطت .

١٠ الصوارد : الباردة .

١١ استغشت : غطت ، وتكون بمعنى لبست فتكون الأجواف في الحالة الثانية فاعلاً وأجلاد مفعولاً به . الأجواف : يريد الأجساد ، والأجلاد جمع جلد ؛ يحموم : جبل بمصر يعرف بجبل الدخان .

تخريج القصيدة ٥٣

الأبيات ٣ – ٦ في العيني ٢ : ١٩٨
« ٩ – ١١ في ياقوت ٤ : ١٠١٢
البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٣ : ٧٦٣
البيت ١ في البكري : ٨٠٩
« ٧ في اللسان والتاج (طرد)
« ٨ في اللسان والتاج (سفا) – دون نسبة – وأضداد ابن الأنباري : ٤٠٣ والمعاني الكبير : ١٢٠٠ ، والفصول : ١٩٣ (دون نسبة) . ونوادر الهجري (الورقة : ١٣٨ ، نسخة القاهرة) .

وورد في البكري : ٦٧٧ (الرنقاء) قول كثير :

فإنّ مطيّي قد عفا فكأنّهُ ... بأودية الرنقاء صُحْمٌ أوابدُ

وقد يلتئم مع أبيات أخرى ضاعت من هذه القصيدة ؛ ولعل الرنقاء أن يكون صوابه « الرتقاء » كما عند الأصبهاني : ٤١٦ ، وانظر تعليق الشيخ حمد الجاسر في الصفحة نفسها .

٥٤

وقال يرثي عبد العزيز بن مروان :

١ أأطلال دارٍ بالنِّباعِ فحُمّتِ سألتُ فلمّا استعجمَتْ ثمَّ صُمّتِ

٢ عجبتُ لأنَّ النّائحاتِ وقد علتْ مُصيبتُهُ قهْراً فعمّتْ وأصْمَتِ

٣ نعيْن ولو أسمعْن أعلامَ صِنْدِدٍ وأعلامَ رضوى ما يقُلْن ادْرَهمّتِ

٤ وللأرضِ أمّا سودُها فتجلّلتْ بَياضاً وأمّا بيضُها فادْهأمّتِ

٥ نمَتْ لأبي بَكْرٍ لسانٌ تتابعَتْ بعارفةٍ منهُ فخصَّتْ وعمّتِ

---

١ البكري : بالنباع فحمة .

---

١ النياع : اسم موضع ، قال البكري : إنّه بنجد ، وحمة : موضع هناك ؛ ويروى « النباع » — بالباء الموحدة — ؛ استعجمت : عجزت عن الجواب .

٢ قهر : أسافل الحجاز ممّا يلي نجداً من قبل الطائف ؛ وقد تكون « قهراً » بمعنى دون رضًى .

٣ صندد : جبل بتهامة ؛ ادرهمت : سقطت .

٤ وللأرض : يعني وعجبت للأرض كيف أبدت حزنها على عبد العزيز ، أمّا سودها . . . الخ . ادهأمت : يعني ادهامت بمعنى اسودّت . وابيضت : يقال للأرض إذا أجدبت : قد ابيضت (المخصص ١٠ : ١٦٦) .

٥ اللسان هنا بمعنى الثناء ؛ العارفة : المعروف وفعل الخير ؛ ولعلَّ هذا البيت من قصيدة له أخرى يمدح فيها أبا بكر ابن عبد العزيز ، أو لعلّه من باب المديح بعد رثاء والده عبد العزيز .

٦ كأنَّ ابن لَيْلى حينَ يبدو فتنْجلي   سجوفُ الخِباء عن مَهيبٍ مُشمَّتِ

٧ إذا ما لوى صِنْعٌ به عرَبيّةً   كلَوْنِ الدّهان وَرْدَةً لم تَكمّتِ

٨ مُقاربُ خطوٍ لا يُغيّرُ نعلهُ   رهيفُ الشّراك سهلَة المُتسمَّتِ

٩ إذا طُرحتْ لم تَطّبِ الكلبَ ريحُها   وإن وضِعتْ في مجلس القوم شُمّتِ

١٠ هو المرء لا يُبدي أسًى عن مصيبةٍ   ولا فرحاً يوماً إذا النفسُ سُرَّتِ

---

٧ المعاني الكبير والمخصص : عدنية .

٩ الخزانة : لا يطبي . . . وإن طرحت ؛ المعاني الكبير : لا تطبي . . . وإن طرحت ؛ البيان : إذا نبذت ؛ الواحدي : له نعل لا يطبي . . . وإن خليت ؛ ابن جني : وإن أغفلت . . . لم تطّب ؛ وإن خلفت .

---

٦ السجوف : جمع سجف وهو السّتر ؛ ملك مشمّت : محيّا .

٧ الصنع : الخياط ؛ عربية أو عدنية : يريد عمامة هذا صنعها أو بُرْدة ؛ كلون الدهان وردة : حمراء اللون ؛ لم تكمت : لم تضرب إلى الكمتة ، والكمتة لون ليس بأشقر ولا أدهم ؛ والمعنى : كأن ابن ليلى حين يكشف عنه السجف وهو يلبس هذا اللون من العمامة أو اللباس ... وخبر كأنّ يجيء في البيت التالي ؛ وقال بعضهم : الصنع : الثوب ، وقيل إنها العمامة ؛ وقال ابن سيده (المخصص ٦ : ١٥١) الدهان : الأديم الأحمر . الصنع : الخياط ؛ تكمت : تضرب إلى الكمتة ؛ فدلّ بقوله « الأديم الأحمر » على أنّه يصف النعل التي سيتحدث عنها في البيت التالي ، وأن الصنع بمعنى الخياط إنّما تشير إلى صانع النعال .

٨ مقارب : خبر كأن في البيت السادس ؛ ويعني بمقاربة الخطو : التيه في المشي والخيلاء ؛ رهيف : دقيق ؛ الشراك : سير النعل ، ومسمّت النعل : أسفل من مخصرها إلى طرفها ، والعرب تمدح برقة النعال .

٩ تطبي : تدعو وتستميل ؛ أي هي طيبة الريح ليست بفطير (المعاني الكبير : ٤٨٧) يعني أنها من جلد مدبوغ .

١١ قليلُ الألايا حافظٌ ليمينهِ   فإن سَبَقَتْ مِنهُ الأليّةُ بَرَّتِ

١٢ حليمٌ كريمٌ ذو أنـاةٍ وأُرْبَةٍ   بَصيرٌ إذا ما كفّةُ الحبلِ جُرَّتِ

١٣ وشعثاءِ أمرٍ قد نزَتْ بينَ غالبٍ   تلافيتَها قبلَ التّنائي فَلُمّتِ

١٤ وأبرأتَها لم يجرحِ الكلمُ عظمَها   ولو غبتَ عنها رُبِّعَتْ ثمَّ أُمّتِ

١٥ غَمومٌ لطيرِ الزّاجريها أريبَةٌ   إذا حاولتْ ضُرّاً لذي الضّغن ضَرَّتِ

١٦ يؤوبُ أولو الحاجاتِ منهُ إذا بَدا   إلى طيّبِ الأثوابِ غَيْرِ مؤمَّتِ

---

١١ الشجري : وإن بدرت ؛ أنساب الأشراف : إذا سبقت .

١٣ في متن المعاني الكبير : برت (والترجيح من المحقق) .

---

١١ الألايا : جمع ألوة وهي اليمين ؛ ورواه ابن خالويه « قليل الإلاء » . والمعنى : هو قلّما يحلف ولكنه يحفظ يمينه ويبرّ بقسمه إذا بدر منه قسم .

١٢ قال ابن قتيبة (المعاني الكبير : ٨٣١) : الأربة : العقدة ، والكفة : كفة الصائد وهو حبل يديره ؛ يقول : هو بصير إذا خودع ونصب له ليختل مثل الحبالة التي تنصب للصيد .

١٣ غالب : بنو غالب ؛ ورب أمر قد تشعث وتفرّق وانتشر على من يحاولونه في بني غالب ، فكنت أنت الذي يلم الشتات ويتلافى الفرقة .

١٤ قال ابن قتيبة (المعاني الكبير : ٨٦٧) : ربعت : شجت مربعة ؛ أمت : من الآمة وهي التي تبلغ أم الدماغ .

١٥ يصف خطة ، وقبل البيت سقط ما يوضح المعنى ؛ قال ابن قتيبة : غموم أي غامرة للزجر تشكل عليهم ولا يقدر زجر الطير (المعاني الكبير : ٢٧٤ ، ١١٨٧) .

١٦ أمت بالشر فهو مؤمت : إذا اتّهم به وقرف .

١٧ تأرَّضُ أخفافُ المُناخةِ مِنهُمُ مكانَ التي قدْ بُعِّدَتْ فازْلأمّتِ

١٨ فلستُ طوالَ الدّهرِ ما عِشتُ ناسياً عظاماً ولا هاماً لهُ قدْ أرمّتِ

١٩ جرى بينَ بابليون والهَضْبِ دونَهُ رياحٌ أسَفّتْ بالنّقا وأشَمّتِ

٢٠ سقَتْها الغوادي والرّوائِحُ خِلفَةً تدلّيْنَ علواً والضّريحةَ لمّتِ

---

١٧ اللسان (أرض) : بُعّثَتْ .

---

١٧ منهم : يعني من أولي الحاجات ؛ تأرض : ترتاد منزلاً ؛ ازلأمت : ذهبت فمضت ؛ يقول لكثرة القاصدين ، تُبعَدُ إبل وتمضي لكي يحلّ محلّها إبل أُخرى فتنزل في حماه ؛ وقال ابن سيده (المخصص ١٠ : ١٥٨) : تأرض فلان بالمكان أقام ولبث وتمكن ، وازلأمت : نهضت ؛ يمدح رجلاً بأنّه كلّما رحل عنه وفد أناخ به وفد .

١٨ أرمت : أصبحت رمة بالية .

١٩ بابليون : اسم عام لمصر أو هو اسم موضع الفسطاط . أسفت وأشمت بمعنى أي دنت .

٢٠ خلفة : واحدة في أثر الأخرى ؛ الضريحة : القبر .

تخريج القصيدة ٥٤

الأبيات ٦ ، ٨ ، ٩ في البيان ٣ : ١١٢
» ١٨ — ٢٠ في ياقوت ١ : ٤٥١
البيتان ٢ ، ٣ في ياقوت ٣ : ٤٢٠
» ١٠ ، ١١ في حماسة الشجري : ٩٧
» ١٣ ، ١٤ في المعاني الكبير : ٨٦٧
البيت ١ في ياقوت ٤ : ٨٥٤ والبكري : ١٢٩٢
» ٣ في البكري : ٨٤٣ والشنقيطي ٢ : ٢٣٠ وابن يعيش ٢ : ١٣٦٠
» ٤ في المخصص ١٠ : ١٦٦
» ٥ في اللسان (لسن)
» ٦ في الأساس (شمت)
» ٧ في التاج (صنع) واللسان والتاج (كمت) والمعاني الكبير : ٥ والمخصص ٦ : ١٥١
» ٩ في الخزانة ٤ : ١٤٧ والحيوان ١ : ٢٦٦ والبيان ٣ : ١٠٩ والواحدي : ٦٣٢ والمعاني الكبير : ٤٨٧ وابن جني ٣ : ٢٣٩ / أ
» ١١ في اللسان والتاج (ألا) — دون نسبة — ونقائض جرير والأخطل : ٤٩ وأنساب الأشراف ٥ : ١٨٣
» ١٢ في المعاني الكبير : ٨٣١
» ١٥ في المعاني الكبير : ٢٧٤ ، ١١٨٧
» ١٦ في اللسان والتاج (أمت)
» ١٧ في اللسان والتاج (أرض ، زلم) والمخصص ١٠ : ١٥٨

٥٥

قال كثير عزّة يرثي عبد العزيز بن مروان :

١ (أيادي سبا يا عزَّ ما كنتُ بعدكُمْ فلمْ يحْلَ للعَينَين بعدَكِ مَنظرُ)

* * *

٢ وقَد زعمَتْ أني تغيّرْتُ بعدها ومَن ذا الذي يا عَزَّ لا يتغيَّرُ

٣ تغيّرَ جِسمي والخليقَةُ كالّذي عهدتِ ولم يُخْبَرْ بسرّكِ مُخبَرُ

* * *

٤ أبعد ابن ليلى يأمل الخلدَ واحدٌ من الناس أو يرجو الثراء مثمّرُ

---

١ مغني اللبيب : فلن يحلَ .

---

١ أيادي سبا : يعني مبدد النفس والخواطر ؛ لم يحل : لم يرق ، ولم تجده العينان حلواً . وهذا البيت من أبيات الشواهد، إذ وقع زعمت على أنّ وهو الأكثر، وورد مثل قوله « زعمتني » ولكنه أقلّ . وفي رواية المغني « فلن يحلَ » وزعم بعضهم أن لنْ قد تجزم ؛ ولكن قد يرد على ذلك بأن الشاعر هنا اجتزأ بالفتحة عن الألف للضرورة . وانظر البيت ٢ في القصيدة : ٣٢ .

٤ المثمّر : الذي يجمع المال ويحفظه وينميه .

تخريج القصيدة ٥٥

البيتان ٢ ، ٣ في العيني ٢ : ٣٨٠ وابن خلكان ٣ : ٢٦٧ والحماسة البصرية : ١٥٤ب
والزهرة : ٣١٢ وأمالي القالي ٢ : ١٠٤ والموشى : ١٠٨ والأغاني ٩ : ٢٦
وتزيين الأسواق ١ : ٤٩ وزهر الآداب : ٢٤٦ وروضات الجنات : ٥٠٩

البيت ١ في مغني اللبيب : ٢٨٥ (دون نسبة) وشواهد الكشاف : ١٣٨
وشواهد المغني : ٢٣٥ والجامع : ٨٧ وشواهد الكافية : ١٣٨

» ٢ في الخزانة ٢ : ٣٨٢ ، ٤٢١

» ٤ في أنساب الأشراف ٥ : ١٨٤

٥٦

قال ابن جني (شرح ديوان المتنبي ٢ : ٢١١) : وحدثني أبو الفرج علي بن الحسين قال ، حدّثني جعفر بن قدامة قال ، حدثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن السعيدي من ولد سعيد بن العاص قال : وفد كثير إلى عبد العزيز بن مروان فورد وقد مات وورثته يتقاسمون ميراثه ، فبكى وأنشأ يقول :

١ أضحى تراثُ ابن ليلى وهو مقتَسَمٌ في أقربيه بلا مَنٍّ ولا ثمنِ

٢ ورثتهُم فتفرَّوْا عنكَ إذ ورثوا وما ورثتُكَ غيرَ الهمِّ والحَزَنِ

٥٧

وقال كثير يمدح أبا بكر [ابن عبد العزيز] :

١ أهاجَكَ من سُعدى الغَدَاةَ طُلولُ ... بذي الطَّلح عاميٌّ بها ومُحيلُ

٢ وما هاجه من منزلٍ لعبتْ به ... لعوجاء مِرقالِ العشيّ ذُيولُ

٣ بما قد ترى سُعدى به وكأنها ... طلًى راشحٌ للسارحاتِ خَذولُ

٤ رأيتُ وعيني قرَّبتني لما أرى ... إليها وبعضُ العاشقينَ قَتولُ

٥ عيوناً جلاها الكحلُ أمّا ضميرُها ... فعفٌّ وأمّا طَرْفها فجَهُولُ

٦ وركْبٍ كأطرافِ الأسنّةِ عرَّسوا ... قلائصَ في أصلابهِنَّ نُحولُ

٧ إليك أبا بكر تروحُ وتغتدي ... برحليَ مِرداةُ الرواح ذميلُ

* * *

---

٦ الموازنة : عرَّجوا .

---

١ الطلح : شجر من أعظم العضاه شوكاً وأصلبه عوداً وأجوده صمغاً ؛ وهو موضع بين بدر والمدينة . العاميّ : الذي مضى عليه عام وكذلك المحيل .

٢ العوجاء : الناقة الضامرة ؛ مرقال : كثيرة الإرقال وهو ضرب من العدو ، أي تركت الناقة آثارها في مناخها هنالك .

٣ الطلى : ولد الظبية ، الراشح : الذي بدأ يعتمد على نفسه ؛ السارحات : الظباء السارحة ؛ خذول : يتخلف عنها في سيرها .

٦ شبههم في نحولهم وحدتهم بأطراف الأسنة ؛ عرسوا : نزلوا للإناخة والراحة آخر الليل ؛ =

٨ كثيرٌ عطاء الفاعلين مع الغنى بجود [ ] إن كاثروك قليلُ

٩ وإني لأثري أن أراكُمْ بِغِبْطةٍ وإني أبا بكرٍ بكُمْ لجَميلُ

* * *

١٠ وإن أكُ قَصْراً في الرّجالِ فإنّني إذا حَلَّ أمْرٌ ساحَتي لطويلُ

---

٩ الهجري : فإني لأثري .

= القلائص : جمع قلوص وهي الناقة الفتية ؛ الأصلاب : الظهور .

٩ أثري : أسرّ وأفرح ؛ أبا بكر : منصوب على النداء .

١٠ قصراً : قصيراً ؛ طويل : أراد في قدرته على النهوض بالأمور ودفع الشدائد .

تخريج القصيدة ٥٧

الأبيات ١ – ٣ في المنازل والديار : ٧٦ ب

البيتان ٤ ، ٥ في الفاضل : ٢٨

« ٧ ، ٨ في نوادر الهجري (الورقة : ١٣٩ ، نسخة القاهرة)

البيت ٦ في الموازنة ١ : ٥٩ ، ١١٤

« ٧ في ابن جني ١ : ١٠٩ ب

« ٩ في الأساس (ثرى)

« ١٠ في مجموعة المعاني : ١٦٤

٥٨

وقال يمدح عمر بن عبد العزيز * :

١ عرِّجْ بأطرافِ الدّيارِ وسَلِّمِ وإن هيَ لم تَسْمَعْ ولم تتكلّمِ

٢ فقد قدُمَتْ آياتُها وتنكّرَتْ لما مرّ مِن ريحٍ وأوطفَ مُرْهِمِ

٣ تأمّلْتُ مِن آياتِها بعدَ أهْلها بأطرافِ أعظامٍ فأذنابِ أزْنُمِ

---

٣ التاج : أرْنُمِ .

---

* وفد كثيّر والأحوص ونصيب على عمر بعد أن تولى الخلافة (٩٩ هـ) وكانوا يعرفونه أيام مقامه والياً بالمدينة ، وهم يأملون عطاء كثيراً ، فلقيهم مسلمة بخناصرة وأعلمهم أن الخليفة لا يقبل الشعر ، وأنّه لدى عودته سينظر في عطائهم ؛ وبقوا أشهراً دون أن يؤذن لهم على الخليفة ، ثم إن كثيّراً سمع شيئاً من كلام عمر وأدخل معناه في شعره ، فلمّا أذن لهم عليه قال له كثير : يا أمير المؤمنين طال الثواء وقلت الفائدة وتحدثت بجفائك إيّانا وفود العرب ، فقال له : يا كثيّر ﴿ إنّما الصَّدقات للفُقَراء والمَساكين . . . ﴾ الآية . ففي أي واحد من هؤلاء أنت؟ فقال كثيّر : ابن سبيل منقطع به ، قال عمر : ألست ضيف أبي سعيد (يعني مسلمة) وما أرى من كان ضيفه منقطعاً به ، ثم أذن له في الإنشاد بقوله : « قل ولا تقل إلا حقاً » . ويقول كثيّر : إنّه بعد هذا ترك الشعر ؛ ولكن قصائده في عمر ويزيد بعده تدلُّ على غير ذلك (انظر تفصيل القصة في الشعر والشعراء : ٤١١) .

٢ الأوطف : الذي دنا من الأرض لكثرة مطره ؛ والمرهم : السحاب الذي يرسل الرهمة وهي المطر الدائم دون شدّة .

٣ أعظام وأزنم موضعان ، ويروى أرنم ــ بالراء ؛ قال البكري : بقرب ذات الجيش على ثمانية أميال من المدينة . وضبطه الحازمي بالزاي وبعده نون مضمومة .

٤ محـانيَ آنـاءٍ كـأنَّ دُروسَهـا   دروسُ الجوابي بعدَ حوْلٍ مجرَّمِ
٥ يقولُ خليلي سرْ بنا أيَّ موقفٍ   وقفتَ وجهلٍ بالحليمِ المعمَّمِ
٦ تلومُ ولم تعلمْ بأسرارِ خُلّـةٍ   فتعذرَ إلا عن حديثٍ مرجّمِ
٧ فإن كنتُ لم أجهلْ فقد لمتَ ظالماً   وإن كنتُ قد أزرى بيَ الجهلُ فاحلمِ
٨ وفي الحِلْمِ والإسلامِ للمرء وازِعٌ   وفي تَرْكِ طاعاتِ الفُؤادِ المُتيّمِ
٩ بصائرُ رُشْدٍ للفتَى مُستْبينَةٌ   وأخلاقُ صِدْقٍ عِلْمُها بالتّعلّمِ
١٠ ولِيتَ فلم تَشْتِمْ علياً ولم تُخِفْ   برِيّاً ولم تقْبَلْ إشارَةَ مُجْرمِ
١١ وأظهرْتَ نورَ الحقّ فاشتَدَّ نورُهُ   على كلّ لَبْسٍ بارِقِ الحَقّ مُظلمِ
١٢ وعاقبتَ فيما قد تقدّمْتَ قَبْلَهُ   وأعرَضْتَ عمّا كان قبلَ التّقدّمِ
١٣ وصدّقْتَ بالفِعْلِ المقالَ مع الذي   أتيْتَ فأمْسى راضياً كلُّ مُسلمِ
١٤ تكلّمْتَ بالحَقّ المُبينِ وإنّما   تبَيّنُ آياتُ الهُدى بالتّكلّمِ

---

٤ التاج : رؤوسها رؤوس الحوابي .
١٣ ابن سعد : فصدقت معروف الذي قلت بالذي .

---

٤ آناء : جمع نؤي وهو الحفير حول الخيمة ؛ الجوابي : الأحواض والمفرد جابية . حول مجرم : عام كامل .
٥ أراد : أي موقف هذا الذي وقفته ، كأنّه يحكي إنكار صاحبه عليه الوقوف .
٨ الوازع : الناهي .
١٢ عاقبت : جعلته عاقباً وتالياً .

١٥ ألا إنما يكفي الفتى بعدَ زَيْغِـهِ مِن الأوَدِ البادي ثِقافُ المقوَّمِ

١٦ وقد لبِسَتْ لُبس الهَلوكِ ثيابَها تراءى لك الدُّنيا بكَفٍّ ومِعصَمِ

١٧ وتومِضُ أحياناً بعينٍ مريضةٍ وتَبسِمُ عَن مِثلِ الجُمانِ المُنظَّمِ

١٨ فأعرَضْتَ عنها مُشمئِزّاً كأنّما سقَتكَ مَدوفاً مِنْ سِمامٍ وعلقَمِ

١٩ وقد كُنتَ من أجبالها في مُمَنَّعٍ ومِنْ بحرِها في مُزْبدِ الموج مُفعَمِ

٢٠ وما زِلتَ توّاقاً إلى كلّ غايةٍ بلَغْتَ بها أعلى البناء المُقدَّمِ

٢١ فلما أتاكَ المُلْكُ عفواً ولم يكُنْ لطالبِ دُنيا بعْدهُ مِن تكَلُّمِ

٢٢ تركتَ الذي يَفنَى وإن كان مُونقاً وآثرْتَ ما يَبقى برأيٍ مُصَمِّمِ

٢٣ وأضْرَرْت بالفاني وشمّرْتَ للذي أمامك في يوم مِن الشّرّ مُظلِمِ

---

١٥ التصحيف : كذاك وقد يشفي القنا .

١٦ ابن جني : بعين وميسم .

---

١٥ الزيغ : الجور عن الحق ؛ الأود : الاعوجاج ؛ الثقاف : حديدة يقوّم بها المعوجّ ؛ وفي التصحيف (٨٦) عن إدريس بن إدريس أنّه دخل البصرة فإذا أبو عبيدة جالس والناس يقرأون عليه فقرىء عليه لكثير « كذاك وقد يشفي الفتى . . . » فلم يغيره فقال له : يرحمك الله إنّما هو القنا ، فقال أبو عبيدة : صدقت ، أصلحوه .

١٦ الهلوك : البغيّ الفاجرة . وفاعل « لبست » هو « الدنيا » ، أي تتراءى لك بزينتها لتخدع بظاهرها الجميل .

١٧ تومض : تغمز بطرفها ، أو تنظر نظراً مريباً .

١٨ المدوف : الممزوج المخلوط . السمام : السمّ .

٢١ أي ليس بعد الملك مطلب لمن سعى إلى الدنيا . وجواب لمّا في البيت التالي .

٢٤ وما لك إذ كنتَ الخليفةَ مانــعٌ سوى اللهِ من مالٍ رغيبٍ ولا دمِ

٢٥ سما لك هَمٌّ في الفُؤادِ مُؤرّقٌ بلغتَ بِهِ أعلى المعالي بسُلّمِ

٢٦ فما بينَ شرْقِ الأرض والغربِ كلّها مُنادٍ يُنادي من فَصيحٍ وأعْجَمِ

٢٧ يقولُ أمــيرَ المؤمنينَ ظَلَمْتَني بأخْذٍ لدينارٍ ولا أخْذِ درْهَمِ

٢٨ ولا بَسْطِ كفٍّ لامْرىء غيرِ مجرمٍ ولا السّفْكِ منهُ ظالماً مِلءَ مِحجمِ

٢٩ ولو يَسْتطيعُ المُسلمونَ لقَسّموا لك الشّطْرَ من أعمارِهم غيرَ نُدَّمِ

٣٠ فعِشتَ بهِ ما حجَّ لله راكبٌ مُغِذٌّ مُطيفٌ بالمقامِ وزَمْزَمِ

٣١ فأرْبِحْ بها مِن صَفقةٍ لمُبايِعٍ وأعظِمْ بها أعظِمْ بها ثمَّ أعْظِمِ

---

٢٨ بسط الكف : النيل بالعقاب . المحجم : آلة الحجّام .

٢٩ ندّم : جمع نادم .

٣٠ مغذ : مسرع .

٣١ يروى : وأكرم بها من بيعة ثم أكرم (الدميري ١ : ٧٧) .

تخريج القصيدة ٥٨

الأبيات ١٤ ، ١١ ، ١٢ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٥ – ٢٣ ، ٢٦ – ٢٩ ، ٣١ في الشعر والشعراء: ٤١٣

» ١٠ ، ١٣ ، ١٥ – ٣١ في الأغاني ٩ : ٢٥٠ والعقد ٢ : ٨٨ – ٨٩

» ١٠ ، ١٣ ، ١٦ – ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ – ٢٨ ، ٣١ في الذهب المسبوك : ٢٢

» ١٠ ، ١٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ في الدميري ١ : ٧٧

» ١ – ٤ في ياقوت ١ : ٣١٥

» ٥ – ٧ في الموازنة ١ : ٥٣٣

» ١٠ ، ١٤ ، ١٣ في طبقات ابن سعد ٥ : ٣٩٤

البيتان ٣ ، ٤ في ياقوت ١ : ٢٣٤

» ٨ ، ٩ في فصل المقال : ٢٥٦ وجامع بيان العلم ١ : ١٠١ والمسالك ١٤ : ٧٠ والعيون ٢ : ٦ والبيان ١ : ١٩٧

» ١١ ، ١٣ في العيون والحدائق : ٦٢

» ١٤ ، ١٥ في البيان ٣ : ٢٥٣

» ١٦ ، ١٧ في العمدة ١ : ١٨٢

البيت ٣ في البكري : ١٤٢ والحازمي (أزنم) والتاج (رنم)

» ٤ في التاج ٨ : ٣٣٠

» ١٥ في التصحيف : ٨٦

» ١٦ في ابن جني ١ : ٦١ /أ

» ٣١ في تحرير التحبير : ٣٧٥

٥٩

وقال أيضاً من قصيدة يمدح عمر بن عبد العزيز :

١ فكم من يتامى بُؤّسٍ قد جبَرْتَها وألبستها مِنْ بعدِ عُرْيٍ ثيابَها

٢ وأرملةٍ هلكى ضَعافٍ وَصَلْتَها وأسرى عُناةٍ قد فككتَ رقابها

٣ فتًى ساد بالمعروفِ غيرَ مُدافَعٍ كهولَ قريشٍ كلّها وشبابها

٤ أراهمْ منارات الهدى مستنيرةً ووافقَ منها رُشدَها وصوابها

٥ وراضَ برفقٍ ما أراد ولم تزلْ رياضتُهُ حتى أذلَّ صعابها

---

١ بؤس : جمع بائس ؛ ويجوز أن يكون « أبؤس » جمع بؤس والكلام جار على الإضافة .

٢ الضعاف : الضعيفة ، صفة للأنثى . العناة : الذين طال وضعهم في القيود .

تخريج القصيدة ٥٩

الأبيات ١ – ٥ في صفوة الأدب (الحماسة المغربية) الورقة : ١٢ ب

٦٠

قال يمدح يزيد بن عبد الملك * :

١	أمِن آل سَلْمى دِمنَةٌ بالذّنائبِ	إلى المِيثِ من رَيعانَ ذاتِ المطارِبِ
٢	يَلوحُ بأطْرافِ الأجِدّةِ رَسْمُها	بذي سَلَمٍ أطلالُها كالمذاهِبِ
٣	أقامَتْ بهِ حتّى إذا وقدَ الحصى	وقَمّصَ صَيدانُ الحصى بالجنادبِ

---

١ البكري : آل ليلى .

٢ ياقوت (ذنائب) : كالذواهب .

---

* يذكر في القصيدة ابن عاتكة وهو يزيد بن عبد الملك ، إذ كانت أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ؛ ولكن البلاذري (ط . غريفزولد سنة ١٨٨٢ ص ٢٠٩ – ٢١٠) قد ذكر الأبيات ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٨ في مدح عبد الملك بن مروان ، فلعلها تنتمي إلى قصيدة أخرى ، أو لعلّ ذكر اسم الممدوح وقع خطأ ، كما رأينا عند ابن سلام الذي عدّ « وما زالت رقاك تسلّ ضغني . . . » في مدح عبد الملك بينا هي في مدح عبد العزيز .

١ الذنائب : جمع ذنابة وهي طرف الوادي ، ويسمّى به ، وهذه الذنائب غير التي ذكرها مهلهل في شعره ؛ وفي شرح شعر كثير (لابن السكيت) : الذنائب : في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة ؛ وهو تحديد غير دقيق . الميث : جمع ميثاء وهي الأرض اللينة أو الرملة السهلة ؛ وريعان : جبل أو بلد ، قاله السكري . المطارب : الطرق الصغار .

٢ الأجدة : جمع جدد ، وهو الطريق ؛ ذو سلم : واد ينحدر على الذنائب ؛ المذاهب : جلود مذهبة ، أو برود موشاة .

٣ قمّص : حرّك ونقز ؛ صيدان الحصى : صغارها ، يعني أن الجنادب تنقز من حرّ الحجارة .

٤ وهبّتْ رياحُ الصّيفِ يَرْمينَ بالسَّفا بليّةَ باقي قَرْمَلٍ بالمآثبِ

* * *

٥ طلَعْنَ علينا بينَ مرْوَةَ فالصَّفا يمُرْنَ على البَطْحاء موْرَ السّحائبِ

٦ فكدْنَ لعمرُ الله يُحدثْن فتنةً لمُخْتَشِعٍ من خشيةِ اللهِ تائبِ

٧ وفي اليأس عن سلْمى وفي الكبَرِ الذي أصابَكَ شُغْلٌ للمُحبّ المُطالِبِ

٨ فدعْ عنكَ سلمى إذ أتى النّأيُ دونَها وحلّتْ بأكنافِ الحُبيْتِ فغالبِ

* * *

٩ سقى اللهُ حيّاً بالموقّرِ دارُهُمْ إلى قَسْطلِ البَلْقاء ذاتِ المَحارِبِ

---

٤ ياقوت : يومين ؛ التاج : تلية .

٩ التاج : المخارب .

---

٤ السفا : التراب ؛ ليّة : أرض من الطائف ؛ ويروى « تلية » وهي البقية ؛ القرمل : شجر ضعيف لا شوك له ؛ المآثب : اسم موضع ؛ وقال الزبيدي : بل هو واد من أودية الأعراض التي تسيل من الحجاز إلى نجد .

٥ قد يكون طلعن جواب إذا في البيت الثالث ، وقد يكون هناك أبيات سقطت وصف فيها الظعائن ؛ مروة والصفا : جبلان بمكة ؛ يمرن: يتحركن .

٨ الحبيت : ماء بالعالية ؛ غالب : موضع بالحجاز في قول ياقوت وموضع بطريق مصر (يعني طريق الحجاز إلى مصر) في قول البكري ؛ ويروى : البويب ، وهو مدخل أهل الحجاز إلى مصر .

٩ انتقل في هذه الأبيات إلى المدح ؛ الموقّر : موضع بنواحي البلقاء كان يزيد بن عبد الملك ينزله . وقسطل : موضع قرب البلقاء أيضاً ؛ المحارب : المحاريب جمع محراب وهو مجلس الملك أو القصر .

١٠ سواريَ تُنحي كلَّ آخرِ ليْلَـةٍ   وصوْبَ غمامٍ باكراتِ الجنائِبِ

١١ أناسٌ ينالُ الماءَ قبلَ شفاههم   له واردات العرض ِ شمٌ الأرانبِ

١٢ يُحيّونَ بسّامينَ طوْراً وتارَةً   يُحيّونَ عبّاسينَ شوسَ الحواجبِ

١٣ من النّفَرِ البيضِ الذينَ إذا انتجَوْا   أقرّتْ لنجواهُمْ لؤيُّ بنُ غالبِ

١٤ إذا النّضْرُ وافتْها على الخيلِ مالكٌ   وعَبْدُ مَنافٍ والتقوْا بالجباجبِ

١٥ إذا ضربوا يوماً بها الآلَ زيّنوا   مَساندَ أشراقٍ بها ومغاربِ

* * *

١٦ إلى الأبيضِ الجعدِ ابن عاتكةَ الذي   له فَضْلُ مُلْكٍ في البريّةِ غالبِ

---

١٤ الحازمي : وافتهم . . وعبد مناة .

١٥ اللسان والتاج : ومغاربا .

---

١٠ السواري : جمع سارية وهي السحابة ؛ تنحي : تصب مطرها ؛ الجنائب : جمع جنوب وهي الريح ، يريد أنها تسوق المطر .

١١ الشمم في الأنف : إشراف في القصبة وورود في الأرنبة . والأرنبة الواردة هي المقبلة على السبلة ، وعندئذ يكون الأنف طويلاً .

١٢ شوس : جمع أشوس ، وهو الذي يعرف في نظره الغضب كبراً .

١٤ النضر بن كنانة ؛ ومالك بن النضر ؛ والجباجب : أسواق بمكة أو مجمع الناس من منى . وقال الحازمي : الجباجب والأخاشب جبال مكة .

١٥ الآل : الخيام ؛ بها ، بالجباجب التي ذكرت في البيت السابق . المساند : مواضع الصعود في الجبل ، الأشراق : جمع شرق .

١٦ الجعد : السخيّ الكريم ؛ وأكثر ما يقال في البخيل ، فهو من الأضداد ، قال الأصمعي : « زعموا أن الجعد السخيّ ولا أعرف ذلك » ؛ غير أن بيت كثير شاهد عليه .

١٧ كريمٌ يؤولُ الرّاغبونَ ببابِهِ إلى واسِعِ المعروفِ جزْلِ المواهبِ

١٨ إمامُ هُدًى قدْ سدَّدَ اللهُ رأيَهُ وقد أحْكمَتْهُ ماضياتُ التّجاربِ

١٩ ولم يبلُغِ السّاعونَ في المجد سعيَهُ ولم يُفْضِلوا إفضالهُ في الأقارِبِ

٢٠ جزتكَ الجوازي عَن صديقك نَضرَةً وقرَّبْتَ من مأوى طريدٍ وراغبِ

٢١ وصاحبِ قومٍ مُعصَمٌ بك حقُّهُ وجارُ ابنِ ذي قُرْبى وآخرِ جانبِ

٢٢ رأيتُكَ والمعروفُ منكَ سَجيّةٌ تعُمُّ بخَيْرٍ كلَّ جادٍ وغائبِ

٢٣ أبوك غداة الجزع من أرض مسكنٍ يؤم العدا بالجمع بعد المقانبِ

---

٢٠ ورد في قصيدة أُخرى (رقم : ٣٤) قوله :

جزتك الجوازي عن صديقك نضرة وأدناك ربي في الرفيق المقرَّب

٢٢ جادٍ : طالب للجدوى ؛ أي تعم بالمعروف من هو بحضرتك ومن هو غائب عنك ، فمعروفك للجميع .

تخريج القصيدة ٦٠

الأبيات ١ – ٤ في ياقوت ٤ : ٣٧٨
» ١٩ – ٢٢ في الموازنة ١ : ١٧٧
» ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٨ في أنساب الأشراف .(ط أوروبة : ٢٠٩ – ٢١٠)
البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٢ : ٧٢٣
» ٥ ، ٦ في ياقوت ٤ : ٥١٣ والأغاني ١ : ٣٥٤
» ٧ ، ٨ في ياقوت ٢ : ٤٠١
» ٨ ، ١٦ في ياقوت ٣ : ٧٦٩
» ٩ ، ١٠ في ياقوت ٤ : ٩٥
البيت ١ في البكري : ٦٨٨ وياقوت ٢ : ٨٨٨
» ٤ في التاج (أثب)
» ٩ في التاج (حزب) وياقوت ٤ : ٦٨٧ والبكري : ٢٧٥ والحازمي (الموقر)
» ١١ في ابن أبي حصينة : ٢١
» ١٤ في ياقوت ٢ : ١٤ والحازمي (الجباجب)
» ١٥ في اللسان والتاج (شرق)
» ١٦ في اللسان والتاج (جعد)
» ٢٣ في ابن جني ١ : ١٢٢ ب

وورد عند ابن جني (١ : ٨ ب) بيت هو :

سه (؟) مـن آل النساء وإنّما يكنّ لأدنى لا وصال لغائب

وهو قد يقع بعد البيت : ٦ .

٦١

وقال يمدح يزيد بن عبد الملك :

١ عرَفْتُ الدّارَ قَدْ أقْوَتْ بريمٍ إلى لأيٍ فمَدْفعِ ذي يَدومِ

* * *

٢ أميرَ المُؤمنينَ إليكَ نَهْوي على البُخْتِ الصّلادِمِ والعَجومِ

٣ كأنَّ سوالفَ النَّجُداتِ منها تَقطّرُ بالأرَنْدجِ والعصيمِ

٤ إذا اتخذَتْ وجوهُ القَوْمِ نَصْباً أجيجَ الواهِجاتِ مِنَ السَّمومِ

٥ فكَم غادرْنَ دونك مِن جهِيضٍ ومِنْ نَعْلٍ مُطَرَّحةٍ جَذيمِ

٦ يَزُرْنَ عَلى تنائيهِ يَزيداً بِأكنافِ المُوقَّرِ والرَّقيمِ

٧ تُهنّئُهُ الوُفودُ إذا أتَوْهُ بنَصْرِ اللهِ والمُلْكِ العَظيمِ

---

١ الحازمي : تدوم .

---

١ ريم : واد لمزينة قرب المدينة ؛ ولأي ويدوم : واديان من بلاد مزينة يدفعان في وادي العقيق ، هذا كلّه قول محمد بن حبيب .

٢ البخت : الإبل الفارسية الخراسانية ؛ الصلادم : جمع صلدم وهو الشديد الحافر ، يعني الخفّ هنا . العجوم : الناقة القوية على السفر .

٣ الأرندج : الجلود السود ؛ العصيم : القطران .

٥ الجهيض : الولد الملقى قبل أن يستبين خلقه ؛ جذيم : مقطوعة .

٦ الموقر : موضع بنواحي البلقاء والرقيم كذلك ، وكان يزيد ينزل هنالك .

تخريج القصيدة ٦١

الأبيات ٤ – ٧ في ياقوت ٢ : ٨٠٥

البيت ١ في ياقوت ٢ : ٨٨٩ والبكري : ٦٨٩ واللسان (دوم) والحازمي (ريم)

« ٣ في نوادر الهجري (الورقة : ١٤١ ، نسخة القاهرة)

٦٢

وقال يمدح يزيد بن عبد الملك :

١ شجا قلبَهُ أظعانُ سُعْدى السّوالكُ ... وأجمالُها يومَ البُلَيْدِ الرّواتِكُ

٢ أقولُ وقدْ جاوَزْنَ أعلامَ ذي دَمٍ ... وذي وَجَمى أوْ دونَهُنّ الدّوانِكُ

٣ تأمّلْ كذا هَلْ ترْعوي وكأنّما ... موائِجُ شيزَى أمْرَحَتْها الدّوامِكُ

٤ وهَلْ ترَيَنّي بعد أنْ تُنزَعَ البُرى ... وقد أُبْنَ أنضاءً وهُنّ زواحِكُ

٥ ورَدنَ بُصاقاً بعدَ عِشرينَ ليلَةً ... وهُنّ كَليلاتُ العُيونِ ركائِكُ

---

١ البليد والبلدة : عينان لبني عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي ، كذلك قال محمد بن حبيب ؛ قال : البلد ماء لآل سعيد بن عنبسة بواد يدفع في ينبع . الرواتك : جمع راتكة ، قال الأصمعي : الراتكة من النوق التي تمشي وكأن برجليها قيداً وتضرب بيديها .

٢ الدونكان : واديان لبني سليم ، فجمعهما الشاعر بما يليهما ، وذو دم وذو وجمى موضعان هناك .

٣ ترعوي : ترجع ؛ الشيزى : القصاع تتخذ من خشب بهذا الاسم ؛ الموائج : التي ترتفع وتضطرب ؛ أمرحتها : جعلتها تثب ؛ الدوامك : المسرعات من الإبل ، تقول : دمكت الإبل ليلتها أي أسرعت .

٤ البرى : جمع برة وهي حلقة توضع في أنف البعير ؛ أُبن : رجعن ؛ أنضاء : هزيلات ؛ زواحك : من زحك البعير إذا أعيا .

٥ بصاق – قال ابن حبيب – : جبل بين أيلة والتيه ؛ وقيل هو موضع قريب من مكّة ؛ وما قاله ابن حبيب عن بصاق – بالصاد – ذكره ياقوت في تحديد بساق – بالسين – إلاّ أنّه قال « عقبة » بين التيه وأيلة وهو نفس الموضع يكتب بالسين والصاد . ركائك : ضعاف .

٦ فأُبْنَ وما مِنْهن مِن ذاتِ نجْدةٍ ولو بلَغَتْ إلاّ تُرى وهْيَ زاحِكُ

٧ نفى السّيْرُ عَنها كلَّ داءِ إقامةٍ فهُنَّ رذايا بالطّريقِ ترائِكُ

٨ وحُمّلَتِ الحاجاتِ خوصاً كأنّها وقد ضَمرَتْ صُفْرُ القِسِيِّ العواتكُ

٩ ومُقربَةٌ دُهمٌ وكُمْتٌ كأنّها طماطمُ يوفونَ الوُفور هَنادِكُ

١٠ كأنَّ عَدَوْلِيّاً زُهاء حُمولها غدَتْ تَرْتمي الدَّهنا بها والدَّهالكُ

---

٩ اللسان (هندك) والمعاني الكبير : الوفار ؛ اللسان والتاج (هند) : هنادكا .

---

٦ النجدة : الشدة . زاحك : معيية .

٧ الرذايا : جمع رذية وهي الناقة المهزولة التي لم تعد تستطيع النهوض ؛ ترائك : متروكة خلفها أصحابها بعد أن طلحت .

٨ الخوص : الإبل الغائرات العيون ؛ العاتكة : القوس إذا قدمت واحمرت ، شبه المطايا الناحلة بالقسي .

٩ المقربة : التي قربت للركوب ؛ الطماطم : جمع طمطم وهو من في لسانه عجمة . وقد جاءت رواية « الوفور » في اللسان (هند) ، ولم يوردها جمعاً لوفرة ، وإنّما أورد « وفار » في مادة (وفر) ؛ ويوفون : يطيلون؛ الوفار : أي ما سال على الأذنين من الشعر ؛ قال ابن قتيبة : أي يطولون الشعور . الهنادك – قال محمد بن حبيب : أراد بالهنادك رجال الهند ، قال ابن جني : وظاهر هذا القول منه يقتضي أن تكون الكاف زائدة ، قال : ويقال : رجل هندي وهندكي .

١٠ العدولي : قال الأصمعي : العدولي من السفن منسوب إلى قرية بالبحرين يقال لها عدولى؛ الدهناء – يمد ويقصر – رمال في طريق اليمامة إلى مكة ؛ والدهالك إكام سود هناك (البكري) وقال ياقوت : الدهالك قرية بالدهناء .

١١ وفوق جمال الحيِّ بيضٌ كأنّها على الرّقْم آرامُ الأثيلِ الأوارِكُ

١٢ ظباء خريفٍ خشّت السدر خضّع ثنى سربَها أطفالهنّ العوالكُ

١٣ فما زِلتُ أبْقي الظّعْن حتى كأنّها أواقي سَدًى تَغْتالهُنّ الحوائكُ

١٤ فإنّ شِفائي نَظْرةٌ إن نظَرْتُها إلى ثافِلٍ يوْماً وخلْفي شنائِكُ

١٥ وإن بدتِ الخيماتُ مِن بَطْنِ أرْثَدٍ لنا وفيافي المَرْختينِ الدَّكادِكُ

---

١٤ السمهودي : سنابك .

١٥ السمهودي والعباسي والمغانم : وأن تبرز الخيمات ؛ الحازمي : فإن تبرز . . . المرتجين ؛ المغانم : لنا وجبال .

---

١١ الرقم : البرود المخططة ؛ الأثيل : اسم موضع ؛ الأوارك : التي تأكل الأراك .

١٣ أبقي الظعن : أنتظرها وأرصدها وأرقبها وأنظر إليها . يقول : شبهت الأظعان في تباعدها عن عيني ودخولها في السراب بالغزل الذي تسديه الحائكة فيتناقص أولاً فأولاً ؛ الأواقي : جمع أوقية ، يثقل ويخفف ؛ قال صاحب إصلاح المنطق : شبهها في تباعدها وذهابها عن عينيه بالغزل الذي يستعمله الحائك لأنّه يستعمل الغزل الأول فالأول فيقول : كنت أنظر إلى الظعن وهي تغيب عن عيني قليلاً قليلاً .

١٤ ثافل : هما ثافلان الأكبر والأصغر ، من جبال تهامة ، والأصغر منهما لبني ضمرة قوم عزة ؛ وشنائك : ثلاثة أجبل صغار منفردات من الجبال بين قديد والجحفة من ديار خزاعة .

١٥ أرثد : اسم واد بين مكة والمدينة وهو وادي الأبواء ؛ وقال أبو عبيد الله السكوني : هو واد في ثافل الأكبر من جبال تهامة وفي بطن أرثد عدة آبار (البكري) ؛ المرختان : يمانية وشآمية الأولى لعضل من بني الديش والثانية لبني قريم . الفيافي الدكادك : الصحاري الغليظة .

١٦ تجنّبْتَ ليلى عَنْوَةً أنْ تزورها وأنتَ امرُؤٌ في أهلِ وُدّكَ تارِكُ

١٧ أقولُ إذ الحَيّانِ كعْبٌ وعامِرٌ تلاقوْا ولَفّتْنا هُناك المناسِكُ

١٨ جزى اللهُ حيّاً بالموَقّرِ نَضْرَةً وجادتْ عليهِ الرّائحاتُ الهواتكُ

١٩ بكُلّ حثيثِ الوَبْلِ زَهْرٍ غمامُهُ لهُ دِرَرٌ بالقَسطَلَيْنِ حواشِكُ

٢٠ كما قد عمَمْتَ المؤمنينَ بنائِلٍ أبا خالدٍ صَلّتْ عليكَ الملائكُ

* * *

٢١ وما يكُ مني قد أتاك فإنّه عتابٌ ، أبا مروان ، والقلبُ سادكُ

---

١٦ العنوة في لهجة كثير : الاختيار والطوع ؛ تارك : مبقٍ .

١٨ الموقر : موضع بنواحي البلقاء . الهواتك : التي تمطر في الهتكة وهي ساعة من الليل .

١٩ القسطلين : أراد القسطل فثنّى ، والقسطل مجاور للموقر من عمل البلقاء . الحواشك : السحائب التي حشك ماؤها أي تجمع فكثُر وغزر ، وأصله من الناقة تحشك أي تترك دون حلب حتّى يجتمع لبنها .

٢٠ النائل : العطاء ؛ أبو خالد : كنية يزيد بن عبد الملك .

٢١ لعل هذا البيت من قصيدة أُخرى في مدح بشر بن مروان .

تخريج القصيدة ٦٢

البيتان ١ ، ٢ في البكري : ٢٧٤

» ٢ ، ٣ في ياقوت ٤ : ٩٠٧

» ٦ ، ٢١ في نوادر الهجري (الورقة : ١٤١ ، نسخة القاهرة)

» ٧ ، ٨ في أمالي المرتضى ١ : ٥٦٢

» ١٤ ، ١٥ في ياقوت ٣ : ٣٢٦ والسمهودي ٢ : ٢٤٤ والعباسي : ٢٤٠ والمغانم : ١٤

البيت ٢ في البكري : ١٣٧١ وياقوت ٢ : ٦٠٠

» ٤ في اللسان والتاج (زحك)

» ٥ في البكري : ٢٥٣

» ٦ في اللسان والتاج (زحك)

» ٩ في المعاني الكبير : ٧ واللسان والتاج (هند ، هندك) وابن جني ٣ : ١١٢ ب

» ١٠ في البكري : ٥٥٩ وياقوت ٢ : ٦٣٢ واللسان (دهلك)

» ١١ في المقاييس ١ : ٨٤

» ١٢ في ابن جني ٢ : ١٠٤ ب

» ١٣ في إصلاح المنطق : ١٧١ واللسان (بقي)

» ١٤ في ياقوت ١ : ٩١٥

» ١٥ في الحازمي (أرثد)

» ١٦ في كتب الأضداد : ١٢٦

» ١٨ في البكري : ١٢٨٠

» ٢٠ في الواحدي : ١١٧ وابن جني ٢ : ٣١ / أ

٦٣

وقال يمدح يزيد بن عبد الملك ويتشفع في آل المهلب * :

١ تشوّفُ من صوتِ الصدى كلّما دعا تَشَوُّفَ جَيْداء المقلَّد مُغْيِبِ

٢ تُباري حراجيجاً عتاقاً كأنّها شرائحُ معطوفٍ من القُضْبِ مُصْحَبِ

٣ إذا ما بلَغْنا الجهدَ منها توعبت وضيعُ زمامٍ كالحبابِ المسيَّبِ

٤ أضرَّ بها علقُ السرى كلَّ ليلة إليك فاسآدي ضحى كل صيهبِ

* * *

٥ حليمٌ إذا ما نالَ عاقبَ مُجمِلاً أشَدَّ العِقابِ أوْ عَفا لم يُثرِّبِ

٥ العقد : أشد عقاب .

* لما قتل يزيد بن المهلب في معركة العقر (١٠٢ هـ) انهزم المهالبة في آسيا فبلغ بعضهم السند ، فلمّا ولي مسلمة بن عبد الملك العراق بعث هلال بن أحوز المازني لتعقبهم فقتل المفضل وخمسة من ولد المهلب وأخذ كثيراً من الأسرى وأرسلهم إلى يزيد بن عبد الملك فقام كثيّر متشفعاً فيهم فلم يشفعه يزيد ودفع كثيراً من الأسرى إلى القتل (العقد ٤ : ٤٤٢ — ٤٤٣) .

١ انتقل في هذا البيت وما يليه إلى وصف ناقته ورحلته إلى الممدوح وسقطت أبيات قبل ذلك من القصيدة . تشوف : تتشوف أي تتطلع كلّما سمعت صوت الصدى . جيداء المقلد : طويلة العنق . مغيب : غاب عنها زوجها فهي تترقب قدومه .

٢ الحراجيج : جمع حرجوج وهي الناقة الجسيمة الطويلة . الشرائح : جمع شريج وهو العود الذي يشق منه قوسان . المصحب : العود الذي ترك لحاؤه ولم يقشر . شبه الإبل لنحولها بهذه القضبان .

٣ وضيع زمام : أي ذللها الزمام ؛ الحباب : الحية ، شَبّهَ الزمام بها .

٥ قال المرزوقي : يصفه بكرم النفس وكظم الغيظ واستعمال الحلم في وقته والانتقام من الأعداء=

٦ فعَفْواً أميرَ المؤمنينَ وحِسْبةً   فما تكْتَسِبْ من صالحٍ لك يُكتَبِ
٧ أساءُوا فإنْ تَغْفِرْ فإنّك أهْلُهُ   وأفضَلُ حِلْمٍ حِسبةً حلمُ مُغضَبِ
٨ نفَتْهُم قُريشٌ عن أباطِحِ مكّةٍ   وذي يَمَنٍ بالمَشْرفيِّ المُشَطَّبِ

٧ المضنون : أسأت .

= بأشده في إبانه وحينه فيقول : إذا نال الجاني عليه أو العدوّ المكاشح له عاقبه وهو مجمل أي لا يشتط ولا يسرف ولكن ينتهج طرق العدل في الانتقام ، ويقصد الحق في إقامة الحد عند التمكن واللزام ، وذلك أشد ما يعاقب به مثله ، أو عفا عنه غير موبخ على ذنبه ولا مكدّر نعمته في عفوه ؛ وقال أبو عبيدة : في قوله تعالى ﴿لا تثريب عليكم﴾ لا تخليط ولا إفساد ، وقال غيره : لا تعيير ولا توبيخ .

٦ قال المرزوقي : قوله فعفواً أمير المؤمنين ، طلب وسؤال ؛ وانتصاب عفواً على المصدر (يعني المفعول المطلق) فيقول : اعف وقد قدرت واحتسب عند الله بما تأتيه فهو مكتوب لك إلى يوم فاقتك ومدخر إلى وقت مجازاتك ، فكما تعفو يعفى عنك .

٧ قال المرزوقي : قوله : أساءوا فإن تغفر ، اعتراف بالذنب واستعطاف بالغفر ، فيقول : إن تجافيت عن إساءتهم واستعملت ما أنت أهله من العفو عنهم فإن ذاك هو المرجو منك والمعتاد من نظرك ، وأفضل الحلم احتساباً وأجراً حلم المغيظ والمضجر الممتلك ؛ فروي أن يزيد لما قرع سمعه هذه الأبيات قال : لولا أنهم قدحوا في الملك لعفوت عنهم (وانظر شرح هذا البيت في شرح المضنون : ١٦٩) .

٨ نفتهم : يعني بني المهلب ؛ المشرفي : السيف ؛ المشطب : السيف ذو الطرائق ، يريد أن الأرض ضاقت عليهم ونفوا من كل مكان .

تخريج القصيدة ٦٣

الأبيات	٥ – ٨	في العقد ٤ : ٤٤٣
«	٥ – ٧	في حماسة المرزوقي : ١٧٥٨
البيتان	٦ ، ٧	في الذهب المسبوك : ٣٣
البيت	١	في التاج (شرف)
«	٢	في الأساس (صحب)
«	٣	في ابن جني ٣ : ٢٥٢
«	٤	في ابن جني ١ : ١٨

٦٤

وقال يمدح :

١ حيِّ المنازلَ قد عفَتْ أطْلالُها   وعفا الرُّسومَ بمُورِهنَّ شَمالُها

٢ قَفْراً وقَفْتُ بها فقُلْتُ لصاحبي   والعَيْنُ يَسبقُ طَرْفَها إسْبالُها

٣ أقوى الغياطِلُ مِن حِراجِ مبَرَّةٍ   فخُبوتُ سَهْوَةَ قد عفَتْ فرِمالها

٤ وتقاصرَتْ أُصُلاً شُخوص أُرومِها   حتى مثَلْنَ وأعرضَتْ أغْفالُها

* * *

٥ الضَّارِبونَ أمامهـا ووَراءها   بمُهنّداتٍ قد أُجيدَ صِقالُها

* * *

٣ ياقوت : بجنوب سهوة . . . أرمالها .

١ المور : التراب .

٢ الإسبال : إرسال الدمع .

٣ الغياطل : جمع غيطلة وهي الأجمة ؛ الحراج : جمع حرجة وهي الشجر الملتف ؛ ومبرة : أكمة دون الجار إلى المدينة ، قال ياقوت : مَبَرَّة : موضع وجدته بخط ابن باقية (ناقية ؟) مُبرَّة بضم الميم وكسر الباء وتشديد الراء . خبوت : جمع خبت وهو الرمل السهل ؛ سهوة : اسم موضع لم يفرد له البكري مادة في معجمه . ويروى : بجنوب سهوة (ياقوت ٣ : ٢٠٦).

٤ الماثل : المنتصب والماثل الزائل فهو من الأضداد ، ومثلت هنا بالمعنى الثاني ، قال الأصمعي : نظرت إلى شخص ثم مثل أي ذهب ؛ تقاصرت : قصرت وأشرفت على الزوال لأن السراب يذهب بالعشي ؛ أرومها : أعلامها ؛ أغفالها : الصحاري التي لا أعلام فيها ولا جبل يهتدى به .

٥ مهندات : سيوف مطبوعة في الهند .

٦ الحِلْمُ أثبَتُ منزِلاً في صَدرِهِ من هضْبِ صِنددَ حيثُ حلَّ خيالُها

٧ ولَوجْهُهُ عِندَ المسائلِ إذْ غدَا وغدَتْ فواضِلُ سَيْبِهِ ونوالُها

٨ بالخيرِ أبْلجُ مِن سِقايَةِ راهبٍ تُجْلى بمَوْزَنَ مُشْرِقٌ تمْثالُها

---

٦ صندد : جبل بالحجاز . ولعلَّ « حلَّ » أن تقرأ « جَلَّ » أي عظم خيالها والمعنى أنها هي عظيمة .

٧ فواضل سيبه : سخاؤه وعطاؤه .

٨ أبلج : خبر لكلمة « وجهه » في البيت السابق ، أبلج : أشد بياضاً وسطوعاً ؛ السقاية : الإناء من فضة ؛ ولعله يعني هنا مصباح الراهب ؛ موزن : موضع .

تخريج القصيدة ٦٤

الأبيات ١ – ٣ في ياقوت ٤ : ٤١٠
البيتان ٧ ، ٨ في البكري : ١٢٧٨
البيت ٤ في كتب الأضداد : ١٢٤
» ٥ في كتب الأضداد : ٨٣
» ٦ في ياقوت ٣ : ٤٢٠

٦٥

قال يرثي رجلاً يكنى أبا وهب :

١ لتَبْكِ البواكي المُبكياتُ أبا وَهْبِ   على كلّ حالٍ مِن رخاءٍ ومن كرْبِ
٢ أخا السَّلْمِ لا يَعْيا إذا هيَ أقبَلَتْ   عليه ولا يَجْوي مُعانَقةَ الحرْبِ
٣ فإن تكُ قد وَدَّعتَنا بعدَ خُلّةٍ   فنِعْم الفتى في الحيّ كنت وفي الرّكبِ
٤ سقى اللهُ وجهاً غادَرَ القومُ رَسْمهُ   مُقيماً ومَرُّوا غافلينَ علـى شَغْبِ

---

٢ أخا السلم : نعت لـ « أبا وهب » في البيت السابق ، السّلم : بفتح السين مؤنثة ، وفي التنزيل ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ يجوي : يكره .

٣ الخلة : الصداقة ، يريد بعد مخاللة وعهد من الصداقة ؛ في الحيّ وفي الركب : يريد في حالتي الإقامة والظعن .

٤ شغب : ضيعة خلف وادي القرى كانت للزهري .

تخريج القصيدة ٦٥

الأبيات ١ - ٤ في ياقوت ٣ : ٣٠٣

٦٦

وقال :

١ أقولُ وقد جاوَزْنَ مِن صَدرِ رابغٍ — مهامِهَ غُبراً يرفعُ الأكْمَ آلُها

٢ أألْحَيُّ أم صِيرانُ دوْمٍ تناوَحتْ — بتِرْيَمَ قَصراً واستحثّتْ شِمالُها

٣ أرى حينَ زالَتْ عيرُ سَلْمى بِرابغٍ — وهاجَ القُلوبَ السّاكناتِ زوالُها

٤ كأنَّ دمــوعَ العَينِ لمّا تخَلّلَتْ — مخارِمَ بيضاً مِن تمَنّي جِمالُها

٥ قبِلْنَ غُروباً مِن سُمَيْحةَ أنزعتْ — بهِنَّ السّواني واستْدارَ مَحالُها

---

١ ياقوت (١ : ٨٤٦) والمغانم : جاوزت من صحن رابغ . . . يفرعُ ؛ التاج : عين رابغ.

٤ ياقوت (١ : ٨٧٤) تحللت (وهو خطأ) ؛ السمهودي : ملء عيني .

---

١ رابغ : واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة دون عزور (ياقوت) ، وقال ابن السكيت : رابغ بين الجحفة وودان ، وقال في موضع آخر : رابغ واد من دون الجحفة يقطعه طريق الحاج من دون عزور ؛ يرفعها الآل ، يعني في رأي العين ، فكأنها تطفو فوقه ؛ الآل : السراب .

٢ الصيران : النخل المجتمع أو الشجر ، تناوحت : تقابلت ؛ تريم : واد بين المضايق ووادي ينبع ، وقال ابن السكيت : قريب من مدين ؛ قصراً : عشاء ، استحثت : حثت واندفعت .

٣ أرى : متصل بقوله أألحيّ . . . يعني أألحيّ أرى أم أرى صيران دوم متناوحة .

٤ تخللت : قطعت ، والفاعل : جمالها ؛ مخارم : منقطع أنوف الجبال ، تمني — في قول ابن السكيت — إذا انحدرت من ثنية هرشى تريد المدينة صرت في تمني وبها جبال يقال لها البيض .

٥ الغروب : الدلاء العظيمة ؛ سميحة : بئر في ديار الأنصار ؛ السواني : الإبل النواضح ؛ المحال : البكرة العظيمة ؛ وخبر كأنَّ في البيت السابق هو جملة « قبلن » والقابل : الذي =

٦ لعمرُكَ إنَّ العين عن غيرِ نعمةٍ كذاكَ إلى سَلْمى لمُهْدًى سجالُها

٧ عذَرْتُك في سلمى بآنِفَةِ الصِّبا ومَيْعَتِهِ إذْ تَزْدَهيكَ ظِلالُها

* * *

٨ ومُلْتَمِسٍ منّي الشّكيّةَ غَرَّهُ ليانُ حواشي شيمتي وجَمالُها

٩ رَميتُ بأطرافِ الزِّجاجِ فلمْ يُفِقْ عَنِ الجهلِ حتى حكّمته نِصالُها

١٠ وذي كَرَمٍ يوماً أراد كرامتي (وعربة) ودّي رغبةً هل ينالُها

١١ بذلتُ لهُ مِثْلاً وكلُّ تحيةٍ من المرء مردودٌ عليه مثالُها

---

٦ ياقوت : سخالها (وهو خطأ) .

= يتلقى الدلو حين تخرج من البئر فيصبها في الحوض .

٦ النعمة : السرور والفرح والترفه ؛ السجال : الدلاء ؛ يريد أن عينه ترسل دموعها هدية إلى سلمى ، لكن ليس لأن هذه العين ناعمة فرحة .

٧ آنفة الصبا : ميعته وأوليته ، وهو مجاز ؛ تزدهيك : تستخفك ، أي كنت معذوراً بذلك في تلك السنّ .

٩ الزجاج : جمع زج وهو الحديدة التي في أسفل الرمح ، والنصال : جمع نصل وهي الحديدة التي في أعلى الرمح ، كانوا يستقبلون العدو إذا أرادوا الصلح بأزجة الرماح فإن أجابهم إلى الصلح وإلا قلبوا إليه الأسنة وقاتلوه ، ويروى : حلمته ، أي جعلته حليماً .

١٠ وعربة : دون إعجام للباء في الأصل ، ولا أدري ما صوابه .

تخريج القصيدة ٦٦

الأبيات ١ – ٤ في ياقوت ٢ : ٧٢٧
» ٤ – ٦ في ياقوت ٣ : ١٤٧
البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ١ : ٨٤٦ والمغانم : ٧٥
» ٤ ، ٥ في العباسي : ٣٤٦ والسمهودي ٢ : ٣٢٤ والمغانم : ١٨٦
» ٨ ، ٩ في حماسة البحتري : ١٧٠
» ١٠ ، ١١ في مسالك الأبصار ١٤ : ٧٠
البيت ١ في التاج (ربغ)
» ٤ في ياقوت ١ : ٨٧٤ والعباسي : ٢٨٨
» ٧ في التاج (أنف)

٦٧

١ لعَمري لقد رُعتُم غداةَ سويقةٍ ببَينْكُمُ يا عزَّ حقَّ جَزوعِ

٢ ومرَّتْ سِراعاً عيرُها وكأنّها دوافِعُ بالكِرْيَوْنِ ذاتُ قُلوعِ

٣ وحاجةِ نفسٍ قد قضَيتُ وحاجةٍ تركْتُ وأمْرٍ قد أصبْتُ بَديعِ

* * *

٤ وماءٍ كأنَّ اليَثْربيّةَ أنْصَلَتْ بأعْقارِهِ دَفْعِ الإزاء نَزوعِ

* * *

---

١ ياقوت (٣ : ١٩٩) حق جزوعي .

٢ البكري : وولت سراعاً .

---

١ قال ابن السكيت : سويقة جبل بين ينبع والمدينة ؛ حق جزوع : جزوعاً حقاً .

٢ العير : القافلة ؛ الكريون — فيما قاله ابن السكيت — نهر بمصر يأخذ من النيل ؛ شبه عيرها بسفن ذات قلوع وهي الشراعات ، والقلوع : جمع قلع .

٤ بدأ الشاعر بعد المقدمة الغزلية يعدد ما قام به وكيف أنّه دفع بناقته إلى ماء في رحلتها ، ووصفه ، ثم وصف في الأبيات ٥ — ١٠ لقاءه للذئب . . . اليثربية : أراد السهام المنسوبة إلى يثرب ، قاله ياقوت ؛ وفي اللسان : نصل يثربي وأثربي ، وزعم بعض الرواة أن المراد باليثربي السهم لا النصل وأن يثرب لا يعمل فيها النصال ، قال أبو حنيفة : وليس كذلك لأن النصال تعمل بيثرب وبوادي القرى وبالرقم وبغيرهن من أرض الحجاز . الأعقار : جمع عقر ، وهو مؤخر الحوض ، وكذلك مفرغ الدلو من مؤخره ؛ والإزاء : مفرغه من مقدمه ومصب الماء في الحوض ؛ والنزوع : البئر القريبة القعر . أنصل : أثبت النصل؛ =

٥ وصادفتُ عيّالاً كأنَّ عُواءهُ   بُكا مُجرَذٍ يبْغي المَبيتَ خَليعِ
٦ عوى ناشِزَ الحيزُوم مُضْطمرَ الحشا   يُعالجُ ليْلاً قارساً مَعَ جوعِ
٧ فصَوَّتَ إذ نادى بباقٍ على الطَّوى   مُحنَّبِ أطرافِ العِظامِ هَبوعِ
٨ فلَمْ يجترِسْ إلاّ مُعرَّسَ راكبٍ   تأيّا قليلاً واسترى بقطيعِ
٩ وموْقِعِ حُرْجوجٍ على ثَفِناتِها   صَبورٍ على عدوى المُناخ جموعِ

٥ اللسان : وألفيت عيالاً ؛ المسالك : محرد .
٧ المسالك : أطراف الضلوع .

= أي هو ماء قد سقطت فيه أشياء من الشوك والعيدان وما أشبه ، مما يدلُّ على أنّه قديم عهد بالناس .

٥ قال ابن قتيبة : (المعاني الكبير : ١٩٨ ، ١١٩٦) « عيال : يعني ذئباً يعيل في البلاد كما يقال عار يعير فهو عيار ، ويقال : عيال في مشيته كأنّه يميل ؛ خليع : خلعه أهله لجنايته ، والمجرذ : الذي ذهب ماله » . وفي اللسان : المجرذ الذي أفرده أصحابه فلجأ إلى سواهم ، وقيل هو الذي ذهب ماله فلجأ إلى من ينوّله .

٦ ناشز الحيزوم : مرتفع الصدر .

٧ قال ابن قتيبة (المصدر نفسه) : أي بصوت باق على الجوع ؛ محنب : مأطور (أي معوج مثنيّ) ؛ هبوع : يستعين بعنقه في مشيه من الضعف ، لذلك قيل لما تضعه الناقة في آخر النتاج « هُبَع » لأنّه ضعيف فإذا مشى مع أمه هَبَع أي استعان بعنقه .

٨ قال ابن قتيبة : الاجتراس : الإصابة ، يقال : هل اجترست شيئاً ؟ ويقال : النحل جوارس لأنها تصيب من الشجر ، ويروى « يحترس » أي يسرق ، ويقال للذي يسرق الغنم « المحترس » وللشاة التي تُسْرَق حريسة . تأيا : تلبث قليلاً ؛ استرى : افتعل من السرى وهو سير الليل ؛ بقطيع : أي بقطع من الليل ؛ قلت : ومعرّس الراكب : موضع نزوله للراحة في آخر الليل ، أي أن هذا الذئب أخذ يطلب معرّس ذلك الراكب ، وموقع الناقة المناخة التي أُلقي زمامها على الأرض فغدا كأنّه حيّة .

٩ الحرجوج : الناقة الطويلة ؛ الثفنات : الركب ؛ عدوى المكان : ارتفاع بعضه وانخفاض =

١٠ ومطْرَح أثْنـاءِ الزّمامِ كأنّـهُ   مزاحِفُ أيْمٍ بالفِناء صَريعِ

....

=بعضه الآخر . المناخ : موضع الاناخة ، أي بروك الجمل أو الناقة ؛ جموع : قوته مجتمعة الأعضاء .

١٠ مطرح : مكان طرح . أثناء الزمام : طيّات الحبل أو الرسن الذي تقاد به الناقة . مزاحف : مواضع الزحف ؛ الأيم : الحية . شبه مطارح الزمام بمزاحف الحية .

تخريج القصيدة ٦٧

الأبيات ١ – ٣ في ياقوت ٤ : ٢٧١
» ٥ – ١٠ في المعاني الكبير : ١٩٨ ، ١١٩٦ – ١١٩٧
» ٥ – ٨ في المسالك ١٤ : ٧١
البيت ١ في ياقوت ٣ : ١٩٩ والتاج (سوق)
» ٢ في البكري : ١١٢٧
» ٤ في ياقوت ٤ : ١٠١٠
» ٥ في اللسان (جرذ)

٦٨

وقال * :

١ وأنْتِ التي حبّبْتِ شغبى إلى بَدا إليّ وأوْطاني بِلادٌ سِواهُما

٢ وحلّتْ بهذا حلّةً ثمّ أصْبحَتْ بأُخرى فطابَ الوادِيانِ كلاهُما

٣ إذا ذرَفتْ عيناي أعْتلُّ بالقَذى وعزَّةُ لوْ يدري الطّبيبُ قذاهُما

---

١ التاج : وأنت الذي ؛ السمهودي : لعمري لقد حببت .

٢ الخزانة والتاج والسمهودي والمغانم : حللت بهذا . . . ثم حلة بهذا .

---

* البيت الأول والثاني منها حماسيان وسننقل شرحهما عن المرزوقي .

١ خاطبها في البيت الأول معتدّاً عليها بأنه كما آثرها على أهله وعشيرته ، آثر بلادها على بلاده فذكر طرفي محالها فقال : أحب لك وفيك شغبى إلى بدا وبلادي بلاد غيرها . قلت : بدا موضع بين طريق مصر والشام ، وشغبى منهل بين طريق مصر والشام أيضاً . وقال ابن السكيت : قيل إنهما موضعان بين المدينة وأيلة . والمعنى شغبى فبدا — أراد الترتيب ودلّ على ذلك البيت التالي ، قاله ابن هشام في المغني وردّ عليه بأن إلى قد تكون للمعية .

٢ ثم أخبر عنها في البيت الثاني فقال : ونزلت بهذا — يشير إلى شغبى — نزلة ثم أصبحت ببدا ففاح الواديان وتضوعا برياها . . .

٣ قال في شرح المضنون : (٢٤٢) يقال : ذرفت عينه أي سال منها الدمع ، واعتلّ أي مرض فهو عليل ، والقذى : ما يسقط في العين ؛ يقول : إذا سالت دموع عيني أمرض وأعتلّ بالقذى ، يعني من كثرة سيلان الدمع مرضت عيناي كأنّه وقع فيهما القذى وعزّة قذاهما لو يدري الطبيب ، يعني مرضهما واعتلالهما بسبب محبة عزّة ومفارقتها ، ويحتمل أن تكون « لو » ههنا للتمنّي ، يعني ليت الطبيب يعرف أن قذاهما عزة . قلت : أخطأ في =

٤ فلو تُذرِيان الدَّمع مُنذُ استهلّتا على إثرِ جازي نعمةٍ لجزَاهُما

=قوله « أعتل » بمعنى أمرض ، وهي هنا بمعنى أتذرعُ بعلّةٍ ، يقول إنّه إذا بكى وسئل عن بكائه قال : وقع فيهما قذى وهو يموه بذلك ، و « لو » بمعنًى ليت هنا قطعاً لا احتمالاً .

٤ المعنى : لو أسالت العينان الدموع من حين أخذتا في البكاء على ميت كان يجزي بالنعمة على الفعل لجزاهما خيراً تقديراً لوفائهما ، ولكن عزّة لا تفعل ذلك ، لظلمها وتعسّفها .

تخريج القصيدة ٦٨

الأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، ٢ في ياقوت ٣ : ٣٠٢ والمغانم : ٢٠٥ – ٢٠٦

« ١ ، ٣ ، ٢ في شرح المضنون : ٢٤٢ وحماسة التبريزي ٣ : ١٤١ وشواهد المغني : ١٥٨ والجامع : ٢٠٢ والشنقيطي ٢ : ١٧١ والتاج (شغب) وابن خلكان ٣ : ٣١٨ .

البيتان ١ ، ٢ في الفاضل : ٢٦ والسيوطي : ١٥٨ وحماسة المرزوقي : ١٢٨٨ ومغني اللبيب ١ : ١٦٢ والخزانة ٤ : ١٣٦ والسمهودي ٢ : ٣٣٠

البيت ١ في البكري : ٢٣٠ واللسان والتاج (بدا) والمخصص ١٣ : ٢٣٩ (دون نسبة) والسمهودي ٢ : ٢٨٥ (لجميل بثينة)

٦٩

وقال :

١ وقفتُ عليهِ ناقتي فتنازعَتْ   شعوبُ الهوى لما عرفتُ المغانيا

٢ فما أعرفُ الآياتِ إلا توهُّماً   وما أعرفُ الأطلالَ إلا تماريا

٣ وما خلّفتْ منكم بأطلالِ دمنةٍ   تنكّرْنَ واستبدلْنَ منكِ السوافيا

* * *

٤ وان طنّتِ الأذنانِ قلتُ ذكرتِني   وان خلَجتْ عيني رجوتُ التلاقيا

٥ أيا عزَّ صادي القلبَ حتى يودَّني   فؤادُكِ أو رُدّي عليَّ فؤاديا

٦ أيا عزَّ لو أشكو الذي قد أصابني   إلى ميّتٍ في قبرِهِ لبَكى ليا

٧ ويا عزَّ لو أشكو الذي قد أصابني   إلى راهبٍ في ديرِهِ لرثى ليا

٨ ويا عزَّ لو أشكو الذي قد أصابني   إلى جبَلٍ صَعْبِ الذُّرى لانحنى ليا

٩ ويا عزَّ لو أشكو الذي قد أصابني   إلى ثعْلَبٍ في جُحْرِهِ لانبرى ليا

١٠ ويا عزَّ لو أشكو الذي قد أصابني   إلى موثقٍ في قيْدِهِ لعدا ليا

---

٥ ورد في الدالية (رقم : ٩١) : أو ردّي عليّ فؤادي ؛ وصاداه مصاداة : داجاه وداراه .

تخريج القصيدة ٦٩

الأبيات ١ – ٣ في المنازل والديار : ٦٢/أ

« ٥ – ١٠ عن الديوان المطبوع

البيت ٤ في الفصول : ٤٦٢

« ٥ في اللسان والتاج (صدى)

٧٠

وقال في عزّة :

١ يقولُ العِدا يا عزَّ قد حال دونكُمْ شُجاعٌ على ظهرِ الطّريقِ مُصَمِّمُ

٢ فقُلتُ لها واللهِ لو كانَ دونكُمْ جهنّمُ ما راعَتْ فؤادي جهَنّمُ

٣ وكيف يروعُ القلبَ يا عزَّ رائعٌ ووجهُكِ في الظّلْماء للسّفْرِ مَعْلمُ

٤ وما ظلمتْكِ النّفسُ يا عزَّ في الهوى فلا تنْقمي حُبّي فما فيه مَنقمُ

---

١ الشجاع : الحية ؛ المصمّم : الذي إذا عضّ لم يرسل ما عضّه وبقي متشبثاً به .

٣ معلم الطريق : دلالته وأصله من العلامة .

تخريج القصيدة ٧٠

الأبيات ١ – ٤ في الأغاني ٨ : ١١٠

٧١

وقال من قصيدة :

١ إلى ظُعُنٍ يتبْعَنَ في قتَرِ الضُّحى بعُدوةِ ودّانَ المطيَّ الرَّواسما

٢ تخلّلْنَ أجزاعَ الضَّئيدِ غُدَيّةً ورُعنَ امرءاً بالحاجِبيّةِ هائما

٣ ومَرّتْ تحُثُّ السّائقاتُ جِمالها بها مُجتوى ذي مَعْيَطٍ فالمَخارِما

٤ فلمّا انقضَتْ أيّامُ نَهْبَلَ كلُّها وواجهْنَ ديْموماً من الخَبْتِ قاتما

٥ تيامَنَّ عَنْ ذي المرّ في مُسْبطِرَّةٍ يدُلُّ بها الحادي المُدِلُّ المراوِما

---

١ قتر الضحى : غبرته ؛ العدوة : المكان المرتفع ؛ ودّان : أسفل هرشى على ميلين ممّا يلي المغرب ، يقطعها المصعدون من حجاج المدينة وينصبّون فيها صادرين من مكة . الرواسم : التي تسير الرسيم ، وهو فوق الذميل .

٢ الأجزاع : منعطفات الأودية ؛ الضئيد : موضع رمل بقرب ودّان .

٣ ذو معيط : موضع في بلاد مزينة ؛ ومجتوى – كذا وردت عند البكري ولا أرى له وجهاً ، إلا أن يكون بمعنى لدى اجتوائهن أي كرههن ومقتهن لذي معيط ؛ ولعلّ الصواب « مختوى » من الخويّ وهو منفرج الوادي .

٤ نهبل : موضع لم يحدده البكري ولم يذكره ياقوت ؛ الديموم : الفلاة الواسعة ؛ الخبت : الرمل الذي لا ينبت غير الأرطى ، وخبت يقع ممّا يلي المغرب عن يمين ودّان بينها وبين البحر .

٥ ذو المرّ : موضع ، ولعله يعني مرّ الظهران على مرحلة من مكة ، قال عرام : مرّ القرية والظهران هو الوادي ، وقال الواقدي : بين مر ومكة خمسة أميال . ؛ مسبطرة : ممتدة مستقيمة ، يريد أرضاً ؛ المدلّ : العارف بمهارته ؛ المراوم : جمع مرام وهو المطلب .

تخريج القصيدة ٧١

الأبيات ١ – ٥ في البكري : ٨٥٠ (ضئيد)

٧٢

وقال :

١ عفا رابِغٌ من أهْلِهِ فالظّواهِرُ فأكنافُ هرْشَى قد عفتْ فالأصافرُ

٢ مغانٍ يُهَيّجْنَ الحَليمَ إلى الصِّبا وَهُنَّ قديماتُ العُهودِ دواثِرُ

٣ للَيْلى وجاراتٍ للَيْلى كأنّها نِعاجُ المَلا تُحدى بهِنَّ الأباعرُ

٤ بما قد أرى تلكَ الدِّيارَ وأهلَها وهنَّ جميعاتُ الأنيسِ عوامرُ

٥ (أجدَّك أنْ دارُ الرباب تباعدتْ أو انبتَّ حَبْلٌ أن قلبك طائرُ)

٦ (أفقْ قد أفاق العاشقون وفارقوا الـ ـهَوى واسْتمرَّتْ بالرِّجالِ المرائِرُ)

---

١ الموشح : واسط . . . والظواهر .

٣ الأغاني : بليلى .

---

١ رابغ : واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة دون عزور ؛ الظواهر : موضع لم يذكره كلّ من ياقوت والبكري ؛ هرشى : ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة لا تزال معروفة إلى اليوم وتبعد عن رابغ بمقدار خمسة وثلاثين (كيلومتراً) ؛ الأصافر : ثنايا سلكها النبي (ص) في طريقه إلى بدر .

٣ لليلى : متعلق بـ « مغان » ؛ النعاج : إناث بقر الوحش ؛ الملا : اسم موضع .

٥ هذا البيت والاثنان التاليان له ربما لم تكن من شعر كثير ، فقد جاء البيت (رقم ٥) في شعر نسبه الزبير بن بكار لحسان بن يسار التغلبي والاثنان بعده في قصيدة لجميل واتّهم الزبير كثيّراً بأنّه أغار على البيتين وأدخلهما في قصيدته التي أولها « عفا واسط من أهله والظواهر » (الموشح : ٢٤٤) قال المرزباني : تحامُلُ الزبير بن بكار على كثيّر — فيما جمعه =

٧ (وهَبها كشيءٍ لم يكُنْ أو كنازحٍ   به الدارُ أو مَنْ غَيَّبَتْه المَقابر)

٨ أمُنقطعٌ يا عزَّ ما كان بيْننا   وشاجرَني يا عزَّ فيكِ الشّواجِرُ

٩ إذا قيل هذي دارُ عزَّةَ قادني   إليها الهوى واستعجلَتْني البوادِرُ

١٠ أصُدُّ وبي مثل الجنون لكي يرى   رُواةُ الخنا أني لبيْتكِ هاجرُ

١١ فيا عزُّ ليت النأيَ إذ حال بينَنا   وبينكِ باعَ الودَّ لي منكِ تاجرُ

١٢ وأنت التي حبّبتِ كلَّ قصيرَةٍ   إليَّ وما يدري بذاكَ القصائرُ

١٣ عنيتُ قصيراتِ الحجال ولمْ أُرِد   قِصارَ الخُطا شرُّ النساء البحاترُ

---

٩ الأغاني : هذا بيت . . إليه .

١٢ إصلاح المنطق : وأنت الذي ؛ العمدة : لعمري لقد ؛ المسالك : ولا تدري .

١٣ المسالك : أُريد قصيرات ، قصار القنا ؛ المعاني الكبير والتاج (بهتر) : البهاتر .

=من أخباره وبين عليه من سرقاته – ظاهر ، وهو خصم لا يقبل قوله على كثيّر لهجاء كثيّر لولد عبد الله بن الزبير وانحراف الزبير عن أهل البيت عليهم السلام . قلت : وانظر باب المنحول ففيه هذه الأبيات وأنها من شعر عمر بن أبي ربيعة .

٨ الشواجر : الشواغل والموانع ؛ شاجرتي : شاغلة لي .

٩ البوادر : المسرعة ، يعني الدموع .

١١ يروى هذا البيت :

ألا ليتَ حظي منك يا عزُّ أنّني   إذا بنت باع الصبر لي منك تاجر

ويروى :

فيا ليت عز النأي إذ حال بيننا   . . . . (البيت)

١٢ امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة : محبوسة في البيت محجوبة ؛ وقصائر : جمع قصيرة .

١٣ قصيرات الحجال : النساء المقصورات في الحجال ، وهي جمع حجلة ، أي خدر المرأة . =

. . . .

=والبحاتر : جمع بحتر وهو القصير المجتمع الخلق؛ قال في اللسان (قصر) : وفي التهذيب : عنيت قصورات الحجال . . . وأنشد الفراء : وأنت التي حببت كل قصورة ، وشرّ النساء البهاتر ؛ وفي المعاني الكبير (٥٠٥) ويروى : البهائر ، والبهيرة : الذليلة .

تخريج القصيدة ٧٢

الأبيات ١ – ٣ في ياقوت ١ : ٢٩١
« ١ ، ٢ ، ٤ في المنازل والديار : ٦٢/أ
« ٣ ، ٨ – ١٠ في الأغاني ١ : ٢٦٠
البيتان ٦ ، ٧ في الموشح : ٢٤٤
« ١٢ ، ١٣ في إصلاح المنطق : ١٨٤ ، ٢٧٤ والمعاني الكبير : ٥٠٥ واللسان والتاج (قصر) والتاج (بهتر ، بحتر) وتحرير التحبير : ٣٣٩ والواحدي : ٧٥١ والمخصص ١٢ : ٩٦ (دون نسبة) وابن يعيش ١ : ٧٩٦ والعمدة ٢ : ٧٨ ورفع الحجب ١ : ٥٤ والدميري ١ : ٢٥٨ والمسالك ١٤ : ٧١ وابن جني ٢ : ٦٦ ب وتثقيف اللسان : ٣٥٨
البيت ١ في البكري : ١٦٢ ، ١٣٥٠ والموشح : ٢٤٤ (الصدر وحده)
« ٥ في الموشح : ٢٤٥
« ٩ في المقاييس ١ : ٢٠٩
« ١١ في أمالي المرتضى ١ : ٤٩٧ (دون نسبة)

٧٣

وقال :

١ غشيتُ لليلى بالبَرودِ مساكناً تَقادَمْنَ فاستنَّتْ عليها الأعاصرُ

٢ وأوْحَشْنَ بعد الحيِّ إلا مساكناً يُرَيْنَ حديثاتٍ وهنَّ دواثرُ

٣ وكانت إذا أخلت وأمرعَ ربْعُها يكونُ عليها من صديقِكَ حاضرُ

٤ فقد خفَّ منها الحيُّ بعد إقامة فما إنْ بها إلا الرياحُ العوائرُ

٥ كأن لم يُدَمِّنْها أنيس ولم يكن لها بعد أيَّامِ الهِدَمْلَةِ عامرُ

---

١ ياقوت : تقادمت وأشنت بهن (وهو مصحف) .

٢ ياقوت : وأوحش . . . إلا معالماً .

---

١ قال ابن السكيت : البرود فيما بين ملل وبين طرف جبل جهينة ، قال : والبرود أيضاً بطرف حرّة النار أودية يقال لهن البوارد ، والبرود : واد فيه بئر بطرف حرّة ليلى ، قال : والبرود قرب رابغ ، ورابغ بين الجحفة وودّان ؛ استنت : جرت .

٣ أخلت : كثر خلاها أي بُقولها وعشبها ؛ أمرعت : أخصبت ؛ صديقك بمعنى من تصادقه رجلاً كان أو امرأة أو جماعة ؛ يعني كانت موطناً يحل فيه من تحبّ ، إذا كثر خلاها وأخصب ربعها ؛ الحاضر : القوم والحيّ العظيم ، أو الحيّ إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم . وحاضر أيضاً بمعنى مقيم .

٤ العوائر : جمع عائرة وهي المنطلقة .

٥ يدَمّنها : يسوّدها ويترك الآثار فيها ؛ الأنيس : الناس ؛ الهدملة : الدهر الذي لا يوقف=

٦ ولم يعتلجْ في حاضرٍ متجاورٍ قفا الغَضْيِ من واديالعُشيرَةِ سامرُ
٧ سقى أُمَّ كُلثومٍ على نأيِ دارها ونِسوتَها جَوْنُ الحيا ثمَّ باكرُ
٨ أحمُّ رجوفٌ مُستهِلٌّ رَبابُه لهُ فِرَقٌ مُسحَنْفِراتٌ صَوادِرُ
٩ تصَعَّدَ في الأحناء ذو عجرفيّةٍ أحمُّ حَبَرْكى مُرجفٌ مُتماطرُ

---

٧ الهمداني : جون الحناتم .
٨ ياقوت : زحوف .
٩ ياقوت : مزحف .

= عليه لطول التقادم ، يضرب مثلاً للذي فات ، يقول بعضهم لبعض : كان هذا أيام الهدملة (البارع : ٣٧) — هكذا نقل اليزيدي عن محمد بن حبيب ، وقال الأحول : الهدملات أكثبة بالدهناء (البكري « الهدملة ») .

٦ الاعتلاج : المصارعة والممارسة والمغالبة ، ولعل ذلك مما كان يجري في حلقات السمر ؛ سامر : فاعل للفعل « يعتلج » ؛ والغضي — في قول ابن السكيت — جبيل صغير ، ويروى « قفا الغضن » . وذو العشيرة : مكان وقعت فيه إحدى غزوات الرسول ، وهو بعد فرش ملل على طريق السائر من المدينة .

٧ الجون : السحاب الجون وهو الأسود ؛ الحيا : المطر ؛ باكر : باكر الحيا ؛ والحناتم : السحائب السود ، وقال الأزهري : قيل للسحاب حنتم وحناتم لامتلائها من الماء ، شبهت بحناتم الجرار المملوءة .

٨ أحمّ : أسود ؛ الرجوف : الكثير الرعد ؛ وزحوف (في رواية ياقوت) بطيء لكثرة مائه ؛ مستهل : منسكب منصب ؛ الرباب : السحاب ؛ فرق : قطع السحاب ؛ مسحنفرات : واسعة كثيرة الصبّ أو سريعة في صبها .

٩ الأحناء : جمع حنو وهو الجانب ؛ العجرفية : السرعة ؛ حبركى : طويل الظهر قصير الرجلين ، شبه السحاب برجل هذه صفته ، متماطر : يمطر ساعة ويكف أُخرى .

١٠ وأعرض من ذهبان مُعرَوْرِفَ الذُّرى تريّعُ منهُ بالنِّطافِ الحواجرُ
١١ أقام على جُمدانَ يوماً وليلةً فجُمدانُ منهُ مائلٌ مُتقاصِرُ
١٢ وعرّس بالسّكران يومينِ وارتكى يجرُّ كما جرَّ المكيثُ المُسافرُ
١٣ بذي هيدَبٍ جَوْنٍ تُنَجِّزُهُ الصَّبا وتدفعُهُ دفعَ الطَّلا وهوَ حاسرُ
١٤ وسُيِّلَ أكنافُ المرابدِ غُدْوَةً وسُيِّلَ منهُ ضاحِكٌ والعواقرُ

---

١٠ ياقوت : معروف (وهو خطأ) ؛ الهمداني : مغرورق . . تربّع .
١١ ياقوت : متناصر .
١٢ ياقوت والبكري : ربعين .
١٣ ياقوت : تنحره .
١٤ ياقوت : عنه .

---

١٠ قال ابن السكيت : ذهبان – بفتح ثم سكون – جبل لجهينة أسفل من ذي المروة بينه وبين السقيا ، قال : وذهبان أيضاً قرية بالساحل بين جدة وبين قديد ، وهذا الثاني لا يزال معروفاً بهذا الاسم . معرورف : عالي العرف ، شبهه بالفرس ؛ تريّع : تحير وتمتلىء ؛ النطاف : الماء الصافي ؛ الحواجر : النواحي ، جمع حجرة – بفتح الحاء – على غير قياس .

١١ جمدان : جبل بين ينبع والعيص على ليلة من المدينة ؛ وقيل : جمدان واد بين ثنية غزال وأمج ، إذ خلف أمج بميل واد يقال له وادي الأزرق وفي الوادي عين ، وبين العين والوادي جبل يقال له جمدان (المغانم : ٩٣ والحاشية) ؛ ولعلّ الأصوب « متناصر » كما في ياقوت ؛ يعني متناصر الأودية أي قد مدّت بالماء أوديته وتناصرت .

١٢ عرّس : أقام ؛ السكران : موضع ؛ ارتكى : اعتمد وعوّل ، المكيث : المقيم الثابت ؛ وفي رواية « ربعين » يعني مسافة ظمئين من أظماء الإبل وذلك بمقدار ثماني ليال .

١٣ الهيدب : ما تراه كأنّه خيوط معلقة عند انصباب الودق ؛ الطلا : ولد الظبية ؛ الحاسر : المعيي المتعب .

١٤ المرابد : ذات المرابد وهو موضع بعقيق المدينة ؛ ضاحك – في قول ابن السكيت – =

١٥ ومنهُ بصَخْرِ المحوِ وَدْقُ غمامةٍ لهُ سَبَلٌ واقورَّ مِنْهُ الغفائرُ

١٦ وطبّقَ مِن نحوِ النّجيلِ كأنّهُ بأليلَ لمّا خلّفَ النّخْلَ ذامِرُ

١٧ ومرَّ فأرْوى يَنْبُعاً فجنوبَهُ وقد جيدَ منهُ جَيْدَةٌ فَعباثِرُ

١٨ لَـهُ شُعَبٌ مِنها يمانٍ ورَيِّقٌ شآمٍ ونجديٌّ وآخَرُ غائِـرُ

---

١٥ البكري وابن جني : بصحن المحو ، زرق .

١٦ ياقوت والحازمي : النجير ؛ الهمداني : النخيل ؛ الحازمي : بيليل .

١٧ الهمداني والمحكم واللسان والتاج (حيد) والحازمي (عباثر) وياقوت ٢ : ٣٧٤) : حيدة .

=وضويحك : جبلان بينهما واد يقال له يَيّن ، وهما في أعراض المدينة . قال ابن السكيت : والعواقر جبال في أسفل الفرش (فرش ملل) وعن يسارها وهي إلى جانب جبل يقال له صفر من أرض الحجاز .

١٥ المحو : موضع بناحية ساية ؛ ورواية البكري « بصحن المحو » أدق في الدلالة . الودق : التماع البرق ، واقرأ « ودقٌ غمامهُ له سَبَلٌ » السبل : القطر ؛ اقورّ : استرخى ؛ الغفائر : رباب السحاب ، كأن سحابة منها فوق أُخرى .

١٦ النجيل : اسم عين قرب المدينة على خمسة أميال ، وفي الهمداني « النخيل » ؛ وفي رواية « النجير » وهو ماءة حذاء قرية صفينة ، كذا قاله الحازمي . أليل ، ويقال فيه « يليل » أيضاً ، موضع بين وادي ينبع والعذيبة ، والعذيبة قرية بين الجار وينبع ، وثمّ كثيب يقال له كثيب يليل . الذامر : الغاضب الصاخب .

١٧ جيد : مطر ؛ جيدة : موضع بالحجاز ، قال ابن السكيت : وقد رواه بعضهم حيدة (بالحاء المهملة) وهو تصحيف . عباثر — بفتح العين — اسم موضع ، ورواه بعضهم بضمّها ؛ وحدّه الحازمي بأنه نقب بنجد من جبل جهينة يسلك فيه مَنْ خرج من إضم يريد ينبع . وقال الفيروزابادي : هو نقب قرب المدينة يؤدي إلى ينبع الساحل .

١٨ الشعب : السواقي العظيمة من الأودية ؛ وشآم ريق : يعني متجهاً صوب الشام (شمالاً) ، =

١٩ فلمّا دنا لِلاّبتَين ِ تقودُهُ جوافلُ دُهْمٌ بالرَّبابِ عواجِرُ
٢٠ رسا بينَ سلْعٍ والعَقيقِ وفارِعٍ إلى أُحُدٍ للمُزْنِ فيهِ غشامِرُ
٢١ بأسحمَ زحّافٍ كأنَّ ارْتجازَهُ توعُّدُ أجمالٍ لهُنَّ قراقِرُ
٢٢ فأمسى يسُحُّ الماءَ فوقَ وُعَيْرَةٍ لهُ باللّوى والواديَيْنِ حوائِرُ
٢٣ فأقلعَ عَنْ عُشٍّ وأصْبحَ مُزْنُهُ أفاءً وآفاقُ السّماء حواسِرُ
٢٤ فكُلُّ مَسيلٍ مِنْ تهامةَ طيّبٍ تسيلُ بهِ مُسلَنْطحاتٌ دعاثِرُ
٢٥ تُقلّعُ عُمرِيَّ العِضاهِ كأنّها بأجوازِهِ أُسْدٌ لهُنَّ تزاؤر

---

٢٣ التاج : من عشر .

= والريق : السائل على وجه الأرض ؛ الغائر : المتجه نحو الغور أي تهامة .

١٩ اللابتان : الحرتان ؛ جوافل : يعني رياحاً سريعة ؛ عواجر : مارّة بسرعة .

٢٠ سلع : جبل متصل بالمدينة ؛ فارع : اسم أطم من آطام المدينة ؛ أحد : جبل تلقاء المدينة ؛ غشامر : جمع غشمرة ، من قولهم غشمر السيل ، إذا أقبل مندفعاً .

٢١ أسحم : أسود ؛ ارتجازه : صوت رعده ؛ القراقر : جمع قرقرة وهي صوت البعير وهديره إذا ردّده .

٢٢ الوعيرة : حصن من جبال الشراة قرب وادي موسى ؛ الواديان : بلدة في جبال الشراة بقرب مدائن لوط ؛ حوائر : يعني أودية حوائر أي ممتلئة بالماء .

٢٣ أقلع : انصرف ، عش : ذو العش من أودية العقيق من نواحي المدينة ؛ أفاء : سحاب لا ماء فيه ؛ حواسر : منكشفة غير مستترة .

٢٤ مسلنطحات : جمع مسلنطح وهو الأبطح العريض الواسع ؛ دعاثر : أراد دعاثير جمع دعثور وهو الحوض يحفر حفراً ولا يبنى .

٢٥ تقلّع : قلع ؛ العمرية : الشجرة العظيمة القديمة التي أتى عليها عمر طويل ؛ العضاه : كل=

٢٦ يُغادرُ صرْعى من أراكٍ وتَنْضُبٍ ... وَزُرْقاً بأثباجِ البحارِ يُغادِرُ

٢٧ وكلُّ مسيلٍ غارَتِ الشّمسُ فوقهُ ... سقيُّ الثّريّا بَيْنهُ مُتجاوِرُ

٢٨ وما أُمُّ خِشْفٍ بالعلايةِ شادنٍ ... أطاعَ لها بانٌ مِن المَرْد ناضِرُ

٢٩ ترَعّى بهِ البَرْدَيْنِ ثمَّ مقيلها ... ذُرى سلَمٍ تأوِي إليها الجآذِرُ

٣٠ بأحسنَ من أُمّ الحُوَيرثِ سُنّةً ... عشيّةَ دمعي مُسبِلٌ مُتبادِرُ

---

٢٦ التاج : يغادرن ؛المحكم : بأجواز البحار ؛ اللسان والتاج : بأجوار البحار .

= شجر له شوك ؛ أجوازه : أوساطه . التزاؤر : الزئير .

٢٦ الأراك والتنضب : شجران من العضاه ؛ زرقاً : مياهاً زرقاً أي صافية ؛ أثباج : أوساط ؛ البحار : الواسعة من الأرض ، الواحدة بحرة ، والعرب تسمي المدن والقرى البحار كذلك .

٢٨ أم الخشف : الظبية ؛ العلاية : اسم موضع ؛ شادن : صفة لخشف ، وهو الذي قوي على المشي وطلع قرناه واستغنى عن أمه ؛ المرد : ثمر الأراك . ولعل « بان » أن تقرأ « ناء » أي أمكنها هذا المرد ، على بعده في الأعالي من نفسه فرعته .

٢٩ ترعى : تترعى ؛ البردين : في الغداة والعشي ؛ السلم : شجر من العضاة ؛ إليها : إلى الذرى أو إلى السلم ؛ الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية .

٣٠ السنة : الوجه ؛ متبادر : متسارع .

تخريج القصيدة ٧٣

الأبيات ١ – ٤ في المنازل والديار : ١٠٩ ب
« ٧ – ٣٠ في صفة الهمداني : ٢٢٨ – ٢٢٩
« ٧ – ٩ ، ١١ في ياقوت ٢ : ١١٦
« ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ في البكري : ٦١٧
« ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ، ١٧ في ياقوت ٣ : ٥٩٧
٧ ، ١٣ ، ١٤ في ياقوت ٣ : ٤٥٩ والمغانم المطابة : ٢٢٦
البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ١ : ٥٩٧
٥ ، ٦ في ياقوت ٣ : ٨٠٦
« ١٢ ، ١٧ في البكري : ٧٤٣
« ١٨ ، ١٧ في المغانم : ٢٤٦
البيت ٥ في اللسان والتاج (هدمل) والبارع : ٣٧ والبكري : ١٣٤٨
« ٦ في البكري : ٩٤٥ والحازمي (العشيرة)
« ١٠ في ياقوت ٢ : ٧٢٥
« ١٢ في اللسان والتاج (مكث ، سكر)
« ١٤ في المحكم ١ : ١٠٧ وياقوت ٣ : ٧٤٢ والمغانم : ٢٨٥
« ١٥ في ابن جني ٣ : ٩١ ب
« ١٦ في ياقوت ٤ : ٧٦٣ ، ١ : ٣٥٥ والحازمي (النجير)
« ١٧ في المحكم ٢ : ١٣٧ واللسان والتاج (نبع . حيد . عبثر) والبكري : ٩١٥ ، ١٤٠٢ وياقوت ٢ : ١٧٣ ، ٣٧٤ والحازمي (عباثر)
« ٢٠ في ياقوت ٣ : ٨٣٩ والمغانم : ٣٠٩
« ٢٣ في التاج (فيأ)
« ٢٦ في المحكم ٣ : ٢٤٠ واللسان والتاج (بحر)

٧٤

وقال :

١ ما بالُ ذا البيتِ الذي كنتَ آلفاً أنارَكَ فيهِ بَعد إلفكَ نائرُ

٢ تزورُ بيوتاً حَوْلَهُ ما تحبّها وتَهْجُرُهُ ، سَقْياً لمن أنتَ هاجرُ

٣ مجاورةٌ قوماً عدىً في صُدورِهِمْ ألا حبّذا من حبّها مَنْ تُجاورُ

---

١ أنار : ألقى النائرة ، وهي الحقد والعداوة ، يريد أنّه أصبح يتجنّب ذلك البيت الذي كان يألفه فكأن نائرة ثارت في صدره نحوه .

تخريج القصيدة ٧٤

البيتان ١ ، ٢ في المنازل والديار : ٢١١/أ
البيت ٣ في الموازنة ٢ : ١٢٦

٧٥

وقال :

١ أهاجكَ مَغْنًى دِمْنةٍ ومساكنُ خلَتْ وعفاها المُعْصِراتُ السوافنُ

٢ ديارُ ابنَةِ الضَّمْريّ إذ حبْلُ وصلها متينٌ وإذ مَعْروفُها لكَ عاهِنُ

٣ تقولُ ابنةُ الضمريّ مالك شاحباً وقد تَنْبري للعينِ فيك المحاسنُ

٤ جفوتَ فما تهوى حديثَكَ أيّمٌ ولا تجتديكَ الآنساتُ الحواضنُ

٥ فقلت لها بل أنتِ حَنّةُ حَوْقلٍ جرى بالفِرى بيني وبينك طابنُ

٦ فصدّقتِهِ في كلّ حقٍّ وباطلٍ أتاكِ به نمٌّ الأحاديثِ خائنُ

---

٢ المنازل : ديار ابنة السعديّ إذ عقد حبلها .

٥ المخصص : طابق (وهو خطأ) .

---

١ المعصرات : السحائب التي تحمل المطر ؛ السوافن : التي تمسح وجه الأرض .

٢ ابنة الضمري : صاحبته عزة الضمرية ؛ العاهن : الحاضر الثابت المقيم .

٣ تنبري : تعترض .

٤ تجتديك : تطلب ما عندك .

٥ الحنة : الزوجة ؛ الحوقل : المسنّ ، ويقال هو الذي عجز عن الجماع وأدبر عن النساء ، والحوقلة : هي هذه الحال . الفرى : جمع فرية وهي القول المفترى المختلق . طابن : رفيق داهٍ خب عالم به .

٧ رأتني كأنضاء اللّجامِ وبعلُها من المَلْء أبزى عاجزٌ مُتباطِنُ

٨ رأت رجلاً أودى السِّفارُ بوجْهِهِ فلم يبقَ إلاّ منظرٌ وجَناجِنُ

٩ فإن أكُ معرُوقَ العظامِ فإنّني إذا وُزِنَ الأقوامُ بالقومِ وازِنُ

١٠ متى تحسروا عنّي العمامة تبصروا جميلَ المُحيّا أغفلَتْهُ الدّواهِنُ

١١ (يروقُ العيونَ النّاظراتِ كأنّهُ هرَقْليٌّ وزْنٍ أحمرُ التِّبْرِ وازِنُ)

١٢ نساءُ الأخلاّءِ المصافين مَحْرَمٌ عليَّ وجاراتُ البيوتِ كنائنُ

١٣ وإني لِما استودَعْتِني مِن أمانةٍ إذا ضاعتِ الأسرارُ للسّرّ دافنُ

---

٧ اللسان والتاج (بزا) : كأشلاء اللجام ؛ المقاييس : من القوم ؛ وفي التاج (عجن) : رواه أبو عبيد : من القوم أبزى منحن متباطن .

٨ الموشح : أودى السقام بجسمه .

١٠ الأغاني : إذا حسرت عنه العمامة راعها ؛ المحاسن والأضداد : متى تنشرا . . . تبصرا .

١٣ المسالك : إذا ضيّع .

---

٧ الأنضاء : جمع نضو وهو حديدة اللجام ؛ ويروى كأشلاء اللجام وهي سيوره أو التي تقادمت فوق حديدها أو هي حدائده بلا سيور . من الملء : من الامتلاء والكظة ؛ أبزى : به انحناء في الظهر عند العجز ؛ ويروى « عاجن متباطن » ، والعاجن : الذي أسنّ فإذا قام عجن بيديه أي نهض معتمداً على الأرض بجمعه كبراً وسمناً . ويروى : « منحن متباطن » وهي رواية أبي عبيد . متباطن : مندفع البطن ، ويروى : « متطامن » .

٨ الجناجن : عظام الصدر ، وقيل رؤوس الأضلاع ، والمفرد جنجن .

٩ معروق العظام : قد انحسر اللحم عن عظامه فأصبح قليل اللحم ؛ وازن : راجح .

١٠ تحسروا : تكشفوا ؛ أغفلته الدواهن : لم تعتن به صقلاً وجلاء .

١١ ورد هذا البيت في قصيدة حائية وقافيته « . . . راجح » .

١٤ وما زِلتُ من ليلى لدُنْ طرَّ شاربي   إلى اليومِ أخْفي حُبَّها وأُداجنُ

١٥ وأحملُ في ليلى لقومٍ ضَغينَةً   وتُحْمَلُ في ليلى عليَّ الضَّغائنُ

---

١٤ أنساب : أبدي إحنة .

١٥ أنساب : وتضمر .

---

١٤ طر شاربه : نبت ؛ أداجن : أداري وأحسن المداراة .

١٥ الضغينة : الحقد والعداوة .

تخريج القصيدة ٧٥

الأبيات ١ ، ٢ ، ١٤ ، ١٥ في المنازل والديار : ٩١ ب

« ٣ – ٦ في السمط : ٩١

« ٨ ، ٩ ، ١٣ في الأغاني ١٥ : ٢٢٥ والموشح : ٢٤٢

البيتان ١٢ ، ١٣ في المسالك ١٤ : ٧١

« ١٤ ، ١٥ في العيون ٤ : ٢١ والأغاني ٢ : ٣٣٧ ، ٣٣٩ وأنساب الأشراف ٥ : ٢٨٣

البيت ٢ في التاج (عهن)

« ٥ في اللسان والتاج (طبن) وأمالي القالي ١ : ١٩ والمخصص ١٥ : ١٣٨

« ٧ في المقاييس ١ : ٢٤٥ واللسان والتاج (بزا ، عجن)

« ٨ في المحاسن والأضداد : ١٣٩

« ٩ في زهر الآداب : ٣٥٥

« ١٠ في المحاسن والأضداد : ١٣٩ والأغاني ١٢ : ١٨١ ، ١٨٣

قال يهجو بني ضمرة ويفتخر برهطه :

١ (سقى دِمْنَتَين لمْ نجِدْ لهما مثلا بحَقْلٍ لكُم يا عزَّ قد زانتا حقلا)
٢ نجاءُ الثريّا كلَّ آخرِ لَيْلَةٍ يجودُهُما جوداً ويُتْبعُهُ وبْلا
٣ إذا شَحَطَتْ دارٌ لعزَّةَ لم أجِدْ لها في الأولى يلْحَيْنَ في وَصْلِها مِثلا
٤ فيا ليتَ شِعري والحوادثُ جَمَّةٌ متى تجمعُ الأيّامُ يوماً بها شملا
٥ وكيْفَ ينالُ الحاجبيّةَ آلفٌ بيَلْيَلَ مُمْساهُ وقد جاوَزَتْ نَخلا
٦ فيا عزَّ إنْ واشٍ وشَى بيَ عندكُمْ فلا تُكرميه أنْ تقولي لهُ أهْلا
٧ كما لو وشَى واشٍ بوُدّكِ عِنْدنا لقُلنا تزَحْزَحْ لا قريباً ولا سَهْلا

---

١ الأغاني : لهما أهلا . . . رابنا ؛ الأغاني (١٢ : ١٦٣) : قد رابني .
٢ المنازل : ويردفه وبلا .
٥ أشباه السيوطي (١ : ١٢٥) والخصائص : وقد جاوزت رقدا .

---

١ حقل : مكان دون أيلة بستة عشر ميلاً كان لعزة صاحبة كثيّر فيه بستان ، وفي الأغاني : الحقل : الأرض التي يزرع فيها ؛ وهذا البيت للأفوه الأودي واستعاره كثير (الأغاني ٢٢ : ١٦٤) .
٢ نجاء : فاعل للفعل سقى ؛ والنجاء : المطر الشديد .
٥ يليل : بين بدر والعقنقل ، الكثيب الذي خلفه قريش ؛ ونخل – في قول ابن السكيت – قرية بواد يقال له شدخ ؛ وقال ابن حبيب : هي على ليلتين من المدينة .

٨ فأهْلاً وسَهْلاً بالذي شَدَّ وصْلنا ولا مرْحباً بالقائل اصْرِمْ لها حبلا

* * *

٩ ألم يأنِ لي يا قلبِ أن أترُكَ الجَهْلا وأن يُحدِثَ الشّيبُ المُلِمُّ لي العقلا

١٠ على حينَ صارَ الرّأسُ منّي كأنّما علَتْ فوْقه ندّافةُ العطَب الغزْلا

* * *

١١ ونحنُ مَنَعْنا مِن تِهامَةَ كلّها جُنوبَ نَقا الحوّارِ فالدَّمِثَ السّهْلا

١٢ بكُلّ كميْتٍ مُجفَرِ الدّفّ سابِحٍ وكُلّ مِزاقٍ ورْدةٍ تعلِكُ النِّكْلا

١٣ غوامضُ كالعقبانِ إن هي أُرْسلَتْ وإنْ أُمْسكَتْ عن غرْبها نَقلَتْ نَقلا

١٤ عليهِنّ شُعْثٌ كالمخاريقِ كلُّهُمْ يُعدُّ كريماً لا جباناً ولا وغْلا

١٥ بأيديهمُ خطّيّةٌ وعليهمُ سوابغُ فِرْعَونيّةٌ جُدِلَتْ جَدْلا

١٦ ترانا ذوي عزّ ويزعمُ غيرُنا من آعدائِنا أنْ لا يَرَوْنَ لنا مِثلا

---

٩ ألم يأن : ألم يحن .

١٠ العطب : القطن .

١١ النقا : الرمل ؛ والجنوب بضم الجيم – جمع جنب ، وقد تقرأ بضم الجيم للدلالة على الناحية ؛ الحوّار : اسم موضع .

١٢ الدف : الجانب ؛ المزاق : الفرس التي يكاد يتمزق عنها جلدها من سرعتها ؛ النكل : حديدة اللجام .

١٣ غوامض : يريد أن هذه الخيل غير ضخمة الأجسام وإنّما هي صغيرة خفيفة تنقض كالعقبان ؛ الغرب : حدة النشاط . النقل : سرعة نقل القوائم .

١٤ المخاريق : جمع مخراق وهو السيف ، والمخراق أيضاً السخي الجواد ؛ الوغل : الدنيء المتطفل .

١٥ الخطية : الرماح ؛ السوابغ : الدروع .

١٧ نحاربُ أقواماً فنَسْبي نساءهُمْ ونصفدهُمْ أسراً ونوجِعُهُمْ قَتلا

١٨ (فيؤخَذُ منّا العَقْلُ دونَ دمائِنا ونأبى فلا نستاقُ منْ دمنا عقلا)

١٩ ويضربُ ريعانَ الكتيبةِ صفُّنا إذا أقبلتْ حتى نُطَرِّفَها رَعْلا

٢٠ وأثبتُهُ داراً على الخوْفِ ثَمْلُها فرُوعُ عوالي الغابِ أكرِمْ بها ثَمْلا

٢١ وأبعدُهُ سَمْعاً وأطيبُهُ نَثاً وأعظمُهُ حِلْماً وأبعدُهُ جَهْلا

٢٢ وأقوَلُهُ للضّيفِ أهْلاً ومَرْحباً وآمَنُهُ جاراً وأوْسَعُهُ جَبْلا

٢٣ فسائلْ بقومي كلَّ أجْرَدَ سابحٍ وسلْ غَنَماً رُبّي بضَمْرَةَ أوْ سخلا

٢٤ سواء كأسْنان الحمارِ فلا ترى لذي كبرَةٍ منهُمْ على ناشىءٍ فضْلا

---

٢٤ العيون : لذي شيبة منهم .

---

١٨ العقل : الدية ، يفتخر بأنهم يدفعون الدية إذا قتلوا ولكنّهم لا يقبلون بسوى الثأر إذا قتل أحد منهم ؛ وهذا البيت للأفوه الأودي (انظر التخريج) .

١٩ ريعان الكتيبة : أولها ؛ والرعل : أن يقطع اللحم ويترك متعلقاً لا يسقط ؛ نطرفها : نردها (عن المعاني الكبير : ٩٩٤) .

٢٠ يريد : وثملها أثبته داراً : ثملها من قولك : أنت ثمال المساكين أي غياثهم وعصمتهم ، يقال : بحر ثمال (لعلها نحن ثمال) ثم قال : فروع عوالي الغاب أكرمها ثملا ؛ أي خيرها معتصماً ومستظلاً لمن يقصدها .

٢١ النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن وسيء .

٢٢ الجبل : الساحة ، والجمع أجبل وجبول .

٢٣ السخل : جمع سخلة وهي ولد الشاة .

٢٤ سواء : مستوون ، وإذا ضرب العرب المثل للاستواء في الشر قالوا : « سواسية كأسنان الحمار » .

٢٥ وما حَسبَتْ ضَمْرِيّةٌ جَدَوِيّةٌ   سوى التَّيْس ذي القرنَين أنّ لها بعلا

٢٦ فأبلِغْ لي َ الذّفراء والجهْلُ كاسْمِهِ   ومَن يغوِ لا يَعْدَمْ على غيّه عَذْلا

---

٢٥ الأغاني ٢١ : ١٠٨ : حدرية .

---

٢٥ جدوية : نسبة إلى جدي بن ضمرة بن بكر بن كنانة ؛ وقيل إن الأحوص انتقد كثيّراً في هذا البيت وقال له « أتذكر امرأة تنسب بها في شعرك وتستغزر لها الغيث في أول شعرك وتحمل عليها التيس في آخره ؟ ! » قال : فأطرق وذلّ وسكن (الأغاني ١٢ : ١٠٨) . وقوله « وتستغزر لها الغيث في أول شعرك » قد يدلّ على أن كثيراً أطنب في وصف الغيث في فاتحة هذه القصيدة ولم يصلنا من ذلك إلا بيتان .

٢٦ الذفراء : ذات الرائحة الخبيثة .

تخريج القصيدة ٧٦

قد نسبت له في حماسة الشجري (: ٥٤) ثلاثة أبيات على الوزن والروي ، ولكنها من قصيدة للأفوه الأودي انتحل منها كثير البيت الأول في قصيدته هذه ، والأبيات :

ونحن غَيارى دونَ كل خريدةٍ　　تكنُّ أديماً واضحاً وشوًى عبلا
ويُؤخذُ منّا العقلُ دونَ دمائنا　　ونأبى فلا نَستْاقُ من دمنا عقلا
ونحمي إذا اشتدَّ الهياج نساءنا　　ولم يرَ ذو عينٍ لنسوتنا حجلا

والثاني من هذه الأبيات هو رقم ١٨ في القصيدة كما أورده العمري في المسالك ، والأرجح أن كثيراً استعار عدداً من أبيات قصيدة الأفوه أو خلطها الرواة بها .

الأبيات ١ – ٤ في المنازل والديار : ٩٢ ب
» ١ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ في الأغاني ١٢ : ١٦٣
» ٩ ، ١٠ ، ٦ – ٨ في الأغاني ١٥ : ١٠٦ وتزيين الأسواق ١ : ١٤٢
» ١ ، ٢ ، ٢٥ في الأغاني ١٢ : ١٠٨
» ١٢ – ١٩ في المسالك ١٤ : ٧١
البيتان ٦ ، ٧ في أمالي القالي ٢ : ١٢٦
» ١١ ، ١٢ في ياقوت ٢ : ٤٨٠
البيت ٥ في ياقوت ٤ : ٧٦٨ ، ١٠٢٦ والمغانم : ٤٠٧ ، ٤٣٩ والبكري : ١٣٠٣ والخصائص ٢ : ٢٩٨ والأشباه ١ : ١٢٥ (وقافيته : رقدا)
» ٦ في الأغاني ١٥ : ١٠٥
» ١٤ في اللسان والتاج (خرق)
» ١٩ في المعاني الكبير : ٩٩٤
» ٢٠ في المعاني الكبير : ١٠٩١
» ٢٢ في اللسان (جبل)
» ٢٤ في اللسان (سوى) والعيون ٢ : ٢ والشريشي ١ : ٦٢ وفصل المقال : ١٦٧ (دون نسبة)
» ٢٥ في الأغاني ١ : ٣٣٨
» ٢٦ في حماسة البحتري : ٢٣٦

٧٧

وقال يهجو بني ضمرة :

١ لا بأس بالبَزْواء أرْضاً لوآنّها تُطَهَّرُ مِنْ آثارِهِمْ فتطيبُ

٢ إذا مدحَ البكْريُّ عِندكَ نَفْسه فقُلْ كذبَ البكْرِيُّ وهو كذوبُ

٣ هوالتّيسُ لؤماً وَهْوَ إنْ راء غفلةً من الجارِ أو بعْضِ الصّحابةِ ذيبُ

---

١ البزواء : قرب المدينة ، بلدة بيضاء مرتفعة من الساحل بين الجار وودّان وغيقة ، من أشد بلاد الله حرّاً ، كان يسكنها بنو ضمرة من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، رهط عزّة صاحبة كثير .

٢ البكري : المنسوب إلى بني بكر بن عبد مناة بن كنانة .

تخريج القصيدة ٧٧

الأبيات ١ – ٣ في ياقوت (البزواء)

البيت ١ في السمهودي ٢ : ٢٦٠ والعباسي : ٢٧٧

٧٨

وقال :

١ ولَوْلا حبّكُم لتضاعفَتْني هضيمُ الكَشْحِ طيِّعةُ العناقِ

٢ كأن مغارزَ الأنيابِ منها إذا ما الصُّبْحُ نَوَّرَ لانْفلاقِ

٣ صَليتُ غَمامةٍ بجَناةِ نَحْلٍ صَفاةِ اللّوْن طيّبَةِ المَذاقِ

* * *

٤ مَقيلي كلّ هاجرة صخودٍ على هوجاءَ لاحقةِ الصفاقِ

٥ قضَيْتُ لُبانَتي وصرَمْتُ أمْري وعدّيْتُ المطيّةَ في بُساقِ

٦ وكم قد جاوَزَتْ نِقْضي إليكُمْ مِنَ الحُزُزِ الأماعزِ والبِراقِ

* * *

---

١ تضاعفه : أدى به إلى الضعف ؛ هضيم الكشح : ضامره ؛ الكشح : الخصر .

٣ صليت : صبيب ، يعني الماء ؛ صفاة اللون : قال ابن سيده قيل في تفسيره صافية ، قال : وهو عندي فَعِلَة على النسب كأنّه قال « صَفِيّة » ، قلب إلى « صفاة » .

٤ صخود : شديدة الحرّ ؛ الصفاق : مراق البطن ؛ يريد أنّه يتحمّل المشقّات في الأسفار فهو يقيل في الهاجرة ذات الحرارة الشديدة على ناقة ضامرة لشدة ما تحملت من مصاعب السير .

٥ لبانتي : حاجّتي ؛ بساق — بالسين وبالصاد — : جبل بين أيلة والتيه ؛ وفي التاج أن بساق جمع بسقة وهي الحرة .

٦ النقض : الناقة التي أضناها السفر ؛ الحزز : جمع حزيز وهو ما غلظ وصلب من جلد الأرض مع إشراف قليل ؛ والبراق : جمع برقة وهي غلظ فيه حجارة وطين ؛ والأماعز : جمع أمعز وهو الأرض الغليظة الصلبة .

٧ هـلال عشيّةٍ لشفا غروبٍ تسرَّر ليلَةً بَعدَ المحاقِ

* * *

٨ إذا ضَمرِيّةٌ عَطَسَتْ فنِكْها فإنَّ عُطاسها طرَفُ الوِداقِ

---

٨ الوداق في كل ذات حافر : اشتهاء الفحل .

تخريج القصيدة ٧٨

البيتان ٢ ، ٣ في اللسان (صفا)

البيت ١ في ابن جني ٢ : ١٠٩ ب

» ٤ في ابن جني ٣ : ٣٢ ب

» ٥ في التاج (بسق)

» ٧ في الأزمنة والأمكنة ٢ : ٥٤

» ٨ في الأغاني ١٢ : ١٨١

٧٩

وقال :

١ توهّمتُ بالخيفِ رَسْماً مُحيلا لعزّةَ تعرِفُ منهُ الطّلولا

٢ تبدّلَ بالحيّ صوتَ الصَّدى ونوحَ الحمامةِ تَدْعو هَديلا

٣ مَتى أرينَّ كما قد أرى لعَزَّةَ بالمحْوِ يوماً حُمولا

٤ بقاعِ النّقيعِ فَحِصْنِ الحمى يُباهينَ بالرَّقْمِ غيماً مُخيلا

---

٣ السمهودي : فهل أرين . . . رأيت . . . بالنعف .

٤ السمهودي : بصحن .

---

١ قال أبو الفرج (٨ : ٣٧٦) : الخيف الذي عناه كثير ليس بخيف منى بل هو موضع آخر من بلاد ضمرة ؛ وقال البكري : هو خيف سلام وسكانه خزاعة ؛ محيلاً : أتى عليه حول ؛ والفرق بين الطلل والرسم أن الأول له شخص ماثل وجسم عال والرسم لا يكون له شخص وجسم عال .

٢ الصدى : ذكر البوم ؛ والهديل : ذكر الحمام .

٣ المحو : اسم موضع من ناحية ساية .

٤ النقيع : من أودية الحجاز يدفع سيله إلى المدينة ويسلكه العرب إلى مكة ولا يزال معروفاً بهذا الاسم . وحمى النقيع على عشرين فرسخاً أو نحو ذلك من المدينة ؛ الرقم : البرود المرقومة ؛ مخيلاً : واعداً بالمطر .

٥ أنحنَ القُرونَ فغَلّلْنَهَـــا كعقلِ العسيفِ غرابيبَ مِيلا

* * *

٦ كأني أكُفُّ وقد أمْعَنَتْ بها مِنْ سُميحَةَ غَرْباً سَجيلا

* * *

٧ وما أُمّ خِشْفٍ ترَعّى بهِ أراكاً عميماً ودَوْحاً ظَليلا

٨ وإن هيَ قامَتْ فما أثْلَةٌ بعَلْيا تُناوِحُ ريحاً أصيلا

٩ بأحسنَ منها ، وإن أدبرَتْ فإرخٌ بجُبّةَ تَقرو خَميلا

١٠ يجـولُ الوشاحُ بأقْـرابِهـا وتأبى خلاخلُها أن تجولا

* * *

١١ وتمشي الهوَيْنا إذا أقبلت كمـا يهرَ الجزعَ سيلاً ثقيلا

---

٥ القرون : جمع قرن وهو خصلة الشعر ؛ غللنها : حشونها بالطيب وقيدنها ؛ العسيف : الأجير ؛ العقل : الربط والعقد ؛ الغرابيب : السود يعني أغصان العنب ؛ الميل : المائلة .

٦ أمعنت : اشتد سكبها ، والضمير يعود إلى العين ، ولم تذكر فيما تقدم ، وهو يتحدث عن غزارة دموعه ويشبهها حين يكفها بماء سجلٍ كبير يستقي به من سميحة . سميحة : بئر قديمة بالمدينة غزيرة الماء ؛ الغرب : الدلو العظيمة ؛ السجيل : الممتلىء .

٧ أم خشف : ظبية ، فالخشف ولدها ؛ العميم : الطويل .

٨ الأثلة : واحدة الأثل وهو عضاه طوال في السماء مستطيل الخشب ، ولسمو الأثلة واستوائها واعتدالها شبه الشعراء المرأة إذا تمّ قوامها واستوى خلقها بها . تناوح : تقابل .

٩ الإرخ : الفتيّ من البقر (قارن بالإغريقية auerochs) . جبة : موضع ؛ تقرو : تتبع .

١٠ الأقراب : جمع قرب وهو الخاصرة ، يريد أنها ضامرة البطن مفعمة الساقين .

١١ شبه مشي امرأة ثقال بتدافع السيل إذا تلقاه الجزع – جزع الوادي – وهو منعطفه ، وهناك يكون السيل غاية في البطء ؛ ثم وضح الصورة في البيت التالي .

١٢ فطوراً يسيلُ على قَصْدِهِ وطوراً يراجعُ كي لا يسيلا

١٣ كما مال أبيضُ ذو نشوةٍ بِصَرْخَدَ باكرَ كأساً شَمولا

١٤ فإن شئتَ قُلتَ لَهُ صادِقاً وجدتُكَ بالقُفِّ ضَبّاً جَحولا

١٥ من اللاّء يحفِرْنَ تحتَ الكُدى ولا يبتغينَ الدِّماثَ السُّهولا

١٦ وجرَّبتَ صِدقيَ عندَ الحفاظِ ولكنْ تعاشيتَ أو كنتَ فيلا

---

١٣ أبيض : يعني رجلاً كريماً سخياً بماله ؛ صرخد : بلد بالشام كان مشهوراً بالخمر ؛ شبه تعرّج السيل في تدافعه بتمايل امرىء قد سكر .

١٤ انتقل هنا إلى موضوع جديد لعلّه هو الموضوع الرئيسي في القصيدة . القف : ما ارتفع من الأرض وصلب ؛ الجحول : العظيم من الضباب .

١٥ الكدى : جمع كدية وهي الموضع الصلب المرتفع عن المسيل ؛ الدماث : الأراضي السهلة . قال الجاحظ : من كيس الضبّ أنّه لا يتخذ جحره إلا في كدية ، وقال ابن قتيبة : إنّما يحفر في الصلابة خوفاً من انهيار الجحر عليه (المعاني الكبير : ٦٤٣) ؛ قال الشاعر :

ويحفر في الكدى خوف انهيار ويجعل بيته رأس الوجين

تخريج القصيدة ٧٩

البيتان ١ ، ٢ في الأغاني ٨ : ٣٧٦
« ٣ ، ٤ في ياقوت ٤ : ٢٣٣ والحازمي (محو) والسمهودي ٢ : ٢٢٦
« ٧ ، ٨ في اللسان (أثل) وثمار القلوب : ٤١٤
« ١١ ، ١٢ في المخصص ٩ : ١٢٨ (دون نسبة)
« ١٤ ، ١٥ في المعاني الكبير : ٦٤٣ والحيوان ٦ : ٤٠
البيت ١ في الأغاني ٩ : ٣٣٨ والبكري : ٣٨٧
« ٥ في المفضليات : ٣٨٤
« ٦ في ياقوت ٣ : ١٤٧ والسمهودي ٢ : ٣٢٤ والعباسي : ٣٤٦ والحازمي (سميحة)
« ٩ في ياقوت ٢ : ٣١
« ١٠ في الموازنة ١ : ١٤٧ والصناعتين : ١٢١
« ١٢ في الموازنة ١ : ٤١١
« ١٣ في البكري : ٨٣١
« ١٦ في ابن جني ٢ : ٥ ب

٨٠

اجتمع عمر وجميل وكثيّر على باب عبد الملك ، فلمّا أذن لهم : قال لهم أنشدوني أرقّ ما قلتم في القوافي ، فأنشده كثيّر (أمالي القالي ٣ : ٦٧) :

١ بأبي وأُمّي أنتِ مِنْ مَظْلومةٍ طَبِنَ العدوُّ لها فغيّرَ حالها

٢ لوأنّ عزّة خاصمتْ شمسَ الضُّحى في الحسْنِ عندَ موَفّقٍ لقَضى لها

٣ وسعى إليّ بِصَرْمِ عزّةَ نسْوَةٌ جعلَ المليكُ خدودَهُنّ نِعالها

---

٢ الشعر والشعراء : ولو آنّ .

٣ الشعر والشعراء : ومشى إليّ ؛ ابن جني وتمام المتون : بعيب عزّة ، جعل الإله .

---

١ طبن لها : خدعها ، تأتى لخدعها بفطنة .

٢ موفق : قاض موفق مسدّد في أحكامه ملهم للعدل والخير .

٣ المليك : الله سبحانه وتعالى .

تخريج القصيدة ٨٠

الأبيات ١ – ٣ في أمالي القالي ٣ : ٦٧ وتزيين الأسواق ٢ : ١١٣

البيتان ٢ ، ٣ في الشعر والشعراء : ٤٢٢ وابن جني ١ : ٢٥ وتمام المتون : ٢٢٧

٨١

وقال * :

١ ما عناكَ الغداةَ منْ أطلالِ   دارساتِ المقامِ مُذْ أحوالِ
٢ باديَ الرَّبع والمعارفِ منها   غيرَ رسْمٍ كعُصْبَةِ الأغيالِ
٣ ما ترى العينُ حولها مِن أنيسٍ   قُرُبَها غيرَ رابداتِ الرِّئالِ

* * *

٤ يا خليلي الغداةَ إنَّ دموعي   سبَقَتْ لمحَ طرْفها بانْهِمالِ

---

* تغزّل عمر بن أبي ربيعة برملة بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات حين حجت ، فبلغت أبياته كثيّراً ، فغضب وذكر نسوة من قريش فساقهن في شعره من الحج حتى بلغ بهن إلى ملل ثم أشفق فجاز ولم يزد على ذلك ، وهو قوله في قصيدته التي أولها « ما عناك الغداة من أطلال » (الأغاني ١ : ٢٠٥ – ٢٠٦) .

١ عناك : همّك وأتعبك ؛ أحوال : جمع حول وهو العام .

٢ العصبة : هنة تلتف على القتادة لا تنزع عنها إلا بعد جهد ، قال صاحب التاج : هكذا في النسخ الكثيرة وهو الصواب ، وفي بعضها : على الفتاة ، وفي أخرى : القناة ، وكلاهما تحريف . الأغيال : جمع غيل وهو الغابة .

٣ الرئال : جمع رأل وهو ولد النعامة ؛ الرابدات : التي في سوادها نقط بيض أو حمر ، قال الجاحظ : وصف بلاداً قفاراً غير مأنوسة فقال : «ما ترى العين ... البيت ، خصها بذكر لأنها أنفر وأشرد وأقل أنساً من جميع الوحوش ، وقد تكون الرابدات بمعنى المقيمات .

٥ قُمْ تأمَّلْ وأنتَ أبصَرُ منّي هلْ ترى بالغميمِ مِنْ أجمالِ

٦ قاضياتٍ لُبانةً من مُنـاخٍ وطوافٍ وموقفٍ بالجبالِ

٧ حُزِيَتْ لي بحَزْمِ فَيْدَةَ تُحدى كاليهوديّ مِن نَطاةِ الرِّقالِ

٨ قِلْنَ عُسفانَ ثمَّ رُحنَ سِراعاً طالعاتٍ عشيّةً مِن غزال

---

٥ المغانم : فأنت .

٦ المغانم : بالحيال .

٧ المغانم : قيدة تخدي .

٨ الأغاني : هابطات .

---

٥ الغميم : قرب المدينة بين رابغ والجحفة ، وهناك مكان آخر يدعى الغميم بين عسفان ومرّ الظهران ، وهو واد فيه جبل يقال له : كراع الغميم ، والأول هو المقصود في شعر كثيّر حسب تحديد الجغرافيين .

٧ حزيت : رفعت ، حزاها الآل ، أي السراب ؛ حزم فيدة : موضع ؛ نطاة : عين تسقي بعض نخيل خيبر ؛ والرقال : جمع رقلة وهي النخلة إذا ارتفعت ففاتت اليد ، وقال في التهذيب : الرقال من نخيل نطاة وهي عين بخيبر ؛ كاليهودي : كتحدي اليهودي (؟) — كذا في ياقوت — وفي اللسان (رقل) كنخل اليهودي ؛ شبه الظعن بالنخل في خيبر .

٨ عسفان : قرية جامعة كانت لبني المصطلق من خزاعة كثيرة الآبار والحياض تقع بين الجحفة ومكة ، من مكة على مرحلتين في طريق المدينة ومنها إلى بطن مرّ ثلاثة وعشرون ميلاً ؛ وقرية عسفان لا تزال معروفة إلى اليوم . غزال : واد لخزاعة أو ثنية بين الجحفة وعسفان ، قال عرام : وعلى الطريق من ثنية هرشى بينها وبين الجحفة ثلاثة أودية مسميات منها غزال . . الخ . قلن : قضين وقت القيلولة .

٩ قارِضاتِ الكَدِيدِ مُجتزِعاتٍ   كلَّ وادي الجُحوف بالأثْقالِ
١٠ قصْدَ لَفْتٍ وهُنَّ مُتّسقاتٌ   كالعَدَوْليِّ لاحِقاتِ التّوالي
١١ حينَ وركّنَ دوّةً بيمينٍ   وسُرَيْرَ البُضَيعِ ذاتَ الشّمالِ
١٢ جُزْن وادي المِياهِ مُحْتضِراتٍ   مَدرَجَ العَرْجِ سالكاتِ الخلالِ
١٣ والعُبَيْلاءُ منْهُمُ بيَسارٍ   وتركْنَ العقيق ذاتَ النّصالِ

---

٩ الأغاني : واردات . . .جزن وادي الحجون .

---

٩ قارضات : مائلات ؛ الكديد : موضع بين مكّة والمدينة ، بين منزلتي أمج وعسفان ، بينه وبين عسفان سبعة أميال ، وهو ماء عين جارية عليها نخل كثير ؛ اجتزع : قطع ؛ وادي الجحوف : لعله يعني ما يشمل الجحفة وما يليها ؛ وفي الأغاني « الحجون » .

١٠ لفت — بكسر اللام — ثنية بين مكة والمدينة ، ويروى : لفت — بفتحها — وكذلك ضبطه الحازمي ؛ وقال ياقوت نقلاً عن الحازمي : لفت واد قريب من هرشى ، عقبة بالحجاز بين مكة والمدينة ؛ وقد وقع الخلاف بين لقف ولفت ، وهما موضعان ، ولقف بعد عقبة هرشى للمتوجه إلى المدينة ولا يزال معروفاً إلى اليوم ، العدوليّ : السفن المنسوبة إلى عدولى بالبحرين .

١١ وركّن : جعلن حيال وركها أو عدلن ؛ دوّة : موضع تلقاء البضيع من وراء الجحفة بستة أميال ؛ والسرير (مصغراً) واد بالحجاز قريب من المدينة وهو أيضاً بقرب الجار ، والبضيع : ظريب عن يسار الجار أسفل من عين الغفاريين واسم العين النجح .

١٢ محتضرات : حاضرات على الماء ؛ المدرج : الطريق ؛ العرج : قيل إنّه عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، وذكر السمهودي أن العرج الذي بين مكة والمدينة قرية جامعة ، قال : وعقبة العرج على أحد عشر ميلاً من الرويثة ويقال لها المدارج . والخلال : الطرق النافذة بين الرمال .

١٣ العبيلاء : هضبة ولعله أراد العبلاء فصغّر ، والعبلاء من أعمال المدينة . وذات النصال : موضع .

١٤ طالعاتِ الغميسِ مِن عَبّودٍ سالكاتِ الخويَّ مِن أمْلالِ

١٥ وطوَتْ جانبيْ كُتانةَ طَيّاً فجَنوبَ الحمى فذاتَ النّضالِ

١٦ فسقى اللهُ مُنتوى أمّ عَمْرٍو حَيْثُ أمّتْ بهِ صدورُ الرّحالِ

* * *

١٧ تَسمعُ الرّعدَ في المَخيلةِ منها مِثْلَ هَزْمِ القُرومِ في الأشوالِ

---

١٥ الحازمي : فجبوب الحمى فذات الضال ؛ المغانم : النصال .

١٦ ابن جني : فسقى الغيث ، صدور الركاب .

---

١٤ الغميس : موضع ، قال ابن إسحاق في غزاة بدر « مرَّ النبي صلى الله عليه وسلّم على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام » – بفتح الغين – . وعبود : جبل في فرش ملل ، وفي ياقوت (٣ : ٦٠٩) عبّوس . والخويّ بالعقيق ، قال ابن حبيب ويقال : الخوي هو العقيق ، قال القالي ويقال : الحوي – بالحاء المهملة . أملال : أراد « ملل » فجمعها بما حولها ؛ وفي ياقوت : خوي : واد بناحية الحمى .

١٥ كتانة – قال ابن السكيت – : عين بين الصفراء والأثيل ، وقال ابن السكيت أيضاً : كتانتان هضبتان مشرفتان على الجار من جانب الرمل ، وقيل كتانة اسم جبل هناك . وقال الحازمي : ناحية من أعراض المدينة لآل جعفر بن أبي طالب .

١٧ انتقل في هذا البيت وما يليه إلى وصف السحاب والمطر وقد مهّد له بذكر السقيا ، وسقطت أبيات قبل هذا . قال البكري (السمط : ٤٤) المخيلة : هي ذات الخلاقة بالمطر يريد سحابة ذات مخيلة (بفتح الميم) ، ويقال : أخالت إذا تخيل فيها المطر فهي مخيلة (بضم الميم) والبيت يحتملهما ؛ إلا أن الرواية بالفتح عن أبي علي (القالي) ورواهما اليزيدي معاً في شعر كثيّر ، اهـ . هزم : صوت ؛ القروم : الفحول ؛ الأشوال : جمع شول وهو جمع شائلة وهي الناقة التي بعد عهدها بالنتاج حوالي سبعة أشهر أو ثمانية .

١٨ وترى البَرْقَ عارضاً مُسْتطيراً مرَحَ البُلْقِ جُلْنَ في الأجلالِ

١٩ أو مصابيحَ راهبٍ في يَفاعٍ سَغَّمَ الزَّيتَ ساطعاتِ الذُّبالِ

٢٠ حبّذا هنَّ من لُبانةِ قلبي وجديدُ الشّبابِ منْ سِرْبالي

٢١ ربَّ يومٍ أتيتهنَّ جميعاً عند بيضاءَ رَخْصَةٍ مِكْسالِ

٢٢ غيرَ أني امرؤ تعمّمتُ حلماً يكرهُ الجهلَ والصِّبا أمثالي

٢٣ ويُلامُ الحليمُ إنْ هو يوماً راجعَ الجهلَ بعد شَيْبِ القَذالِ

---

٢٠ المسالك : لبانة نفس .

---

١٨ البلق : جمع أبلق وهو الذي في لونه بلق أي سواد وبياض ؛ والأجلال : جمع جل وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

١٩ يفاع : موضع مرتفع ؛ سغّم وسعم : روّى وأحسن الغذاء ؛ أي غذّى الذبالة بالزيت تغذية وافرة فاشتدّ لهبها ودام .

تخريج القصيدة ٨١

الأبيات ١ ، ٥ ، ٦ ، ٨ – ١٠ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢١ – ٢٣ في الأغاني ١ : ٢٠٦
» ٤ – ١٤ في صفة الهمداني : ٢٢٧
» ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ في المسالك ١٤ : ٦٩
» ٥ ، ٦ ، ١٦ في ياقوت ٣ : ٨١٨ والمغانم : ٣٠٦
» ١١ ، ١٣ ، ١٤ في البكري : ٥٦٨
» ١٨ – ٢٠ في أمالي القالي ١ : ١٧٦
البيتان ٨ ، ١٠ في ياقوت ٣ : ٧٩٧ والبكري : ٩٩٦
» ١٨ ، ١٩ في التشبيهات : ٦١ وحماسة الشجري : ٢٢٩ (منسوبين للبيد فيها) ورفع الحجب ٢ : ٣٢ (للبيد أيضاً) وسرور النفس : ٢٨٧
البيت ٢ في اللسان والتاج (عصب)
» ٣ في الحيوان ٤ : ٤٢١
» ٧ في ياقوت ٢ : ٢٥٩ ، ٣ : ٩٢٨ ، ٤ : ٧٩٢ والحازمي (فيدة) واللسان (رقل) وابن يعيش ١ : ٣٤٣ والمغانم : ٤١٢
» ١٠ في ياقوت ٤ : ٣٦١ والحازمي (لفت) والمغانم : ٣٦٤
» ١١ في ياقوت ٣ : ٨٨ والحازمي (سرير) والمغانم : ١٧٧
» ١٢ في ابن جني ١ : ٣٣/أ
» ١٣ في ياقوت ٣ : ٦١٠
» ١٤ في ياقوت ٢ : ٥٠٢ ، ٣ : ٦٠٩ والبكري : ٥٢٠
» ١٥ في ياقوت ٤ : ٢٣٥ والحازمي (كتانة) والمغانم : ٣٦٥
» ١٦ في ابن جني ٣ : ٧٢ ب
» ١٨ في السمط : ٤٤٠
» ١٩ في أسرار البلاغة : ١٥٧ واللسان (جلل) والوساطة : ١٨٦
» ٢٠ في البارع : ٥٥ واللسان والتاج (سغم) والمخصص ١ : ٢٨ والعجز وحده في المخصص ١١ : ٣٩ (دون نسبة)

قال سائب راوية كثير (الأغاني ٩ : ٢١٦) : كنت مع كثيّر عند ظلاّمة ، فأقمنا أياماً ، فلما أردنا الانصراف عقدت له في عِلاقة سوطه عقداً وقالت : احفظها ، ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبني ضمرة ، فقال : إن في هذه الأخبية جارية ظريفة ذات جمال ، فهل لك أن تستبرزها ؟ فقلت : ذاك إليك ، قال : فملنا إليهم فخرجت إلينا جاريتها فأخرجتها ، فإذا هي عزة ، فجلس معها يحادثها وطرح سوطه بينه وبينها ، إلى أن غلبته عيناه ، وأقبلت عزّة على تلك العقد تحلها واحدة واحدة ، فلما استيقظ انصرفنا ، فنظر إلى علاقة سوطه فقال : أحلّتها ؟ قلت : نعم ، فلا وصلها الله ، والله إنّك لمجنون ، قال : فسكت عني طويلاً ثم رفع السوط فضرب به واسطة رحله وأنشأ يقول :

١ تقطّعَ مِن ظلاّمَةَ الوَصْلُ أجمَعُ أخيراً على أن لم يكُنْ يتقَطّعُ

٢ وأصبحتُ قد ودّعتُ ظلاّمة التي تضُرُّ وما كانتْ معَ الضّرّ تنْفَعُ

٣ وقد شبَّ مِن أترابِ ظلاّمَةَ الدمى غرائرُ أبكارٌ لعينيكَ مَقْنَعُ

* * *

٤ كأنَّ أُنـاساً لمْ يحُلّوا بتَلْعةٍ فيُمْسوا ومَغْناهُمْ من الدارِ بَلْقَعُ

---

٣ الأغاني :

وقد سدّ من أبواب ظلامة التي لنا خلف للنفس منها ومقنع

٤ ياقوت : فيسموا (وهو خطأ) .

---

٣ في رواية الأغاني : وقد سدّ . . . التي : سدّ – على البناء للمعلوم – وفاعله التي ، أي أن التي لنا خلف للنفس منها ومقنع – يعني عزّة – قد حالت بيننا وبين ظلامة ، وقد قال السائب راوية كثير بعد أن روى القصة المتقدمة : « ثم وصل عزّة بعد ذلك وقطع ظلامة » .

٥ ويَمْرُرُ عليها فرْط عامينِ قد خلتْ وللوَحْشِ فيها مُسْتَرادٌ ومَرْتَعُ

٦ إذا ما عَلَتْها الشّمسُ ظلّ حَمامُها على مُستقلاّتِ الغضا يتفجّعُ

٧ ومنها بأجزاعِ المقاريبِ دِمنَةٌ وبالسّفح مِن فُرْعانَ آلٌ مُصرَّعُ

٨ مَغاني ديارٍ لا تزالُ كأنّها بأفنيةِ الشُّطّانِ رَيْطٌ مُضَلَّعُ

٩ وفي رَسْمِ دارٍ بينَ شوْطانَ قد خلتْ ومرَّ بها عامانِ عينُكَ تَدْمَعُ

١٠ إذا قيل مَهْلاً بعض وجدكَ لا تُشِدْ بسِرّكَ لا يُسمعْ حديثٌ فيُرْفعُ

---

٥ ياقوت : مستزارٌ .

٨ اللسان والتاج (شطط) : وباقي رسوم . . . بأصعدة ؛ البكري : بأصعدة الشطان ؛ الموازنة : بأصعدة الشطّار .

---

٥ الفرط : الحين والمدة ، تقول : لقيته في الفرط بعد الفرط أي في الحين بعد الحين ؛ وقال بعض العرب : مضيت فَرْطَ ساعةٍ . . . الخ ، فتكون فرط هنا بمعنى « مذ » . مستراد : موضع للريادة والجولان .

٦ المستقلات : المرتفعات المنيفات ؛ الغضا : شجر عظيم من الأثل .

٧ المقاريب : اسم موضع من نواحي المدينة ؛ وفرعان : جبل من ذي خشب يتبدّى إليه الناس ؛ والآل : أعواد الخيمة ؛ مصرّع : ملقى على الأرض أو مطروح .

٨ الشطان : ـــ بوزن رمان ـــ واد من أودية المدينة ؛ ويقال هو بين الأبواء والجحفة . الريط : جمع ريطة وهي الملاءة ؛ مضلع : مخطط .

٩ شوطان : ـــ بوزن سكران ـــ موضع ؛ كأنّه يستنكر أن يحدث ذلك ؛ والمألوف أن يقال « أفي رسم دار » .

١٠ لا تُشد : من أشاد ، بمعنى رفع صوته ، قال الأصمعي : كل شيء رفعت به صوتك فقد أشدت به .

١١ أتَتْ عبراتٌ مِنْ سَجومٍ كأنّــهُ غمامةُ دجْنٍ إستهَلَّ فيُقْلِـعُ
١٢ وأخرى حبستَ الركبَ يوم سُوَيْقةٍ بهـا واقفاً أنْ هاجكَ المُتربَّـعُ
١٣ لعينكَ تلكَ العيرُ حتّى تغَيّبَتْ وحتّى أتى مِنْ دونها الحبّ أجْمعُ
١٤ وحتّى أجازَتْ بَطْنَ ضاسٍ ودونها رِعانٌ فهَضْبا ذي النُّجيلِ فينْبُعُ

---

١٣ السمهودي والمغانم : الحبت .

١٤ المغانم والسمهودي : دعان ؛ السمهودي : ذي النخيل .

---

١١ سجوم : يعني عينه ، والعين السجوم : التي تغزر دموعها وتسترسل ؛ غمامة دجن : سحابة كثيرة المطر ؛ قوله « استهلّ فيقلع » لعلّ صوابه « تستهل وتقلع » أي تصب وتكف ، على أن يعود الضمير إلى « غمامة » لا إلى دجن .

١٢ وأُخرى : عطف على قوله « وفي رسم دار » في البيت التاسع ؛ سويقة : على مقربة من المدينة ؛ المتربع : المكان الذي كان يحله الناس ، أي الربع .

١٣ لعينك : كذا ورد في ياقوت وأظن صوابه « بعينك » يعني تحت بصرك ، وهو يصف الظعائن ورحلتهن ، وقبل البيت ربما كانت أبيات ساقطة . الحبّ : بالمهملة — كما ورد في ياقوت — لا معنى له ؛ وهو « الخبّ » ، اسم موضع بالعقيق ، أي حال هذا الموضع بينك وبين الظعن ؛ وفي السمهودي والمغانم « الحبت » .

١٤ ضاس : موضع بين المدينة وينبع ؛ رعان : اسم لموضع فيه عين ونخيل بين الصفراء وينبع ، وعند السمهودي وصاحب المغانم : « دعان » وقال السمهودي إنّه بين المدينة وينبع ؛ وقد ذكر ياقوت « دعان » في شعر كثير واستشهد عليه بقوله :

ولقد شأتك حمولها يوم استوت بالفرع بـين حفيّن ودع

ولكنه أورد في باب الراء « رعان » واستشهد عليه بقول كثير : « وحتّى أجـ
والنجيل ، من أعراض المدينة من ينبع .

١٥ وأعرَض من رَضْوى من الليلِ دونَها هضابٌ ترُدُّ العينَ ممّنْ يُشَيِّعُ

١٦ إذا أتْبعَتْهُمْ طرْفَها حال دونَها رذاذٌ على إنْسانِها يتربّعُ

١٧ (فإن يَكُ جُثْماني بأرضٍ سواكُمُ فإنَّ فؤادي عندكِ الدَّهرَ أجمعُ)

١٨ إذا قلتُ هذا حينَ أسْلو ذكرتُها فظلّتْ لها نَفْسي تَتوقُ وتنزِعُ

١٩ وقد قَرَعَ الواشونَ فيها لكَ العَصا وإن العصا كانت لذي الحلمِ تُقرَعُ

٢٠ وكنتُ ألومُ الجازِعينَ على البُكا فكيفَ ألومُ الجازعينَ وأجْزَعُ

---

١٥ اللسان (شيع) : مع الليل دونَهم ؛ المغانم : عمن تشيّع .

---

١٥ رضوى : جبل يقع من ينبع على مسيرة يوم ومن المدينة على سبع مراحل ؛ ممّن يشيع : ممن يتبعه طرفه ناظراً .

١٦ طرفها — يعني العين — الرذاذ : القطرات الصغيرة ، والمراد بها هنا الدموع ؛ وفي ياقوت : على أنسابها يتربع ، وهو مصحف عما أثبتناه ؛ يتريّع : يتكاثر ويزداد ؛ يريد أن الدموع تتكاثر على إنسان العين فتحجب رؤية الظعن .

١٧ يروى : بأرضِ سواكم — على الإضافة — ويروى بأرضٍ سواكم ، بتنوين «أرض» يريد بأرض سوى أرضكم فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه (السمط : ٥٠٥) . وهذا البيت من الشواهد النحوية ، والشاهد فيه أن الضمير انتقل من متعلق الظرف إلى الظرف وهو «عندك» ووجه الدلالة أنّه ليس قبل أجمع ما يصح أن يحمل عليه إلا اسم «إنَّ» والضمير الذي في الطرف والدهر ، فاسم إن والدهر منصوبان فبقي حمله على المضمر في عندك (الخزانة ١ : ١٩٠) . وقال البغدادي والبكري إن البيت لجميل بثينة ؛ قال البغدادي : ورأيت في تذكرة أبي حيان أن البيت لكثيّر عزّة ، وقال بعده (وأورد البيت التالي) .

١٩ من أمثالهم «إن العصا قرعت لذي الحلم» ، لأن عمرو بن حممة الدوسي عاش حتى أهتر فقال لابنته : إذا أنكرت من فهمي شيئاً فاقرعي لي المجن بالعصا لأرتدع . وقرعوا لك العصا : نبهوك وحذروك .

٢١ ولي كبدٌ قد بَرَّحتْ بي مريضةٌ إذا سُمتُها الهجرانَ ظلّتْ تَصَدَّعُ

٢٢ (فأصبحتُ مما أحدثَ الدهرُ خاشعاً وكنتُ لريبِ الدَّهرِ لا أتخشّعُ)

٢٣ وعروةُ لم يلقَ الذي قد لقيتُهُ بعفراء والنّهديُّ ما أتفجّعُ

٢٤ وقائلةٍ دَعْ وَصْلَ عَزَّةَ واتّبعْ مودَّةَ أخرى وَابْلُها كيفَ تَصْنعُ

٢٥ أراكَ عليها في المودّةِ زارياً وما نلتَ منها طائلاً حيثُ تسمعُ

٢٦ فقلتُ ذريني بئسَ ما قلتِ إنني على البخلِ منها لا على الجودِ أتبعُ

٢٧ وأعجبَني يا عزَّ منكِ خلائقٌ كرامٌ إذا عُدَّ الخلائقُ أربَعُ

٢٨ دنوُّكِ حتى يذكرَ الجاهلُ الصِّبا ودفعُكِ أسبابَ المُنى حينَ يطْمعُ

٢٩ فوالله ما يَدْري كريمٌ مطَلْتِهِ أيشْتدُّ أن لاقاكِ أمْ يَتَضرَّعُ

٣٠ ومنهُنَّ إكرام الكريم وهفوة الـ لئيمِ وخلاّتُ المَكارِمِ تنفَعُ

٣١ بخلتِ فكانَ البُخْلُ منك سجيةً فليتك ذو لونينِ يعطي ويمنعُ

٣٢ وإنّك إن واصَلْتِ أعلمْتِ بالذي لديْكِ فلَمْ يوجَدْ لكِ الدَّهرَ مطمعُ

٣٣ فيا قَلْبِ كن عنها صبوراً فإنّها يُشيّعُها بالصَّبرِ قلبٌ مُشيَّعُ

---

٢٩ الموازنة : إن لاقاني (وهو خطأ) .

---

٢٢ هذا البيت أيضاً ورد في قصيدة جميل .

٢٣ عروة بن حزام وصاحبته عفراء ؛ والنهديّ : هو عمرو بن عجلان صاحب هند .

٢٩ يشتدّ : يظهر الشدة والصلابة ؛ يتضرع : يتذلل .

٣٠ يبدو وكأن هذا البيت دخيل على السياق .

٣٣ يشيعها : يشجعها ويجرئها ؛ القلب المشيع : الجريء الصبور .

٣٤ وإني على ذاكَ التجلّدِ إنّني مُسِرٌّ هُيامٍ يَسْتَبلُّ ويُرْدَعُ

٣٥ أتى دونَ ما تخشوْنَ مِنْ بثّ سرّكمْ أخو ثقَةٍ سهْلُ الخلائِقِ أروعُ

٣٦ ضَنينٌ ببذْلِ السّرّ سَمْحٌ بغيرِهِ أخو ثقةٍ عَفٌّ الوِصالِ سمَيْدعُ

٣٧ أبى أن يبُثّ الدّهْرَ ما عاش سِرّكُمْ سليماً وما دامَتْ لَهُ الشّمْسُ تطلعُ

٣٨ وإني لأسْتهدي السحائبَ نحوها من المنزلِ الأدنى فتَسْرِي وتُسْرِعُ

---

٣٤ مسر : مخفٍ مكاتم ؛ أي فيه من الهيام داء دخيل ، فهو حيناً يبل منه وحيناً يردع أي ينكس في مرضه .

٣٥ الأروع : الذي يعجبك بحسنه أو الذكي الفؤاد .

٣٦ سميدع : كريم سخي .

٣٧ فيه تقديم وتأخير ، يقول : أبى طول الدهر أن يبث سركم ما عاش سليماً .

تخريج القصيدة ٨٢

الأبيات ١ – ٣ في الأغاني ٩ : ٢١٦

» ٤ – ٨ في ياقوت ٣ : ٨٧٧

» ٤ ، ٥ ، ٨ في البكري : ١١٣

» ٧ – ٩ في البكري : ١٠٢٠

» ٩ – ١١ في ياقوت ٣ : ٣٣٥

» ١٣ – ١٦ في ياقوت ٣ : ٤٦١ والمغانم : ٢٢٦

» ٢٤ – ٢٦ في الزهرة : ٥٥

» ٢٧ – ٣١ في الموشح : ٢٦٧

» ٢٧ – ٢٩ ، ٣٢ في مصارع العشاق ٢ : ٨١

» ٢٧ – ٢٩ في الأغاني ١٦ : ١٠٩ ومحاسن البيهقي : ٢١٥

» ٣٥ – ٣٧ في الموشى : ٣٨

البيتان ١ ، ٢ في الأغاني ٩ : ٢١٥

» ٨ ، ١٢ في ياقوت ٣ : ٢٨٨ والمغانم : ٢٠٣

» ١٣ ، ١٤ في السمهودي ٢ : ٣٣٨

» ١٧ ، ١٨ في الخزانة ١ : ١٩٠

» ٢٠ ، ٣ في نوادر الهجري ، الورقة : ١٤٢ (نسخة القاهرة)

» ٢٠ ، ٢١ في الموازنة ٢ : ١٢٦

» ٢٢ ، ٢٣ في الموشى : ٥٥

» ٢٩ ، ٣١ في الموازنة ٢ : ١٣٠

البيت ٧ في ياقوت ٤ : ٥٨٧ والمغانم : ٣٨٧

» ٨ في الموازنة ١ : ٤٦١ واللسان والتاج (شطط)

» ٩ في التاج (شوط)

» ١٤ في ياقوت ٢ : ٧٩١ ، ٤ : ٧٦٤ والسمهودي ٢ : ٣٨١ والمغانم : ٤٠٦

»   ١٥   في اللسان والتاج (شيع)
»   ١٧   في العيني ١ : ٥٢٥ والسيوطي : ٢٨٦
»   ٣٣   في التاج (شيع)
»   ٣٤   في اللسان والتاج (ردع) ، والعجز في ابن جني ٣ : ١٩١ ب
»   ٣٨   في بديع أسامة : ٢٣

٨٢ ب

وردت هذه القصيدة لكثيّر في الحماسة البصرية (١٥٠ ب) وبعض أبياتها مذكور في القصيدة السابقة ، ولكنا آثرنا إيرادها هنا — دون تغيير في ترتيبها — للاختلاف الكبير بين القصيدتين :

١ إلى الله أشكو لا إلى الناس حبّها ... ولا بدّ من شكوى حبيبٍ مودّعِ

٢ إذا قلتُ هذا حين أسلو ذكرتها ... فظلّت لها نفسي تتوقُ وتنزعُ

٣ ألا تتّقينَ الله في حبّ عاشقٍ ... له كبدٌ حرّى عليكِ تَصَدَّعُ

٤ غريبٌ مشوقٌ مولعٌ بادّكاركم ... وكلّ غريبِ الدار بالشوقِ مولع

٥ وجدت غداة البين إذ بنت زفرة ... وكادت لها نفسي عليك تصدّع

٦ وأصبحتُ مما أحدثَ الدهرُ خاشعاً ... وكنتُ لريبِ الدهر لا اتضعضع

٧ فما في حياةٍ بعد موتك رغبةٌ ... ولا في وصالٍ بعد هجرك مطمع

٨ وما للهوى والحبّ بعدك لذّةٌ ... ومات الهوى والحب بعدك أجمع

٩ إذا قلتُ هذا حين أسلو وأجتري ... على هجرها ظلّتْ لها النفسُ تشفع

١٠ وإن رمتُ نفسي كيف أني هجرتها ... ورمتُ صدوداً ظلت العين تدمع

١١ فيا قلبُ خبرني فلستَ بفاعلٍ ... إذا لم تنلْ واستأسرتْ كيف تصنع

١٢ وقد قرع الواشون منها لك العصا ... وإنّ العصا كانت لذي الحلم تقرع

١٣ فيا ربّ حببني إليها واعطني الـ ... ـمودة منها ، أنت تعطي وتمنع

وأورد له ابن جني (٣ : ١٩٥/أ) من هذا الروي قوله :

وأكتم وداً في الفؤاد مجمجماً ... تضلّعه مني ضميرٌ وأضلع

٨٣

وقال :

١	خليليَّ عوجا منْكُما ساعَةً معي	على الرَّبْعِ نَقضِ حاجةً ونودِّعِ
٢	ولا تُعْجلاني أنْ أُلِمَّ بدِمْنَةٍ	لعَزَّةَ لاحَتْ لي ببَيْداءَ بَلْقعِ
٣	وقولا لقلْبٍ قد سلا راجِعِ الهوى	وللعَينِ أذري مِنْ دُموعِكِ أوْ دعي
٤	فلا عيشَ إلاَّ مِثْلُ عيشٍ مضى لنا	مصيفاً أقَمْنا فيهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبَعِ
٥	تفرَّقَ أُلاَّفُ الحجيجِ على مِنًى	وشتَّتَهُمْ شحطُ النّوى مشيَ أرْبَعِ
٦	فلَمْ أرَ داراً مثلها دارَ غِبطَةٍ	ومَلْقًى إذا التفَّ الحجيجُ بمجْمعِ
٧	أقَلَّ مُقيماً راضياً بمكانهِ	وأكثرَ جاراً ظاعناً لم يوَدِّعِ
	فأصبح لا تَلْقى خِباءً عَهِدْتَهُ	بمَضْرِبه أوتادُهُ لَم تُنْزَعِ

---

٥ ياقوت : تفرق أهواء ؛ مصارع العشاق : أنواع الحجيج ؛ الأغاني : شعب . . . صبح أربع ؛ الأغاني (١٨ : ٢٤٩) : وصدعهم . . . صبح .

---

٤ المصيف : مكان الإقامة في الصيف ، والمربع : مكان الإقامة في الربيع .

٥ مشي أربع : مسافة ما يمشي المرء أربع ليال ؛ صبح أربع : صبح الليلة الرابعة .

٦ مثلها : يعني منًى .

٧ أقلّ مقيماً : نعت للفظة « داراً » و « ملقًى » في البيت السابق .

٩ فشاقوكَ لمّا وجّهوا كلَّ وجهةٍ سِراعاً وخلّوا عَنْ مَنازِلَ بَلْقَعِ

١٠ فريقان : مِنْهُمْ سالكٌ بَطْنَ نخلَةٍ وآخرُ مِنْهُمْ جازِعٌ ظَهْرَ تَضْرُعِ

١١ كأنَّ حُمولَ الحيّ حينَ تحمّلوا صَرِيمَةُ نخلٍ أو صريمَةُ إيدَعِ

١٢ فإنّكَ عَمْري هَلْ أريكَ ظعائِناً غدَوْنَ افْتِراقاً بالخليطِ المودَّعِ

١٣ ركبنَ اتّضاعاً فوْقَ كلّ عُذافِرٍ من العيسِ نضّاحِ المعدّيْنِ مُرْفِعِ

١٤ تَواهَقُ واحتَثَّ الحُداةُ بطاءَها على لاحِبٍ يَعْلو الصَّياهبَ مَهْيَعِ

---

١٠ الأغاني : وآخر منهم سالك ؛ البكري : سالك حزم تضرع ؛ مصارع العشاق : خبت يفرع .

١٢ ياقوت (١ : ٥١١) : غدون افتراعاً .

١٤ التاج : نواهق .

---

٩ وجهوا كل وجهة : ذهبوا في كل سبيل أي تفرقوا .

١٠ بطن نخلة : قرية قريبة من المدينة ؛ تضرع : جبل لكنانة قرب مكة ، قال البكري : أصله « تضروع » فخففوه .

١١ الإيدع : شجر يشبه الدلب إلا أن أغصانه أشد تقارباً من أغصان الدلب ، له ورد أحمر ليس بطيب الريح ولا مثمر . والصريمة : الجماعة والقطعة .

١٣ اتّضاعاً : أخذن برأس البعير وخفضنه ليضعن أقدامهن على عنقه فيركبنه ؛ العذافر : العظيم الشديد من الإبل ، نضاح : كثير العرق ؛ المعدّان : موضع دفتي السرج ؛ مرفع : حثيث السير ، ولم يثبت « أرفع » في اللسان وإنّما أورد « رفع » بمعنى سار سيراً حثيثاً ، ولذا فلعل الصواب « مربع » وهو الجمل الذي بلغ الرابعة من سنّه .

١٤ تواهق : تتبارى ؛ اللاحب : الطريق الواضح ؛ الصياهب : جمع صيهب وهو الموضع الشديد (التاج : صهب) ؛ والمهيع : الطريق البين .

١٥ جعلْنَ أراخيَّ البُحيرِ مكانهُ		إلى كلّ قَرّ مُستطيلٍ مُقَنَّعِ

١٦ وفيهنَّ أشباهُ المها رعَتِ المَلا		نواعمُ بيضٌ في الهوى غيرُ خُرَّعِ

١٧ رمتكَ ابنةُ الضَّمريِّ عزَّةُ بعْدما		أمَتَّ الصّبى ممّا تريشُ بأقْطُعِ

١٨ تَغاطَشُ شَكوانا إليها ولا تعي		مع البُخْلِ أحناء الحديث المُرجَّعِ

* * *

١٩ وتعرَفُ إن ضلّتْ فتُهدَى لربّها		لموضعِ آلاتٍ من الطّلحِ أربَعِ

---

١٥ البكري : النجيل ؛ ياقوت (٤ : ٧٧٠) والمغانم : النخيل ؛ ياقوت (١ : ٥١١) : أراحي البحير .

---

١٥ الأراخي : بطون الأودية ؛ والبحير : عين غزيرة في يليل ، وادي ينبع ، منها شرب أهل الجار ؛ وفي مادة « نخيل » عند ياقوت : نخيل اسم عين قرب المدينة على خمسة أميال ، وأورد بيت كثير هذا شاهداً ؛ وعند البكري : « النجيل » قال : هو موضع أسفل ينبع .

١٦ الملا : اسم موضع ؛ خرّع : جمع خريع ، وهي الناعمة مع فجور ، وقيل الفاجرة من النساء ، وقول كثير يدل عليه لأنّه نفى عنهن المقابح لا المحاسن ، أراد أنهن غير فواجر لا أنهن غير ناعمات ، وأنكر الأصمعي أن تكون الخريع بمعنى الفاجرة ، وقال : هي التي تتثنى من اللين .

١٧ أقطع : جمع قِطْع وهو السهم ، وقوله « أمتَّ الصبى . . . » بمعنى جعلته يموت بسهام مما تريشه عزّة .

١٨ تغاطش : تتغاطش أي تتغافل ؛ أحناء الحديث : أطرافه ونواحيه .

١٩ يقول : هذه الناقة إذا ضلّت عرفت فردّت إلى صاحبها ، وما ذلك إلا لأنها إذا بركت كان أثر قوائمها في الأرض كأثر عيدان من الطلح فيستدل عليها بهذه الآثار . والآلات : الأعواد أو الخشبات التي تبنى عليها الخيمة .

٢٠ وتُؤبَنُ مِن نصّ الهواجرِ والضُّحى بقِدْحينِ فازا مِنْ قداحِ المُقَعْقِعِ
٢١ علَيها ولمّا يبْلُغا كلّ جهدِها وقد أشعَراها في أظلّ ومَدْمَعِ

---

٢٠ تؤبن : تتهم وتزنُّ ؛ نصّ الهواجر والضحى . قال ابن بري : إن الذي وقع في شعر كثير « من نصّ الهواجر والسرى » ؛ والقعقعة : إجالة القداح في الميسر ، والذي يجيلها هو المقعقع . يقول الشاعر : هزلت فكأنّها ضرب عليها بالقداح فخرج المعلّى والرقيب فأخذا لحمها كله ، فازا عليها ، ونسب الأزهري قوله « بقدحين فازا من قداح المقعقع » لابن مقبل ؛ وليس في ديوانه .

٢١ عليها : متعلقة بالفعل فازا في البيت السابق ؛ لما يبلغا كل جهدها : بقي فيها بعد ذلك كله بقية ؛ أشعراها : طعناها في أصل سنامها بحديدة ، يريد أن هذين القدحين قد اتصل عملهما بالأظل وهو باطن المنسم حتى دمي ونقب ، وبالعين حتى دمعت من الإعياء . وقيل : الضمير في أشعراها يعود على الهواجر والضحى (أو على الهواجر والسرى حسبما قال ابن بري) .

تخريج القصيدة ٨٣

الأبيات ١ – ٤ في الأغاني ١ : ٦١
» ١ ، ٣ ، ٤ في الشريشي ١ : ٢٧٧
» ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ في مصارع العشاق ١ : ١٩٩ وتزيين الأسواق ١ : ٥٣
» ٥ ، ١٠ ، ٦ – ٩ في زهر الآداب : ٣٤٩
» ٥ ، ١٠ ، ٦ ، ٧ في الأغاني ١٨ : ٢٤٩
» ١٧ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ في ياقوت ١ : ٥١١
» ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ في اللسان (قعقع)
البيتان ٥ ، ١٠ في ياقوت ١ : ٨٥٣
البيت ٥ في الأغاني ١٨ : ٢٥٠
» ١٠ في البكري : ٣١٣
» ١١ في ياقوت ١ : ٩١٥
» ١٤ في التاج (صهب ، صيب)
» ١٥ في البكري : ١٣٠٠ وياقوت ٤ : ٧٧٠ والمغانم : ٤٠٨
» ١٦ في اللسان (خرع)
» ١٨ في الأساس (غطش)
» ١٩ في اللسان والتاج (أول)
» ٢٠ في التاج (قعقع)

وفي مضاهاة كليلة ودمنة (٢٨) بيتان قد يلحقان بهذه القصيدة إذا ثبتت نسبتهما لكثير وهما :

وغيّرك الواشون لمّا جعلتهم شعاراً بنثٍّ من مقال مشنّعِ
كما غيّر العذبَ الأجاجَ فعافه لتغييره الورّاد في كل مَشْرَعِ

٨٤

وقال :

١ أشاقَكَ برْقٌ آخِرَ اللّيْلِ خافقُ جرى من سَنَاهُ بَيْنَةٌ فالأبارِقُ

٢ قعدْتُ لهُ حتى علا الأفْقَ ماؤهُ وسال بفَعْمِ الوَبْلِ منهُ الدّوافقُ

٣ يرشّحُ نبتاً ناعماً ويزينُهُ ندًى وليالٍ بعدَ ذاكَ طوالِقُ

٤ وكيفَ ترجّيها ومن دون أرْضِها جبالُ الرُّبا تلك الطّوالُ البواسقُ

٥ حواجرُها العُليا وأركانُها التي بها من مَغافيرِ العِنازِ أفارقُ

٦ وأنتِ المُنى يا أُمَّ عمرٍو لوآنّنا نَنالُكِ أو تُدْني نواكِ الصّفائِقُ

---

١ بينة : موضع من الجيّ (الجبى مصحفاً عند البكري) وهو من وادي الرويثة ، والرويثة : متعشى بين العرج والروحاء ؛ وأبارق بينة قرب الرويثة .

٢ الفعم : الممتلىء الغزير ؛ والوبل : أغزر المطر ؛ الدوافق : الأودية المتدفقة بالماء .

٣ الغيث يرشح النبت : يربّيه ؛ والليلة الطلقة : الساكنة المضيئة ، وقيل الطوالق التي لا حرّ فيها ولا برد ، وزعم أبو حنيفة أن واحدة الطوالق « طلقة » وقد غلط لأن فعلة لا تكسّر على فواعل إلا أن يشذ شيء .

٤ الربا : موضع بين الأبواء والسقيا من طريق الجادة بين مكة والمدينة .

٥ يصف جبال الربا التي ذكرها في البيت السابق ؛ يقول كيف ترجيها ومن دون أرضها حواجر جبال الربا وأركانها ؛ والحواجر : ما استتر وعلا ؛ وهذه الأركان والحواجر يعيش فيها قطعان الأروى ؛ مغافير : معها الغفر أي ولد الأروية ، والعناز : جمع عنز ؛ والأفارق : أقاطيع متفرقة (انظر المعاني الكبير : ٧١٥) .

٦ الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها ، وهي الصوافق أيضاً . ومفرد الصفائق : صفيقة .

٧ لأصبحتُ خلواً من همومٍ وما سرتْ علَيّ خيالاتُ الحَبيبِ الطوارقُ

٨ بذي زَهَرٍ غضّ كأن تلاعَهُ — إذا أشرفت حجراتهنّ — النّمارقُ

٩ إذا خرَجَتْ من بيتها راقَ عينَها مُعَوِّذُهُ ، وأعْجَبَتْها العَقائقُ

١٠ حلفتُ بربّ الموضعين عشيّةً وغيطانُ فَلْجٍ دونهم والشقائقُ

١١ يحثّون صُبْحَ الحمر خُوصاً كأنّها بِنَخْلَةَ من دون الوحيفِ المطارقُ

١٢ سراعٌ إذا الحادي زقاهنّ زَقْيَةً جنحنَ كما استُلّتْ سيوفٌ ذوالقُ

١٣ إذا قرّطوهنّ الأزمّةَ وارتدوا أبَيْنَ فلم يقدرْ عليهنّ سابقُ

---

١٣ ابن جني : نجون .

---

٨ شبه التلاع وقد اكتست نواحيها أزهاراً بالنمارق .

٩ المعوّذ من الشجر : ما نبت في أصل هدف أو شجرة أو حجر يستره لأنه كان يعوّذ بها ؛ يقول : هذه المرأة إذا خرجت من بيتها راقها معوّذ النبت حوالي بيتها ، وقيل المعوّذ — بالكسر — كل نبت في أصل شجرة أو حجر أو شيء يعوذ به . والعقائق : النهاء والغدران في الأخاديد المنعقّة (أي المحفورة) — حكاه أبو حنيفة — واستشهد بقول كثير ؛ وقيل العقائق : هي الرمال الحمر . ولعلّ هذا البيت أن يقع بعد البيت الأخير أو ما سقط بعده ، إذ يصف سقوط المطر ، ونموّ النبات وإعجاب هذه المرأة بما شاهدته حول بيتها منه . وقال في الأساس (عقق) : يصف بدوية وأنها معجبة بمكانها المحتف به النبات والماء ، وأراد بالعقائق الغدران .

١٠ الموضعين : الذين حملوا ركابهم على العدو السريع وهو الإيضاع ؛ فلج : اسم بلد ، وقيل اسم واد ؛ والشقائق : موضع .

١١ الصبح : جمع أصبح وصبحاء — ما كان في لونه بياض يضرب إلى الحمرة ؛ يريد الأينق شبهها بالحمر الصبح ، الخوص : الغائرة الأعين من الإعياء ؛ نخلة الشامية واديان لهذيل على ليلتين من مكة يجتمعان ببطن مرّ . والوحيف : موضع . المطارق : شبه الإبل بالمطارق لنحولها .

١٢ زقا : صاح ؛ الذوالق : الحادة .

١٤ إذا عزم الركبُ الرحيلَ وأشْرَفَتْ   لهنَّ الفيافي والفِجاجُ الفياهقُ

١٥ على كلّ حُرْجوجٍ كأنَّ شليلَها   رواقٌ ، إذا ما هجّر الركبُ، خافقُ

١٦ لقد لقيتْنا أمُّ عمرٍو بصادقٍ   من الصّرْمِ ، أو ضاقتْ عليه الخلائقُ

١٧ سوى ذكرةٍ منها إذا الركبُ عرَّسوا   وهبّتْ عصافيرُ الصّريم النواطقُ

١٨ ألم تسألي يا أمّ عمرٍو فتَخْبَري   سَلِمتِ وأسقاكِ السحابُ البوارقُ

* * *

١٩ بكيًّا لصوتِ الرَّعد خرس روائح   ونَعْق ولم يُسمَعْ لهُنَّ صواعقُ

---

١٤ الفياهق : الواسعة المترامية .

١٥ الحرجوج : الناقة الطويلة الظهر ؛ الشليل : مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير ، أي أن هذا الشليل إذا عدت الناقة انتصب عالياً كالرواق الخافق فوق ظهرها .

١٦ عليه : على الشاعر نفسه ؛ يريد أنها قابلته بنكد وضيق .

١٧ عرّسوا : نزلوا للراحة في آخر الليل وأناخوا جمالهم ؛ الصريم : الصبح .

١٩ هكذا ورد البيت في كتاب الحيوان (٤ : ٤٠٧) وفيه اختلال – كما يبدو – . وبكياً : كثير البكاء ؛ قال الجاحظ : وتقول العرب « ما زلت تحت عين خرساء » والعين : السحابة تبقى أياماً تمطر ، وإذا كثر ماؤها وكثف ولم يكن فيها مخارق لم تمدح ببرق [لعله : لم تجدح بريّق] ؛ فإذا لم تصوّت السحابة لم تبشر بشيء ، وإذا لم يكن لها رز سميت خرساء .
قلت : والبيت بوقوعه في هذا الموضع منقطع الصلة بما قبله ، وحقه أن يجيء في الأبيات التي وصف الشاعر فيها البرق والمطر (١ – ٣) .

تخريج القصيدة ٨٤

الأبيات ١٢ – ١٥ ، ٨ في المسالك ١٤ : ٦٧
« ١٠، ١١ ، ١٦ في ياقوت ٤ : ٧٦٩
البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ١ : ٨٠٣
« ١٨ ، ١٩ في الحيوان ٤ : ٤٠٧
البيت ١ في ياقوت ١ : ٧١ والتاج (برق)
« ٣ في المحكم ٣ : ٧٧ واللسان والتاج (رشح ، طلق)
« ٤ في ياقوت ٢ : ٧٤٦
« ٥ في المعاني الكبير : ٧١٥
« ٦ في اللسان والتاج (صفق)
« ٧ في ابن جني ١ : ٢٢٠ ب
« ٩ في المقاييس ٤ : ٨ واللسان والتاج (عوذ ، عقق) والأساس (عقق)
والمخصص ١٠ : ١٨١ (دون نسبة) ، ١٠ : ١٩٦
« ١١ في ياقوت ٣ : ٣٠٦
« ١٣ في ابن جني ١ : ٥٢/أ
« ١٧ في الحيوان ٥ : ٢٢٧

٨٥

وقال :

١ أمِن طللٍ أقوى من الحيّ ماثلُهْ تُهيّجُ أحزانَ الطَّروبِ منازلُهْ

٢ بكيتَ، وما يُبكيكَ مِنْ رسم دمنةٍ أضرَّ به جَوْدُ الشمال ووابلُهْ

٣ سَقى الرَّبْعَ من سَلمى بنَعفِ رُواوَةٍ إلى القَهْبِ أجوادُ السّميّ ووابلُهْ

٤ وإن كان لا سُعْدى أطالتْ سكونهُ ولا أهْلُ سُعدى آخِرَ الدَّهرِ نازلُهْ

٥ (وإني لأرْضى مِن نوالكِ بالذي لوَ ابْصَرَهُ الواشي لقرَّتْ بلابلُهْ)

٦ (بلَى وبأنْ لا أستطيعُ وبالمُنى وبالوعدِ والتّسويفِ قد مَلّ آملُهْ)

٧ وحُبّكِ يُنسيني من الشيء في يدي ويُذهِلُني عَنْ كلّ شيء أُزاوِلُهْ

---

١ السمط : لمن طلل أقوى من الحيّ نازله .

---

٢ به : الضمير يعود إلى « رسم » ؛ الجود : المطر ، والوابل : أشد المطر .

٣ تكرار القافية « ووابله » هنا يرجح أن أبياتاً سقطت بين الثاني والثالث ، أو أن هذا البيت والذي يليه من قصيدة أُخرى ، أو أن إحدى القافيتين قد تغيرت عن أصلها ؛ رواوة : من قبلي بلاد مزينة ، والقهب : جبل ؛ أجواد : جمع جَوْد وهو المطر . السمي : أمطار الربيع .

٤ سكن بالمكان يسكن سكنى وسكوناً : أقام .

٥ المشهور في هذا البيت والذي يليه أنهما لجميل بثينة ؛ والبلابل : الهموم .

٧ أزاوله : أحاوله وأمارسه .

٨ سيهلِكُ في الدُّنيا شفيقٌ عليْكُمُ — إذا غالَهُ مِن حادثِ الدَّهر غائلُهْ

٩ ويُخْفي لكُمْ حُبّاً شديداً ورَهبةً — وللنّاسِ أشْغالٌ وحُبُّكِ شاغِلُهْ

١٠ كريمٌ يُميتُ السرَّ حتى كأنّهُ — إذا استبحثوهُ عنْ حديثكِ جاهلُهْ

١١ يودُّ بأنْ يُمسي سقيماً لعلّها — إذا سمعَتْ عنهُ بشكوى تُراسلُهْ

١٢ ويرتاحُ للمعروفِ في طلَبِ العُلى — لتُحْمدَ يوماً عند ليلى شمائلُهْ

١٣ وعى سِرّكُم في مُضْمرِ القلبِ والحشا — شفيقٌ عَليكُمْ لا تُخافُ غوائلُهْ

١٤ وأكتُمُ نفسي بعض سِرّي تكرُّماً — إذا ما أضاع السّرَّ في الناس حاملُهْ

١٥ (فلوكُنتُ في كبلٍ وبحتُ بلوعتي — إليه لأنّتْ رَحْمةً لي سلاسِلُهْ)

---

١٠ المنازل : إذا استخبروه ؛ المختار : جاهل .

١١ لباب الآداب : إذا سمعت شكواه ليلى .

١٢ اللباب والتزيين والمسالك : ويهتز للمعروف ؛ المنازل : عند عزّ .

١٥ أمالي القالي (٢ : ١٩) ولوكنت في غل فبحت . . . . . للانت لي ورقت .

---

١٠ استبحثوه : استخبروه .

١٣ وعى : حفظ . غوائله : الدواهي من قبله .

١٥ الكبل : القيد ؛ وهذا البيت والتالي له نسبهما القالي في أماليه لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود ، مقدماً الثاني على الأول ، وأورد بعدهما :

ولما عصاني القلب أظهرت عولة — وقلت ألا قلب بقلبي أُبادلـه

وقد ذكر البكري في شرح الأمالي (٦٥٤) أنّ البيت ١٦ لكثير عزة من قصيدته التي أولها « لمن طلل أقوى من الحيّ نازله » .

١٦ (ولو أكلتْ من نبتِ عَيني بهيمةٌ　　لهيّجَ منها رحمةً حين تأكُلُهْ)

١٧ ويدركُ غيري عند غيرِكِ حَظّهُ　　بشعري ويُعْيِيني به ما أُحاوِلُهْ

١٨ فلا هانتِ الأشعارُ بَعدي وبَعدَكم　　مُحبّاً ومات الشعرُ بعدي وقائلُهْ

---

١٦ أمالي القالي : من نبت دمعي .

---

١٨ قوله « هانت » هنا غير متفق مع نصب لفظة « محبّاً » بعده ، والبيت منقول عن كتاب الزهرة المطبوع ، وهو كتاب مليء بالتصحيف والتحريف .

تخريج القصيدة ٨٥

يبدو أنها غير خالصة النسبة لكثير في جميع أبياتها فبعضها لجميل وبعضها نسب لعلي بن بلال ، ومن أبياتها ما نسب لعبيد الله بن عبد الله بنعتبة بن مسعود .

الأبيات ١ ، ٢ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ في المنازل والديار : ٧٤/أ

» ٨ ، ٩ ، ٧ ، ١٠ – ١٢ ، ١٥ في أمالي القالي ٢ : ٥ (دون نسبة)

» ٨ – ١٢ في المسالك ١٤ : ٧١ وزهر الآداب : ٩٥٣ (منسوبة لعلي بن بلال)

» ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ في الزهرة : ٢٧٩

» ٨ ، ١١ ، ١٢ في تزيين الأسواق ١ : ٤٨

» ١٠ ، ١٣ ، ١٤ في الموشى : ٣٨

البيتان ٥ ، ٦ في الموشى : ١٠٩

» ١١ ، ١٢ في لباب الآداب : ٤١٩ (دون نسبة)

» ١٦ ، ١ في السمط : ٦٥٤

البيت ٣ في البكري : ٦٨١

» ٤ في اللسان (سكن)

» ١٠ في المختار : ١٥٢

» ١٤ في مجموعة المعاني : ٧١

وفي نوادر الهجري (الورقة : ١٤١) بيت لعله منها وهو :

لقد أدركت بالبخل جودي وما صفا إلى باخل بالجود من لا يُباذله

وفي ابن جني (١ : ٧/أ) بيت آخر وهو :

ذهوب بأعناق المسنّ عطاؤه غلوبٌ على الأمر الذي هو فاعله

وفي ابن جني (٢ : ٥٤/أ) بيت آخر وهو :

إلى ملك لا ينصف السيف ساقه أجل لا وإن كانت طوالاً حمائله

قال أيضاً :

١	لمنِ الدّيارُ بأبْرَقِ الحنّانِ	فالبُرْقِ فالهضباتِ من أُدمانِ
٢	أقوَتْ منازِلُها وغيّرَ رَسْمَها	بعدَ الأنيسِ تعاقُبُ الأزْمانِ
٣	فوقفْتُ فيها صاحبيَّ وما بها	يا عزَّ مِن نَعَمٍ ولا إنْسانِ
٤	إلاّ الظّباءَ بها كأنَّ نزيبَها	ضَرْبُ الشّراعِ نواحيَ الشِّرْيانِ
٥	فإذا غشيتُ لها ببُرْقَةِ واسِطٍ	فلِوَى لُبَيْنَةَ مَنْزِلاً أبْكاني
٦	ثمّ احتمَلْنَ غُديّةً وصرَمْنَهُ	والقَلبُ رَهْنٌ عِندَ عزّةَ عانِ

---

٤ المحكم واللسان والتاج : تريبها .

٥ المنازل : ولواء بينة ؛ التاج (برق) : فلوى حبيب .

---

١ أبرق الحنان : ماء لبني فزارة ؛ أدمان : شعبة تدفع عن يمين بدر بينها وبين بدر ثلاثة أميال .

٤ النزيب : صوت الظبي ؛ الشراع والشرعة : الوتر الدقيق ما دام مشدوداً على القوس ؛ الشريان : الشجر الذي تعمل منه القوس ، وهنا يعني القوس نفسها ، يقول : كأن أصوات الظباء ضرب الوتر سيّي القوس .

٥ واسط : بين العذيبة والصفراء . وذكر ياقوت « لبينة » ولم يحدّده ولم يذكره البكري ؛ ويروى « فلوى كتينة » ، وفي تاج العروس عن ابن السكيت : « فلوى حبيبٍ » .

٦ العاني : الأسير المقيد .

٧ ولقد شأتك حمولُها يومَ استوَتْ بالفُرْع بَينَ خَفَينٍ ودعانِ

٨ فالقلبُ أصْورُ عندهُنَّ كأنَّما يجذبْنَهُ بنوازعِ الأشْطانِ

٩ طافَ الخيالُ لآل عَزَّةَ مَوْهناً بعدَ الهدوّ فهاجَ لي أحْزاني

١٠ فألَمَّ مِن أهْلِ البُويْبِ خيالُها بمُعَرَّسٍ منْ أهْلِ ذي ذَرْوانِ

١١ رُدّتْ عليْهِ الحاجبيّةُ بَعْدما خبَّ السَّفاءُ بقَزْقَزِ القُرْيانِ

١٢ ولقد حلَفْتُ لها يميناً صادقاً بالله عِندَ محارِمِ الرَّحمانِ

---

٧ ياقوت : حفيتن .

١٠ الحازمي : بمعرسين .

---

٧ شأتك : سبقتك . الفرع : بلد حجازي من أعمال المدينة ، والصفراء من أعمال الفرع ؛ خفينن : — ويقال فيه خفينني — ماء قريب من ينبع بينها وبين المدينة ، قاله محمد بن حبيب . دعان — فيما قال ابن السكيت — واد به عين بين المدينة وينبع (وانظر شرح البيت : ١٤ من ق ٨٢) .

٨ أصور : مائل ؛ الأشطان : الحبال ؛ النوازع : الجاذبة .

١٠ البويب : مدخل أهل الحجاز إلى مصر ؛ المعرَّس : مكان النزول ؛ ذو ذروان : ضبطه الحازمي بذال مفتوحة وراء ثم واو وقال : بئر لبني زريق بالمدينة ؛ وقال صاحب المغانم (٣٩) — بعد أن ضبطه كما جاء عند الحازميّ — هكذا يقول رواة البخاري كافة ؛ وعند رواة مسلم : بئر ذي أروان ، قال الأصمعي : وبعضهم يخطىء فيقول بئر ذروان ؛ والذي صححه ابن قتيبة ذو أروان بالتحريك .

١١ خبَّ : طال وارتفع ؛ السفاء أي السفا مقصوراً ، وهو شوك البهمى ؛ وقزقز : — قال ياقوت — علم مرتجل بناحية القرية ، كذا ذكره الحازمي وهو غير محقق فسطرته ليحقق . ونصّ قول الحازمي : قزقز — بفتح القافين وبزاءين معجمتين — من ناحية القرية به أضاة لبني سنبس . القريان : جمع قريّ وهو مسيل الماء .

١٣ بالرّاقصات على الكَلال عشيّةً تَغْشى منابتَ عَرْمضِ الظّهرانِ

....

١٣ العرمض : صغار الأراك ؛ الظهران : موضع من منازل مكة ، بينها وبين عسفان يضاف إليه مرّ فيقال مرّ الظهران .

تخريج القصيدة ٨٦

الأبيات ١ — ٣ في ياقوت ١ : ٨٢
» ١ ، ٢ ، ٥ في المنازل والديار : ٤١/أ
» ٦ — ٨ في ياقوت ٢ : ٥٧٧
البيتان ٩ ، ١٠ في ياقوت ٢ : ٧١٩
» ١٢ ، ١٣ في اللسان والتاج (ظهر) والتاج (عرمض)
البيت ١ في ياقوت ١ : ١٦٩ والتاج (برق) والسمهودي ٢ : ٢٩٦ (الصدر وحده)
» ٤ في المحكم ١ : ٢٢٨ واللسان والتاج (شرع)
» ٥ في ياقوت ٤ : ٨٩٠ والتاج (برق ، وسط)
» ٧ في ياقوت ٤ : ٨٧ والبكري : ٥٠٦
» ٨ في المسالك ١٤ : ٧٠
» ١٠ في الحازمي (ذروان)
» ١١ في الحازمي (قزقز)

٨٧

وقال :

١ أمِنْ أُمّ عَمْرٍو بالحريقِ ديارُ نعمْ دارِساتٌ قدْ عفوْنَ قِفارُ

٢ وأُخرى بذي المشروحِ من بطنِ بيشة بها لمطافيلِ النّعاجِ صِوارُ

٣ تراها وقدْ خفَّ الأنيسُ كأنّها بمُندفِعِ الخُرطومتَينِ إزارُ

٤ فأقْسمْتُ لا أنساكِ ما عِشْتُ ليلَةً وإن شاحطتْ دارٌ وشَطَّ مَزارُ

---

١ البكري : أمن آل عمرو .

٢ المحكم : بذي المسروح . . . بينة . . . خوار ؛ ياقوت : جوار ؛ المغانم : خوار .

---

١ الحريق : واد عند الجار متصل بينبع ؛ وهذا البيت من المواضع التي عدّها الآمدي على الشاعر في إكثاره من استعمال « نعم » .

٢ ذو المشروح : موضع بنواحي المدينة ؛ وفي رواية « بينة » وهي أدق من « بيشة » حين يتحدث كثير عن ذكرياته ، إذ ان بينة في وادي الرويثة قريبة من المدينة أما بيشة فإنها من عمل مكة ممّا يلي اليمن . المطافيل : جمع مطفل وهي التي معها طفلها ؛ النعاج : بقر الوحش ؛ صوار : قطيع ، ومن رواه جؤار أو خوار على أن تلك المناطق يسمع فيها صوت البقر الوحشي بعد أن ارتحل الناس عنها .

٣ خف الأنيس : ارتحل الناس ؛ الخرطومتان : شعبتان في ديار بني أسد ؛ إزار : يعني الثوب ، شبه الدار به ، وهو تشبيه قاصرٌ لأنّه يريد أنها أصبحت كالإزار الخلق ، أو كالإزار المبسوط .

٤ شاحط وشط بمعنى بعد .

٥ أُحبّكِ ما دامتْ بنَجْدٍ وشيجةٌ   وما ثبتَتْ أُبْلى بهِ وتِعارُ

٦ وماَاستنَّ رَقْراقُ السّرابِ وماجرَتْ   من الوحشِ عصماءُ اليدين نوارُ

٧ وما سال وادٍ مِنْ تِهامَة طيّبٌ   بهِ قُلُبٌ عاديّةٌ وكِرارُ

٨ سقاها من الجوزاء والدّلْوِ خلفةً   مباكيرُ لم يُنْدِبْ بهنَّ صرارُ

٩ بدرّةِ أبكارٍ من المزنِ ما لها   إذا ما استهلّتْ بالنجادِ غوارُ

* * *

---

٥ البكري : وما أنبتت .

٧ اللسان والتاج (عود) : وكرورُ ؛ التاج (قلب) : وما دام غيث . . . بها .

---

٥ الوشيجة : ضرب من النبات ؛ أبلى : جبال على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة على بطن نخل ؛ وتعار : جبل في قبليّ أبلى . قال ابن السكيت في شرح هذا البيت : الوشيج ضرب من النبت يسلنطح على الأرض ، كثيراً ما ينبت على شطوط الأنهار وحوالي مستنقعات المياه وهو الذي يقال له الثيل ؛ يريد أنّه يحبها أبداً لأن الوشيج لا يخلو منه نجد ، وهذا من الألفاظ التي يعبر بها عن التأبيد كقولهم : لا آتيك ما طرد الليل النهار وما سمر ابنا سمير . وأبلى وتعار جبلان في نجد ، وأنث فعل الجبلين لأنّه ذهب بهما إلى البقعة التي فيها الجبلان .

٦ عصماء : في يديها بياض ؛ نوار : نافرة .

٧ القلب : جمع قليب وهي البئر ؛ والعادية : القديمة المنسوبة إلى عاد ؛ والكرار : جمع كرّ – بفتح الكاف أو ضمها – وهو الحسيُ أو الموضع يجتمع فيه الماء الآجن ليصفو ؛ وقيل : الكر بئر تكون في الرمل . ويروى « وما دام غيث من تهامة . . . » .

٨ خلفة : على التوالي ؛ والجوزاء والدلو : يريد نوء هذين الكوكبين ، والمبكر من المطر ما جاء في أول الوسميّ ؛ يندب : يؤثر ؛ الصرار : خيط يشد فوق خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها ؛ وهذا على الكناية ، يعني سقتها أمطار غزيرة غير شحيحة بما عندها .

١٠ وفيها على أن الفؤادَ يحبّها صدودٌ إذا لاقيتها وذِرارُ

* * *

١١ وإني لآتيكم على كلم العدا وأمشي وفي الممشى إليكِ مشارُ

١٠ الذرار : الغضب والانكار والاعراض .

١١ مشار : كذا وردت ، ولا أعرف معناها ، ولعلها مثار : أي إغراء وإثارة للأحقاد .

تخريج القصيدة ٨٧

الأبيات ١ – ٤ في ياقوت ٢ : ٤٣١
» ١ – ٣ في الحازمي (خريق)
» ٥ – ٩ في نوادر الهجري (الورقة : ١٤١ – ١٤٢ ، نسخة القاهرة)
البيت ١ في البكري : ٤٩٥ والموازنة ١ : ٤١٨
» ٢ في ياقوت ٤ : ٥٣٩ والمحكم ٣ : ١٣٥ والمغانم : ٣٨٢
» ٣ في البكري : ٤٩٤
» ٥ في البكري : ٩٩
» ٧ في اللسان والتاج (عود) – وقافيته «كرور» واللسان (كرر) والتاج : (قلب) وشروح السقط : ١٧٨١ والبكري : ١١٢٤ والعجز وحده في إصلاح المنطق : ٩١ ، ١٢٩ والمخصص ١٠ : ٤٧ ، ١٥ ، ٧٦ والسبع الطوال : ١٩٥
» ١٠ في اللسان والتاج (ذرر)
» ١١ في ابن جني ٣ : ١٢٧ ب

٨٨

وقال :

١ وإني لأسمو بالوِصالِ إلى التي يكونُ شفاءً ذكرُها وازْدِيارُها

٢ وإن خفيَتْ كانتْ لعينيكَ قُرّةً وإنْ تبدُ يوماً لم يعُمّكَ عارُها

٣ من الخفِراتِ البيضِ لم ترَ شَقْوَةً وفي الحسبِ المَحضِ الرَّفيعِ نجارُها

٤ فما روْضةٌ بالحَزْنِ طيّبةَ الثّرى يمُجُّ النّدى جَثْجاثُها وعَرارُها

---

١ الواحدي والخصائص والموشح : سناء ؛ ابن جني : لأنمي . . . سناء .

٢ الموشح والشعر والشعراء : إذا أخفيت . . . لعينك ؛ الأغاني : فإن خفيت ؛ ابن عساكر : فإن برزت . . . وإن تخف .

٣ الموشح : لم تر غلظة . . . الحسب الضخم ؛ الأغاني وابن عساكر : الحسب المكنون صاف .

٤ السيوطي : بالحسن ظاهرة الثرى . ابن خلكان : روضة زهراء ؛ الصناعتين : حوذانها وعرارها .

---

١ قال الواحدي – وروى « سناء » موضع « شفاء » – : أي إنما أرغب في ذات القدر لا المبتذلة (الواحدي : ٩٤) وهو منقول عن ابن جني ٢ : ٦٦ ب . الازديار : الزيارة ؛ وفي بعض روايات الموشح (٢٤٣) وإنا سمونا بالوصالِ .

٢ يريد لم يكن لها عارٌ أصلاً يصيبك منه نصيب لاقتران ذكرها بذكرك .

٣ الخفرة : المرأة الحيية ؛ الشقوة : الشدة والعسر ؛ المحض : الخالص . النجار : الأصل .

٤ الحزن : الموضع الغليظ ، والعرب تفضل روضة الحزن على روضة السهل ، وقيل الحزن=

٥ بمُنْخَرِقٍ مِن بَطْنِ وادٍ كأنّما تلاقتْ بِهِ عَطّارَةٌ وتجارُها

٦ أُفيدَ عليْها المسكُ حتى كأنّها لطيمةُ داريٍّ تفتّقَ فارُها

٧ بأطيبَ من أردانِ عزّةَ مَوْهناً وقد أُوقِدتْ بالمندلِ الرطبِ نارُها

٨ هي العيشُ ما لاقتكَ يوماً بودّها وموتٌ إذا لا قاكَ منها ازْورارُها

٩ وإني وإن شطّتْ نواها لحافظٌ لها حيثُ حَلّتْ واستقرّ قرارُها

١٠ فأقسمتُ لا أنساكِ ما عشتُ ليلةً وإن شحطَتْ دارٌ وشَطّ مزارُها

---

٥ الموشح والشجري وبديع أسامة : لها أرج . الموشح : بعد الهدوء . بديع أسامة : بين البلاد .

٧ اللسان والتاج : بأطيب من فيها إذا جئت طارقاً .

= موضع بعينه في نجد ، وقيل بل كل مكان فيه غلظ يحتمل أن يوصف بحسن الروض (ابن أبي حصينة ٢ : ٩٥) . والجثجاث والعرار نوعان من النبات طيبا الرائحة ، فالجثجاث ريحانة برية من أحرار البقل والعرار هو البهار البريّ .

٥ منخرق : متسع ، يريد موضعاً تذيع فيه هذه الرائحة .

٦ أفيد : دق ونشر ؛ اللطيمة : المسك ؛ الداريّ : المنسوب إلى فرضة دارين وهي الموضع الذي يرد إليه المسك على ساحل الخليج . تفتق : ذاع وانتشر ؛ فأرة المسك : نافجته ، يقول بعضهم : فأرة المسك تكون بناحية تبت يصيدها الصياد فيعصب سرّتها بعصاب شديد وسرّتها مدلاة ، فيجتمع فيها دمها ثم تذبح فإذا سكنت قوّر السرة المعصبة ثم دفنها في الشعير حتى يستحيل الدم الجامد مسكاً ذكياً .

٧ بأطيب : متعلق بقوله : « فما روضة بالحزن . . . » (البيت : ٤) ؛ موهناً : بعد هدء من الليل ؛ المندل : العود ؛ وفي بعض روايات الموشح وفي اللسان (جثث) : « بالمجمر اللدن » .

٩ حافظ لها : حافظ لعهدها .

١١ وما استنَّ رقراقُ السّرابِ وماجرى ببيضِ الربى وحْشيُّها ونَوارُها

١٢ وما هبّتِ الأرواحُ تجري وما ثوى مُقيماً بنَجْدٍ عَوْفُها وتِعارُها

---

١١ الحيوان : وما جرت .

١٢ الحازمي : لبين بنجد .

---

١١ استن : اضطرب في جريه ؛ رقراق السراب : ما تلألأ منه ؛ وحشيها : يعني حيوان تلك الربى غير المتألف ؛ النوار : النفور .

١٢ الأرواح : النسمات ؛ عوف وتعار : جبلان ؛ يريد أنّه لا ينساها ما ظل هذان الجبلان راسخين في موضعيهما من ديار نجد .

تخريج القصيدة ٨٨

الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧ في الشعر والشعراء : ٤١٥

« ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ في المحاسن والأضداد : ١٣٩

« ٢ ، ٤ ، ٧ في الأغاني ١٥ : ٢٢٥

« ٤ ، ٧ ، ٢ ، ٣ في الأغاني ١٥ : ٢٢٤

« ٤ ، ٥ ، ٧ في الصفوة ٨٦/أ والكامل ٣ : ١١٥ والموشح : ٢٤٠ وبديع أسامة : ١٢٤ (دون نسبة) وحماسة الشجري : ١٩٤

« ٤ ، ٧ ، ٣ ، ٢ في ابن عساكر ٣ : ٧٨ (دون نسبة) وجمع الجواهر : ٥٨

« ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩ في الحماسة البصرية : ١٧١ ب

« ١٠ ، ١١ ، ١٢ في ياقوت ٣ : ٧٤٦

البيتان ١ ، ٢ في الموشح : ٢٤٠

« ٤ ، ٧ في الخصائص ٣ : ٢٨١ واللسان والتاج (جثث) – دون نسبة – والسيوطي : ٣٥ وابن أبي حصينة : ٩٥ وابن خلكان ٣ : ٢٦٨ وبديع أسامة : ١٨٩ ، ٢١٢ والعقد ٥ : ٣٧٣ والموشح : ٢٣٩ والصناعتين : ٩٧ وتزيين الأسواق ١ : ٥١

« ١٠ ، ١١ في الحيوان ٤ : ٤٢٠

البيت ١ في الخصائص ٢ : ٤٢٩ وابن جني ١ : ١٥ /أ ، ٢ : ٦٦ ب والواحدي : ٩٤

« ٣ في الموشح : ٢٤٣

« ٤ في نظام الغريب : ٢٢٢ وأمالي المرتضى ١ : ٢٢١

« ٧ في اللسان والتاج (ندل)

« ٩ في ابن جني ٢ : ٣١ ب

« ١٢ في البكري : ٣١٤ والحازمي (عوف)

٨٩

وقال :

١ تظلُّ ابنةُ الضَّمريّ في ظلّ نعمةٍ إذا ما مشتْ من فوقِ صرْحٍ ممرَّدِ

٢ يجيء بِرَيّاها الصَّبا كلَّ ليلةٍ وتجمعُنا الأحلامُ في كلّ مَرْقدِ

٣ ونُضْحي وأثباجُ المَطيّ مقيلُنا بجذْبٍ بنا في الصَّيْهدِ المُتوقِّدِ

٤ أقيدي دماً يا أُمّ عمرٍو هرَقْتِهِ فيكفيكِ فعلُ القاتلِ المُتَعَمِّدِ

٥ ولن يتعدَّى ما بلغتُمْ براكبٍ زِوَرَّةَ أسفارٍ تروحُ وتَغْتدي

٦ فظلّتْ بأكنافِ الغُرابات تبتغي مظنّتها واستمرأتْ كلَّ مُرْتدِ

٧ وذا خشبٍ منْ آخرِ اللّيلِ قلّبَتْ وتبغي به ليلاً على غَيْرِ مَوْعدِ

---

٦ ياقوت : تلتقي .

٧ الحازمي : تبغى .

---

١ ابنة الضمريّ : عزة ؛ الصرح : البناء العالي ؛ الممرّد : المملّس المطوّل .

٣ أثباج : ظهور ؛ الصيهد : وقدة الهاجرة .

٤ أقيدي : من القود وهو أخذ القاتل بالقتيل .

٥ الزورّة : الناقة السريعة المهيّأة للأسفار .

٦ الغرابات : أمواه لخزاعة أسفل كليّة ؛ وقال البكري : الغرابات إكام سود ؛ مظنتها : طلبتها ؛ استمرأت : استساغت ، كل مرتد : أراد كل مرتاد .

٧ ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .

٨ مناقلَةً عـُرْضَ الفيافي شِمِلّةً مطيّةَ قذّافٍ على الهول ِ مبعَدِ

٩ فمرّتْ بليلٍ وهي شدفاءُ عاصِفٌ بمُنخرقِ الدّوداء مَرَّ الحَفَيدَدِ

١٠ وقال خليلي قد وقِعتَ بما ترى وأبلغْتَ عذراً في البُغايةِ فاقْصِدِ

١١ فحتّامَ جوبُ البيد بالعيس ِ ترتمي تنائف ما بين البُحَيرِ فصَرْخَدِ

١٢ فقلتُ لهُ لم تقض ِ ما عمدتْ له ولم تأتِ أصْراماً ببُرْقَةِ مُنْشَدِ

١٣ فأصبحَ يرتادُ الجميم برابغٍ إلى بُرْقة الحَرجاء من ضحوَةِ الغدِ

---

٩ اللسان : الدوداة .

١٢ التاج (برق) : عهدت .

١٣ التاج (برق) : برائع .

---

٨ مناقلة : سريعة نقل القوائم ؛ شملة : سريعة خفيفة ؛ مبعد : بعيد الأسفار ، يقذف نفسه على الهول .

٩ شدفاء : تميل في أحد شقيها ؛ العاصف : المائلة ؛ المنخرق : الموضع الذي يشتد فيه هبوب الريح ؛ والدوداء : موضع قرب المدينة . الحفيدد : الخفيف من الظلمان .

١٠ بعد أن طوّف التطواف الذي وصفه في الأبيات السابقة رجاء اللحاق بعزة ، قال له خليله ما قال ؛ وقعت الدابة : حفيت من الحجارة والشوك ، يريد قد بلغت حدّ المرض ؛ البغاية : الطلب ؛ اقصد : اعتدل في طلبك ولا تكن مغالياً .

١٢ الأصرام : البيوت ، كل مجموعة منها على حدة ؛ برقة منشد : ماء لبني تميم وبني أسد — وهذا التحديد لا يلائم السياق — أي هذا موطن لم نبلغه بعد في البحث والتطواف .

١٣ فأصبح : يعني صديقه ؛ الجميم : النبات ؛ يعني بلغ رابغاً حيث النبات الكثير لترعى فيه ناقته ؛ ورابغ : موضع بين المدينة والجحفة وهو من مرّ ومرّ من منازل خزاعة . الحرجاء : اسم موضع . وقد يكون البيت في وصف رحلة الحمار الوحشي ، ويكون منقطع الصلة بما قبله .

١٤ لعمري لقد بانتْ وشَطّ مزارُها عُزيزَةَ لا تفقدْ ولا تتبعّدِ
١٥ إذا أصبحتْ في الجلْس في أهل قريةٍ وأصبحَ أهلي بينَ شَطْبٍ فبَدْبَدِ
١٦ وإني لآتيكمْ وإني لراجعٌ بغيرِ الجوى من عندكم لم أُزَوَّدِ
١٧ إذا دبرانٌ منك يوماً لقيتُهُ أؤمّلُ أنْ ألقاكِ بَعْدُ بأسْعُدِ
١٨ فإن تسلُ عنكِ النفسُ أو تدعِ الهوى فباليأسِ تسلو عنكِ لا بالتّجلُّدِ
١٩ وكل خليلٍ راءني فهوَ قائلٌ مِنَ اجْلِكِ هذا هامةُ اليومِ أو غدِ

---

١٥ الحازمي : بالجلس .
١٨ الزهرة : يَسْلُ . . . القلب أو يدع الصبا . . . يسلو .
١٩ العقد : زارني . . . ميت اليوم ؛ الدميري : زارني .

---

١٤ في هذا البيت يعلن الشاعر يأسه من جدوى الرحلة التي قام بها مع صديقه ، ويقول : حقاً قد شطّ بها المزار وأصبح مطلبها عسيراً . عزيزة : تصغير عزّة ، ثم يحقق مقدار البعد بينهما في البيت التالي .

١٥ الجلس : موضع ممّا يلي علياء غطفان ؛ وشطب : دار حذاء مرجم دون كلية ؛ وبدبد : في طرف أبان الأبيض الشمالي ، وقال الحازمي : ماء بطريق أبان الأبيض الشمالي ، ويروي « شطب » — بضم الشين .

١٦ وإني لآتيكم ، يريد : تعودت أن أجيء إليكم فلا أرجع مزوّداً بغير داء دخيل من الحب .

١٧ يريد بالدبران — وهو اسم نجم — أنّه طالع نحسٍ وخيبة ، وهو لا ينفك يأمل أن تنقلب الحال ، وأن يلقاها بأسعد .

١٨ المعنى : إن سلوي عنك إنما باعثه اليأس لا بسبب قدرتي على التصبر .

١٩ راءني : رآني ؛ هامة اليوم أو غد : يموت اليوم أو غداً . وهذا من شواهد سيبويه ، والشاهد فيه قلب رآني إلى راءني ؛ قال الشنتمري ، يقول : من رآني وقد أثر الشوق والحزن فيَّ قضى بأن الموت قريب النزول عليّ ، ويقال فيمن قارب الموت إنما هو هامة اليوم أو غد أي هو=

* * * * *   * * * * *

=ميت في يومه أو غده ، وأصل الهامة طائر يخرج من رأس الميت على ما تزعم الأعراب طلباً بثأر المقتول .

تخريج القصيدة ٨٩

الأبيات ١ - ٣ ، ١٩ في حماسة الشجري : ١٤٧
» ٤ - ٦ في ياقوت ٣ : ٧٧٩
» ١٦ - ١٨ في الزهرة : ٣٤٦
البيتان ١٠ ، ١٢ في ياقوت ١ : ٥٨٧
» ١٤ ، ١٥ في ياقوت ٣ : ٢٨٩
» ١٨ ، ١٩ في الأغاني ١٥ : ١١١ والعقد ٤ : ٤٤٤ والكامل ٢ : ٢٥٤ وأضداد الأنباري : ٣٢٥ وتزيين الأسواق : ١١٧ والدميري ١ : ٨١ (دون نسبة) .
البيت ٦ في البكري : ٩٩٢
» ٧ في ياقوت ٢ : ٤٤٥ والحازمي (خشب)
» ٨ في اللسان والتاج (بعد)
» ٩ في اللسان والتاج (عصف)
» ١١ في الحازمي (صرخد)
» ١٢ في البكري : ١٢٦٩ والتاج (برق)
» ١٣ في ياقوت ١ : ٥٨١ والتاج (برق)
» ١٥ في البكري : ٢٣١ وياقوت ١ : ٥٢٣ والتاج (بدد) والحازمي (بدبد)
» ١٩ في اللسان (هدم) وسيبويه والشنتمري ٢ : ١٣٠

٩٠

وقال :

١ أأطلالَ سلمى باللّوى تَتعهّدُ ... ...

* * *

٢ ولمّا وقفنا والقلوب على الغَضا وللدمعِ سحٌّ والفرائصُ تُرْعَدُ

٣ وبَــينَ التّراقي واللهاةِ حرارةٌ مكان الشّجا ما إن تبوخُ فتبردُ

٤ أقولُ لماء العينِ أمْعِنْ ، لعلّهُ بما لا يُرى من غائبِ الوجدِ يَشْهدُ

٥ فلم أدرِ أنّ العينَ قبلَ فراقِهـا غداةَ الشّبا من لاعجِ الوجدِ تجْمدُ

٦ ولم أرَ مثلَ العينِ ضَنّتْ بمائِها عليّ ولا مثلي على الدمعِ يَحْسُدُ

٧ وساوى عليّ البينَ أن لم يَرَيْنَني بكيتُ، ولم يُترك لذي الشجوِ مقعدُ

---

٣ ياقوت : ما تطمئن فتبرد .

---

١ تتعهد : تتردد إليها بالزيارة .

٢ الغضا : يريد جمر الغضا ؛ الفرائص : جمع فريصة وهي اللحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع .

٣ مكان الشجا : أي معترضة في الحلق اعتراض الشجا .

٤ أمعن : أجر وأظهر .

٥ الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة ؛ اللاعج : المحرق .

٨ ولما تدانى الصبحُ نادوا برحلةٍ فقُمْنَ كسالى مَشْيُهُنَّ تـأوُّدُ

٩ إلى جِلّةٍ كالهُضْبِ لم تَعْدُ أنّها بوازِلُ عامٍ والسديسُ المعبَّدُ

١٠ إلى كلّ هَجْهاجِ الرَّواحِ كأنّـه شَجٍ بلهاةِ الحلقِ أو متكيِّدُ

١١ تمجُّ ذفاريهنَّ ماءً كأنّـهُ عصيمٌ على جارِ السّوالفِ مُعْقَدُ

١٢ وهنَّ مُناخاتٌ يُجَلَّلْنَ زينةً كما اقتانَ بالنبتِ العهادُ المجوّدُ

١٣ (تأطّرْنَ حتى قلتُ لَسْنَ بوارحاً وذُبْنَ كما ذاب السديفُ المسرهدُ)

١٤ عبيراً ومسكاً مانه الرشحُ رادِعاً به محجرٌ أو عارضٌ يتَفَصَّدُ

---

١١ ابن جني : على جدر .

١٢ اللسان والتاج والمخصص : العهاد المحوف .

---

٩ الجلة : مسانّ الإبل ؛ المعبّد : المذلل .

١٠ هجهاج : شديد الصوت ؛ يعني جملاً يصوّت عند الرواح ؛ يتكيّد : يعالج نفسه ويكيد بها .

١١ الذفاري : ما خلف أذن البعير ، تنضح عرقاً ، شبهه بالعصيم وهو القطران ؛ أو ما يبقى من الدرن والوسخ المختلط بالبول والقطران على فخذي الدابة .

١٢ اقتانت الروضة : ازدانت بألوان زهرتها وأخذت زخرفها ؛ العهاد : مواقع الوسميّ من الأرض ؛ والعهد – بفتح العين – أول المطر ؛ المجوّد : الذي ينصبّ جَوْداً . وفي المعاجم «العهاد المحوّف» وشرح المحوّف بأنّه الذي نبتت حافتاه واستدار به النبات ؛ ومن الغريب قول ابن سيده (المخصص ١٠ : ١٩٣) في هذا البيت : ومنه قول الشاعر ووصف الأسنان .

١٣ تأطرن هنا بمعنى تلبثن وأبطأن ؛ بوارحاً : ذاهبات ؛ ذبن : اختفى أثرهن ؛ السديف : الشحم ؛ المسرهد : السنام السمين ، وهذا البيت يروى لعمر بن أبي ربيعة (ص : ٣٧٠ من ديوانه) .

١٤ موقع هذا البيت مضطرب ، ولهذا لم يتضح وجه الصواب في بعض ألفاظه .

١٥ وأجْمَعْنَ بيناً عاجلاً وتركنني بفيفا خُرَيْمٍ قائماً أتلدَّدُ

١٦ كما هاج إلفٌ صابحاتٍ عشيّةً له وهو مصفودُ اليدين مُقَيَّدُ

١٧ فقد فُتْنَنِي لمّا وَرَدْن خَفَيْنناً وهنّ على ماء الحَراضة أبْعَدُ

١٨ فوالله ما أدري أطَيْخاً تواعدوا لتمّ ظمٍ أم ماءَ حيدةَ أوردوا

١٩ وبالأمسِ ما ردُّوا لبينٍ جِمالَهُمْ لعمري فعيلَ الصبرُ مَنْ يتجلّدُ

٢٠ وقد علمتْ تلك المطيّةُ أنكُمْ متى تَسْلُكوا فَيْفا رَشادٍ تُخوِّدوا

---

١٥ الموازنة والشعر والشعراء : وقضين ما قضين ؛ ياقوت (٢ : ٤٣١) والمغانم : **فأجمعن** . . . أتبلد ؛ البكري (١٠٣٨) وأزمعن . . . أتبلد . الأساس : بفيفا خزيم ؛ الموازنة : واقفاً . الحازمي : أتبلد .

١٧ اللسان والتاج (حفتن) : حفيتناً .

٢٠ ياقوت : تخردوا .

---

١٥ فيفا خريم (وخريم اسم رجل) : ثنية بين المضيق والصفراء ، وهي على طريق الجار عادلة عن طريق المدينة يميناً ؛ أتلدد : أذهب هنا وهناك حيرة ؛ وقيل إن رجلاً أنشد هذا البيت « قاعداً أتلدد » فقال كثير : لم أقل ذلك وإنّما قلت « واقفاً » (الموازنة ١ : ٤٠٧) .

١٦ الصابحات : اللواتي كن معه في الصباح ، والإلف يعني الجمل .

١٧ خفينن : واد بين ينبع والمدينة ، وفي اللسان حفيتن : اسم موضع قريب من ينبع بينها وبين المدينة ؛ الحراضة – بفتح الخاء – ماء لجشم بن معاوية قريب من جهة نجد ، وقد روي بضم الحاء .

١٨ طيخ : موضع بأسفل ذي المروة ، وذو المروة بين خشب ووادي القرى (ياقوت والبكري) . تم : تمام ؛ ظم مخففة من ظمء أي لاستتمام فترة الظمء ، وهي الفترة التي تستطيع أن تظل فيها متحملة للظمإ قبل أن تورد الماء ؛ حيدة – بالمهملة – موضع ، وهو عند البكري بالجيم .

١٩ في اللسان (عول) : يحتمل أن يكون أراد عيل على الصبر ، فحذف وعدّى ، ويحتمل أن يجوز على قوله : عيل الرجل صبره ، قال ابن سيده : ولم أره لغيره .

٢٠ فيفا رشاد : اسم موضع ؛ تخودوا : تسرعوا السير .

تخريج القصيدة ٩٠

الأبيات ٥ – ١٤ في المسالك ١٤ : ٦٨

» ٤ – ٦ في أمالي القالي ٢ : ٥ والسمط : ٤٩٧ والحماسة البصرية : ١٧٨ (رئيس الكتاب : ٧٨٧)

» ١٥ ، ١٣ ، ٤ ، ٦ ، ٣ في الشعر والشعراء : ٤٢٠

» ١٥ – ١٧ في ياقوت ٢ : ٢٣٠

» ١٥ ، ٣ ، ٥ في ياقوت ٣ : ٩٣٢

» ١٥ ، ١٧ ، ١٨ في البكري : ١٠٣٨

البيتان ٤ ، ٦ في محاضرات الراغب ٢ : ٨٠

» ١٥ ، ٦ في الموازنة ١ : ٤٤٩

البيت ١ في الأغاني ١٢ : ١٨٠ (الصدر وحده)

» ٢ في تثقيف اللسان : ٢٧٦

» ٣ في ذم الهوى : ٦١٧

» ٦ في الأغاني ١٢ : ١٨٠

» ١١ في ابن جني ٢ : ١٥١ ب

» ١٢ في ابن جني ٢ : ١٣٠ ب (العجز وحده) واللسان والتاج (قين) والمخصص ١٠ : ١٩٣

» ١٣ في حماسة الخالديين ١ : ٢١٠

» ١٥ في ياقوت ٢ : ٤٣١ والحازمي (خريم) والسمهودي ٢ : ٢٩٩ والمغانم : ١٢٩ والأساس (بلد) والموازنة ١ : ٤٠٧

» ١٧ في اللسان والتاج (خفن ، حفتن)

» ١٨ في ياقوت ٣ : ٥٦٨

» ١٩ في اللسان والتاج (عول)

» ٢٠ في ياقوت ٣ : ٩٣١ والتاج (فيف)

٩١

وقال :

١ ولقدْ لقيتَ على الدُّرَيْجةِ ليلةً كانتْ عليكَ أيامِناً وسُعودا

٢ لا تغدُرَنَّ بوَصْلِ عَزَّةَ بَعْدما أخذتْ عليكَ مواثِقاً وعُهُودا

٣ إنَّ المُحِبَّ إذا أحبَّ حبيبَهُ صدَقَ الصَّفاءَ وأنْجزَ الموعودا

٤ اللهُ يَعلمُ لو أردْتُ زيادَةً في حُبِّ عزّةَ ما وجَدْتُ مَزيدا

٥ رُهبانُ مَدْينَ والذين عهِدتُهُمْ يبكونَ من حذر العذابِ قُعودا

---

١ البكري : الذريحة .

٥ الصفوة : ركبان مكة . المسالك : رأيتهم .

---

١ الدريجة — بالتصغير — موضع ذكره ياقوت ولم يحدده ، وقال البكري هو الذريحة — بالتصغير أيضاً — وهو موضع بنجد ، قال : وكتب عليه أبو علي بخطه « الذّريحة » — بفتح أوله وكسر ثانيه — . الأيامن : جمع أيمن وهو ما يدل على البركة واليمن .

٢ قال الأنطاكي (تزيين الأسواق : ٤٤) رواه مغلطاي عن جميل وقد رأيته في النزهة منسوباً إليه ، قال : وكثيراً ما نقله النحاة هكذا « لا لا أبوح بحب بثنة إنها . . . » . قال القالي : هو لكثير وذكر بثنة سبق قلم والأصل : عزّة ، أو أن الشعراء كثيراً ما يعدلون عن اسم من يريدون إلى ما لا يريدون تورية وغيرة .

٥ قال العيني : مدين بلدة مشهورة بساحل بحر الطور ؛ ويروى البيت :

ركبان مكّة والذين أراهم يبلون من حرّ الفؤاد همودا

٦ لو يسمعون كما سمعْتُ كلامها خرُّوا لعزّةَ رُكَّعاً وسُجودا
٧ والميْتُ يُنشرُ أن تمسَّ عظامَهُ مسّاً ويَخْلُدُ أن يراكِ خُلودا

....

٦ ياقوت والعيني : حديثها .

....

٦ قوله : لو يسمعون : لو للشرط ، ويسمعون جملة من الفعل والفاعل ، فعل الشرط ، وقوله كما سمعت ؛ الكاف للتشبيه وما مصدرية وسمعت جملة من الفعل والفاعل ، وحديثها كلام إضافي مفعوله ، والتقدير : كسماعي حديثها ، والضمير يرجع إلى عزّة المذكورة في بيت سابق ؛ خرّوا : جملة من الفعل والفاعل وقعت جواباً للو ؛ ركعاً : حال من الضمير في « خرّوا » . الاستشهاد فيه : على أن المضارع هو الذي وقع بعد لو وصرف معناه إلى المضيّ لأن الغالب دخول « لو » التي للتعليق على الفعل الماضي الذي هو مبني .

تخريج القصيدة ٩١

الأبيات ٢ – ٧ في تزيين الأسواق ١ : ٥٢
« ٢ – ٦ في الصفوة : ٧٣/أ
« ٤ – ٦ في المسالك ١٤ : ٧١
البيتان ٥ ، ٦ في العيني ٤ : ٤٦٠ وياقوت ٤ : ٤٥١ والجرجاوي : ٢١١ والعدوي : ٢١٩
البيت ١ في ياقوت ٢ : ٥٧٢ والبكري : ٦١٣
« ٤ في بديع أسامة : ٢١٨
« ٦ في الخصائص ١ : ٢٧ والتاج (كلم)

٩٢

وقال :

١ ولما رأتْ وَجدي بها وتبيّنَتْ صبابةَ حرّانِ الصَّبابـةِ صادِ

٢ أدلّتْ بصـبرٍ عندها وجـلادةٍ وتحسبُ أن الناسَ غـيرُ جلادِ

٣ فيا عزُّ صادي القلب حتى يودَّني فؤادُكِ أو رُدّي عليّ فؤادي

* * * *

٤ وما زِلتُ مِن لَيلى لدُنْ أن عرَفتُها لكالهائمِ المُقصَى بكُلِّ مَذادِ

---

٣ ورد هذا البيت (رقم ٥ ق : ٦٩) .

أيا عزّ صادي القلب حتى يودني فؤادك أو ردّي عليّ فؤاديا

---

٣ المصاداة كالمداراة في المعنى ، أي المصانعة والمداجاة .

٤ قال البغدادي (٤ : ٣٣٠) : زيادة اللام في خبر زال شاذة ، والمذاد : مصدر ميمي بمعنى الذود ، وهو الطرد ، ووقع في المغني وغيره « « بكل مراد » – بفتح الميم والراء ، وهو المكان الذي يذهب فيه ويجاء ، من الرود وهو التردد في المجيء والذهاب ، والرود أيضاً طلب الكلأ أي العشب . والهائم من الإبل : الذي يصيبه داء الهيام ؛ والمقصى : اسم مفعول من أقصاه أي أبعده . شبه نفسه في طرد ليلى له بالبعير الذي يصيبه داء الهيام فيطرد عن الإبل خشية أن يصيبها ما أصابه؛ والهائم أيضاً اسم فاعل من هام على وجهه أي ذهب من عشق وغيره ، والبيت قافيته مغيرة وصوابه «بكل سبيل» . . . قلت : وليس من المقطوع أن يكون هذا البيت لكثير ، وإنّما لما رأى النحويون شبهه ببيت كثير من قصيدته اللامية ، قدروا أن يكون هو مع تغيير في القافية . قال البغدادي : وظن ابن هشام في شرح أبيات ابن الناظم أن البيت بالرواية الأولى بالقافية الدالية ليس من شعر كثيّر .

٥ وإنَّ الذي ينوي من المال أهلُها أوارِكُ لمّا تأتَلفْ وعَوادي

---

٥ أركت الناقة فهي أركة – مقصور – من إبل أرك وأوارك : أكلت الأراك ؛ والعدوة : الخلة من النبات ، فإذا نسب إليها قيل : إبل عدوية ، وإبل عواد أي [ليست] ترعى الحمض ؛ ويروى : يبغي موضع ينوي . ذكر امرأة وأن أهلها يطلبون في مهرها من المال ما لا يمكن ، كما لا تأتلف هذه الأوارك والعوادي ، فالإبل العادية لا ترعى الحمض والإبل الآركة لا ترعى الخلة وإنّما تقيم في الحمض .

تخريج القصيدة ٩٢

الأبيات ١ – ٣ في الموازنة ٢ : ١٢٦

البيت ٤ في الخزانة ٤ : ٣٣٠ والشنقيطي ١ : ١١٧ والجامع : ٣٣٥ وشواهد المغني : ٢٠٦

« ٥ في إصلاح المنطق : ٣١٠ ، ٣٦٥ واللسان والتاج (عدا) .

٩٣

وقال :

١ وكنتُ امرءاً بالغوْرِ منّي ضمانـةٌ وأُخرى بنجدٍ ما تـُعيدُ وما تـُبدي
٢ فطوْراً أكـُرُّ الطـّرْفَ نحوَ تهامـَةٍ وطوراً أكرُّ الطرّفَ كرّاً إلى نـَجْدِ
٣ وأبكي إذا فارقتُ هـِنداً صبابـَةً وأبكي إذا فارقتُ دعداً على دعْدِ
٤ وكان الصِّبا خـِدْنَ الشباب فأصبحا وقد تركاني في مـَغانيهما وحدي
٥ فوالله ما أدري أطائفُ جـِنـّةٍ تأوّبـَني أم لم يجدْ أحدٌ وجدي
٦ فلا تلحياني إن جزعتُ ، فما أرى على زفراتِ الحبّ من أحدٍ جـَلـْدِ

---

١ ابن جني : زمانة ، وبالجلس أُخرى لا تعيد ولا ؛ الحماسة البصرية : لبانة .
٢ الحماسة البصرية : فعين تكر . . . وعين .
٣ الحماسة البصرية :

فأبكي على هند إذا هي فارقت وأبكي على دعد إذا بنت عن دعدِ

تخريج القصيدة ٩٣

الأبيات ١ – ٣ ، ٦ في الحماسة البصرية : ١٧٢ / أ
« ١ – ٣ في الموازنة ١ : ٤٥٥
البيتان ٤ ، ٥ في الموازنة ٢ : ٢٢٢
البيت ١ في ابن جني ١ : ٦٥ / أ
« ٢ في السبع الطوال : ١٥٨ ، ٣٤٤ والزاهر ١ : ١٧٥
« ٤ في محاضرات الراغب ٢ : ٣٢٨

٩٤

وقال :

١ وإني لأرعى قومَها من جلالها وإن أظهروا غشاً نصحتُ لهم جهدي

٢ ولو حاربوا قومي لكنتُ لقومها صديقاً ولم أحمل على قومِها حقدي

---

١ الزاهر : جهدا .

٢ الزاهر : حقدا .

تخريج القصيدة ٩٤

البيتان ١ ، ٢ في الأغاني ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤٣ والزاهر ١ : ٨٩ (دون نسبة) والقافية مفتوحة

البيت ١ في الأغاني ٢ : ٣٤٢ (الصدر فقط)

٩٥

قال مؤلف الزهرة (ص:١٣) وبلغني أن بثينة وعزّة كانتا خاليتين تتحدثان إذ أقبل كثير فقالت بثينة لعزة : أتحبين أن أبين لك إن كان كثيّر فيما يظهره لك من المحبّة غيرَ صادق ؟ قالت : نعم ؛ قالت : ادخلي الخباء ؛ فتوارت عزّة ودنا كثيّر حتى وقف على بثينة فسلّم عليها فقالت له : ما تركت عزّة فيك مستمتعاً لأحد ، فقال كثيّر : والله لو أن عزّة أمةلو هبتها لك . قالت له بثينة : إن كنت صادقاً فاصنع في ذلك شعراً .

وفي الأغاني (٩ : ٣٥) أن عزّة هي التي طلبت إلى بثينة أن تتصدى لكثيّر ، فعرضت عليه الوصل فقاربها ثم قال * :

١ رمتني على عَمد بُثينَةُ بَعْدما تولى شبابي وارْجحَنَّ شبابُها

٢ بعينينِ نجلاوينِ لوْ رَقْرقتْهُما لنوء الثريّا لاسْتهلَّ سحابُها

٣ ولكنّما ترمينَ نفساً مريضةً لعزّة منها صفوها ولُبابُها

---

١ الخالديين : على فوت ؛ الفاضل : على قرب .

٣ الزهرة : نفساً شقية .

---

* في الأغاني ما يدل على أن في القصيدة أبياتاً عدا هذه الثلاثة .

تخريج القصيدة ٩٥

الابيات ١ – ٣ في الزهرة : ١٣ وحماسة الخالديين ٢ : ٢٢٩ والحماسة البصرية : ١٤٣ ب
البيتان ١ ، ٢ في الفاضل : ٢٨
« ١ ، ٣ في الأغاني ٩ : ٣٥
وجاء على وزن الأبيات ورويها أيضاً :

وألقى على قَبْسٍ من النارِ جذوةً شديداً عليَّ حرُّها والتهابها
وإني وتهيامي بعزَّةَ بعدما تولّى شبابي وارجحنَّ شبابها
لكالمرتجي ماء بقفراء سبسب يُغَرُّ به من حيث عنَّ سرابها

والبيتان ٢ ، ٣ في بديع أسامة : ٢١٣ ، وثاني هذه الأبيات هو رواية أخرى للبيت الأول المثبت في المتن .

٩٦

قال يتغزّل :

١ ألا تلك عزَّة قد أصبحَتْ تُقلِّبُ للهَجْر طرْفاً غضيضا

٢ تقول مرِضْنا فما عُدتنا فقلتُ لها لا أطيق النهوضا

٣ كـلانا مريضانِ في بلدةٍ وكيف يعودُ مريضٌ مريضا

---

١ الحماسة البصرية : قد أقبلت .

٢ الحماسة البصرية : مرضت .

تخريج القصيدة ٩٦

الابيات ١ – ٣ في العيون ٣ : ٤٤ والحماسة البصرية : ١٦٦ / أ

البيتان ١ ، ٢ في أمالي القالي ١ : ٣٠ وجعل عجز الثالث عجزاً للبيت الثاني

البيت ١ في العمدة ٢ : ٢٢١ (مع صدر الثاني)

٩٧

وقال :

١ وهاجرةٍ يا عزَّ يلتفُّ حرُّها ... بركُبانها من حيثُ لَيِّ العمائمِ
٢ نصَبْتُ لها وجهي وعزَّةُ تتّقي ... بجِلبابها والسِّترِ لفْحَ السّمائمِ

---

١ يروى : من تحت لوث العمائم .
٢ السمائم : جمع سموم وهي الريح الحارّة .

تخريج القصيدة ٩٧

البيتان ١ ، ٢ في الخزانة ٣ : ١٥٤ ؛ وقد أورد له ابن جني (٣ : ١٣٢ ب) على هذا الوزن والروي قوله :

وللغيد أعناقاً وللبيض كالدمى ... يمشّين مشي الخيل فتخَ المعاصمِ

٩٨

وقال :

١ وإني لأستَأني ولولا طماعَتي ... بعزَّة قد جمَّعْتُ بينَ الضَّرائِرِ

٢ وهمَّ بناتي أن يَبَنَّ وحمّمَتْ ... وجوهُ رجالٍ من بنيّ الأصاغرِ

---

١ الأزمنة والأمكنة : طماعة لعزة ؛ الجمان : طماعة .

٢ الأزمنة والأمكنة : وهمّت .

---

١ استأني : أتانّى وأنتظر .

٢ يبنّ : يطلقن ؛ حممت : اسودَّت أي التحت . قال القالي (٣ : ١٣٠) : لولا أني أتانى وأنتظر وأرجو أن أظفر بعزّة لقدكنت تزوجت ضرائر وولد لي بنات وكبرن وهممن بأن يبنَّ من أزواجهن ؛ وقوله : « وحممت وجوه . . . » حممت أي اسودّت منابت لحاهم لنبت الشعر .

تخريج القصيدة ٩٨

البيتان ١ ، ٢ في أمالي القالي ٣ : ١٣٠ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٧٤ والمخصص ١ : ٣٦ والجمان : ٢٨٣

قال كثيّر : قال لي جميل : خذ لي موعداً من بثينة ، قلت له : هل بينك وبينها علامة ؟ فقال لي : عهدي بها وهم بوادي الدوم يرحضون ثيابهم ، فأتيتهم فأجد أباها قاعداً بالفناء فسلمت فردّ ، وحادثته ساعة حتى استنشدني فأنشدته : « فقلت لها يا عز . . . » الأبيات ، فضربت بثينة جانب الخدر وقالت : اخسأ ، فقال لها أبوها : مهيم يا بثينة ؟ فقالت : كلب يأتينا إذا نوّم الناس من وراء هذه الرابية . [قال كثيّر] : فأتيت جميلاً فأخبرته أنها واعدته وراء الرابية إذا نوّم الناس . (الشعر والشعراء : ٣٤٨ وفي الأغاني ٨ : ١٠٧ قصة أكثر تفصيلاً ، وانظر القصة في الزهرة : ١١١ – ١١٢) .

١ وقلتُ لها يا عزَّ أرسل صاحبي على نأي دارٍ والرَّسولُ موكَّلُ

٢ بأن تجعلي بيني وبينك موعِداً وأن تأمريني بالذي فيه أفعَلُ

٣ وآخِرُ عَهْدٍ منكِ يوم لقيتِني بأسفل وادي الدَّوْم والثوْبُ يُغسلُ

---

١ الزهرة : والموكل مرسل ؛ الشعر والشعراء (٣٥٠) : أرسلني يا عز نحوك . . . على طول نأي من حبيب ومرسل .

٢ الشعر والشعراء : بأن تضربي . . . وأن تخبريني ما الذي ؛ الزهرة : ما الذي فيه .

٣ الزهرة : أما تذكرين العهد يوم لقيتكم ؛ البكري والشعر والشعراء : بآية ما جئناك يوماً عشية .

---

٣ وادي الدوم : في ديار بني ضمرة (البكري) .

تخريج القصيدة ٩٩

الأبيات ١ – ٣ في الأغاني ٧ : ١٠٧ والزهرة : ١١٢ والمحاسن والأضداد : ٢١٦ والشعر والشعراء : ٣٤٨ ، ٣٥٠ وتزيين الأسواق ١ : ٤٠ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ٣٩٩

البيت ٣ في البكري : ٥٦٣

١٠٠

هجرت عزّة كثيّراً وحلفت أن لا تكلمه فلما تفرق الناس من منى لقيته فحيت الجمل ولم تحيّه فقال :

١ حيّتكَ عزّةُ بعد الهجْرِ وانصرفتَ فحيِّ ويحكَ مَن حيّاكَ يا جملُ

٢ لو كنتَ حيّيتَها ما زلتَ ذا مقَةٍ عندي ولا مسّكَ الإدلاجُ والعملُ

٣ فحنَّ من ولهٍ إذ قُلتُ ذاك لَهُ وظلَّ مُعْتذراً قدْ شفّهُ الخَجَلُ

٤ وردَّ مِنْ جَزَعٍ ما كنتُ أعْرِفها ورام تكْليمها لو تنطقُ الإبِلُ

٥ ليتَ التحيّة كانتْ لي فأشْكُرَها مكانَ يا جمَلُ حُيّيتَ يا رجُلُ

---

١ أمالي القالي : بعد النفر ؛ الشعر والشعراء : بعد الوصل .

٥ الشعر والشعراء : فأجعلها .

---

٢ المقة : المحبة ؛ الإدلاج : سير الليل .

٥ ليت : كلمة تمن تتعلق بالممكن والمستحيل ، والتحية اسمها ، وكانت لي الخبر ؛ فأشكرها : الفاء للجزاء والتقدير فأن أشكرها ؛ مكان : ظرف منصوب ؛ يا رجل: بالضمّ بلا تنوين لأنه منادى مفرد معرفة ؛ الاستشهاد فيه في قوله « يا جمل » حيث نوّنه مضموماً ، ويروى يا جملاً بالنصب والمشهور الضم (عن العيني ٤ : ٢١٥ باختصار) .

تخريج القصيدة ١٠٠

الأبيات ١ – ٥ في العيني ٤ : ٢١٤

« ١ ، ٢ ، ٥ في أمالي القالي ٢ : ٥٤ – ٥٥ والشعر والشعراء ، ٤١٨ والأغاني ٩ : ٣٢ وتزيين الأسواق ١ : ٥٠ والحماسة البصرية : ١٥١ (رئيس الكتاب : ٧٨٧)

البيتان ١ ، ٢ في الشنقيطي ١ : ١٤٩

« ١ ، ٥ في جمل الزجاجي: ١٦٤

١٠١

وقال كثيّر :

١ أمِنْ آلِ سلمى الرسمَ أنت مسائلُ — نعَمْ والمغاني قد دَرَسْنَ مواثلُ

٢ فظلتَ بها تُغضي على حدّ عبرة — كأنك من تجريبك الدهرَ جاهلُ

٣ وغيّر آياتٍ ببرقِ رواوةٍ — تنائي الليالي والمدى المتطاولُ

٤ وقد كان ما فيه لذي اللبّ عبرةٌ — ورأيٌ لذي رأيٍ فهل أنت عاقلُ

٥ تذكرُ إخواناً مضوا فتتابعوا — وشَيبٌ علا منك المفارقَ شامل

* * * *

٦ غوادٍ من الأشراطِ وطفٌ تقلُّها — روائحُ أنواءِ الثريا الهواطلُ

---

٣ البكري : بنعف رؤاوة ، توالي الليالي .

---

٣ رواوة : قال ابن حبيب : من قبلي بلاد مزينة ، وفي ياقوت أن برقة رواوة من جبال مزينة ، وقال ابن السكيت : رواوة والمنتضى والسلائل أودية بين الفرع والمدينة .

٦ الأشراط : يريد « الشرطان » وهما كوكبان على أثر الحوت مفترقان شمالي وجنوبي ، بينهما في رأي العين على قدر ذراع ؛ وطف : حافلة بالمطر دانية من الأرض؛ الروائح : السحب التي تجيء عشية .

تخريج القصيدة ١٠١

الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ في المنازل والديار : ١٠١ (أ – ب)
البيتان ٣ ، ٢ في المغانم : ١٦٠
« ٣ ، ٤ في ياقوت ٢ : ٨٢٧
البيت ١ في الموازنة ١ : ٤١٩
« ٣ في البكري : ٦٢٢ ، ٦٨١ وياقوت ١ : ٥٨٢ والتاج (برق)
« ٦ في الأزمنة والأمكنة ١ : ١٨٧

١٠٢

١ طَرِبَ الفؤاد فهاجَ لي دَدني لمّـا حدَوْنَ ثوانيَ الظُّعنِ

٢ والعيسُ أنّى هيِ تُوجّهُهُ شَأماً وهنَّ سواكنُ اليَمَنِ

٣ ثمَّ اندفعنَ ببَطْنِ ذي عُبَبٍ ونكأنَ قرْحَ فؤاديَ الضَّمِنِ

---

٣ الهجري : فنكأن .

---

١ طرب : هاج حزناً ؛ الددن : اللهو ؛ الثواني : الإبل حين تثني أعناقها ؛ ولعلها أن تُقرأ « توالي » .

٢ أنّى هي توجهه : كذا في ياقوت ، ولعل صوابه « توجهها » .

٣ عبب : شجيرة لها ثمرة وردية ، وذو عبب : واد ؛ الضمن : المريض .

تخريج القصيدة ١٠٢

الأبيات ١ – ٣ في ياقوت ٣ : ٦٠٣

البيتان ١ ، ٣ في نوادر الهجري (الورقة : ١٤٣ ، نسخة القاهرة)

البيت ٣ في البكري : ٩١٦

١٠٣

اجتمع جميل وكثيّر عند عزّة ، فجعل كثيّر يرى عزّة تنظر إلى جميل ، وكان جميلاً وكثيّر دميماً ، فغضب كثيّر وغار وقال لجميل : انطلق بنا قبل أن نصبح فانطلقا وقال :

١ رأيتُ ابنةَ الضَّمريّ عزَّة أصبحَتْ كمُحتَطِبٍ ما يَلْقَ باللّيلِ يحطبِ

٢ وكانت تُمَنّينا وتزْعُمُ أنّها كبَيْضِ الأنوقِ في الصَّفا المُتنصِّبِ

٣ رجعتُ بها عني عشيّةَ بِرْمَةٍ شماتَةَ أعداءٍ شُهودٍ وغُيَّبِ

---

١ المحتطب : الذي يجمع الحطب ، وإذا جمعه ليلاً وقع على أخلاط من حطب وعشب وهوام ولذلك ضرب به المثل فقيل : « حاطب ليل » .

٢ الأنوق : الرخمة ، تضع بيضها بحيث لا ينال ، ولذلك يقال في المثل « أعز من بيض الأنوق » . الصفا : الصخرة ؛ المتنصب : السامي المرتفع .

٣ برمة : اسم موضع – وهو عرض من أعراض المدينة ؛ يريد : رجعت وأنا موضع شماتة من أعدائي حاضرهم وغائبهم .

تخريج القصيدة ١٠٣

البيتان ١ ، ٢ في الشعر والشعراء : ٣٤٩

البيت ٣ في اللسان والتاج (برم)

١٠٤

قال كثيّر يتغزّل * :

١ عجبتُ لبُرْئي منكِ يا عزَّ بعدما ... عمِرْتُ زماناً منكِ غيرَ صَحيحِ

٢ فإن كان بُرْءُ النّفس لي منك راحةً ... فقد برِئتُ إن كان ذاك مُريحي

٣ تجلّى غطاءُ الرّأس عنّي ولم يكدْ ... غطاء فؤادي ينجلي لسريحِ

٤ سلا القلبُ عن كبراهما بعد حقبة ... ولُقّيتُ من صغراهما ابن بريحِ

٥ فلا تذكرا عندي عُقَيْبةَ إنّني ... تبينُ إذا بانتْ عُقَيْبةُ روحي

---

٤ الهجري : بعد صبوة ؛ ولاقيت .

---

* نقلنا شرح الأبيات الثلاثة الأولى عن المرزوقي في شرح الحماسة : ١٢٩٢ .

١ يقول : قضيت العجب من انصراف قلبي عنك وبرئي من الداء فيك بعدما بقيت زماناً مبتلى النفس في هواك ، عليل القلب بوجدك ، مبرحاً بي حبك .

٢ فإن كان برء النفس يعقب لي راحة منك وفي هواك فقد برئت والراحة منتظرة ، إن كانت من نتائجه ومسبباته .

٣ ثم قال « تجلى غطاء الرأس » يريد شبت واستبدلت بلون رأسي وسواد شعري لوناً آخر حديثاً ، فكأن المتقدم كان كالغطاء على رأسي تكشف بالتأني ولم يكد ما تغشى قلبي من حبك ينكشف بالهوينا . . . السراح والتسريح والسريح كلها في طريق واحد وهو السهولة والعجلة ؛ ويقال : سرحه الله تعالى للخير أي وفقه له وعجله ، وفي المثل : السراح من النجاح .

٤ ابن بريح : الغراب ، ويقال في الشدّة .

تخريج القصيدة ١٠٤

الأبيات ١ – ٣ في الحماسة : المرزوقي : ١٢٩٢ والتبريزي ٣ : ١٤٣

البيتان ٤ ، ٥ في نوادر الهجري (الورقة : ١٤٣ ، نسخة القاهرة)

البيت ٤ في المرصع : ٣٩ واللسان والتاج (برح) – (دون نسبة)

١٠٥

قيل وفدت عزّة كثيّر على عبد الملك بن مروان ، فلما دخلت سلمت فرد عليها السلام ورحب بها وقال : ما أقدمك يا عزّة ، قالت : شدة الزمان وكثرة الألوان واحتباس القطر وقلة المطر ، قال هل تروين لكثيّر :

وقد زعمت أني تغيّرت بعدها ومَن ذا الذي يا عزّ لا يتغيّر

قالت : لا أروي له هذا ، ولكني أروي له قوله :

كأني أُنادي صخرة حين أعرضت من الصمّ لو تمشي بها العصم زلّتِ

فقال : ما كنت لتصيري إلى حاجة أو تهبي نفسك لي فأزوجك منه ؛ قالت : الأمر إليك يا أمير المؤمنين ، ما كنت لأزهد في هذا الشرف الباقي لي ما دامت الدنيا، أن يكون أمير المؤمنين وليي ؛ فعظم بذلك قدرها عنده وأمر لها بمال وكتب إلى كثيّر وهو بالكوفة : أن اركب البريد وعجّل فإني مزوجك عزّة . فأتاه الكتاب وهو مضنى من الشوق إليها ، فرحل فأقبل نحوها ، فلما كان في بعض الطريق إذا هو بغراب على شجرة بانة ، وإذا هو ينتف ريشه ويطايره ، وكان شديد الطيرة، فلمّا رآه تطير وهمّ بالانصراف ، ثم غلبه شوقه فمضى وهو مكروب لما رأى ، حتى أتى ماء لبني نهد ، فإذا هو برجل يسقي إبله ، فنزل عن راحلته واستظل بشجرة هناك ، فأبصر النهديّ ، فأتاه وسأله عن اسمه ونسبه ، فانتسب له ، فرحب به ، فأخبره عما رأى في طريقه ، فقال : أما الغراب فغربة ، وأما البانة فبين، وأما نتف ريشه ففرقة، فاستطير لذلك [وقال] :

١ رأيتُ غراباً ساقطاً فوْقَ بانَةٍ يُنَتِّفُ أعْلى ريشهِ ويُطايرُهْ

---

١ البانة : نوع من الشجر ؛ يطايره : يفرقه .

٢ فقُلْتُ ولوْ أنّي أشاءُ زجَرْتُهُ بنَفْسيَ للنّهْديّ هلْ أنْتَ زاجرُهْ

٣ فقالَ غُرابٌ لاغْترابٍ من النّوى وفي البان بَيْنٌ من حبيبٍ تجاوِرُهْ

٤ فما أعْيَفَ النّهْديَّ لا درَّ درُّهُ وأزجرَهُ للطّيْرِ لا عَزَّ ناصِرُهْ

---

٣ الموشى : فأما غراب فاغتراب من الهوى ، وبان فبين . . . تعاشره ؛ البيهقي : وبانة بين . . . تعاشره .

٤ الروضات : فما أعرف ؛ البيهقي : ما أعيف . . . لا طار طائره .

---

٢ الزجر للطير وغيره : التيمن بسنوحها والتشاؤم ببروحها ؛ للنهدي متعلق بالفعل « فقلت » .

٤ ما أعيفه : ما أمهره في العيافة وهي الزجر ؛ لا درّ درّه : دعاء عليه بأن لا يكثر خيره ولا يغزر .

تخريج القصيدة ١٠٥

الأبيات ١ – ٤ في زهر الآداب : ٤٧٩ – ٤٨٠

» ٣،١،٤ في المحاسن والمساوىء : ٣٣١ والموشى : ١٣٤ وروضات الجنات : ٥١٠

١٠٦

... ومضى حتى دنا من دمشق . فإذا بجنازة فاستعبر وقال : أسأل الله خير ما هو كائن ؛ فسأل عن الميت فإذا هي عزّة ، فخرَّ مغشياً عليه ، فعرف وصب عليه الماء ، فكان مجهوده أن بلغ القبر ، فلما دفنت انكب على القبر وهو يقول :

١ سراجُ الدُّجى صِفرُ الحشا منتهى المُنى ‏ ‏ ‏ ‏ كشمْس الضُّحى نوّامَةٌ حينَ تُصْبحُ

٢ إذا ما مشتْ بينَ البيوتِ تخزَّلَتْ ‏ ‏ ‏ ‏ ومالتْ كما مالَ النّزيفُ المُرَنَّحُ

٣ تعلّقْتُ عزّاً وهْيَ رُؤدٌ شبابُها ‏ ‏ ‏ ‏ عَلاقةَ حُبٍّ كاد بالقلْبِ يَرْجحُ

٤ أقولُ ونِضْوي واقفٌ عند رَمْسِها ‏ ‏ ‏ ‏ عليكِ سلامُ الله والعينُ تسفَحُ

٥ فهذا فِراقُ الحقّ لا أن تُزيرَني ‏ ‏ ‏ ‏ بلادَكِ فَتْلاءُ الذّراعينِ صَيْدحُ

---

١ البيهقي : ضمر الحشا .

٤ المعاهد : عند قبرها ؛ مصارع العشاق وتزيين الأسواق :

وقفت على ربع لعزة ناقتي ‏ ‏ ‏ ‏ وفي البرد رشاش من الدمع يسفح

---

١ صفر الحشا : ضامرة البطن ؛ نوّامة : يريد أنها مترفة .

٢ تخزلت : تثاقلت في مشيها ؛ النزيف : السكران .

٣ رؤد الشباب : لينة الشباب .

٤ النضو : الجمل الهزيل .

٥ الصيدح : الصياحة الرفيع صوتها .

٦ وقد كنت أبكي من فراقك حيّةً ... وأنتِ لعَمْري اليوم أنْأى وأنْزَحُ

٧ فيا عزَّ أنْتِ البدْرُ قد حال دونهُ ... رجيعُ تُرابٍ والصَّفيحُ المضرَّحُ

٨ فهلاّ فداك الموتَ مَن أنتِ زينُهُ ... ومَن هو أسوا منكِ دَلاً وأقبحُ

٩ على أُم بَكْرٍ رحْمةٌ وتحيّةٌ ... لها منكَ والنّائي يَودُّ ويَنصَحُ

١٠ مُنعَّمةٌ لو يدرُجُ الذَّرُّ بيْنَها ... وبين حواشي بُرْدِها كاد يجرَحُ

١١ وما نظرَتْ عيني إلى ذي بشاشَةٍ ... من الناسِ إلاّ أنتِ في العينِ أملحُ

١٢ ألا لا أرى بعد ابنَةِ النَّضْرِ لذَّةً ... لشَيْءٍ ولا مِلْحاً لمَنْ يتملَّحُ

١٣ فلا زالَ رَمْسٌ ضمَّ عزَّةَ سائلاً ... به نِعْمةٌ مِن رحمةِ اللهِ تَسْفَحُ

١٤ فإن التي أحببْتُ قد حال دونَها ... طوالُ اللّيالي والضّريحُ المُصفَّحُ

---

٦ ذم الهوى : حقبة ... فهذا لعمري .

٨ ذم الهوى : حالاً .

١٣ مصارع : فلا زال وادي رمس عزة .

١٤ ذم الهوى : والضريح الموجج .

---

٧ رجيع التّراب : الذي أخرج من الحفرة ثم ردّ إليها ؛ الصفيح : الحجر العريض الرقيق ؛ المضرّح : المشقوق المعدّ للضريح .

١٠ يدرج : يمشي ؛ الذر : صغار النمل .

١٢ الملح : الملاحة ؛ يتملح : يتكلف الملاحة ويظهرها .

١٤ انظر البيت السابع .

١٥ أربَّ بعينيَّ البُكا كُلَّ ليلَة   فقد كاد مجرى الدَّمع عينيَّ يقرحُ
١٦ إذا لم يكُن ما تسفحُ العينُ لي دماً   وشرُّ البُكاءِ المُستعارُ المُسيَّحُ

١٦ مصارع : المستعاد الممنّح .

١٥ أرب : لزم وأقام .
١٦ المسيّح : السائح الجاري .

* لم يورد صاحب مصارع العشاق قصة عزّة وعبد الملك ، وإنّما قال إن كثيّراً خرج يريد عبد العزيز بن مروان ، وسأله عن من يعرف قبر عزّة ، فلما دلّ عليه استعبر وقال « وقفت على ربع لعزة ناقتي . . . » الأبيات .

تخريج القصيدة ١٠٦

الأبيات ١ – ٤ ، ٨ – ١١ في المحاسن والمساوىء : ٣٣١
« ٤ ، ٧ ، ٦ ، ٨ ، ١٢ – ١٦ في مصارع العشاق ١ : ١٢٦ وتزيين الأسواق ١ : ٥١ وذم الهوى : ٤٤٦
« ٤ – ٦ في زهر الآداب : ٤٨٠
البيتان ٤ ، ٦ في ابن خلكان ٣ : ٢٦٩ والمعاهد ١ : ١٨٥

١٠٧

وقال * :

١ أَلِمْ بعزَّةَ إنَّ الرَّكْبَ مُنطلقُ　　وإن نأتْكَ ولم يُلْمِمْ بها خَرَقُ

٢ قامتْ تراءى لنا والعينُ ساجيةٌ　　كأن إنسانَها في لُجَّةٍ غَرِقُ

٣ ثمَّ استدار على أرجاء مُقلتها　　مُبادراً خلساتِ الطَّرْفِ يستبقُ

---

٢ المسالك : قامت تودعنا .

٣ المسالك : معاجل .

---

* الأبيات الأربعة الأولى من هذه القصيدة في ابن سلام : ٤٦٢ ولذلك أثبت هنا شرح الأستاذ محمود محمد شاكر لها دون تغيير :

١ ألمَّ به إلماماً : زاره زورة يسيرة غير متمكث ، وألم به مرض أو غيره : دنا منه واعتراه ، وهو المراد في الشطر الثاني . نآه ونأى عنه : فارقه ؛ الخرق : الدهش والتحير من الفزع أو الحياء ؛ يحدث نفسه ويراودها أن تزور عزّة ليتزود منها قبل الرحيل ، وإن كانت لم تجزع لفراقه جزعاً يقعدها عن الرحيل .

٢ تراءت له المرأة : تصدت له ليراها ، تفعل ذلك اختيالاً بحسنها وإدلالاً على محبها ؛ ساجية : ساكنة فاترة اللحظ من الحياء والدلال ؛ الإنسان : إنسان العين وناظرها .

٣ استدار : يعني الدمع ؛ والأرجاء : النواحي ؛ خلسات الطرف : من الخلس وهو الأخذ في نهزة ومخاتلة ، وأراد استراقها النظر إليه على عجل ، والدمع قد أخذها ، تفعل ذلك من مخافة الرقباء ومن غلبة المسرّة عليها ؛ والبيت خير ما قرأت في صفة الباكية عند الفراق .

٤ كأنّهُ حينَ مارَ المأقيانِ بهِ دُرٌّ تحلّلَ مِن أسلاكهِ نَسَقُ

٥ وللعبيرِ على أصداغِها عبقٌ كأنّه بجنوبِ المحجر العلقُ

٦ تنيلُ نَزْراً قليلاً وهي مُشْفِقَةٌ كما يهابُ نشيشَ الحية الفَرِقُ

* * *

٧ تأرَّجَ الحيُّ إذ مرّتْ بظُعْنهِمُ ليلى ونَمَّ عليها العَنبرُ العَبِقُ

---

٤ المسالك : جاد ؛ ابن جني : در تسلّل .

---

٤ مار الشيء يمور : تحرك وجاء وذهب مضطرباً ؛ المأق وجمعه آماق : مقدم العين الذي يلي الأنف ، ومنه يسكب الدمع أول ما يسيل ؛ در نسق : منتظم في عقده على نظام واحد ، فهو إذا وهى سلكه تحدّر متتابعاً .

٦ النزر : القليل اليسير ؛ مشفقة : جزعة هائبة متخوفة ؛ نشيش الحية : صوتها ؛ الفرِق : الخائف المذعور .

٧ تأرج : تضوّع وانتشرت فيه الرائحة الذكية ؛ كأن طيب تلك الرائحة عنبر ساطع ذكيّ .

تخريج القصيدة ١٠٧

الأبيات ١ – ٤ في ابن سلام : ٤٦٢

« ٢ – ٥ في المسالك ١٤ : ٧١

البيت ٤ في ابن جني ٢ : ٩٣ ب

« ٦ في التشبيهات : ٢٩١

« ٧ في الذخيرة (مخطوطة باريس رقم ٣٣٢٣ ج ٢ / ١٠٣ وهو مما ذكره جامع الديوان ولم أحققه) .

١٠٨

١ لقد أزمعتْ للبينِ هندٌ زيالَها ... وزَمّوا إلى أرْضِ العراقِ جِمالَها

٢ فما ظبْيةٌ أدْماءُ واضحَةُ القَرا ... تنُصُّ إلى بَرْدِ الظّلالِ غزالها

٣ تحتُّ بقَرْنيها بَريرَ أراكَةٍ ... وتعطو بظِلْفَيها إذا الغصن طالها

٤ بأحسنَ مِنها مُقلَةً ومُقلَّداً ... وجيداً إذا دانَتْ تنوطُ شِكالها

---

٢ السبع الطوال :

وما أم خشف بالعلاية شادن ... تنشىء في برد الظلال غزالها

والبيت بهذه الرواية ينسب للأعشى (التاج : نسأ ؛ وروايته : تنسىء) ؛ ورواية الديوان :

وما أم خشف جأبة القرن فاقد ... على جانبي تثليث تبغي غزالها

---

٢ أدماء : بيضاء البطن في ظهرها جدد وغبرة ؛ القرا : الظهر ؛ تنص : تسوق وتحث .

٣ البرير : ثمر الأراك ؛ تعطو : تتناول ؛ طالها : ارتفع عنها .

٤ المقلد : النحر والعنق ؛ تنوط : تعلق ؛ الشكال: خيط يوضع بين التصدير والحقب ، والحقب : ماتشده المرأة على وسطها تعلق به الحلي .

تخريج القصيدة ١٠٨

الأبيات ١ – ٤ في الأغاني ١٨ : ٢٨١

البيت ٢ في السبع الطوال : ٦٠

١٠٩

قال أبو الفرج (٩ : ٣٣) : تعشق كثير امرأة من خزاعة يقال لها أم الحويرث فنسب بها وكرهت أن يسمّع بها ويفضحها كما سمع بعزّة ، فقالت له : انك رجل فقير لا مال لك ، فابتغِ مالاً يُعْفي عليك ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرام ؛ قال : فاحلفي لي ووثقي أنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك ، فحلفت ووثقت له ؛ فمدح عبد الرحمن بن إبريق الأزدي ، فخرج إليه ، فلقيته ظباء سوانح ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه ، فتطير من ذلك حتى قدم على حيّ من لهب ، فقال : أيكم يزجر ؟ فقالوا : كلنا ، فمن تريد ؟ فقال : أعلمكم بذاك . قالوا : ذاك الشيخ المنحني الصلب ، فأتاه فقص عليه القصة ، فكره ذلك له وقال له : قد توفيت أو تزوجت رجلاً من بني عمها .

وفي رواية أُخرى (٣٤) أنّه قصد ابن الأزرق ابن حفص بن المغيرة المخزومي الذي كان باليمن ، وأنّه فعل ذلك بعد موت عزّة . . ثم إنّه مدح الرجل الأزدي (أو المخزومي) وأصاب منه خيراً كثيراً ثم قدم على أم الحويرث فوجدها قد تزوجت رجلاً من كعب فأخذه الهلاس فكشح جنباه بالنار ؛ وفي زجر اللهبي يقول :

١ تيمّمتُ لِهْباً أبتغي العِلْم عندهُمْ   وقد رُدَّ عِلمُ العائفينَ إلى لِهْبِ

---

١ الكامل : سألت أخا لهب ليزجر زجرة ، وقد صار زجر العالمين ؛ شروح السقط : وقد صار زجر العالمين ؛ ثمار القلوب : عنده ، وقد صار علم العائفين .

---

١ لهب : بنو لهب ، وهم قبيلة من الأزد مشهورون بالعيافة والزجر ، قال الشاعر :

خبير بنو لهب فلا تك ملغياً   مقالة لهبيّ إذا الطير مرّت

وهم أزجر العرب وأعيفهم ، وهذا الرجل الذي قصده كثير اسمه : لهب ابن أبي أحجن الأزدي (ثمار القلوب : ١٢١) وفي العقد أنهم بنو لهب بن أجر بن كعب بن الحارث بن كعب ، وقيل لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك =

٢ تيمّمتُ شيخاً منهُمُ ذا بجالةٍ بصيراً بزَجْرِ الطّيرِ مُنحنيَ الصُّلْبِ
٣ فقُلتُ لهُ ماذا ترى في سوانِحٍ وصوتِ غُرابٍ يفحصُ الوجه بالتربِ
٤ فقال جرى الظّبيُ السَّنيحُ ببيْنِها وقال غُرابٌ : جدَّ مُنهمِرُ السَّكْبِ
٥ فإلاَّ تكُن ماتتْ فقد حالَ دونَها سواك خَليلٌ باطنٌ من بَني كعبِ

= ابن نصر ابن الأزد وهم أهل العيافة ؛ العائف : الذي يزجر الطير .

٢ البجالة : العظم والنبل والجلالة ؛ منحني الصلب : يعني بسبب الشيخوخة .

٣ السوانح : الظباء أو الطير التي تمر عن يسار المسافر .

٤ السنيح : واحد السوانح أي الذي يمرّ إلى المياسر ؛ جدّ منهمر السكب : حان وقت البكاء ، يريد أن حركة الغراب تنبىء بفاجعة تستدرّ الدموع .

تخريج القصيدة ١٠٩

الأبيات ١ – ٥ في الأغاني ٩ : ٣٣ – ٣٤
البيت ١ في الكامل ١ : ١٤٥ وشروح السقط : ١٥٢٩ وثمار القلوب : ١٢١ والتاج (لهب) والعقد ٣ : ٣٨٧ وتبصير المنتبه : ١٢٣٥

١١٠

ولما قدم كثير على أُم الحويرث ووجدها قد تزوجت وأخذه الهلاس ، زعم الأطباء أنّه لا علاج له إلا الكشح بالنار ، فلما اندمل من علته وضع يده على ظهره فإذا برقمتين فقال : ما هذا ؟ فأخبر بما حدث ؛ ودخل على عبد الله بن جعفر وقد نحل وتغير فلما سأله عن حاله قال : هذا ما عملت بي أم الحويرث ، ثم أنشده :

١ عفا اللهُ عن أُمّ الحويرِثِ ذنْبَـها   علامَ تُعنّيني وتَكْمي دوائيا

٢ فلو آذنوني قبل أن يرْقُموا بها   لقُلتُ لهُمْ أُمُّ الحويرِثِ دائيا

---

١ تكمي : تستّر .

٢ الرقم : الوسم ، وهو هنا يعني الكيّ بالنار ؛ والمرقوم من الدواب الذي يكوى على ساقيه كيات صغاراً فكل واحدة منها رقمة .

تخريج القصيدة ١١٠

البيتان ١ ، ٢ في الأغاني ٩ : ٣٤

١١١

وقال أيضاً * :

١ إذا أمسيْتُ بطنُ مَجاحَ دوني وعَمْقٌ دونَ عزّةَ فالبقيعُ

٢ فليس بلائمي أحدٌ يُصَلّي إذا أخذتْ مجاريَها الدّموعُ

---

* انظر قصة الملاحاة بين كثيّر ونصيب في الأغاني (١ : ٣٤٥) وقول كثيّر: أنا والله أشعر العرب حيث أقول ، وذكر البيتين .

١ مجاح : موضع من نواحي مكة وقيل فيه « محاج » ، وعند ابن هشام « مِجاج » بكسر الميم ؛ وعمق : موضع قرب المدينة ؛ والبقيع : أعلى أودية العقيق .

تخريج القصيدة ١١١

البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٤ : ٤١٥ والأغاني ١ : ٣٤٥

١١٢

وقال :

١ وحضّ الذي ولّى على الصَّبرِ والتقى ولم يهْمُمِ البالي بأن يتَجشّعا
٢ ولو نزَلتْ مثلُ الذي نزلَتْ بهِ تركْنَ المُذرَّى من أجا يتَصدَّعا

---

١ على الصبر : متعلق بالفعل حضّ ؛ يعني أن الذي ولّى حضّ على الصبر والتقى ؛ والبالي – كما كتبت في ياقوت – إنّما أرجح أن يكون الصواب فيها « التالي » يعني الذي جاء بعد من ولّى ؛ ويتجشعا صوابها « يتخشعا » . ولم يهمم : لم يكد ولم يعزم على .

٢ نزلت : يعني المصيبة ؛ المذرَّى : جبل بأجأ أحد جبلي طيء ، ومثله لمتمم بن نويرة :

فلو أن مـا ألقى يصيب متالعاً أو الركن من سلمى إذن لتضعضعا

وسلمى أحد جبلي طيء أيضاً .

تخريج القصيدة ١١٢

البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٤ : ٤٧٠

١١٣

وقال :

١ ألم تسمعي أيْ عبدَ في رونقِ الضُّحى ... بُكاء حماماتٍ لهُنَّ هديرُ

٢ بكَيْنَ فهَيّجْنَ اشْتياقي ولوعتي ... وقد مرَّ مِن عَهْدِ اللّقاء دهورُ

تخريج القصيدة ١١٣

البيتان ١، ٢ في شرح شواهد المغني : ٨٣ والجامع : ٦٣
البيت ١ في جمل الزجاجي : ١٦٨ والشنقيطي ١٤٧:١ وقد تغيرت قافيته إلى « هديل »

١١٤

وقال أيضاً :

١ أهاجَكَ بالعبَوْقرَةِ الدّيارُ ... نَعَمْ مِنّا مَنازِلُها قفارُ

٢ فمَرْخُ مُخَلّصٍ فمُحنَّباتٌ ... عفتها الرّيحُ بعدكِ والقِطارُ

---

١ العبوقرة : اسم موضع ، قال الهجري : هو جبل في طريق المدينة من السيالة قبل ملل بميلين .

٢ مرخ مخلّص : موضع بالشام، وهو تحديد بعيد عن «العبوقرة»؛ وورد في شعر كثيّر «مرخ» و« ذو مرخ » دون الإضافة إلى مخلّص كقوله « بذي المرخ من ودان غيّر رسمها »وقيل في شرحه: ذو المرخ من الحوراء وهو في ساحل البحر قرب ينبع. محنبات : لم يعينه البكري ولم يورده ياقوت؛ وفي ياقوت: محنب : بئر وأرض بالمدينة، فلعلّ محنبات آبار هنالك؛ وقال البكري « ويقال مرج مخلّص والأول أثبت » . القطار : المطر .

تخريج القصيدة ١١٤

البيت ١ في اللسان والتاج (عبقر)
« ٢ في البكري : ١٢١٠

١١٥

وقال :

١ يا لقومي لِحَبْلِكَ المَصرومِ   يومَ شوْطى وأنتَ غيرُ مُليمِ

٢ ورسومُ الدّيار تُعرَفُ مِنها   بالملا بَيْنَ تَغْلَمَيْنِ فَرِيمِ

٣ غشيَ الركبُ رَبْعَها فعجبنا   مِن بِلاه وما المدى بمقيمِ

٤ كحواشي الرّداء قد محَّ منْهُ   بَعد حُسنٍ عصائبُ التّسْهيمِ

٥ بدّلَ السَّفْحَ في اليلابن منها   كلُّ أدْماءَ مُرْشِحٍ وظَليمِ

٦ قدْ أروعُ الخليلَ بالصّرْمِ منّي   لم يخَفْهُ وقِلّةِ التّكْليمِ

---

١ شوطى : من عقيق المدينة ، وقال ابن السكيت : شوطى موضع من حرة بني سليم . غير مليم : لم تأت ما تلام عليه .

٢ التغلمان : موضع من بلاد بني فزارة قبل ريم .

٣ يعني لم يكن زمن الرحلة عنها قد تقادم .

٤ مح : بلي ؛ التسهيم : التخطيط في البرد .

٥ اليلابن : واد بين حرّة بني سليم وجبال تهامة ، ويجوز أن يكون جمع يلبن — بما حوله — ، كذا فسّره ابن السكيت في قول كثيّر (ياقوت ٤ : ١٠٢٥) ؛ الأدماء : الظبية البيضاء البطن السمراء الظهر ، وقيل بيضاء يعلوها جدد فيها غبرة . المرشح : الظبية التي تربي ولداً وترعاه ؛ الظليم : ذكر النعام .

٦ أروع : أفزع ؛ الصرم : القطيعة .

تخريج القصيدة ١١٥

الأبيات ٢ ، ٤ ، ٥ في ياقوت ٤ : ١٠٢٥
البيتان ٣ ، ٤ في الموازنة ١ : ٤٦١
البيت ١ في ياقوت ٣ : ٣٣٦ والبكري : ١٣٣
« ٢ في ياقوت ١ : ٨٥٦ ، ٤ : ٦٢٧ والبكري : ٣١٦
« ٥ في التاج (لبن)
« ٦ في الشعر والشعراء : ١٢٦

١١٦

وقال :

١ سأتْكَ وقد أجدَّ بهـا البُكورُ غداةَ البَيْنِ مِن أسماء عيرُ
٢ إذا شرِبَتْ ببَيْدَحَ فاسْتَمرَّتْ ظعائنُهـا عـلى الأنهابِ زورُ
٣ كأنَّ حُمولها بملا تَريمٍ سَفينٌ بالشُّعَيْبَةِ مـا تسيرُ
٤ قوارِضُ هضْبِ شابَةَ عن يسارٍ وعَنْ أيْمانهـا بالمَحْوِ قورُ
٥ فلَسْتَ بزائلٍ تزدادُ شوقاً إلى أسماءَ ما سمَرَ السَّميرُ
٦ أتنْسَى إذ تودِّعُ وهيَ بادٍ مُقَلَّدُها كما برَقَ الصَّبيرُ

---

٣ الحازمي : بملاة ريم .

---

١ سأى : بمعنى ساء وهو مقلوب عنه .

٢ بيدح : أثبته البكري « بيذخ » مضبوطاً ثم قال : وروى اليزيدي عن محمد بن حبيب في شعر كثير « بيدح » بالدال والحاء المهملتين ، وهو موضع ؛ الأنهاب : موضع في ديار بني مالك بن حنظلة ؛ زور : جمع زوراء أي مائلة .

٣ تريم : اسم موضع وقد ورد في شعر كثيّر تِرْيَم بكسر أوله وتسكين ثانيه ؛ والشعيبة قرية على شاطىء البحر بطريق اليمن ؛ ورواية الحازمي « بملاة ريم » .

٤ قوارض : جمع قارضة أي مجتازة قواطع ؛ شابة : جبل بين السليلة والربذة ، بحذاء الشعيبة ؛ المحو : اسم موضع . قور : جمع قارة وهي الأصاغر من الجبال .

٦ مقلّدها : موضع القلادة من نحرها وعنقها ؛ الصبير : السحابة البيضاء الكثيفة .

٧ ومَحبسنا لهـا بعُفاريـاتٍ ليَجْمَعَنـا وفاطمـةَ المَسيرُ

---

٧ ياقوت : ومجلسنا .

---

٧ محبسنا لها : حبسنا لها أي إيقافنا لها ؛ عفاريات : عقد بنواحي العقيق ؛ وفي رواية « ومجلسنا » أي وجلوسنا انتظاراً لها بعفاريات .

تخريج القصيدة ١١٦

الأبيات ٥ – ٧ في ياقوت ٣ : ٦٨٨
البيتان ١ ، ٣ في ياقوت ٣ : ٣٠١
» ٢ ، ٣ في البكري : ٢٩١
البيت ٢ في البكري : ٢٠٤
» ٣ في البكري : ٣١١ والحازمي (شعيبة)
» ٤ في ياقوت ٣ : ٢٢٦ والحازمي (شابة)
» ٧ في البكري : ٩٤٨

١١٧

وقال يصف سحاباً ويمدح رجلاً من بني خزاعة :

١	وإنّكَ عَمري هل ترى ضوءَ بارقٍ	عريضِ السّنا ذي هيدَبٍ متزحزحِ
٢	قعدْتُ لهُ ذاتَ العِشاء أشيمُهُ	بمَرٍّ وأصحابي بجُبَّةِ أذْرُحِ
٣	ومنهُ بذي دَورانَ لمعٌ كأنّهُ	بُعيدَ الكرى كفّا مُفيضٍ بأقدُحِ
٤	فقُلْتُ لهُمْ لمّا رأيْتُ وميضَهُ	ليُرْوَوْا بهِ أهلَ الهجانِ المُكشَّحِ
٥	قبائلَ من كَعْبِ بن عَمْرٍو كأنّهم	إذا اجْتمعوا يوماً هضابُ المُضَيَّحِ
٦	تحُلُّ أدانيهِمْ بودّانَ فالشَّبا	ومسكِنُ أقصاهُمْ بشُهدٍ فمَنصَحِ

---

٢ البكري : بجنة .

---

١ متزحزح : متباعد .

٢ مرّ : موضع على مرحلة من مكة ، وهو مرُّ الظهران ؛ أذرح : مدينة تلقاء الشراة من أداني الشام ؛ وقال ياقوت : جبة أذرح موضع بالشام .

٣ ذو دوران : ما بين قديد والجحفة ؛ مفيض بالقداح : ضارب بها ، والقداح والأقدح : سهام الميسر ؛ شبه لمع البرق بحركة اليدين .

٤ ليرووا : على الدعاء ؛ الهجان : الإبل البيض ؛ المكشح : الموسوم بالنار في الكشح .

٥ كعب بن عمرو : هم خزاعة ؛ المضيح : اسم موضع .

٦ ودان : موضع ؛ والشبا : قريب من الأبواء ؛ وشهد : لبني المصطلق من خزاعة ؛ ومنصح : وادٍ بتهامة وراء مكة لبني عبد الله بن مطيع بن الأسود العدويين .

تخريج القصيدة ١١٧

الأبيات ١ – ٦ في ياقوت ٣ : ٣٣٩
البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٢ : ٣١
البيت ٢ في البكري : ١٣٠
» ٦ في البكري : ٧٧٧

١١٨

وقال :

١ تنيلُ قليلاً في تناءٍ وهجرةٍ ... كما مسَّ ظهرَ الحيّةِ المتخوِّفُ

٢ منعمةٌ أمـا ملاثُ نطاقِهـا ... فجلٌّ ، وأمّا الخصرُ منها فأهيفُ

ومنها يصف الغيث :

٣ فَذرني ولكن شاقَـني متغرّداً ... أغرُّ الذُّرى صاتُ العشيّاتِ أوْطفُ

٤ خفيٌّ تعَشّى في البحارِ ودونـه ... من اللجِّ خضرٌ مُظْلماتٌ وسُدَّفُ

٥ فما زالَ يستشرِي وما زلت ناصباً ... له بَصَري حتى غدا يَتَعَجْرَفُ

٦ من البحرِ حمحامٌ صُراحٌ غَمامُهُ ... إذا حنَّ فيه رعدُهُ يتكشّفُ

---

١ التنائي : البعد .

٢ الملاث : موضع اللوث وهو الربط والعقد ؛ جل : جليل ضخم .

٣ أغرّ الذرى : لتخلل البرق فيه ؛ صات : شديد الصوت ؛ والسحاب الأوطف : الذي فيه استرخاء لكثرة الماء فيه .

٤ يريد أن هذا السحاب تعشى من ماء البحر ، جعله كالعشاء له .

٥ يستشري : يستبحر ويزيد ؛ يتعجرف : يتحرك بسرعة كأنّه لا يبالي .

٦ حمحام : ذو حمحمة ، أي صوت ؛ يتكشف : يملأ برقه السماء .

٧ إذا حنَّ فيه الرَّعدُ عجَّ وأرْزمَتْ   له عُوَّذٌ مِنها مطافيلُ عُكَّفُ

٨ تَرَبّعُ أُولاه عــلى حَجِراته   جميعاً وأُخراه تنوب وتردفُ

٩ إذا استدْبرَتهُ الرّيح كي تستخفَّهُ   تَراجَن مِلْحاحٌ إلى المكْثِ مُرْجفُ

١٠ ثقيلُ الرَّحى واهي الكِفافِ دنا لهُ   ببيضِ الرُّبى ذو هيْدَبٍ مُتعصِّفُ

١١ رسا بغُرانٍ واستدارَتْ به الرَّحى   كما يستديرُ الزّاحِفُ المُتَغَيِّفُ

١٢ فذاك سَقى أُمَّ الحُوَيْرِثِ ماءهُ   بحيثُ انْتوَتْ واهي الأسرّة مُرْزِفُ

---

٩ اللسان والتاج : إذا حركته . . . تزاجر . . . إلى الأرض مزحف ؛ المخصص : حركته . . . مزحف ؛ المخصص (٨ : ١٢٣) : إلى الأرض .

---

٧ حنَّ : صوَّت ؛ عج : رفع صوته ؛ أرزمت : حنّتْ ، العوذ : جمع عائذة وهي الحديثة النتاج من الإبل ؛ مطافيل : جمع مطفل وهي ذات الطفل ؛ عكف : عاكفة ، يعني على أولادها . شبه صوت الرعد بصوت نوق تحنّ أو ذكر تجاوباً بينهما .

٨ تربع : تقيم ؛ الحجرات : النواحي ؛ تردف : تأتي تالية .

٩ تستخفّه : تحمله ؛ تراجن : أقام ؛ ملحاح : ملح بالمطر ، أو ثابت لا يريد أن يتحرك ؛ مرجف : مصوّت ؛ وفي رواية اللسان والتاج « تزاجر ملحاح إلى الأرض مزحف » تزاجر: أرسل أصواتاً، وجعله مزحفاً بمنزلة المعيي من الإبل لبطء حركته وذلك لما احتمله من كثرة الماء .

١٠ الرحى : الصدر ؛ الكفاف : جمع كفة وهي حاشية السحاب ؛ الواهي : من وهى السحاب إذا تبعق تبعقاً بالمطر . المتعصف : المسرع .

١١ غران : اسم موضع بتهامة ، وقال ابن السكيت : غران واد ضخم بالحجاز بين ساية ومكّة ؛ والرحى : السحابة المستديرة ؛ الزاحف : المعيي في مشيه ؛ المتغيف : المتمايل .

١٢ الأسرة : جمع سرّ ، وسرّ كل شيء جوفه ، فإذا كان واهياً انبثق منه المطر . مرزف =

ومنها يصف خباء :

١٣ وبيتٍ بمومـاةٍ من الأرض مجهلٍ كظلّ العقاب تستقلُّ وتخطفُ
١٤ بنيتُ لفتيانٍ فظلٍّ ، عمادُهُ بِداويةٍ قفرٍ وشيجٌ مُثَقّفُ

* * *

١٥ ونحن منعنا بـين مَرٍّ ورابغٍ من الناسِ أن يُغْزَى وأن يُتكنَّفُ
١٦ إذا سَلَفٌ منا مضى لسبيلِهِ حَمى عَذِراتِ الحيِّ مَن يتَخلّفُ

---

١٥ الحازمي : يوم مرّ . . . إذ تغزى . . . تتكنف .

= ومرزم : مصوّت .

١٤ يريد أنّه ركز رمحه (الوشيج المثقف) وجعله عماداً لبيت نصبه في الصحراء .

١٥ رابغ : واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة ، قال ابن السكيت : رابغ بين الجحفة وودّان؛ يتكنف : يحاط به .

١٦ العذرات : جمع عذرة وهي فناء البيت .

تخريج القصيدة ١١٨

الأبيات ١ – ١١ ، ١٣ – ١٦ في المسالك ١٤ : ٧٠
« ٧ ، ٩ – ١٢ في ياقوت ٣ : ٧٨١
« ٧ ، ٩ ، ١٠ في ياقوت ٢ : ٢٩٣
البيت ٤ في المحكم ٢ : ٢٠٧ واللسان (عشى)
« ٩ في المخصص ٩ : ٩٥ واللسان والتاج (زحف) – دون نسبة – والعجز وحده في المخصص ٨ : ١٢٣
« ١١ في البكري : ٩٩٣
« ١٥ في البكري : ٦٢٥ وياقوت ٢ : ٧٢٨ والحازمي (رابغ)

١١٩

وقال :

١ تلهو فتختضع المطيُّ أمامها وتخبُّ هرولةَ الظليمِ النافرِ
٢ وإذا الفلاةُ تعرَّضَتْ غيطانُها نَهَضَتْ بأتلعَ في الجديلِ عُراعِرِ
٣ وسجتْ دعائمُ صلبها واستعجلتْ من وقعهنَّ بصائبٍ متبادرِ
٤ تعدو النجاءَ بخيطفٍ مأطورةٍ ويدٍ لها نَسَجَتْ بضبعٍ مائرِ
٥ وإذا المطيُّ تحدَّرَتْ أعطافُهُ نَضَحَ الكحيلُ بهِ كجوفِ القاطرِ
٦ وكسا معاطسَها اللُّغامُ ولُفّعَتْ فيه حواجبُ عينها بغفائرِ
٧ زَهِمُ المشاشِ من النواشطِ باللوى أو بالجَنابِ رأينَ أسْهُمَ عائرِ

---

٢ تعرضت : امتدت ؛ غيطانها : سهولها ؛ الأتلع : العنق ؛ الجديل : الحبل ؛ العراعر : الضخم .

٣ دعائم صلبها : قوائمها ؛ وسجت : أسرعت المشي ؛ الصائب المتبادر : المشي السريع الذي تقع فيه القوائم مواقعها .

٤ النجاء : السير السريع ؛ خيطف : يقال عنق خيطف أي سريعة الحركة وجمل خيطف أي سريع المرّ ؛ مأطورة : مثنية ؛ نسجت : أسرعت ، وإذا قرئت بالبناء للمجهول فقد تعني : وصلت وضمت إلى ؛ والضبع : العضد ؛ المائر : السريع المتحرك .

٥ الكحيل : القطران ؛ القاطر : البعير الذي لا يزال يقطر بوله .

٦ اللغام : الزبد ؛ الغفائر : جمع غفارة وهي الخرقة ، شبه اللغام بها .

٧ زهم : سمين كثير الشحم ؛ المشاش : رؤوس العظام ؛ النواشط : جمع ناشطة وهي السريعة ؛ العائر : السهم الذي لا يدري من رماه ولعله يعني هنا رامي السهام .

تخريج القصيدة ١١٩

الأبيات ١ – ٧ في المسالك ١٤ : ٦٨

١٢٠

وقال :

١ غدتْ من خُصوص الطَّفّ ثم تمرّستْ بجنْبِ الرَّحا من يومها وهو عاصِفُ

٢ ومرَّتْ بقاع الرَّوْضتَيْنِ وطرْفُها إلى الشَّرَفِ الأعلى بها مُتَشارِفُ

٣ فما زال َ إسآدي على الأينِ والسُّرى بحزَّةَ حتى أسْلمَتْها العَجارِفُ

---

١ الخصوص : موضع قريب من الكوفة ؛ والطف : أرض من ضاحية الكوفة ؛ الرحا : جبل بين كاظمة والسيدان عن يمين الطريق من اليمامة إلى البصرة ؛ تمرست : أكلت من الشجرة وقتاً بعد وقت .

٢ الروضتان : موضع ؛ متشارف : مرتفع سامٍ .

٣ الإسآد : سير الإبل ليلاً ؛ الأين : التعب والإعياء ؛ حزة ، قال ابن السكيت : موضع ؛ قال ياقوت : والظاهر أن حزَّة اسم ناقته ؛ العجارف : ذوات النشاط .

تخريج القصيدة ١٢٠

الأبيات ١ – ٣ في ياقوت ٢ : ٢٩٣

البيت ٣ في البكري : ٤٤١

١٢١

وقال :

١ وأنتِ لعيني قُرَّةٌ حــين نلتقي وذكرُكِ في نفسي إذا خدِرَتْ رجلي

٢ وإن رَمِـدَتْ عيناي يوماً كحلْتُها بعينيكِ ، لم أبْغِ الذّرورَ من الكُحْلِ

تخريج القصيدة ١٢١

البيتان ١ ، ٢ في نوادر الهجري (الورقة : ١٤١ ، نسخة القاهرة) وورد البيت الأول في ديوان جميل : ١٧٢ وهو لجميل في السمط : ٦٦٠

١٢٢

وقال :

١ وراجعتُ نفسي واعترتـني صبابـةٌ وفاضتْ دموعي عبرةً خشية [النوى]

٢ [وقلت] وكيفَ المنتهى دون خُلّةٍ هيَ العيشُ في الدنيا وهِيْ منتهى المنى

تخريج القصيدة ١٢٢

البيتان ١ ، ٢ في نوادر الهجري (الورقة : ١٤١ ، نسخة القاهرة)

١٢٣

١ أقوى وأقْفرَ مِن ماويّةَ البُرَقُ فذو مُراخٍ فقَفْرُ العَلْقِ فالحُرَقُ
٢ فآكُمُ النّعْفِ وحشٌ لا أنيس بها إلاّ القطا فتلاعُ النّبْعَةِ العُمُقُ

---

١ أقوى: درس وعفا أثره؛ البرق : جمع برقة ، ولعله يشير به إلى موضع خاص . والمراخ: موضع قريب من المزدلفة — وقد روي بالحاء المهملة — (ياقوت) ؛ وقال البكري : بكسر أوله وبالحاء المهملة : موضع في ديار عضل هكذا ورد في شعر كثير وصحت الرواية به (واستشهد بالبيت) وورد في شعر أبي قلابة — مُراح — بضم الميم ، هكذا رواه القالي عن ابن دريد عن شيوخه ورواه السكري بذي مُراخ — بضم أوله وبالخاء المعجمة — ؛ العلق : موضع لم يعينه ياقوت أو البكري ؛ وكذلك لم يعينا « الحرق » .

٢ آكم : جمع أكمة ؛ النعف: المكان المرتفع في اعتراض ويضاف فيقال مثلاً: نعف سويقة ونعف مياسر ؛ تلاع : جمع تلعة وهي موضع مرتفع ينحدر منه الماء ؛ والنبعة والنبيعة وذات النباث كلها تمثل « عرفات » . فالنبعة جبل هنالك . ووصف التلاع بأنها عمق، لأن التلعة قد ينظر إلى ارتفاعها كما ينظر إلى قاعدتها المنخفضة .

تخريج القصيدة ١٢٣

البيتان ١ ، ٢ في ياقوت ٤ : ٧٣٩
البيت ١ في البكري : ١٢٠٥

١٢٤

وقال يهجو نصيباً الشاعر :

١ رأيتُ أبا الحَجْناءِ في النّاس جائزاً ... ولونُ أبي الحَجْناء لونُ البهائمِ

٢ تراهُ على ما لاحهُ مِنْ سوادِهِ ... وإن كان مظْلوماً له وجهُ ظالمِ

---

١ أبو الحجناء : كنية نصيب ؛ وكان نصيب أسود .

٢ قيل لنصيب عندما هجي بهذا الشعر : ألا تجيب قائله، فأبى وقال : ما وصفني إلا بالسواد وقد صدق .

تخريج القصيدة ١٢٤

البيتان ١، ٢ في الشعر والشعراء: ٣٢٣ لكثير وهما في الأغاني (١ : ٣٣١) لشاعر من أهل الحجاز

١٢٥

وقال :

١ برِئتُ إلى الإلهِ من ابنِ أرْوى ومِنْ قولِ الخوارِجِ أجمعينا

٢ ومَن عُمَرٍ برِئْتُ ومن عتيقٍ غداةَ دُعيْ أميرَ المؤمنينا

---

١ ابن أروى : عثمان بن عفّان .

٢ عتيق : أبو بكر الصديق ؛ دعي : بتسكين الياء ؛ وقد تقرأ « دُعَى » بضم الدال وفتح العين وهي لغة حجازية .

تخريج القصيدة ١٢٥

البيتان ١ ، ٢ في الشعر والشعراء : ٤١٠ والخزانة ٢ : ٣٨٣ والفرق بين الفرق : ٤٢ والرسعني : ٣٩

١٢٦

وقال :

١ صديقُكَ حينَ تَسْتَغْني كثيرٌ　　وما لك عند فقرِكَ مِن صديقِ

٢ فلا تنكرْ على أحدٍ إذا ما　　طوى عنكَ الزيارةَ عندَ ضيقِ

٣ وكنتُ إذا الصديقُ أراد غيظي　　على حَنَقٍ وأشرقني بريقي

٤ غفرتُ ذنوبَهُ وصفحتُ عنه　　مخافةَ أن أكونَ بلا صديقِ

---

٣ الصداقة (٤٠٠) : نبا بأمري ، وأشرقني على حنق .

٤ الصداقة (٤٠٠) : وكظمت غيظي ؛ الصداقة (١٩) : مخافة أن أعيش .

تخريج القصيدة ١٢٦

الأبيات ١ – ٤ في الذهب المسبوك : ٣٣

البيتان ٣ ، ٤ في الصداقة : ٣١ ، ٤٠٠ (دون نسبة) . وفي الصداقة (١٨ – ١٩) أبيات منسوبة لأبي زبيد الطائي والبيت الرابع فيها :

وأغمض للصديق عن المساوي　　مخافة أن أعيش بلا صديق

وهذا البيت نفسه في العيون (٣ : ١٦) مما أنشده ابن الأعرابي ولم يذكر قائله .

١٢٧

وقال :

١ خيرُ إخوانكَ المُشارِكُ في الأمْرِ وأينَ الشّريكُ في الأمْرِ أيْنا

٢ ألذي إن حَضرْتَ سرَّك في الحَيّ وإن غِبْتَ كانَ أُذناً وعَيْنا

٣ ذاك مِثلُ الحُسامِ أخلَصَهُ القينُ جِلاهُ الجلاّء فازداد زَيْنا

٤ أنْتَ في معشرٍ إذا غِبتَ عنهُمْ بدّلوا كلَّ ما يزينُكَ شَيْنا

٥ وإذا ما رأوْكَ قالوا جَميعاً أنْتَ مِن أكْرَمِ الرّجالِ عَلَيْنا

---

٢ الصداقة : لا ينِي جاهداً يحوطك في الحضر .

تخريج القصيدة ١٢٧

الأبيات ١ – ٥ في الذهب المسبوك : ٣٣

« ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ في الصداقة : ٩٢ (دون نسبة)

١٢٨

١ أُنادي لجيرانِنـا يقصِدوا فنَقْضي اللُّبانَةَ أوْ نَعهدُ

٢ كأنَّ على كبدي قُرْحةً حذاراً من البينِ ما تَبْرُدُ

تخريج القصيدة ١٢٨

البيتان ١ ، ٢ في الأغاني (١٩ : ٦٨) ويروى «على كبدي جمرة» . وعجز البيت الأول ورد لعمر بن أبي ربيعة (ديوانه : ٩١) :

ألست مشيعنـا ليلـة نقضي اللبانة أو نعهـد

١٢٩

وقال :

١ يا عــينِ بكّي للذي عالني منكِ بدمْعٍ مُسْبلٍ هامِلِ

٢ يا جَعْدَ بَكّيهِ ولا تسأمي بُكاءَ حقٍّ ليسَ بالباطلِ

٣ إن تستُري الميتَ على مِثْلِهِ في النّاس من حافٍ ومن ناعلِ

تخريج القصيدة ١٢٩

هي رقم ٨٢ في الديوان؛ والبيت الأول في الكامل ٤ : ٥٠ ولم أجد البيتين الآخرين

١٣٠

وقال :

١ إنَّ امرءاً كانت مساوئُـهُ حُبَّ النّبيِّ لَغَيْرُ ذي عَتْبِ
٢ وبني أبي حسنٍ ووالدهِمْ مَن طابَ في الأرْحامِ والصُّلبِ
٣ أتَرَوْنَ ذنْباً أنْ نُحِبَّهُمُ بلْ حُبُّهُمْ كفّارَةُ الذّنْبِ

---

٢ طاب : كان طاهر النسب من قبل الأمهات (الأرحام) والآباء (الصلب) .

تخريج القصيدة ١٣٠

الأبيات ١ – ٣ في الذهب المسبوك : ٣٢

١٣١

وقال :

١ وكان الخلائفُ بعد الرَّسولِ للهِ كُلُّهُمُ تابعـا
٢ شَهيدانِ مِن بَعْدِ صِدّيقهِمْ وكان ابنُ خَوْلى لهُمْ رابِعا
٣ وكان ابْنُهُ بَعْدَهُ خامساً مُطيعاً لِمَنْ قَبْلَهُ سامِعا
٤ ومَرْوانُ سادسُ مَن قد مضى وكان ابنُهُ بعدهُ سابعا

تخريج القصيدة ١٣١

هي رقم ٧٨ في الديوان ولم أجدها في مصادري ، والاعتراف فيها بأبي بكر يخالف ما ورد في رقم : ١٢٥ .

١٣٢

وقال :

١ ما بالُ مولًى أنتَ ضامنُ غيبهِ فإذا رأيتَ الرُّشْدَ لم يرَ ما ترى
٢ وترى المَساعي عِندَهُ مَطلولَةً كالجودِ يُمْطِرُ ما يُحَسُّ له ثرى
٣ فاللهُ يَجزي بَيْنَنا أعمالَنا وضَميرَ أنْفُسنا ويوفي من جزَى

تخريج القصيدة ١٣٢

الأبيات ١ - ٣ في حماسة البحتري : ٢٤٢

١٣٣

كتب عبد الملك إلى محمد بن الحنفية « إنّه قد بلغني أن ابن الزبير قد ضيق عليك وقطع رحمك واستخف بحقك حتى تبايعه ، فقد نظرت لنفسك ودينك وأنت أعرف به حيث فعلت ما فعلت وهذا الشأم فانزل منه حيث شئت فنحن مكرموك وواصلو رحمك وعارفو حقك » فقال ابن الحنفية لأصحابه : هذا وجه نخرج إليه ؛ فخرج ومعه كثيّر عزّة ينشد :

١ أنت إمامُ الحقِّ لسنا نَمْتَرِي
٢ أنتَ الذي نرضى بهِ ونرتَجِي
٣ أنتَ ابنُ خيرِ النّاس مِن بعد النبي
٤ يا ابن عليّ سر ومَنْ مثلُ علي
٥ حتّى تحلَّ أرضَ كابٍ وبلي

وقد ورد هذا الرجز في فرق القميّ على النحو الآتي وفيه إشارة إلى أنّه قيل بعد موت ابن الحنفية :

١ ما مت يا مهديُّ يا ابنَ المهتدي
٢ أنت الذي نرضى بهِ ونرتجي
٣ أنتَ ابنُ خيرِ النّاس من بعد النّبي
٤ أنتَ إمامُ الحقّ لسنا نَمْتَري

....

١ الكامل : هديت يا مهدينا ابن المهتدي .

٥ يا ابنَ عليّ سر ومَن مثل علي

٦ وسِر بِنا مصاحباً لا تنثني

٧ حتى نحاذي أرضَ كلبٍ وبلي

٨ ثمّتَ أقبلْ ، جاركَ اللهُ العلي

٩ بيّنْ لنا وانصح لنا يا ابن الوصي

١٠ بيّنْ لَنا مِن دينِنا ما نَبتغي

---

٧ في الأصل : حتى نجاوز ذات كرب .
٨ في الأصل : ثم .

تخريج القصيدة ١٣٣

الأرجوزة والخبر في طبقات ابن سعد ٥ : ١٠٧ والصورة الثانية منها في فرق القمي : ٢٩ والكامل لابن الأثير ٤ : ٢٥٢ بهذا الترتيب : ١ – ٥

أُبيات مفرَدَة



١٣٤

إذا شبّبْتُ في غيْرِ ابنِ ليلى عروضَ قصيدةٍ بغُضَ الشّبابُ

في الأساس (شبب) ؛ قال : وقصيدة حسنة الشباب وهو التشبيب ، قال كثير . . . الخ .

١٣٥

لما انتقدته قطام في قوله « وما روضة بالحزن . . . » (القصيدة : ٨٨) ، قام وهو يقول :

الحَقُّ أبلجُ لا تزيغُ سبيلُهُ والحَقُّ يعرِفُهُ ذوو الألبابِ

الموشح : ٢٤٣ (ما يخيل سبيله) والأغاني ١٥ : ٢٢٥ (لا يخيل) والمحاسن والأضداد : ٩٤ ، ١٤٠ ؛ وانظر (١٦٦) من المفردات أيضاً ؛ ولعله مما تمثل به وليس من نظمه .

١٣٦

فإن تنظراني تنظرا ذا لبانةٍ وإن ترحلا يرحلْ اشمّ بليجُ

ابن جني ٣ : ١٩٤ ب .

بليج : طلق بالمعروف .

١٣٧

له نَزْلةٌ عند الصَّريمِ ونزلةٌ إذا الشمسُ كانتْ كالرداء المخرّجِ

نوادر الهجري (الورقة : ١٤١ ، نسخة القاهرة) .

الصريم : الصبح ؛ الرداء المخرج : الذي اصطبغ بياضه بحمرة . وفي أصل الهجري « الخبرج » ولعلها « المضرج » .

١٣٨

بطِرْفٍ ومِذْعانٍ وألْفٍ وحُلّةٍ وسيْفٍ عتيقٍ من جِياد الصَّفائحِ

ورد في الجزء ١١ من مصنف مجهول (لعله للبلاذري) ص : ٢٣٥ (بيريس ٢ : ٢٢٢) .

١٣٩

وقفتُ بهــا مستعجماً ببيانها سفاهاً كحبسي يومَ بُرق الأمالحِ

في ياقوت (١ : ٥٧٧) والتاج (برق) .

١٤٠

قال كُثيّر يهجو رجلاً :

بصاحبٍ لكَ ما دالَيتَهُ غلُظَتْ منهُ النّواحي وإن عاتَبْتَهُ جَحَدا

في الأساس (دلى) قال : داريت فلاناً وداليته : صانعته ورفقت به ، قال كثير . . . (البيت) .

١٤١

وقُلْتُ وفي الأحشاء داءٌ مُخامرٌ ألا حبّذا يا عزَّ ذاك التشايُرُ

ورد في نثار الأزهار (٥٦) ؛ دخل عبد الله بن عمر بن غانم قاضي إفريقية على أميرها يزيد بن حاتم فجرى بينهما كلام ذكر فيه هلال رمضان ؛ فقال ابن غانم : أهللنا هلال رمضان فتشايرناه بالأيدي ؛ فقال يزيد : لحنت يا ابن غانم إنما هو تشاورناه ، فاختلفا في ذلك واحتكما إلى قتيبة النحوي فحكم لابن غانم واستشهد بقول كثير ؛ وانظر الشنقيطي (٢ : ١١٦) حيث وردت القافية « التساتر » وهذه مخالفة للحكاية التي تقدمت .

١٤٢

أُحبُّ من النّسوان كلّ قصيرَةٍ   لها نَسَبٌ في الصّالحينَ قصيرُ

ورد في الجمهرة ٢ : ٢٥٨ والمعاني الكبير : ٥٠٥ واللسان (قصر) دون نسبة . وقال ابن قتيبة في شرحه : قصيرة ، مقصورة محبوسة ، ونسب قصير أي تعرف بأبيها الأول ولا تحتاج أن تنسب إلى أكثر منه .

١٤٣

قال يهجو بني ضمرة :

ويُحْشَرُ نورُ المُسلمين أمامهُمْ   ويُحشَرُ في أستاهِ ضمرَةَ نُورُها

في المعاني الكبير : ٥٩٥ ؛قال : يريد أنهم برص الفقاح ، وفي العيون ٤ : ٦٦ .

١٤٤

سقى اللهُ أمواهاً عرَفْتُ مَكانها   جُراباً ومَلْكوماً وبَذَّرَ والغَمْرا

في سيبويه والشنتمري (٢ : ٧) وابن يعيش ١ : ٧٢ ؛ قال الشنتمري : الشاهد في ترك صرف « بذر » – وهو اسم ماء – لموافقته من أبنية الأفعال ما لا نظير له في الأسماء لأن فعّل بناء مختص به الفعل ولا يحتج بـ « بقّم » لأنه أعجمي معرب . . . الخ ؛ ونصب جراباً وما بعده على البدل من الأمواه ، لأنها كلها أسماء مياه ، ودعا بالسقيا للأمواه وهو يريد أهلها النازلين بها ، اتساعاً ومجازاً ؛ وفي التاج (بذر) هذه كلها آبار بمكة ، قال ابن بري : هذه كلها أسماء مياه بدليل إبداله من قوله أمواهاً ، ودعا بالسقيا . . . الخ ؛ وانظر التاج (لكم) – دون نسبة – وفيه « جؤاثى » .

١٤٥

خروجٍ مِن الغُمّى إذا كثُرَ الوغى ... كما انجلتِ الظَّلماءُ عن ليْلةِ البدْرِ

في المخصص (١٥ : ١٥٧) قال : الغمة والغمى اسم الغبرة والظلمة والشدة التي تغم القوم في الحرب أي تغطيهم .

١٤٦

لهونا زماناً وامقــين لعيشنا ... فلما انطوَت عني اندملت على غمرِ

في ابن جني ٢ : ٣٩ ب أي انطويت على شيء في صدري أشكوه .

١٤٧

وقال في صفة الأسد :

وردٌ عريضُ السّاعدينِ حديـ ... ـدُ النّابِ بين ضراغم غُبرِ

ابن أبي حصينة ٢ : ٤٠ .

١٤٨

بصَبرٍ وإبقاء على جُلّ قومِكُمْ ... على كلّ حالٍ بالأنى والتّحفُّزِ

ورد في المخصص (١٥ : ١١٦) منسوباً لكثير ؛ قال : والأنى مقصور جمع أناة وهو الترفق والتؤدة .

١٤٩

إذا قُلتُ أسلو عاودَتْهُ مُبيئةٌ ... لها طيفُ حاجاتٍ يَرِدنَ شُروعُ

في كتاب الجيم (١١) اعتماداً على ما قاله بيريس .

١٥٠

ما وصْلُ عزَّةَ إلاَّ وصْلُ غانيةٍ في وصْلِ غانيةٍ عَن وصلها خلَفُ

ورد في العيون ٤ : ٢٩ والمحاسن والأضداد : ١٤١ وذم الهوى : ٥٠٤ وتزيين الأسواق: ١٥١ ، وهو داخل في القصة التي تحكي تعرض بثينة له ، لتختبر مدى حبه لعزة .

١٥١

فقالوا ما عذيرك واشرأبوا على كيرانهم وهمُ وقوفُ

في ابن جني ٢ : ١٥١ ب ، ٣ : ٢٢٩ ب .

١٥٢

همَمتُ وهمّتْ ثمَّ هابَتْ وهبتُها حياءً ومِثْلي بالحياء حَقيقُ

في العقد (٥ : ٣٧٣) وقص كيف سمر كثير عند عبد الملك فأنشده هذا البيت فقال له عبد الملك : أما والله لولا بيت أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك ، قال : لم يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنك شركتها معك في الهيبة ثم استأثرت بالحياء دونها . أما البيت الذي أشار إليه عبد الملك فهو :

دعوني لا أُريد بها سواها دعوني هائماً فيمن يهيم

١٥٣

وكانت منى أرضٍ بعيد مرامها قريب على خيل جوائلَ سُبّقِ

ابن جني ١ : ٥٢/أ .

١٥٤

بات يجتاب عرض كلّ مرورا ةٍ ويطوي الرقاق بعد الرقاقِ

ابن جني ٣ : ٢٥٣/أ .

١٥٥

تميلُ إذا مالتْ عليه دلاؤهُمْ فيصدرُ عنها كلّها وهو ناهلُ

رفع الحجب ١ : ١٨٨ .

١٥٦

أنت ابنُ فَرْعَيْ قريشٍ لو تقايسُها في المجد صار إليك العرْضُ والطّولُ

في الصناعتين : ١٢٧ ، ٢٧٣ ؛ يقول : صار إليك المجد بتمامه .

١٥٧

لميّةَ موحشاً طَلَلُ يلوحُ كأنّهُ خِلَلُ

أورده العيني (٣ : ١٦٣) ونسبه لكثير عزة ؛ وقال البغدادي (الخزانة ١ : ٥٣٣) وقد قيل إنه لكثير عزة ، وانظر الشنتمري ١ : ٢٧٦ وشرح شواهد المغني : ٨٨ وابن يعيش ١ : ٢٢٥ والجامع : ٢٤٩ والشذور : ٧ وشرح شواهد القطر : ٣٣ والشاهد فيه تقديم موحش على « طلل » ونصبه على الحال ؛ قال الشنتمري : ويروى « لعزة موحشاً » ؛ يقول : تلوح آثاره وتتبين تبين الوشي في خلل السيوف وهي أغشية الأغماد ، واحدتها « خلة » ؛ ونظر رقم : ٢٩ في الأبيات المنسوبة .

١٥٨

قال أيضاً :

لو أنَّ الباخلينَ وأنتِ منهـُم ... رأوْكِ تعلـّموا منكِ المِطالا

في الصناعتين : ٤٨ ، ٣٩٤ والعمدة ٢ : ٣٦ والتبيان : ١٧٥ وانظره بقافية (العطايا) في الأبيات المغيرة القوافي .

١٥٩

وإني إذا بانتْ عـُزَيـْزَةُ لم أجدْ ... جليداً إلى نفسي مليحَ الشـّمائلِ

نوادر الهجري (الورقة : ١٤٣ ، نسخة القاهرة) .

١٦٠

فإني لأبلي مِن نساءٍ سَواءها ... فأمـّا على ليلى فإنـّيَ لا أُبلْي

في السبع الطوال : ٢١٣ واللسان والتاج (بلا) – دون نسبة ، وروايته في اللسان والتاج :

وإني لأبلي الناس في حب غيرها ... فأمـّا على جملٍ فإني لا أبلي

لا أبلي : لا أحلف ؛ يقال : يا فلان أبل فلاناً يميناً أي احلف له يميناً تطيب بها نفسه .

١٦١

فالمُستكنُّ ومن يمشي بمَرْوَتهِ ... سيـّان فيه ومن بالسـّهلِ والجـَبلِ

في أمالي القالي ١ : ١٧٥ والتشبيهات : ١٦٣ .

١٦٢

أراني ولا كُفرانَ للهِ إنّما أُواخي من الأقوام كلَّ بخيلِ

في سيبويه والشنتمري ١ : ٤٦٦ وابن يعيش ٢ : ١١١٢ والشنقيطي ١ : ٢٠٥ والشاهد فيه كسر « إنما » لوقوعها موقع الجملة المبتدأة النائبة مناب المفعول الثاني لأرى ، وأرى هنا بمعنى أجد وأعلم ، ولا يجوز فتح إنما هنا . وإنما ذكر أنه لا يؤاخي إلا أهل البخل لأنه متغزل والنساء موصوفات بالبخل ، فجعل ذلك عاماً في كل من يؤاخيه مبالغة في الوصف . قلت : وهذه فيما يبدو رواية في بيت كثير :

وأن تبخلي يا ليل عني فانني توكلني نفسي بكل بخيل

وليس في هذا شاهد كالذي تقدم (انظر القصيدة رقم : ٤ ، البيت : ٢٠) .

١٦٣

إلى جَدَويّاتٍ عليهنَّ صبغةٌ من اللؤمِ ، في أعطافهنَّ خُمومُ

نوادر الهجري (الورقة : ١٤٣ ، نسخة القاهرة) .

الجدويات : منسوبات إلى بني جدي وهو إلى ضمرة ؛ والخموم : النتن ، يقال : خم الشيء يخم خموماً .

١٦٤

لو كان حيّاً قبلَهُنَّ ظعائناً حيّا الحطيمُ وجوهَهُنَّ وزمزمُ

ورد في شرح العكبري على ديوان المتنبي ٢ : ٤١٢ .

١٦٥

دعوني لا أُريدُ بها سواها دعوني هائماً فيمَنْ يهيمُ

في العقد ٥ : ٣٧٤ ؛ وانظر ما سبق ذكره حول هذا البيت (رقم : ١٥٢) في الأبيات المفردة .

١٦٦

الحقُّ أبلجُ لا يخيلُ سبيلُـهُ والحقُّ يعرُفُه ذوو الأحلامِ

في الموشح : ٢٤٢ وقد ورد في الباء من الأبيات المفردة (رقم : ١٣٥) .

١٦٧

ببياضِ الدِّماثِ من بَطْنِ ريمٍ فبمَفْضَى الشُّجونِ من أجام

في البكري : ١٨٧ (أجام) .

١٦٨

وقال يصف فرساً :

إذا جرَى مُعتمداً لأمّـهِ يكادُ يَفْري جِلْدَهُ عن لحمهِ

ورد في التشبيهات : ٤٣ والصناعتين : ٨٣ ورفع الحجب ٢ : ١٤ .

١٦٩

ويا حبّذا الموتُ الكريهُ لحبّها ويا حبّذا العيشُ المُجمَّلُ والجَنَنْ

في اللسان (جنن) ؛ والجنن : الميت ؛ قال ابن بري : الجنن ههنا يحتمل أن يراد به الميت والقبر .

١٧٠

كأنّ قذًى في العين قد مَرِحَتْ به   وما حاجة الأخرى إلى المَرَحانِ

في الأساس (مرح) .

١٧١

يـا عمروُ لو نالتْكَ أرماحُنا   كنت كمن تَهوي به الهاويه

في كتاب الزينة ٢ : ١٩٧ .

١٧٢

ومن قاوٍ يُصيِّحُ أصْرَماهُ   ... ...

في المعاني الكبير (١ : ٢٠٣)

الأصرمان : الذئب والغراب ؛ والقاوي : المكان القفر .

أبيات مُغيّرة القوافي

١

قال كثيّر :

أقوى الغياطِلُ مِن حراجِ مَبَرّةٍ   بجنوبِ سهوَةَ قدْ عفتْ أرْماثُها

في ياقوت ٣ : ٢٠٦ وقافيته مغيرة ، والصواب « فرمالها » وهو البيت : ٣ من القصيدة (رقم : ٦٤) .

٢

قال كثيّر عزّة :

إذا ضربوا يوماً بها الآل زَيّنوا   مساندَ أشراقٍ بها ومغارِبا

في اللسان والتاج (شرق)؛ وقافيته مجرورة «ومغارب» وهو البيت ١٥ من القصيدة (رقم ٦٠) .

٣

وقال أيضاً يمدح عبد العزيز بن مروان :

١ إذا المالُ لم يوجِبْ علَيكَ عطاءهُ   حقيقةُ تقوى أو صديقٌ تراقبُهْ

٢ منَعْتَ وبعضُ المنعِ حزْمٌ وقوّةٌ   ولم يَعْتَمِلْكَ المالَ إلاّ حقائبُهْ

مغيرا القافية (بيريس ٢ : ٧٩)؛ وهما من قصيدة قافية « توامقه ، حقائقه » (رقم ٩٥) .

٤

فما وَرَقُ الدنيا بباق لأهله   ولا شدّةُ البلوى بضربةِ لازبِ

في اصلاح المنطق: ٢٨٩ ؛ اللازب : الثابت وهو كاللازم لغة ، وقافية البيت ميمية « لا زم »، وهو في قصيدته في محمد بن الحنفية ، البيت : ٨ (القصيدة رقم ٢٣) .

٥

فسقى الغيث منتوى أُم عمرو حيثُ نصّت بها صدور الركابِ

في ابن جني ٣ : ٧٢ ب وقافيته : « صدور الرحال » وهو من قصيدته : ٨١ (البيت : ١٦).

٦

قال أيضاً :

فأسحقَ بُرْداهُ ومَحَّ قميصُهُ فأثوابُهُ ليسَتْ لهُنَّ مضارِجُ

ذكره في أمالي القالي (١ : ٣٧) – وكتب في الطبعة الثالثة « مضارح » إلا أنه ذكر في فهرست القوافي في حرف الجيم ؛ وفي التاج أيضاً (ضرج) وهو مغير القافية وصوابه « مضارح » – بالمهملة – وهو البيت ١٢ من القصيدة (رقم ١٤) .

٧

وكيفَ ينالُ الحاجبيّةَ آلفٌ بيَلْيَلَ مُمساهُ وقد جاوزَتْ رقدا

أورده السيوطي في الأشباه والنظائر ١ : ١٢٥ وابن جني في الخصائص ٢ : ٢٩٨ وقد تغيرت قافيته والصواب « وقد جاوزت نخلا » وهو البيت : ٥ من القصيدة : ٧٦ .

٨

إذا ضَمْريّةٌ عطسَتْ فنِكْها فإنَّ عُطاسها طرَفُ السِّفادِ

الأغاني ١ : ٣٣٨ والقافية فيه مغيرة ، حيث جاء في الأغاني (١٢ : ١٨١) « طرف الوداق » انظر البيت ٨ من القصيدة (رقم : ٧٨) .

٩

وما سال واد من تِهامة طيب   بهِ قلبٌ عـــادية وكرورُ

في اللسان والتاج (عود) ؛ وقافيته مغيرة ، وصوابه «وكرار» وهو البيت السابع من القصيدة (رقم : ٨٧) .

١٠

فالعَبَيْلاءُ منهمُ بيمينٍ   وتركْنَ العقيقَ ذات اليسارِ

في البكري : ٩١٩ وهو مغير القافية ، وصوابه «ذات النصال» (انظر البيت ١٣ من القصيدة رقم : ٨١ ٧٦) .

١١

رمتني بسهمٍ ريشُهُ الهُدْبُ لم يُصِبْ   ظواهرَ جلدي ، وهو للقلبِ صادعُ

نسبه العميدي في الإبانة (٢٧ ، ٥٦) لكثير ، وورد برواية (جارح) في الواحدي : ٣٠ و(جارحي) في العكبري ١ : ٣١٥ والوساطة : ٤٠٤ .

١٢

فهُنّ مناخات عليهن زينة   كما اقتان بالنبت العهاد المحوفُ

في اللسان والتاج (قين ، عهد) والمخصص ١٠ : ١٩٣ وهو مغير القافية والصواب «المجود» انظر البيت : ١٢ في القصيدة رقم : ٩٠ غير أنه بالقافية الفائية يلحق بالقصيدة رقم : ١١٨ .

١٣

فقُلتُ لها بل أنتِ حنّةُ حوقلٍ   جرى بالفِرى بيني وبينكِ طابقُ

هكذا ورد في المخصص ١٥ : ١٣٨ والقافية فيه مغيرة وهي « طابن » – بالنون – وهو البيت : ٥ من القصيدة (رقم : ٧٥) .

١٤

أبا مروان أنت فتى قريش   وكهلهمُ إذا عَدُّوا الكهولا

في أنساب الأشراف ٥ : ١٦٧ مغير القافية ، وصوابه « إذا عد الكهول » وهو البيت ٣٨ من القصيدة (رقم : ٥) .

١٥

هل وصل عزة إلاّ وصل غانية   في وصل غانية من وصلها بدلُ

ورد في ذم الهوى : ٦٣٧ ، وقد وردت قافيته فائية في الأبيات المفردة رقم : ١٥٠ .

١٦

كذبَ العواذلُ بَلْ أرَدْن خيانتي   وبدَتْ روائِـعُ لُمّتي وقتومي

في الشريشي ٢ : ٤ ٢٠ ، وقافيته مرفوعة « وقتوم » وهو البيت : ٦ من القصيدة (رقم : ١٨) .

١٧

أُريد لأنسى ذكرها فكأنّما تمثَّلُ لي ليلى بكل مكانِ

في الإبانة : ٧٥ وابن جني ٢ : ٩٧ / أ والمعروف لكثير بيته من قصيدة لامية . . .
(بكل سبيل) ، وهو البيت ٣ في القصيدة (رقم : ٤) .

١٨

لو أنّ الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا منك العطايا

ورد في الشريشي ١ : ٣٧٨ وقد مرت قافيته « المطالا » في الابيات المفردة رقم : ١٥٨ .



أبيات منسوبة لكثيّر



١ *

١ ألا يا أيّها الجَدِلُ المُعنّي   لنا ما نحنُ ويحكَ والعَنـاءُ

٢ أتُبْصِرُ ما تقولُ وأنْتَ كهْلٌ   تُراكَ عليكَ مِن وَرَعٍ رِداء

٣ ألا إنَّ الأئمّةَ مِنْ قُرَيشٍ   وُلاةَ الحَقّ أربعَةٌ سواء

٤ عليٌّ والثّلاثَـةُ مِن بَنيهِ   هُـمُ أسباطُـهُ والأوصياء

٥ فأنّى في وصيّتهِ إلَيْهِمْ   يكونُ الشّكُ منّا والمراء

٦ بهِمْ أوصاهُمُ ودعا إليهِ   جميعَ الخلقِ لو سُمعَ الدّعاء

٧ فسَبْطٌ سِبطُ إيمـانٍ وحلمٍ   وسِبْطٌ غيّبَتْهُ كربـلاء

٨ سقى جدَثاً تضَمّنَهُ مُلِثٌّ   هتوفُ الرّعد مُرْتجزٌ رُواء

٩ تَظَلُّ مُظِلّةً مِنها عَزالٍ   علَيْهِ وتغتدي أُخرى ملاء

١٠ وَسِبطٌ لا يذوقُ الموتَ حتى   يقودَ الخيلَ يَقْدمُها اللّواء

١١ تغيّبَ لا يُرى عنهمْ زماناً   برَضْوى عندهُ عَسلٌ ومـاء

١٢ مِن البَيتِ المُحَجّبِ في سراةٍ   سراةٍ لَفَّ بينَهُمُ الإخـاء

١٣ عصائبُ ليس دون أغرَّ أجْلى   بمَكّةَ قائمٌ لهُمُ انْتهاء

---

* قد أشرنا إلى بعض الأبيات المنحولة لكثير في التذييل على بعض القصائد ، وأفردنا في هذا الباب ما لم نذكره هنالك .

أورد أبو الفرج هذه الأبيات (١ – ١٣) في الأغاني ٧ : ٢٣٨ – ٢٣٩ للسيد الحميري وقال : وهذه الأبيات بعينها تروى لكثير ؛ وقد ترددت الأبيات : (٣ ، ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ١١) في المصادر ونسبت لكثير في العيون ٢ : ١٤٤ والشعر والشعراء : ٤٢٣ والأغاني ٩ : ١٤ والمروج ٣ : ٨٧ والحور العين ١٥٨ (دون نسبة) وزهر الآداب : ٣٥٣ وفرق القمي : ٢٨ – ٢٩ وفرق البغدادي : ٤١ والرسعني : ٣٨ والوافي ٤ : ٩٩ والأشعري : ١٩ والشهرستاني ١ : ١٣٣ وورد ما عدا ١ في تمام المتون : ٤١٠ (دون نسبة) والبيتان ١٠ ، ١١ في ابن خلكان ٣ : ٣١٦ لكثير ، وورد البيت ٧ في البكري : ١١٢٣ واللسان والتاج (كربل) لكثير أيضاً . وقد زاد بيريس بعد هذه الثلاثة عشر المتقدمة خمسة أبيات ، من الواضح أنها ليست لكثير ، لأنها تعد رداً على ما جاء في الأبيات السابقة وقد صرح البغدادي بأنه نظمها مناقضة للأبيات السابقة (الفرق بين الفرق : ٤٢ والرسعني : ٣٨) ، وهي :

وُلاةُ الحَقّ أربعَةٌ ولكِنْ ... لثاني اثْنين قَد سَبَقَ العَلاءُ

وفاروقُ الذي أضحى إماماً ... وذو النّورَين بعدُ لهُ الولاء

عليّ بعدهُمْ أضْحى إماماً ... بتَرتيبٍ لهُمْ نزَلَ القَضاء

ومُبغضُ من ذكرْناهُم لعينٌ ... وفي نارِ الجَحيمِ لَهُ الجزاء

وأهلُ الرّفضِ قوْمٌ كالنصارى ... حَيارَى ما لِحَيْرَتِهِم دواء

٢

١ أبى القلبُ إلاّ أُمّ عمرٍو وبَغّضَتْ ... إليّ نساءً ما لهُنّ ذُنوبُ

٢ حلفتُ لها بالمأزِمَيْنِ وزَمْزمٍ ... ولله فوْقَ الحالفِينَ رقيبُ

٣ لئنْ كان بَرْدُ الماء هَيمانَ صادياً ... إليّ حبيباً إنّها لحبيبُ

٤ لعَمْرُ أبيها إنّ دَهْراً يرُدُّها ... إليّ على شَحْطِ النّوى لَطَلوبُ

٥ وليس على شَحْطِ النّوى أكثرالبكا ... لقد كنتُ أبكي والمزارُ قريبُ

٦ وإني لآتيها وفي النفسِ هجرها ... بتاتاً لأخرى الدهرِ أو لتثيبُ

٧ وما هو إلاّ أنْ أراها فُجاءةً ... فأبْهَتُ حتى ما أكادُ أُجيبُ

٨ وأُصرَفُ عن رأيي الذي كنتُ أرْتإي وأنْسَى الذي أعددتُ حينَ تغيبُ

٩ ويُظهِرُ قلبي حُبَّها ويُعينُها عليَّ فما لي في الفؤادِ نصيبُ

* * *

١٠ وقُل أُمُّ عمْرٍو داؤهُ وشِفاؤهُ لديها وريّاها إليهِ طبيبُ

١١ وكوني على الواشينَ لدّاءَ شَغْبَةً كما أنا للواشي ألدُّ شَغوبُ

الأبيات ١ - ٤ في العيني (٣ : ١٥٦) لكثير وفي الخزانة ١ : ٥٣٥ - ٥٣٦ ، ٣ : ٦١٦ أن الأبيات لعروة بن حزام ومنها في الأغاني (٢٣ : ٣٠٩ - ٣١٠) الأبيات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٢ ، ٣ لعروة ، و ٧ ، ٣ في مجموعة المعاني مع اثنين آخرين لعروة أيضاً . وقال صاحب الخزانة (١ : ٥٣٥) إن المبرد نسب البيتين ٢ ، ٣ في الكامل لقيس بن ذريح ؛ وفي حماسة الشجري ١ ، ٥ ، ٤ ، ٧ - ٩ ونسبها لكثير ؛ وذكر البكري (السمط : ٤٠٠) البيتين ٦ ، ٧ وقال : ذكر الحاتمي أن كثيراً اهتدم هذين البيتين ، من قول الشاعر :

وإني لآتيها وفي النّفسِ هَجرها بباتاً لأخرى الدّهرِ ما طَلع الفجر

فما هو إلاّ أنْ أراها فُجاءةً فأبهت لا عَرفٌ لديّ ولا نكر

قال : ولا أعلم هذين البيتين في شعر كثير وقد نسبا إلى مجنون بني عامر في شعر أوله « حلفت لها . . . » فقرر أن أول القصيدة ليس كما جاء به الشجري والعيني وصاحب الخزانة . والبيت السابع لعروة عند الحصري والمرتضى . وفي مصارع العشاق وتزيين الأسواق ومعاني العسكري (انظر حاشية السمط رقم ١ ص ٤٠٠) وهو عند سيبويه والشنتمري (١ : ٤٣٠) لبعض الحجازيين أو الحارثيين .

والبيتان ١٠ ، ١١ في الأغاني (٤ : ٢٦٩) منسوبين لكثير ، مع أن الثاني منها عند ابن سلام (٥٩٠) ليزيد بن الطثرية ، وورد في البصائر (٢ : ٦٢٦) دون نسبة . ولا أدفع أن تكون بعض أبياتها لكثير ، إلا أنها اختلطت مع أبيات عروة ، فلم يعد تمييزها ممكناً . وقد ذكر أبو الفرج (الأغاني ٤ : ٢٦٩) البيت العاشر لكثير وقال : قيل لكثير ما أنسب بيت قلته فقال : الناس يقولون :

أُريد لأنْسى ذكرَها فكأنّما تمثّل لي لَيلى بكلّ سبيل

وأنسب عندي منه قولي :

وقُل أم عمرو داؤه وشفاؤه لَدَيها وريّاها إليهِ طَبيبُ

٣

١ يُزَهِّدُني في حُبِّ عزّةَ مَعْشَرٌ قُلوبهُمُ فيهــا مُخالفةٌ قلْبي
٢ فقُلتُ دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلبِ لا بالعَينِ يُبصِرُ ذو اللّب
٣ وما تبصرُ العَينانِ في موضعِ الهوى ولا تسمعُ الآذانُ إلاّ من القَلْبِ
٤ وما الحُسن إلا كل حسنٍ دعا الصّبا وألّفَ بينَ العشقِ والعاشق الصّب

ذكر الأبيات الثلاثة الأولى في تزيين الأسواق ١ : ٤٨ لكثير عزة ، وهي – ومعها الرابع – لبشار بن برد ، وروايتها «في حب عبدة» في الأغاني (٣ : ٢٣٣) وأمالي القالي ٢ : ٥٥ وهي القطعةرقم : ٤٢ في مجموعة بدر الدين العلوي ، وانظر مزيداً من التخريج في الحاشية (ص ٤٣) .

٤

١ أسْعِداني بعَبْرَةٍ أسْرابِ من دموعٍ كثيرةِ التّسْكابِ
٢ إن أهلَ الخضابِ قد تركوني مُغْرَماً مولعاً بأهْلِ الخضابِ
٣ كم بذاك الحجونِ من حيٍّ صِدْقٍ وكُهُولٍ أعِفّةٍ وشَبابِ
٤ سكنوا الجزعَ جزْعَ بيت أبي مو سَى إلى النّخلِ من صُفيِّ السبابِ
٥ فارقوني وقد علِمتُ يقيناً ما لمَنْ ذاقَ ميتَةً مِن إيابِ
٦ أهْلُ بيتٍ تتابعوا للمَنايـا ما على الموتِ بعدهُمْ من عتابِ
٧ فليَ الويلُ بعدهُمْ وعَلَيهِمْ صِرْتُ فَرْداً ومَلّني أصْحابي

الأبيات ما عدا السادس في الأغاني ٩ : ١٦٨ وقال : الشعر لكثير بن كثير بن المطلب السهمي وقيل بل هو لكثير عزة ، فمن روى هذا الشعر لكثير عزة يرويه إن أهل الخضاب (ومن رواه للسهمي قرأه « الحصاب ») ويزعم أن كثيراً قاله في خضاب خضبته عزة به ؛ والثاني في الأغاني ٩ : ١٧٠ والأول فيه أيضاً ٩ : ١٧١ .

ومن روى هذا الشعر لكثير قرنه بالقصة الآتية : خرج كثير يريد عزة وهي منتجعة بالصواري – وهي الأودية بناحية فدك – فلما كان منها قريباً وعلم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابياً فقال له : اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأة جسيمة لحيمة تبالط الرجال الشعر . . . فإذا رأيتها فناد : من رأى الجمل الأحمر ، مراراً ، ففعل . فقالت له : ويحك قد أسمعت فانصرف إليه فأخبره ؛ فلم يلبث أن أقبلت جارية معها طست وتور (التور : إناء صغير) وقربة ماء حتى انتهت إليه ، ثم جاءت بعد ذلك عزة ، فرأته جالساً محتبياً قريباً من ذراع راحلته . فقالت له : ما على هذا فارقتك ! فركب راحلته وهي باركة ، وقامت إلى لحيته فأخذت التور فخضبته وهو على ظهر جمله حتى فرغت من خضابه ثم نزل ، فجعلا يتحدثان حتى علق الخضاب ثم قامت إليه فغسلت لحيته ودهنته ، ثم قام فركب وقال :

إن أهل الخضاب . . . (الأبيات) .

٥

١ ولمّا قضينا مِن منًى كُلَّ حاجةٍ ... ومَسّحَ بالأرْكانِ مَنْ هو ماسحُ

٢ وشُدَّت على حُدْبِ المهاري رِحالُنا ... ولا يعلمُ الغادي الذي هو رائحُ

٣ أخذنا بأطرافِ الأحاديث بَيْنَنا ... وسالَتْ بأعناقِ المطيّ الأباطِحُ

٤ نقَعْنا قلوباً بالأحاديث واشتفَتْ ... بذاك صُدورٌ مُنْضِجاتٌ قرائحُ

٥ ولم نخش ريْبَ الدَّهرِ في كلّ حالةٍ ... ولا راعنا مِنهُ سنيحٌ وبارِحُ

الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ في الحماسة البصرية : ١٨١ ب لكثير والبيتان ١ ، ٣ في الخصائص ١ : ٢٨ ، ٢١٨ والوحشيات : ١٨٧ واللسان (طرف) . دون نسبة وهما له في المسالك ١٤ : ٧١ و ١ – ٣ في بديع أسامة لنصيب وقيل لغيره ، وهي في الشعر والشعراء : ١٣ وأسرار البلاغة : ٢١ (دون نسبة) ؛ وفي الحصري : ٣٤٩ أن هذه الأبيات الخمسة لكثير ؛ ورواها

المرزباني (انظر أمالي المرتضى : ٤٥٨) للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير ومعها أبيات أخرى ؛ وفي المعاهد ١ : ١٨١ (مع أبيات أخرى) لكثير وقيل لابن الطثرية ، وقيل للمضرب وهو عقبة بن كعب ؛ وانظر ديوان كعب : ٢٤٢ ؛ وانظر تخريجاً مستوفى لها في هامش أسرار البلاغة (ص ٢١ رقم ٢٥ وفهرس الشواهد وهامش الوحشيات : ١٨٧) .

٦

قال أبو الفرج (٩ : ٣١ وفي مصارع العشاق ١ : ٨٨ أكثر تفصيلاً) : ومما وجدناه في أخباره ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزة ذات يوم وهي متنقبة تميس في مشيتها ، فلم يعرفها فاتبعها وقال : يا سيدتي ، قفي حتى أكلمك فأني لم أر مثلك قط ، فمن أنت ويحك ؟ قالت : ويحك ، وهل تركت عزة فيك بقية لأحد ؟ قال بأبي أنت ، والله لو أن عزة أمة لي لوهبتها لك ، قالت : فهل لك في المخاللة ! قال : وكيف لي بذلك ؟ قالت : أنى وكيف بما قلت في عزة ؟ قال : أقلبه فأحوله إليك ، فسفرت عن وجهها ثم قالت : أغدراً يا فاسق وإنك لهكذا ! فأبلس ولم ينطق وبهت ، (وأنشأ يقول متمثلا بقول جميل ويقال بل سرقه من جميل وانتحله لنفسه) :

١ وأدنَيْتِني حتى إذا ما ملَكْتِني بقَوْلٍ يُحلُّ العُصْمَ سهل الأباطحِ
٢ تناهيتِ عنّي حين لا ليَ حيلَةٌ وغادرْتِ ما غادَرْتِ بين الجوانحِ

هذان البيتان في حماسة أبي تمام لكثير (المرزوقي : ١٣٠٢ والتبريزي ٣ : ١٤٦) وهما له أيضاً في الصفوة ٧٣/أ وأضداد الأنباري : ٢٠٥ وحماسة الخالديين ١ : ٢٠٢ وشرح المضنون : ٢٥٠ ومعجم المرزباني : ٢٤٣ ونور القبس : ٣٢ والمختار : ٣٤ والمسالك ١٤ : ٧١ وابن جني ١ : ٨٨ / أ وأمالي القالي ٢ : ٢٢٦ وتعقبه البكري في شرح اللآلي (السمط : ٨٥٠) فقال : قد روي هذا الشعر لمجنون بني عامر ؛ وجاء في التنبيه (١١٨) : هذا الشعر لمجنون بني عامر لا لكثير ولا أعلم أحداً رواه له ولا وقع في ديوانه ، وبعد البيتين :

فما حب ليلى بالوشيك انقطاعه ولا بالمؤدّى يوم ردّ المنائحِ

وهو للمجنون في العيون ٣ : ٧٨ والأغاني ٢ : ٧٣ ، ٧٥ والحصري : ٥٦٧ والشعر والشعراء : ٤٧٥ والعقد ٥ : ٣٧٨ وانظر ديوانه : ٩٤ والبيت الثاني ورد في العمدة ١ : ٢٠٧ منسوباً لكثير .

٧

١ ألا ليتني قبلَ الذي قُلْتُ شيبَ لي   من السُّم خَضْخاضٌ بماء الذّرارحِ

٢ فمتُّ ولم تُعلَمْ عليّ خيانَةٌ   وكمْ طالبٍ للرّبحِ ليس برابِحِ

٣ فلا تَحْمليها واجعليها خيانَةً   تروَّحْتُ منها في مياحةِ مائحِ

٤ أبوء بذَنْبي إنّني قدْ ظَلَمْتُها   وإني بباقي سِرّها غيرُ بائِحِ

وردت الأبيات ١ – ٤ في مصارع العشاق ١ : ٨٩ أنشدها كثير متمثلا بقول جميل ويقال بل سرقها من جميل وانتحلها لنفسه ؛ والأبيات ١ ، ٢ ، ٤ في الأغاني ٩ : ٣١ لكثير وكذلك في المعاهد ١ : ١٨٥ .

٨

أرى الإزار على لُبْنى فأحسُدُهُ   إنّ الإزار على ما ضمّ مَحْسودُ

أورده بيريس (١ : ٢٣٩) وهو في ديوان مجنون ليلى : ١٠١ وانظر تزيين الأسواق : ١٩٢ وديوان الصبابة : ٧٨ .

٩

١ أألحقُّ أنْ دارُ الرَّبابِ تباعَدَتْ   أوِ انبتَّ حبلٌ أنَّ قلبكَ طائرُ

٢ أفِقْ قدْ أفاقَ العاشقون وفارقوا الـ   ـهوى واستمرَّتْ بالرَّحيلِ المرائرُ

٣ زَعِ النّفس واستبْقِ الحَياءَ فإنّما   تُباعِدُ أوْ تُدْني الرَّبابَ المقادِرُ

٤ أمِتْ حُبَّها واجعلْ قديمَ وصالها　　وعشرَتها كمِثْلِ مَنْ لا تُعاشرُ
٥ وهبها كشيءٍ لم يكُنْ أو كنازِحٍ　　بهِ الدّارُ أو مَن غيّبَتْهُ المقابرُ
٦ وكالنّاس عُلّقْتَ الرَّبابَ فلا تكن　　أحاديثَ مَنْ يبدو ومن هو حاضرُ

الأبيات ١ – ٦ في الأغاني (١ : ١٢٧) لعمر بن أبي ربيعة ، وقال أبو الفرج : وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكثير ويرويها الكوفيون للكميت بن معروف الأسدي ، وذكر بعضها الزبير بن بكار عن أبي عبيدة لكثير في أخباره ، قلت : وهي في ديوان عمر : ١٣٣ (ط . صادر – بيروت) .

١٠

فواعجباً كيف اتفقنا فناصحٌ　　وفيٌّ ومطويٌّ على الغل غادرُ

في تحرير التحبير : ١٨١ قال – وأحسبه كثيراً – وانظر نهاية الأرب ٧ : ١٠١ والإيضاح ٦ : ١٨ وأنوار الربيع : ٩٥ والعمدة ٢ : ١٤ .

١١

١ فيا حبّها زدني جوًى كلّ ليلةٍ　　ويا سلوةَ الأيام موعدُك الحشرُ
٢ عجبتُ لسَعْي الدهرِ بيني وبينها　　فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ

نسبا له في الموشح : ٢٥٥ وهما من مشهور شعر أبي الصخر الهذلي (ديوان الهذليين : ٩٥٨) .

١٢

١ لهفي عليكَ للهفة من خائف كنتَ المجيرَ لهـا وليس مجيرُ

٢ أمّا القبورُ فإنّهُنّ أوانسٌ بجوارِ قبركَ والدّيارُ قبورُ

٣ جلّتْ رَزيئَتُهُ فعَمَّ مُصابُهُ فالنّاس فيهِ كلّهُمْ مأجورُ

٤ والنّاس مأتمهُمْ عليهِ واحدٌ في كُلّ دارٍ رنّةٌ وزَفـيرُ

٥ عمّت مصيبته فصارت أسوةً للــناس كلّهمُ فليس صبور

٦ يُثْني عليكَ لسانُ مَنْ لم توله خيراً لأنّكَ بالثّناء جديرُ

٧ ردّتْ صنائعُهُ إليهِ حياتَهُ فكأنّهُ مِنْ نَشْرِها مَنْشورُ

أوردها المرزباني في نور القبس (١٧٥) وقال : ويروى لقطرب في مرثية محمد بن منصور وقيل لكثير في عمر بن عبد العزيز وقيل لبعض الأعراب ، ومنها في الفاضل (٦٢) الأبيات ٣ ، ٤ ، ٦ (مع بعض اختلاف في الرواية) دون نسبة والاختلاف في نسبتها واسع ، وضحه محقق « الفاضل » الأستاذ الميمني ، فليراجع في موضعه من الحاشية (ص ٦٢) .

١٣

١ وجرَّبْتُ الأمـور وجرَّبَتْني وقَدْ أبدتْ عريكَتِيَ الأمورُ

٢ وما تَخْفى الرّجالُ عليَّ إني بهِمْ لأخو مُثاقَبَةٍ خَبيرُ

٣ ترى الرَّجلَ النّحيف فتزْدَريه وفي أثوابـه أسدٌ مَزيرُ

٤ ويُعجبـك الطّريرُ فتَبْتَليهِ فيُخْلفُ ظنّكَ الرَّجُلُ الطّريرُ

٥ فما عِظَمُ الرّجالِ لهم بفَخْرٍ ولكن فخْرُهُمْ كرَمٌ وخـيرُ

٦ بُغاثُ الطيّرِ أطولُها رقاباً ولم تطُلِ البُزاةُ ولا الصُّقورُ

٧ خَشاشُ الطّيرِ أكثرُها فِراخاً وأُمُّ الصَّقْرِ مِقلاتٌ نَزورُ

٨ ضِعافُ الأسْدِ أكثرُها زئيراً وأصْرَمُها اللّواتي لا تَزيرُ

٩ وقد عَظُمَ البعيرُ بغيرِ لُبّ فلمْ يستغنِ بالعِظَمِ البعيرُ

١٠ يُنَوَّخُ ثمَّ يُضْرَبُ بالهراوى فلا عُرْفٌ لديهِ ولا نَكيرُ

١١ (يُقَوّدُهُ الصَّبيُّ بكلّ أرْضٍ وينحرُهُ على التربِ الصَّغيرُ)

١٢ يُصرِّفهُ الصَّبيُّ بكُلّ وَجْهٍ ويحبِسُهُ على الخسْفِ الجريرُ

١٣ وعودُ النّبْعِ ينْبُتُ مُستمرّاً وليس يطولُ والقصْباءُ خورُ

١٤ فإن أكُ في شرارِكُمُ قليلاً فإني في خيارِكُمُ كَثيرُ

قال البكري (السمط : ١٩٠) اختلف العلماء في عزو هذا الشعر فأنشده أبو تمام لعباس بن مرداس السلمي ونسبه ابن الأعرابي والرياشي إلى معود الحكماء ، وقال عمرو بن أبي عمرو النوقاني : وقد نسب إلى ربيعة الرقي ، والصحيح من هذا والله أعلم أنه لمعود الحكماء وهو معاوية ابن مالك بن جعفر بن كلاب . . . وأول الشعر في رواية ابن الأعرابي :

تُفاخِرني بكثرتها قريطُ وقبلك والد الحجلِ الصّقور

شرار الطّير أكثرها فراخاً وأُمُّ الصقرِ مقلات نزور

فإن أكُ في عديدكمو قليلاً فإني في عدوكمو كثير

قلت : وقد وردت الأبيات بهذه الرواية في العقد ١ : ٢٨٠ (دون نسبة) : والأبيات لكثير في أمالي القالي ١ : ٤٦ (وهي ٣ ، ٤ ، ٦ - ١١ ، ٥ ، ١٤) وزهر الآداب : ٣٥٤ (وهي ٣ ، ٤ ، ٦ - ١١ ، ٥) والسيوطي : ٢٥ والروضات : ٥١٠ (وهي ١ - ٦ ، ٩ - ١١ ، ١٣) والذهب المسبوك : ٣٢ (وهي ١ - ٦ ، ٩ ، ١٠) وشواهد الكشاف : ١٤٠ (وهي ١ - ٦ ، ٩ ، ١٢ ، ١٠ ، ١٣) ، وفي المرزوقي : ١١٥٣ والتبريزي ٣ : ٨٩ (وهي ٣ - ٦ ، ٩ ، ١١ ، ١٠ ، ١٤) منسوبة للعباس بن مرداس ؛ ووردت (٩ ، ١٠ ، ١٢) في شواهد الكافية : ١٤٩ لكثير .

والبيت ٣ : في السمط : ١٩٠ وقد أوردنا ما قاله البكري في نسبته .

» ٤ : في المختار : ٢٠٩ لكثير .

» ٦ : في التاج (نسر) لكثير .
» ٧ : في الموشح : ٤٨٧ دون نسبة ، ولحن العامة : ١٧٩ لكثير واللسان (نزر) له والجمهرة ١ : ٢٠٢ له ؛ واللسان والتاج (قلت) لكثير أو غيره واللسان (بغث) لعباس بن مرداس ، والدميري ١:١٥٦ لعباس بن مرداس، وانظر المقاييس ٥:٤١٩ والمخصص ٨ : ١٤٤ (دون نسبة) .
» ١٠ : في التاج (هرا) لكثير
وتختلف الروايات في هذه القصيدة ، ولكنا لا نرى إثبات هذه الاختلافات فلتطلب فيما ذكرناه من مصادر .

١٤

١ يا أُمَّ حزرَةَ ما رأيْنا مثلكُم في المُنجدين ولا بغَوْرِ الغائـرِ
٢ رُهبانُ مَدْينَ لوْ رأوْكِ تنزّلوا والعُصْم في شَعَفِ الجبالِ الفادرِ

نسبها ياقوت لكثير ٤ : ٤٥١ وهما من قصيدة طويلة في ديوان جرير (٢٣٦ ط . صادر – بيروت) ومطلعها :

طرب الحَمام بذي الأراك فهاجني لا زلتَ في غلل وأيْكٍ ناضر

١٥

١ كم قد ذكرتُكِ لو أُجزى بذكركمُ يا أشبهَ النّاسِ كُلِّ النّاسِ بالقمرِ
٢ إني لأجذلُ أن أمْسي مُقابِلَهُ حُبّاً لرؤيةِ من أشْبهْتِ في الصور

هما عند العيني (٤ : ٨٨) لكثير ؛ والصحيح أنها لعمر بن أبي ربيعة من قصيدة في ديوانه (ص : ١٤٥ ط . صادر – بيروت) ؛ والأول في شرح شواهد المغني : ١٧٥ والجامع : ٢٢٨ والشنقيطي ٢ : ١٥٥ .

١٦

باتَتْ حواطبُ ليلى يلتمِسن لها جَزْلَ الجِذى غيرَ خوّارٍ ولا دَعَرِ

هو عند الزمخشري في الكشاف (٢ : ١٦١) لكثير وفي شرح شواهد الكشاف (١٣٥) واللسان (دبر) والتاج (جذو) لابن مقبل ، وهو البيت ٥٤ من قصيدة طويلة له في ديوانه (٧٢ – ١٠١) .

١٧

وبايعتُ ليلى في الخلاء ولم يكُنْ شُهودٌ على ليلى عدولٌ مَقانِعُ

نسبه في اللسان (عدل) لكثير وفي (قنع) للبعيث وورد في الأساس (قنع) دون نسبة .

١٨

لو كان لي صَبرُها أو عندها جَزَعي لكنتُ أمْلِكُ ما آتي وما أدَعُ

ورد في البحر المحيط (١ : ٢٦٩) لكثير ؛ وهو عند القالي (٢ : ٢٧٤) لرجل من بني جعدة ، وانظر مجموعة المعاني : ٢٠٩ والحصري : ١١ حيث نسب لجميل .

١٩

١ حملتُ عليه ما لو آنَّ حمامةً تَحمَّلُهُ طارتْ به في القَفاقفِ

٢ قطوعاً وأنساعاً وأعْظُمَ ناحلٍ أضرَّ به طولُ الهوى والمخاوفِ

نسبها الحاتمي له (الموضحة : ١٢٧) وهما لعبيد بن أيوب العنبري في الشعر والشعراء : (٤٦٠ ، ٦٧٠) .

٢٠

فلا زِلْنَ حسْرَى ظُلّعاً لِمْ حمَلننا إلى بَلَدٍ نـاءٍ قليلِ الأصادقِ

في الأغاني (٧ : ٢٦٨) لكثير أو لأبي جندب الهذلي وفي (٧ : ٢٨٦) دون تحديد لنسبته . وفي الأغاني (٧ : ٢٧٩) لكثير وقبله قوله :

ولمّا علَوا شَغباً تبيّنت أنّـه تقطع من أهل الحجاز علائقي

ثم أوردهما في قصيدة لسليمان بن أبي دباكل (برواية مصعب الزبيري) . وقد ورد البيت في التاج (صدق) – دون نسبة – . والبيتان (دون نسبة) في الزاهر ١ : ٨٩ .

٢١

١ أللهُ أعطاكَ التي لا فَوْقَها

٢ وقد أراد الملحدونَ عَوْقها

٣ عَنْكَ ويأبى اللهُ إلا سَوْقها

٤ إليك ، حتّى قلدوك طوقهـا

قال في أنساب الأشراف (٥ : ١٣١ ، ٣٥١) وقال بعض الأنصار في مروان لما ظفر يوم المرج ، ويقال إن هذا الشعر قيل في عبد الملك قاله كثير بن عبد الرحمن . ونسبها المسعودي في مروج الذهب (٣ : ٧٥) لعبد الله بن مازن يقولها ليزيد بن معاوية ، وفي البيان ١ : ٤٠٩ والذهب المسبوك (ص : ١) أنها لعبد الله بن همام السلولي ، ووردت دون نسبة في العقد (٤ : ٤١١) ، وفي رسالة استتار الإمام (مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ٤/٢ : ٩٦) وفي رسالة افتتاح الدعوة : ٤٦ وانظر الطبري ٢ : ١١٧٧ .

٢٢

تراغتْ لوشْكِ البينِ بُزْلُ جمالكِ ولو شئتِ ما فجّعْتِني بارتحالكِ

في العمدة (١ : ١٠٨) قال : وقال كثير أو غيره .

٢٣

سلي البانة الغناء بالأجرع الذي به البان هل حييت أطلال دارك

وهل قمت في أفيائهن عشية قيام أخي البأساء واخترت ذلك

نسبا لكثير في محاضرات الراغب ٢ : ٨٧ وهما من قصيد لابن الدمينة في ديوانه : ١٣ وهنالك تخريجها .

٢٤

أجزْنا على ماء العشيرَةِ والهوى على مَلَلٍ يا لهفَ نفْسي على مَلَلْ

في وفاء الوفا (٢ : ٣٧٧) قال : هو لكثير أو لجعفر الزبيري ؛ ونقل عن كتاب النوادر لابن جني أن رجلا من أهل العراق نزل بملل فسأل عنه فأخبر باسمه فقال : قبح الذي يقول « على ملل يا لهف نفسي على ملل » أي شيء كان يتشوق إليه من هذه ، وإنما هي حرة سوداء ! فقالت له صبية كانت تلقط النوى : بأبي أنت وأمي ، إنه كان والله له بها شجن ليس لك .

٢٥

١ فإذا تجيء كتيبةٌ ملمومـةٌ شهباء يَخْشى الذائدون نزالهـا

٢ كنتَ المقدَّم غير لابسِ جُنّةٍ بالسيفِ تضربُ مُعْلماً أبطالهـا

في بديع أسامة : ١٧٢ أنهما لكثير ، وأن الممدوح قال له : لم لا قلت فيّ كما قلت في سليمان ابن عبد الملك ، وهو وهم شديد ، إذ البيتان من مشهور شعر الأعشى (ديوانه : ١٥٤ ط . صادر – بيروت) وعلى ضوئهما وجه العيب إلى كثير حين مدح عبد الملك بأنه يلبس درعاً في الحرب .

٢٦

وقال في رثاء عبد العزيز :

١ أصبتُ يوم الصعيد من سُكَرٍ مصيبةً ليس لي بها قِبَلُ

٢ تالله أنسى مُصيبتي أبداً أنْ أسمعتني حنينها الإبلُ

٣ ولا التبكي عليه أعولـه كلّ المصيبات بعده جللُ

٤ لم يعلم النعشُ ما عليه من الـ جودِ ولا الحاملون ما حملوا

٥ حتى أجنُّوهُ في ضريحهمُ حيثُ انتهى من خليلكَ الأمَلُ

الأبيات ١ – ٥ في الأغاني (١ : ٣٣٩) منسوبة لنصيب في رثاء عبد العزيز ؛ والأول منها في الكندي : ٦٦ لكثير ، والأبيات ٢ ، ٤ ، ٥ في حماسة الخالديين ٢ : ٣٤٢ لكثير أيضاً ؛ وسكر : موضع بالصعيد كان عبد العزيز بن مروان يخرج إليه كثيراً .

٢٧

١ ولما أبى إلاّ جماحاً فؤاده   ولم يسلُ عن ليلى بمالٍ ولا أهلِ

٢ تسلى بأخرى غيرها فإذا التي   تسلّى بها تغري بليلى ولا تسلي

نسبا لكثير في محاضرات الراغب ٢ : ١٢٨ وقد وردا في ديوان المجنون : ٢٣١ وديوان ابن الدمينة : ٩٤ وانظر التخريج في كلا هذين الديوانين .

٢٨

١ وإني لأرضى منك يا عزّ بالذي   لو آبصره الواشي لقرّت بلابله

٢ بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى   وبالأمل المرجو قد خاب آمله

٣ وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي   أواخره لا نلتقي وأوائله

وردت منسوبة لكثير في محاضرات الراغب ٢ : ١٢٥ وقد أوردنا منها بيتين في القصيدة : ٨٥ وهي متنازعة بين جميل (ديوانه:١٦٨) والمجنون (ديوانه : ٢٢٥) وابن الدمينة (ديوانه : ١٩٣) وراجع تخريج الأبيات في هذه الدواوين .

٢٩

١ لمَيّةَ موْحشاً طلَلٌ قديمُ   عفاهُ كلُّ أسْحَمَ مُستديمُ

قال في الخزانة (١ : ٥٣٢) وهذا البيت : من روى أوله « لعزة موحشاً ... » قال هو لكثير منهم أبو علي في التذكرة القصرية ، ومن رواه «لمية موحشاً . . » قال إنه لذي الرمة وهو في ، وحش) لكثير .

٣٠

١ لو رَدَّ ذو شَفَقٍ حمامَ منيّةٍ لرَدَدْتُ عن عبدِ العزيزِ حِماما

٢ صلّى عليك اللهُ من مُستودَعٍ جاوَرْتَ رَمْساً في القُبورِ وهاما

نسبها في الأغاني (٦ : ٢٦) لكثير ثم قال : وزعم بعض الرواة أن هذا الشعر ليس لكثير وأنه لعبد الصمد بن علي الهشامي يرثي ابناً له .

٣١

١ لعنَ اللهُ مَن يسُبُّ عَلِيّاً وبَنيه مِن سُوقَةٍ وإمامِ

٢ أيُسَبُّ المُطهّرونَ أصولاً والكرامُ الأخوالِ والأعمامِ

٣ يأمنُ الطّيرُ والحمامُ ولا يأمَنُ آلُ الرسولِ عند المَقامِ

٤ رحمَةُ اللهِ والسّلامُ عليهِمْ كلّما قامَ قائِمُ الإسلامِ

جعلها الأستاذ بيريس في ما صح من شعر كثير (رقم : ٧٦) . والأبيات ١ — ٣ في الذهب المسبوك : ٣٢ منسوبة لكثير ؛ وفي الحيوان (٣ : ١٩٤) وردت الأبيات كلها وقد صدرها الجاحظ بقوله : « وقال كثير أو غيره من بني سهم في أمن الحمام » وهي في معجم المرزباني (٢٤٠) لكثير بن أبي وداعة وهو كثير السهمي ؛ وقال في التصحيف (٤١٤) إنها لكثير بن كثير السهمي ، فمن لا يعلم يروي هذه الأبيات لكثير عزة . وورد البيتان ١ ، ٢ في نسب قريش منسوبين للسهمي .

٣٢

ألا قل للوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما

ورد مع خمسة أخرى في الفرق بين الفرق لكثير (ص : ٤٢) وهي للسيد الحميري (ديوانه : ٣٧٩) .

٣٣

١ أقولُ لما نعى الناعون لي عمراً لا يبعدنّ قوام العدلِ والدين

٢ قد غادر القومُ باللحد الذي لحدوا بدير سمعانَ قسطاسَ الموازين

في إرشاد الأريب (٥ : ٤٣ ط . مرجوليوث) أنه لكثير وفي المسعودي (٥ : ٤٤٤ الطبعة الفرنسية) للفرزدق ، وفي الطبري ٢ : ١٣٧١ (دون نسبة) .

٣٤

١ بينما نحنُ من بلاكثَ بالقا عِ سراعاً والعيسُ تهوي هُويّا

٢ خطرَتْ خطْرَةٌ على القلبِ من ذكْ راكِ وهْناً فما استطَعْتُ مُضيّا

٣ قُلْتُ لبّيْكِ إذ دعاني لكِ الشّوْ قُ وللحاديَيْنِ كُرَّا المطيّا

نسبها ياقوت (١ : ٧١١) لكثير ، والأول والثاني في السمهودي ٢ : ٢٦٦ له أيضاً . وقد ورد الأول في اللسان (بلكث) لبعض القرشيين والتاج (بلكث) لأبي بكر بن عبد الرحمن ابن المسور بن مخرمة . ووردت الأبيات الثلاثة ومعها اثنان آخران في الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٥٤)

وقال فيها : الشعر عند الزبير بن بكار لمحمد بن أبي بكر بن مسور ؛ قلت : وهذا هو المشهور في نسبتها ، وهو قرشي ، انظر حماسة المرزوقي : ١٢٤٥ .

٣٥

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ   لِلْجِنِّ باللَّيْلِ في حافاتِها زَجَلُ

أورده بيريس (الزيادات : ٤٣) ، نقلا عن الإبانة ؛ وهو وهم منه ، فالذي في الإبانة (ص : ٢٧) أن بيت المتنبي :

لو كنتَ حشوَ قميصي فوق نمرقِها   سَمِعت للجنّ في حافاتِها زَجلا

مأخوذ من قول الأعشى في قصيدته : « ودع هريرة إن الركب مرتحل » .
يقول :

وبلدة مثل ظَهرِ الترسِ موحشة   للجنّ باللّيلِ في حافاتِها زجَلُ

وبعده في الإبانة بيت لكثير .

٣٦

إذا سيفُهُ أضْحى على الهامِ حاكماً   غدا العفوُ منه وهو في السّيفِ حاكم

أورده بيريس (الزيادات : ٤٨) نقلا عن الموازنة وهذا وهم ، وإنما أوقعه في الوهم قول الآمدي قبله : « ومثله كثير » فظن أن هذا اسم للشاعر ، وأورد البيت منسوباً إليه ، والبيت من شعر أبي تمام (ديوانه ٣ : ١٨١) .

اسْتدَراكات



استدراك على القصائد

١٧٣

صقورٌ على أثباجِ جُرْدٍ عَوابسٍ   وأسدٌ إذا ما كان يومُ نزولها

في محاضرات الراغب ٢ : ١٤٩

١٧٤

أراني وسعدى والرّبابين والصبا   لنا وبنا أغنيةُ المترنمِ

في ابن جني ٣ : ٢٤٠ / أ

١٧٥

وسيري إذا سرنا بجدٍّ على السرى   حسام ، وقد كلّ المذاكي الصلادم

في ابن جني ٣ : ١٣٣ / أ وانظر ص ٤٥٠ من هذا الديوان .

١٧٦

١ أهاجك بينٌ من ظعائن أوعبوا   بأيمن لمّا جازت العيس فدفدا

٢ تخال الربى دون الحمى رونق الضحى   يظلّ بها حاد إذا اشتاق غرّدا

٣ وفوق المطايا في الحدوج أوانسٌ   كعين المها قد صدن قلبي تصيدا

في كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار لأبي الحسن الشمشاطي ، الورقة : ١١٧ ، طوبقبوسراي : ٢٣٩٢ .

استدراكات في التخريج

ق ١ / ٢٢ : في التاج (بغم)

٣٠ : في تهذيب الأزهري ١٤ : ٩٨ (دون نسبة) قال الفراء : الأرداف هنا يتبع أولهم آخرهم في الشرف ، يقول : يتبع البنون الآباء في الشرف .

٣٤ : في التاج (شرف)

٤٢ : في التاج (أمم)

ق ٣ / ٧ : في التاج (غزل)

١٠ : في التاج (وطن) وذم الهوى : ٤٤٥ ، ٥٨٧ .

١٢ : في محاضرات الراغب ٢ : ١٣٠

١٤ : في تهذيب الأزهري ٤ : ٢٥٧

١٨ : في الجمل للزجاجي : ٣٦

١٩ : في تهذيب الأزهري ٢ : ٢٩٩

٢٩ : في عبث الوليد : ١٣٧

٣١ : في محاضرات الراغب ٢ : ٣٩١ والتاج (قلى)

٤١ ، ٤٢ : في قطب السرور : ٥٠

٤١ : في التاج (هيم) وتثقيف اللسان : ١٣٦

ق ٤ / ١٤ : في تهذيب الأزهري ١٢ : ٣٩١ (دون نسبة) وروايته : ما فهت ... بسر ولا أرسلتهم برسول .

١٥ ، ١٦ : في محاضرات الراغب ١ : ٤٠٠ ، والثاني منهما في تهذيب الأزهري ٥ : ٧٩

٣٤ : في التاج (غشش)

٣٥ : في التاج (نسع) ، ونسع بلد أو جبل أسود بين الصفراء وينبع ، وقال ابن الأثير : نسع بالمدينة .

ق ٦ / ١١ : في التاج (وسط) قال محمد بن حبيب في شرح ديوان كثيّر عزّة في تفسيره:

واسط قرية بنواحي الرقة ، قال ياقوت : هكذا قال والظاهر أنها واسط نجد أو الحجاز .

ق ٧ / ٥ ، ٦ : في التاج (ضجع)

١٠ : في التاج (وشع)

ق ٨ / ١٤ : في التاج (غرم) وذم الهوى : ٢٢٥

٤٣ : في التاج (فحم)

ق ٩ / ١ : في التاج (جبى) وروايته : أهاجك .

١٦ : في المنقوص والتشبيهات : ٢٠٣

٢٠ ، ٢١ : في جمهرة العسكري ٢ : ٥٦

ق ١٠ / ٥ : في تهذيب الأزهري ١١ : ١٢١

٢٥ ـ ٢٨ : في محاضرات الراغب ٢ : ١٢٤

ق ١٣ / ٢٩ ، ٣٠ : في التاج (سمع)

ق ١٤ / ٤ : في تهذيب الأزهري ٣ : ٢٠

٢١ : في المنقوص والتشبيهات : ٢٩٤

ق ١٦ / ٩ : في تهذيب الأزهري ٤ : ١٨٩ وروايته : مفود .

ق ١٧ ب / ٤ : في الناج (درع) وتهذيب الأزهري ١٤ : ١٦١

ق ١٨ / ٤ : في تهذيب الأزهري ١٤ : ٢٢٥

١٠ : في تهذيب الأزهري ٣ : ١٩٨

ق ٢٠ / ١١ : في تهذيب الأزهري ٣ : ١٥٢ ، ٩ : ١٠٤

١٩ : في تهذيب الأزهري ١ : ٩٨

ق ٢٢ / ٢٤ : في محاضرات الراغب ١ : ٥٥٦ (دون نسبة) .

ق ٢٣ / ٢ ، ٨ : في الفرج بعد الشدة ٢ : ١٩٢

٤ ، ٨ : في التاج (لزم) : وروايته سميّ النبيّ ... ونفاع غارم .

ق ٢٤ / ٧ : في التاج (تلع) قال : والتلاعة بالكسر ما ارتفع من الأرض ويشبه به الناقة (وهذا يخالف ما اعتمدناه في الشرح) .

١٢ : في التاج (أثل)

١٣ : في تهذيب الأزهري ٥ : ١٥٥ (دون نسبة) .

ق ٢٨ / ١ : في التاج (بدع) وروايته : بلى إنّه سهل الدموع ؛ قال : والبدائع موضع .

ق ٢٩ / ١٠ ، ١١ : في ابن الأثير ٤ : ٣٢٤

ق ٣١ / ٨ : في تهذيب الأزهري ١٢ : ١٤٥ والعجز وحده في ١٢ : ١٤٤

١٦ ، ١٧ : في التاج (فرق) والرواية : فالا تكن ؛ مشاهد لم يعف .

٢٩ : في التاج (لسن)

ق ٣٢ / ٩ : في ذم الهوى : ٤٤٥ ، ٦٣٧

ق ٣٧ / ١ ، ٣ : في تهذيب الأزهري ١٢ : ٣٥ (دون نسبة) .

ق ٣٨ / ١ : في التاج (غيق)

ق ٤١ / ٧ : في عبث الوليد : ٢١٠

ق ٤٤ / ٣ : في التاج (غيل)

٩ : في التاج (بجل) والمنقوص والتنبيهات : ٨٣

٢٣ : في التاج (ردى)

ق ٤٦ / ١ : في التاج (بين) وروايته : العياطل .

١٠ : في عبث الوليد : ٦٩ وروايته : مصدقاً . . .الأكفّ .

ق ٤٨ / ١ : في التاج (عرض) والبيت لجرير وقيل لكثير .

٦ : في جمل الزجاجي : ٢٠٥

ق ٤٩ / ٥ : في التاج (هبنق)

٨ ، ٩ : في أمالي القالي مع بيتين آخرين لنصيب .

ق ٥٢ / ٣ : في التاج (نبع ، عنق)

١١ : في التاج (وجم)

١٢ : في التاج (قوى)

١٧ : في التاج (غيق ، نضى)

٢٤ : في المنقوص والتنبيهات : ١٢٦

٣٧ : في التاج (لبن)

ق ٥٣ / ٨ : في تهذيب الأزهري ٣ : ١١١

١١ : في التاج (حمم)

ق ٥٤ / ٩ : في التاج (نعل) وروايته : له نَعَلٌ لا تطبي . . . حرك حرف الحلق لانفتاح ما قبله .

ق ٥٨ / ٣ : في التاج (عظم)

٣ ، ٤ : في التاج (زنم) ؛ أزنم هو المعروف الآن بالأزلم ، وهو أحد المناهل لحجاج مصر ، وضبطه ياقوت بضم النون .

٨ ، ٩ : قد تم تخريجهما من فصل المقال : ٢٥٦ ولكن جاء بعدهما في مخطوطة الأسكوريال من هذا الكتاب : « وهذا الشعر لزياد الأعجم » .

ق ٦٠ / ١ : في التاج (ربع)

ق ٦١ / ١ : في التاج (لأى ، دوم)

ق ٦٢ / ٢ : في التاج (وجم)

١٠ : في التاج (دهلك)

ق ٦٣ / ٥ : في محاضرات الراغب ١ : ٢٢٧

ق ٦٤ / ٣ : في التاج (برر)

ق ٦٦ / ٤ ، ٥ : في التاج (منى) والرواية : قلين غروباً . . . أترعت . . . فاستدار .

٩ : في محاضرات الراغب ٢ : ١٧٧ وروايته : بأطراف النصال . . . حتّى كلمته .

ق ٦٧ / ٢ : في التاج (كرن) ، وروايته : تولت سراعاً .

ق ٦٩ / ٥ : في تهذيب الأزهري ١٢ : ٢١٨

ق ٧٢ / ١ : في التاج (تبن) وروايته : فأكناف تبنى .

ق ٧٣ / ١٦ : في التاج (ألل)

ق ٧٥ / ٥ : في تهذيب الأزهري ١٣ : ٣٦٩ (دون نسبة) .

٧ : في التاج (شلا) وروايته : رأتني كأشلاء اللجام . . . متطامن .

ق ٧٦ / ١٤ : في تهذيب الأزهري ٨ : ٢٥

ق ٧٧ / ١ : في التاج (بزو)

ق ٧٨ / ٦ : في التاج (حزز)

ق ٨٠ / ٢ : في محاضرات الراغب ٢ : ٢٩٥

٣ : في محاضرات الراغب ٢ : ١٠١

ق ٨١ / ٧ : في التاج (رقل ، نطا)

١٤ : في التاج (عبس) وروايته : من عبوس .

ق ٨٢ / ٣٤ : في تهذيب الأزهري ٢ : ٢٠٤

ق ٨٣ / ١١ : في تهذيب الأزهري ٣:١٤٢ والتاج (يدع) قال : الايدع البقّم لأنّه يحمل في السفن من بلاد الهند ، وقال أبو حنيفة : أخبرني أعرابي أن الايدع صمغ أحمر يجلب من سقطرى .

١٦ : في التاج (خرع)

ق ٨٤ / ٩ : في تهذيب الأزهري ١ : ٦٢

ق ٨٥ / ٤ : في التاج (سكن)

ق ٨٦ / ١ : في التاج (أدم ، حنن)

ق ٨٨ / ٧ : في المنقوص والتنبيهات : ١٦٠ (العجز وحده) .

ق ٨٩ / ٩ : في تهذيب الأزهري ٢ : ٤٣

١٩ : في عبث الوليد : ١٦٨ (دون نسبة) .

ق ٩٠ / ١٢ : في جمهرة العسكري ١ : ٢٤

ق ٩٢ / ٥ : في تهذيب الأزهري ٣ : ١١٥

ق ١٠١ / ٣ : في التاج (روى)

ق ١٠٥ / ١ : في التاج (نشنش) وروايته : واقعاً ، ينشنش ، قال : نشنش الطائر ريشه بمنقاره إذا أهوى له إهواء خفيفاً فنتف منه وطيّره .

ق ١١٥ / ٢ : في التاج (ملا)

ص ١٣٠

الأبيات الأربعة (في تخريج القصيدة ٦) وردت في الحصري : ٨٥٤ — ٨٥٥ منسوبة لأبي كبير الهذلي (ديوان الهذليين : ١٣٣٦) والبيتان ٤،٢ في الأشباه والنظائر ٢ : ٢٦٠ ضمن أبيات لمزاحم القريعي ، و ٢ ، ٤ في الأغاني ٢ : ٢٨٥ لابن ميادة ، والبيت ٢ في التنبيه : ١٦٩ (دون نسبة) والبيت ٤ في الكامل ١ : ٨٤ لابن ميادة وفي روايات المصادر اختلاف عمّا أثبتناه في هذا الديوان .

ص ١٥٠

البيت « وعل ثرى تلك الحفيرة . . . » ورد في المنقوص والتنبيهات : ٢٩٧ .

ص ٢٣٧

البيت ١ « فياعز للوصل . . . . . . » ورد في تهذيب الأزهري ١٢ : ٧١ لكثيّر .
البيت ٣ « فأصبحت كالمهريق . . . » ورد في التاج (هرق) لكثيّر .

ص ٢٧٠

يمكن أن يلحق بهذه القصيدة بيت أورده ابن جني (٢ : ١٤٦ / أ) وهو :
أرى مالكاً تبغي الفيالق بينها   وخيلاً إلى خيل تثوب عكوبها

ص ٢٨٩

في المنقوص والتنبيهات بيت في وصف الإبل قد يلحق بالقصيدة (٤٤) :
نهك الهواجر والسرى نجداتها   فعيونهـا كمدافع الأوشال
نهك : بالغ فيه ؛ النجدات : الشدات .

ص ٤٩٠

القطعة رقم ١٢٥ نسبت في الأغاني ٧ : ٢٦٦ للسيد الحميري ، ديوانه : ٤٢٧ ومن حقها أن توضع في مختلط النسبة .

ص ٥١٠

البيت رقم ١٧٠ في الأبيات المفردة ورد في تهذيب الأزهري ٥ : ٥٢

ص ٥١٥

البيت رقم ١٢ من الأبيات المغيرة القوافي ورد في تهذيب الأزهري ٩ : ٣٢٠ (دون نسبة) .

ص ٥١٦

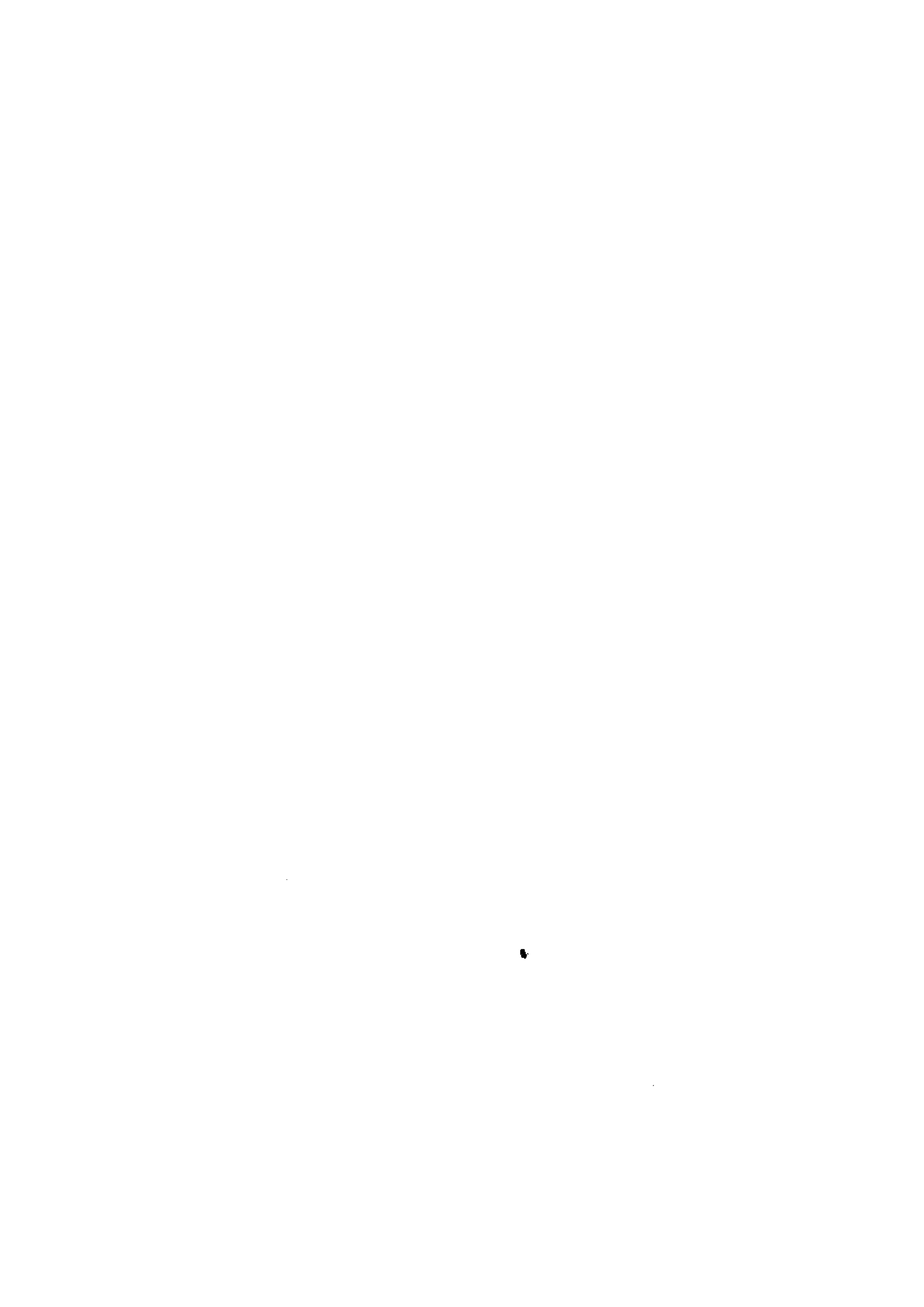
البيت رقم ١٥ من الأبيات المغيرة القوافي في جمهرة العسكري ١ : ١١٠

ص ٥٢٣

البيت ١١ من القصيدة ٢ في الأشعار المنسوبة ورد في عبث الوليد : ٤٦ (دون نسبة) .

ص ٥٢٩

البيت ٣ من القصيدة ١٣ في الأشعار المنسوبة ورد في عبث الوليد : ٢١٠ دون نسبة ، وروايته « يزير » مخففة من يزئر ، قال : ويروى « مزير » وهو أصح ؛ وانظر الجمهرة للعسكري ١ : ٤٢٩ حيث نسب بعض أبيات القصيدة للعباس بن مرداس .



تعليقات كتبها الشيخ حمد الجاسر

للتعريف بأسماء بعض الأماكن المذكورة

في شعر كثيّر [1]

أبرق الحنان (٤٢٣) : أرى أن الشاعر لم يقصد أبرق العزاف الذي هو ماء لفزارة لبعد بلاد هؤلاء عن مواطنه ، ولأنه قرنه هنا بأدمان القريب من بدر ، وإنّما قصد أبرق الحنان القريب من بدر ، وهو كثيب فيه ، يدعي الخرافيون أنهم يسمعون فيه ضرب الطبول ، ولا يزال معروفاً ، يشاهد من قرية بدر رأي العين .

أثال (٢٨٦) : لا أرى الشاعر قصد الموضع الذي في طريق الحجاج ، وإنّما قصد وادي أثال ، وهو وادي قديد ، وفيه عيون قديماً ، وهو من المواضع القريبة من بلاد الشاعر .

الأثيل (٧٦) : يقع الأثيل على ما حدده صاحب « المناسك » في أسفل وادي الصفراء ، بينه وبين بدر ثلاثة أميال ، وهذا وصف ينطبق على خيف (أي عين) أُحْيي حديثاً وعرف باسم الجديد (وضع في الخارطة [2] غلطاً : جديدة) ويقع هذا الخيف على الطريق المعبد من بدر إلى المدينة ، ويبعد عن بدر بمسافة تقرب من عشرة أكيال (الدرجة ٤٨َ / ٣٨° طول شرقي و ٤٧َ / ٢٣° عرض شمالي) .

---

١ قد حاولت الإفادة في شرح شعر كثير مما جاء في المعاجم الجغرافية من تحديدات للأماكن التي ذكرها وهي كثيرة ، غير أن تحديد المعاجم أصبح اليوم قاصراً غير واف بالغرض ، وبعضه قد اعتوره التصحيف والخطأ ، ولهذا لجأت إلى الحجة العلامة صديقي الأستاذ الشيخ حمد الجاسر ، فكتب هذه التعليقات القيمة التي تعد – وحدها – معجماً جديداً يفيد منه الدارسون والباحثون ، وهذه يد أذكرها لأخي وأجد الشكر عاجزاً عن الوفاء بتقدير ما أسداه إلي ، وليست هذه أولى أياديه وعوارفه لدي ، حفظه الله ورعاه .

٢ حيثما ذكرت لفظة « الخارطة » فإن الأستاذ الجاسر يشير بها إلى الخرائط التي وضعها السيدان جلين براون وروي جاكسون لمناطق المملكة العربية السعودية .

أُحد (٣٧٥) : أعظم جبال المدينة يقع بجوارها في شمالها ، ويبعد عنها بما يقارب الميلين ، ويشاهد رأي العين (الدرجة ٢٩َ / ٣٩° إلى الدرجة ٤٠َ / ٣٩° طول شرقي ومن ٣٠َ / ٢٤° إلى ٣٢َ / ٢٤° عرض شمالي) .

أرثد (٣٤٨) : أسفل وادي الأبواء بقرب الدرجة ٥٩َ / ٣٨° طول شرقي و ٣َ / ٢٣° عرض شمالي .

الأصافر (٣٦٨) : قرنها بأكناف هرشى ، وإذن فهي غير الثنايا التي سلكها النبي (ص) في طريقه إلى بدر . والأصافر التي بقرب هرشى لا تزال معروفة وهي التي ذكر السمهودي أنها هضبات على ميلين من هرشى ، وهي آكام حمر يخالط لونها بياض فتبدو كأنها صُفْر ، تبعد عن رابغ ٢٤ كيلا ، للمتوجه منه إلى المدينة بالطريق القديم ، ويدعها الطريق يمينه ، تشاهد رأي العين عندما يرى المرء حَرَّة هَرْشَى ، ويحف بها الطريق ، وتقع قبل هرشى بستة أكيال ، أي بقرب الدرجة ٠٥َ / ٣٩° طول شرقي والدرجة ٠١َ / ٢٣° عرض شمالي . أما الثنايا التي سلكها الرسول (ص) إلى بدر فأراها غير هذه ، هذه في وادي الصفراء .

أعظام (٣٣٣) : أراه جبل أعظم – قرنه بما حوله كما فعل في ملل حيث سماه أملال (٣٩٨) ، ويؤيد هذا ذكره مع أزنم الذي أورد البكري أنه على ثمانية أميال من ذات الجيش ، فأعظم يشاهد من ذات الجيش وما حولها ، رأي العين ، عندما يخرج المسافر من العقيق متجهاً إلى مكة يراه على يمينه خلف الحماوات ، جبل أسود عظيم منبسط الرأس . بقرب الدرجة ٢٩َ / ٣٩° طول شرقي ، والدرجة ٢٨َ / ٢٤° عرض شمالي .

ألْيَل (٣٧٤) : هو يَليل ؛ (انظره) وهو الوادي الذي في أسفله قرية بدر ، وأعلاه وادي الصفراء .

البحير (٤١٢ / ٤٣٤) : عين كانت تمتد من يليل (وادي بدر) متجهة غرباً حتى تصل إلى الجار (البريكة الآن) وقد انقطعت هذه العين منذ أمد طويل ، ولا يزال كثير من قنواتها بارزاً ، وقد رسم بعضه في الخارطة (B – ٢١٠ – I أبحاث جيولوجية مختلفة) ، عند الدرجة ٣٤َ ٣٨° طولاً و ٣٤َ / ٢٣° عرضاً تقريباً .

بدا (٣٦٣) : قرية صغيرة في واد بهذا الاسم ، تقع شمال شَغْب ، بقرب الدرجة ٣٠َ / ٣٦° طول شرقي و ٢٥َ / ٢٧° عرض شمالي .

بدبد (٤٣٥) : لا شك أن الشاعر لم يقصد الماء الذي بطرف أبان الأبيض ، فقد نص على أنّه من منازل أهله ، ومنازلهم في غور تهامة ، وأبان في وسط نجد ، بعيد عن منازل الشاعر ، ولا أستبعد أن يكون صواب الاسم تيتد – وهو من أودية جبل الأشعر .

برام (٣١٧) : جبل برام لا يزال معروفاً في غربي النقيع ، والمسافة بينه وبين المدينة تقارب عشرين فرسخاً ، كما جاء في كتب المتقدمين ، أي بقرب الدرجة ٤٠َ / ٣٩° طول شرقي و٠٥َ / ٢٤° عرض شمالي تقريباً .

البزواء (٨١) : هي أرض مستوية ممتدة بامتداد ساحل البحر الذي يحدها غرباً ، وتُحَد شرقاً بسلسلة جبال الحجاز الشامخة ، وتبتدىء بعد أن يجوز المسافر بلدة بدر بما يقرب من عشرة أكيال ، وتمتد حتّى قرية مستورة الواقعة على الساحل ، وهذه الأخيرة تقع بموقع ودان قديماً ، أي بين الدرجة : ٠٥َ / ٢٣° و ٤٠َ / ٢٣° عرض شمالي و ٤٠َ / ٣٨° طول شرقي .

بساق (٣٨٨) : ذكر ياقوت أنّه واد بين المدينة والجار ، وهذه أقرب إلى بلاد الشاعر من الجبل الذي بين أيلة والتيه ؛ وقد ورد ص ٣٤٦ (بصاق) ، وأراه هو نفسه .

البقيع (٤٧٢) : صوابه هنا «النقيع» – أمّا بالباء فمقبرة المدينة – والتصحيف قديم . والنقيع هو الحمى المعروف الذي أوفاه الهجري والبكري والسمهودي وصفاً وتعريفاً .

بلاكث (٢٧٩) : القول بأن بلاكث بين غزة ومدين أخشى أن يكون خطأ ، فبلاكث من أعراض المدينة بقرب برمة كما في قول كثير :

نظرت وقد مالت بلاكث دونهم وبطنان وادي برمة وظهورها

وبرمة هذه بين خيبر ووادي القرى ، فالموضعان إذن قبل وادي القرى (وانظر مجلة العرب ، السنة الرابعة ج ١١ ص ١٠٠٤) .

تبالة (٣١٤) : واد لا يزال معروفاً فيه بلدة بهذا الاسم من روافد أودية بيشة ، ويقع من الدرجة ١٥َ / ٤٢° إلى ٣٠َ / ٤٢° طول شرقي و ٠٠ / ٢٢° إلى ٠١َ / ٢٢° عرض شمالي .

تربان (١٨٩) : واد لا يزال معروفاً يمر به الطريق المعبد بين مكّة والمدينة بعد أن يجوز وادي الفُريش (فَرْش ملل قديماً) ولا يزال هذا معروفاً ، هو واد يصب في وادي ملل (انظر الاسم) عند الكيل الـ ٣٥ ، ويمتد الوادي حتى الكيل الـ ٢٢ ، أي أن أقصاه يبعد عن المدينة بـ ٣٥ كيلاً ، وأدناه منها يبلغ ٢٢ كيلا ، ثم يتجه ذات اليسار ويدع طريق المدينة يمينه ؛ ويقع بين الدرجة ٢٨ َ/ ٣٩° طول شرقي و ٢٢ َ/ ٢٤° عرض شمالي .

ترعى (٣١٥) : قبل بوانة في طريق المصدق للأعراب الخارج من المدينة ، هذا من كتاب البكري (معجم : ١٢٣٦) فيما نقله عن السكوني ، ولكن النص المنقول فيه تصحيف في كثير من الأسماء ، وعلى فرض صحة المنقول هنا فإنها تقع بين السيّ – جانب ركبة – وبين حَرّة بني هلال (حرة البقوم الآن) بقرب تربة ورنية ، وهذا الموضع بعيد عن بلاد الشاعر وعن الموضع الذي ذكر .

تِرْيَم (١٣٥) : يظهر أن الشاعر عندما وصف الظعائن بدوم تريم يقصد الوادي العظيم المعروف الآن بهذا الاسم ، والذي يكثر فيه شجر الدوم ، وهو الذي قال عنه ابن السكيت : قريب من مدين ، فهو في الواقع في بلاد مدين ، فهو ينحدر من جبال حِسْمى ، متجهاً صوب الغرب ، حتى يصب في البحر فيما بين المويلح وحَقل (الدرجة ٢٠ َ/ ٣٥° طول شرقي و ٥٩ َ/ ٢٧° عرض شمالي) . وفي هذا الوادي الآن قرية ذات سكان ونخيل بهذا الاسم ، وقد جاء في ص ٢٩٩ : تريم موضع لبني جشم . . . الخ ، وهذا هو تحديد بُريم ، ولا يزال معروفاً .

تَرِيم (٤٧٧) : تَرِيم هذا بكسر الراء لا صلة له بتِريم – بإسكان الراء – وإنّما أراد الشاعر وصف كسوة الحمول بملا تريم – جمع ملاءة وقصره للضرورة ، وتريم من حضرموت من بلاد اليمن ، والحبرات والملاءات كثيراً ما تنسب إلى اليمن .

تمنى (٣٥٧) : في سفح جبلِ هَرْشى شمالاً (أي بقرب الدرجة ٤ َ٠ / ٣٩° طول شرقي و ١ َ٠ / ٢٣° عرض شمالي) .

ثافل (٣٤٨) : يعرف الآن باسم جبل صبح – سلسلة جبال ممتدة من الشمال إلى الجنوب ، يدعها طريق المدينة القديم على اليمين عند التوجه إلى مكة ، والطريق الحديث إلى

اليسار ، وتشاهد بعد مجاوزة بدر نحو رابغ يسارا : من الدرجة ٠٠َ / ٣٩° إلى ١٠َ / ٣٩° طول شرقي ومن الدرجة ٥َ٠ / ٢٣° إلى ٥٠َ / ٢٣° عرض شمالي .

جبة (٣٩١) : موضع في جوف رمال عالج (النفود الكبير) بين الجبلين ودومة الجندل ، وتلك الرمال مشهورة بكثرة بقر الوحش وقد قلّتْ في عهدنا الحاضر (الدرجة ٥٩َ / ٤٠° طول شرقي و ٠١َ / ٢٨° عرض شمالي) .

جمع (٢٦٨) : المزدلفة تقع بين مِنى وعرفات ؛ الدرجة ٥٩َ / ٣٩° طول شرقي و ٢٠َ / ٢١° عرض شمالي .

الجي (٨٢) : هو واد لا يزال معروفاً ، ينحدر أعلاه من جبل ورقان (قرب الدرجة ٢٠َ / ٣٩° طول شرقي و ٥٠َ / ٢٣° عرض شمالي) ويسير متجهاً صوب الشمال الغربي ، حتى يصب في وادي الصفراء بعد أن يجتمع بعدد من الأودية من أشهرها وادي النازية ووادي رَحقان ، ويصب في وادي الصفراء بقرب الدرجة ٥٩َ / ٣٨° طول شرقي و ٥٩َ / ٢٣° عرض شمالي .

الحجون : (١٦٤) : الجبل المشرف حذاء مسجد البيعة ، الذي يقال له مسجد الحرس ، وفيه ثنية تسلك من حائط عوف عند الماجلين اللذين فوق دار مال الله إلى شعب الجزارين ، وأصله في شعب الجزارين وكانت المقبرة في الجاهلية ، وقد أصبح الآن داخل مكة (تاريخ مكة للازرقي ٢ / ٢٢١) .

الحراضة (٤٣٩) : أرى الشاعر أراد الحراضة الواقعة بقرب ينبع ، فقد نقل ياقوت في شرح قول كثير هذا قوله : الحراضة أرض ، ومعدن الحراضة بين الحوراء وشغب وبدا وينبع قريب من الحوراء ؛ وأقول : الحراضة لا تزال معروفة وتنطق بفتح الحاء وتقع شمال ينبع النخل في المنتصف فيما بينه وبين العيص ، وهي جبال وواد يفيض سيله إلى ينبع النخل ، وبشرقها آثار معادن ، وفي « بلاد العرب » أنّها قرية يقال لها حراضة موسى .

حِسمى (٢٢٩ / ٢٤١) : أرى صواب الكلمة (في ص ٢٢٩) حسنى لأنّه ذكر بعدها : ذا المزارع والنجال ، وبراق بدر ، وأراه يقصد وادياً ذا مزارع ونجال أي مياه ، لا ذا النجال الموضع بين الشام والسماوة . أما حسمى فهي جبال عظيمة تقع شمال تبوك ،

وتمتد إلى قرب ساحل البحر ، حيث تصب فيه أوديتها ومن أعظمها وادي تِرْيم . وتقع تقريباً من الدرجة ٢٠َ / ٣٥° إلى ١٥َ / ٣٦° طول شرقي ومن ٣٠َ / ٢٧° إلى ٣٠َ / ٢٩° عرض شمالي .

حسنى (٢٢٩ / ٢٦٩) : أرى حسمى في (ص ٢٢٩) صوابها حسنى ، وحسنى لا تزال معروفة ؛ وكتبت في الخارطة خطأ (برقة حسنة) تقع في المنتصف بين مستورة (ودان قديماً) والبريكة (الجار قديماً) بقرب ساحل البحر ، وهي أرض سهلة يخترقها الطريق بين مكة والمدينة وفيها برقة تضاف إليها ؛ الدرجة ٢٨َ / ٢٣° عرض شمالي و ٤٥َ / ٣٨° طول شرقي .

حقل (٣٨٢) : هو بلدة معروفة الآن على شاطىء خليج العقبة جنوبها ، وتبعد عنها ٢٧ كيلا ، وهي بقرب الدرجة ٢٩َ / ٣٤° طول شرقي و ٢٠َ / ٢٩° عرض شمالي .

الخرماء (٢٢٨) : عين لا تزال معروفة من عيون وادي الصفراء ، يمر بها الطريق من بدر إلى المدينة ، وتبعد عن بدر بما يقارب الـ ١٥ كيلا ، (كتبت في الخارطة خطأ : خرمة) ؛ تقع على الدرجة ٥٧َ / ٣٨° طول شرقي و ٥٦َ / ٢٣° عرض شمالي .

الحمى (٣٩٨) : يحسن تقييده هنا ، إذ إطلاق الحمى يراد به « حمى ضرية » وما هنا يقصد به « حمى النقيع » .

الخيف (٣٩٠) : يطلق اسم الخيف في الحجاز على العين ، وقد ورد هذا في « جمهرة نسب قريش » .

دارين (٨٠) : بقرب القطيف ، أحد منابع النفط على ساحل الخليج العربي ، توجد جزيرة طويلة ، يتصل بها من القطيف وقت الجزر خوضاً في البحر ، وقد وصلت في الأيام الأخيرة بالقطيف بجسر ، هذه الجزيرة يدعى طرفها الموالي للقطيف باسم تاروت ، وهو الشرقي الشمالي ، وطرفها الأقصى الجنوبي المتوغل في البحر باسم دارين ، وفي كل من الطرفين قرى وبساتين للنخل كثيرة ، ومعروف أن دارين هذه كانت من أهم موانىء بلاد العرب ، حيث تردها السفن من الشرق ، ومن هنا أُضيف إليها المسك (الدرجة ٠٢َ / ٥٠° طول شرقي و ٣١َ / ٢٦° عرض شمالي) .

الدهالك (٣٤٧) : قول ياقوت : قرية بالدهناء ، غريب حقاً ، فالدهناء ليس فيها قرى ، بل ليس فيها ماء ، وأرى العبارة : قريبة من الدهناء ، لأنّه رأى الشاعر ذكر الموضعين في بيت ، وإن كنت أرى أنّه لم يقصد موضعاً بعينه ، وإنّما قصد مجرد المفازة الواسعة ، وأهل نجد كثيراً ما يقول أحدهم في حالة الدعاء : الله يجعلك في دهلك ، ولعل الصواب في هذا أن جزيرة (دهلك) كانت سجناً ومنفى ، ثم اتسع في استعمال الاسم فعبر بها عن المفازة التي يخشى فيها الهلاك .

الدهناء (٣٤٧) : ليست الدهناء في طريق اليمامة إلى مكة ، إنّها شرق اليمامة ولعل أصل العبارة (البصرة) بدل اليمامة ، وشهرة الدهناء تغني عن تحديدها فهي تمتد من الربع الخالي جنوباً[1] حتى تتصل بالنفود الكبير (عالج قديماً) ، فاصلة بين بلاد نجد وبين شرق الجزيرة .

ذهبان (٣٧٣) : قرية بقرب الساحل تبعد عن جدة للمتجه إلى المدينة ٥٠ كيلا تقريباً ، الدرجة ٣ َ٠ / ٣٩° طول شرقي و ٥٨ َ/ ٢١° عرض شمالي .

ذو ذروان (٤٢٤) : أرى صواب الاسم « ذو دوران » وهو — كما في « معجم البلدان » — واد ينحدر من شمنصير ، بين قديد والجحفة وهذه من منازل الشاعر بخلاف الأول وقد ورد ذو دوران في شعره (ص ٤٧٩) .

ذو المر (٣٦٧) : قول الواقدي بأن بين مكة ومر الظهران خمسة أميال أصح منه ما جاء في كتاب المناسك : ١٣ ميلا (ص ٤٦٥) ، إذ مر الظهران لا يزال معروفاً باسم وادي فاطمة ؛ مع أنّني لا أستبعد أن يكون الشاعر قصد ذا مر ، وهو موضع في وادي إضم غرب المدينة ، فهو أقرب إلى المواضع التي ذكرها من مر الظهران ، (وانظر عن ذي مر كتاب : بلاد ينبع ص : ٢١٠) .

رابغ (٣٥٧) : وادٍ معروف ، وفي الوادي الآن بلدة كبيرة إلى الطريق بين مكة والمدينة تبعد عن الأولى ١٨٠ كيلا وعن الثانية ٢٦٢ كيلا ، وهي على ساحل البحر ،

---

[1] صيهد قديماً .

ويخترقها طريق مكة إلى المدينة ؛ الدرجة ١َ٠/ ٣٩° طول شرقي و ٥٠َ/ ٢٢° عرض شمالي . وقول البكري إنّه من مرّ غريب حقاً ، وأرى في العبارة خللاً ، إذ بين رابغ ومرّ مسافات طويلة .

رامة (١٥٤) : إذا أطلق اسم رامة قصد به الموضع الواقع في نجد ، البعيد عن مواطن عزة وصاحبها ، ورامة هذه أرض تقع في الجنوب الغربي من مدينة عنيزة – في القصيم – وتبعد عنها بما يقارب ٢٢ كيلا ، وعن بطن عاقل (العاقلي الآن) ١١ ميلا ، شرقاً (انظر بلاد العرب والمناسك) ؛ (بقرب الدرجة ٥٥َ/ ٤٣° طول شرقي و ٥٩َ/ ٢٥° عرض شمالي) . غير أن رامة هذه وهي التي تثنى رامتان ليس فيها جبال ،والمواضع التي ذكرت في قصيدة كثير أكثرها حجازية ، ولهذا أرى الاسم محرفاً أو أنّه قصد موضعاً آخر .

رضوى (٣٠٢) : سلسلة من الجبال تشاهد من ينبع من الدرجة ٣٨/٠٠° إلىالدرجة ٢٨َ/ ٣٨° طول شرقي ومن الدرجة ٢٠َ/ ٢٤° إلى الدرجة ٤٠َ/ ٢٤° عرض شمالي تقريباً .

ركبة (٩٦) : صحراء واسعة تقع شرق سلسلة جبال الحجاز متاخمة لتلك السلسلة من الجنوب إلى الشمال ، فهي من الجنوب تسيل فيها أودية الطائف الشرقية وتحدها السلسلة الجبلية المتصلة بجبال الطائف ويحدها من الشرق جبل حضن ، ثم جبال ظَلَمْ ، وحرة المُويه فحرة كُشُب من الشمال الشرقي ومن الغرب وادي العقيق ، هذه الأرض الواسعة كان يطلق عليها قديماً اسم ركبة جنوبها ، واسم السيّ وسطها ، واسم وجرة شمالها ، وهي فلاة واسعة كانت مَرَبّاً للوحش ، وكانت مألفاً للخُرّاب ، لبعدها عن المناهل ، ولوقوع طرق الحج في وسطها تخترقها ، فطريق حجاج اليمن من جنوبها ، وطريق حجاج نجد من وسطها ، وطريق الحاج العراقي وشمال نجد من شمالها ، ولا تزال معروفة باسم ركبة حتى الآن ؛ من الدرجة ٣٥َ/ ٤٠° إلى ٣٠َ/ ٤١° طول شرقي و ٣٠َ/ ٢١° إلى ٣٥َ/ ٢٢° عرض شمالي .

رماح (٧٩) : الصحيح أنّه كان منهلاً من أشهر مناهل الدهناء ، يقع في جو واسع وقد أصبح الآن بلدة فيها سكان كثيرون ، وهي مقر فَرع من فروع إمارة الرياض ، يتبعها ١٩ منهلا من مناهل البادية، يقع على الدرجة ١٠َ/ ٤٧° طول شرقي و ٣٥َ/ ٢٥°

عرض شمالي . ويقع على طريق المتجه من الرياض إلى الكويت، أما القول بأنّه برمل الوركة عن يسار أضاخ فهو خلط .

الروحاء (٨١) : كانت قرية جامعة من قرى مزينة ، أما الآن فلا تحوي سوى بويتات قليلة ومسجد أثري ، وآثار تقع بقربها مما يدل على قدمها ، والمسافة بينها وبين المدينة ٧٥ كيلا ، وتقع على الطريق المعبد ، الدرجة ١٠َ / ٣٩° طول شرقي و ٠٥َ / ٢٤° عرض شمالي .

ريم (٣٤٤ ، ٤٧٥) : واد لا يزال معروفاً يمر به طريق المدينة من ثنية الغاير عندما يهبط من جبل ورقان ، والوادي ينحدر من ورقان (كتب في الخارطة : ورجان ، خطأ) ثم يصب في العقيق (بقرب الدرجة ٣٠َ / ٣٩° طول شرقي و ١٥َ / ٢٤° عرض شمالي) ؛ والقول بأن التغلمين من بلاد فزارة صحيح ، ولكن لا صلة لها بريم .

سلع (٣٧٥) : جبل أصبح الآن داخل بنيان المدينة .

سويقة (١٩٠) : هناك سويقتان :

١ – قرية بقرب فرش ملل ، وقد درست – بقرب الدرجة ١٠َ / ٣٩° طول شرقي و ١٠َ / ٢٤° عرض شمالي .

٢ – قرية بوادي ينبع ، وهي التي ورد ذكرها في أخبار ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن في عهد المنصور (انظر بلاد ينبع ص ١٥ ، ١٣٧ ، ١٨٩) . ولا تزال هذه القرية موجودة بقرب الدرجة ٢٩َ / ٣٨° طول شرقي و ٢٠َ / ٢٤° عرض شمالي .

شابة (٤٧٧) : شابة الواقعة بين الربذة والسليلة بعيدة عن المحو الواقع بين الروحاء والسيالة ، فتلك في عالية نجد والأخير في تهامة ، وأقرب من شابة : ساية وهو واد عظيم من أودية تهامة ينحدر من شمنصير طرف من حرة بني سليم ، ويصب في البحر الأحمر بعد اجتماعه بوادي خليص ، ولكن ساية أيضاً وإن كان قريباً من بلاد الشاعر إلا أنّه بعيد عن المحو .

الشعيبة (٤٧٧) : هي ميناء مكة القديم قبل جدة ، ويقع جنوب جدة بما يقارب

٨٥ كيلا (بقرب الدرجة ٢٨َ/٣٩° طولاً و ٤٦َ/ ٢٠° عرضاً) ،ولا يزال موضع الشعيبة هذا معروفاً بهذا الاسم (وكتب فوقه في إحدى الخرايط مستابه ، خطأ) .

شغب (٣٥٦) : قرية صغيرة فيها نخيلات في أعلى واد يعرف بهذا الاسم ٢٢َ / ٣٦° طول شرقي و١٥َ/ ٢٧° عرض شمالي ، وينحدر هذا الوادي حتى يجتمع بوادي الأزلم (كتبت في الخارطة الأظلم ، خطأ) ويصب في البحر بين الوجه وضبا .

شغبى (٣٦٣) : هو شغب ، وأرى الألف ناشئة عن أن بعض النساخ رأى الاسم مكتوباً بالألف (حبّبت شغبا) فظنه مقصوراً .

الشقائق (٤١٦) : يظهر أن الشاعر أراد شقائق الدهناء ، جمع شقيقة ، وهي الأرض الغليظة الواقعة بين جبلين من جبال الدهناء .

شنائك (٣٤٨) : أراها شنوكة ، سلسلة جبال يدعها الطريق من المسيجيد إلى المدينة يساره ، وفيها شعب ينحدر على النازية ورحقان ويدع المسيجيد (المنصرف قديماً) — يساره بقرب الدرجة ٠٢َ / ٣٩° طول شرقي و ٠٣َ / ٢٤° عرض شمالي . والشعر هنا يدل على أن شنائك قبل ثافل ، وكذا شنوكة هذه ، أما القول بأنها بين قديد والجحفة ، فهذا يجعلها خلف ثافل ، وخلف المكان الذي اتجه إليه الشاعر وهو (بطن أرثد) الواقع بقرب مستورة ، قبل قديد والجحفة .

طَفيل (١٠٩) : هناك طفيلان ، ولكنني أرى أن طفيلاً الذي قصده الشاعر هو الواقع بقرب طريق حجاج اليمن من تهامة ، وأنّه ليس طفيلاً الذي وصفه عرام ، وقال بأنّه يقع في وسط خبت من الرمل متصل بهرشى ، ذلك أن الشاعر أراد أن يذكر طرق الحجاج فذكر عَزور ، وهو بقرب خبت هرشى ، الذي فيه طفيل ، وذكر خبت طفيل فكأنّه أراد طريقاً غير طريق عزور ، وذلك الطريق هو الواقع في الطريق الرئيسي لحجاج اليمن القادمين في الطريق الساحلي ، فعندما يجتاز هؤلاء الحجاج ميقات الاحرام المعروف قديماً باسم يلملم وحديثاً باسم السّعْدية ولَمْلم ، عندما يجتازون محل الإحرام يسهلون في خبت واسع يشاهدون منه على يسارهم جبلاً صغيراً في الخبت يدعى طفيلاً ، بينه وبين البحر جبل أسود شامخ يسمى (شامة) (رسم في الخارطة حرة شما ، خطأ) ؛ جبل طفيل هذا يقع بقرب الدرجة : ٥٠َ / ٢٠° طول شرقي و ٥٠َ / ٣٩° عرض شمالي .

الظهران (٤٢٥) : يعرف الآن باسم وادي فاطمة ، أعاليه النخلتان (نخلة الشامية ونخلة اليمانية) وأودية أُخرى ، ثم يتجه شرقاً حتى يصب في البحر الأحمر ، تاركاً جدة جنوبه ، بما يقارب الـ ٢٠ كيلا ، وفي الوادي قرى كثيرة .

عالج (٢٣٨) : رمال عظيمة تعرف الآن باسم النفود الكبير ، وتقع بين مدينة حائل وبلاد الجوف ، وفي جوفها منهل جُبّة .

عباثر (٣٧٤) : صواب عبارة الحازمي : ينحدر من جبل جهينة ، وإن كانت في مخطوطة الحازمي ومعجم البلدان محرفة « بنجد جبل جهينة » ، ذلك أن جبل جهينة — وهو الأشعر — من أشهرِ جبال الحجاز .

عبود (٣٩٨) : ليس في الفرش بل بعد الخروج منه ، إنّه يقع شماله ويحف به الطريق تاركاً له غربه في الاتجاه للمدينة ، ويشاهد من قرية الفُريش ، وهي في أول فَرْش ملل — الدرجة ١٠َ / ٣٩° طول شرقي و ١٥َ / ٢٤° عرض شمالي .

العذيبة (٧٥) : أرض واسعة يخترقها واديا واسِط والفَقير ، وتقع بين وادي الصفراء المنحدر إلى بدر فالبحر من الجنوب ، وجبال الصفراء من الشرق ، وسلسلة جبال نِصع من الشمال ، والبحر من الغرب ، وكان فيها ميناء يعرف بهذا الاسم ، ويعرف هذا الميناء الآن باسم المَعْجَز ، فيه مخفر حكومي ؛ ولا تزال العذيبة معروفة (وورد اسمها في الخارطة: العزبة ، خطأ) يزرع في أرضها على المطر ، وتقع العذيبة بين الدرجة ٢٨َ / ٣٨° و ٤٥َ / ٣٨° طول شمالي و ٤٠َ / ٢٣° و ٥٩َ / ٢٣° عرض شرقي .

العرج (٣٩٧) : هو وادٍ ينحدر من سلسلة جبال ، وفيه ثنيّة تُسْلكك إلى المدينة والاسم يطلق على الثلاثة : الجبال وتدعى الآن جبال الرجع ، والعقبة وتُدعى ثنية الرجع ، وهي بين وَرِقان شمالها ، وقدس (ينطق الآن دقس بإسكان الدال وتقديمها على القاف) ينحدر الوادي من الجبل حتى يصب في وادي الجِيّ الذي هو من أعظم روافد وادي الصَّفراء ، ونقل ابن شبة عن كثير الشاعر ، إنّما سمي العرج لتعرجه ، وفي رواية أُخرى عنه : لأنّه يعرج بها عن الطريق — ولعله يقصد الثنية هنا ؛ الدرجة ١٥َ / ٣٩° طول شرقي و ٥٠َ / ٢٣° عرض شمالي تقريباً .

عسفان (٣٩٦) : هو واد عظيم فيه قرى ، في طريق مكّة إلى المدينة ، يمر به لمن لم يسلك الطريق العام طريق جدة ، ويبعد عن جدة ٦١ كيلا ؛ والوادي يفيض في البحر عند قرية ذهبان ؛ الدرجة ١٥َ / ٣٩° طول شرقي و ٢٩َ / ٢٢° عرض شمالي .

العقيق (٣٧٥ / ٣٩٧) : المقصود عقيق المدينة ، والواقع في شرقها وجنوبها ثم يجتمع مع أوديتها في زغابة ؛ الدرجة ٣١َ / ٣٩° طول شرقي ومن الدرجة ٥٠َ / ٢٣° إلى الدرجة ٣٥َ / ٢٤° عرض شمالي .

العلاية (٣٧٦) : هو واد فيه قرية تسمى العلاية (في الخارطة : العلية ؛ خطأ) يقع في الجنوب الشرقي من بلاد غامد ، بعد بلاد خثعم ، وهذا بعيد عن بلاد الشاعر ، ولكن الشعراء وصفوا ظِباءه، فقلدهم الشاعر ؛ الدرجة ٥٨َ / ٤١° طول شرقي و٣٨َ / ٢١° عرض شمالي .

العناب (٢٧٩) : ليس بين العنابة وفيد مراحل بل مرحلتان على وجه التقريب ، وإذا كان الشاعر أراد العنابة فإنها قارة سوداء أسفل من الرويثة بين مكة والمدينة ، وكلمة « المطروقة » يجب أن تحدد بأنها كانت قديماً كذلك .

العناقان (٣١٢) : لا يقصد الشاعر عناق حمى ضرية لأنّه قرنه بينبع وهذا بعيد عن ضرية .

عينونا (٢٨٩) : لا تزال معروفة ، واد فيه قرية أثرية بهذا الاسم (كتبت في الخارطة عينونة ،خطأ) وتقع شمال المويلح ، بقرب انشعاب خليج العقبة من البحر ؛ الدرجة ٠٨َ / ٣٥° طول شرقي و ٠٤َ / ٢٨° عرض شمالي .

غراب (٢٧٩) : جبل في الشمال الغربي من المدينة بينها وبين مَخِيض (ينطق الآن مخيط ، وكذا هو في الخارطة) وهو شمال الجمّاوات ، والمسافة بينه وبين المدينة تقارب ثلاثة أميال ؛ الدرجة ٣٠َ / ٣٩° طول شرقي و ٢٩َ / ٢٤° عرض شمالي .

الغرابات (٤٣٣) : لا أرى أنّه قصد الغرابات التي أسفل من كلية ، وإن كانت في بلاده ، ولكنه قصد الغرابات التي وصفها الاصفهاني بقوله (ص ٤٠٥) أجبل سود بين ينبع والجار في شرقي الطريق ، إذا خرجت من الجار تريد ينبع ، بينك وبين مطلع الشمس ؛

ذلك أنّه ذكر بعدها ذا خشب وقال بعد ذلك (ما بين البحير فصرخد) فهو قادم من الشمال ، وكلية جنوب البحير لا شماله ولا تزال معروفة . (انظر : كلية)

غران (٣١٤ ، ٤٨٢) : واد عظيم لا يزال معروفاً يقع بين عسفان وخليص ، ينحدر من الحرة متجهاً صوب الغرب ، حتى يكون قريباً من عسفان ، فيتصرف إلى الشمال حيث يفيض في وادي خليص ؛ بقرب الدرجة ٣٥َ / ٣٩° طولاً ، و ٠٠ / ٢٢° عرضاً (وكتب في الخارطة : غيران ، خطأ) .

الغضي (٣٧٢) : رواية : «قفا الغصن» أقرب إلى الصواب ، إذ ذو الغصن من أودية العقيق ، وذو العشيرة هنا ذكره الزبير فيما نقل السمهودي من أودية العقيق ؛ أما العشيرة وتسمى ذو العشيرة التي غزاها الرسول (ص) فهي في أسفل وادي ينبع النخل ، كانت معروفة إلى القرن العاشر الهجري ، ومن آثارها عين البركة التي لم ينضب ماؤها إلا منذ بضع سنوات ، وتقع العشيرة هذه بقرب الدرجة ٢٨َ / ٣٨° طول شرقي و ١٥َ / ٢٤° عرض شمالي .

الغميم (٣٩٦) : أرى أن الشاعر قصد الذي بين عسفان ومر الظهران ، كما يفهم من قصيدته ، لأنّه ذكر بعده قَيْدة ثم عسفان ثم غزال الخ . . فهو متجه من الجنوب إلى الشمال ، أمّا الذي بين رابغ والجحفة فهذا يقع شمال هذه المواضع ؛ ويبعد الغميم عن عسفان ٣ أميال ، ومنه كراع (طرف من الحرة) يمتد حتى يصل إلى قرب الساحل ، ويعرف الآن باسم الكراع . الدرجة ١٥َ / ٣٩° طول شرقي و ٥٦َ / ٢١° عرض شمالي .

غَوْل (٣٢٠) : هو جبل عظيم ينحدر منه واد ، فيه نخل وسكان يقع شرق ضرية القرية ؛ الدرجة ٥َ٠ / ٤٣° طول شرقي ، و ٤٦َ / ٢٤° عرض شمالي .

غيقة (٢٧٥) : هي الأرض الواقعة بين واسط وحَسْنَى وهي متصلة جنوباً بالبزواء ، وفيها وادي لِواء ووادي الصفراء ووادي المَعْرج ، ومن المياه مخشوش (في الخارطة مقشوش ، خطأ) . من الدرجة ٣٢َ / ٣٨° إلى ٥٠َ / ٣٨° طول شرقي ومن ٢٨َ / ٢٣° إلى ٥٠َ / ٢٣° عرض شمالي .

فارع (٣٧٥) : أطم حسان بن ثابت ، وموقعه الآن داخل المسجد النبوي (المغانم : ٣٠٩) .

فلج (٤١٦) : هو واد عظيم يخترق شرقي نجد من قرب الدهناء حتى يصب سيله في الشط بقرب البصرة ، يعرف الآن باسم الباطن ، ومن القرى الواقعة فيه الحفر ، وهو أشهر واد في شرقي الجزيرة .

الفوائج (٢٣٤) : قال المصعب ، الفوائج عيون بأستار ؟ نص عبارة مصعب الزبيري (نسب قريش : ١١ — ١٢) : الفوائج عيون بأستار ، حدثت : تسمى الفوائح اه ، ويمكن تصحيح هذا من قول البكري : أستارة قرية من عمل الفرع ، (١٤٨ — ٧٢٢ — ١٠٢) وأورد شعراً جاء فيه :

تقول له ليلى بذي الأثل موهنا   لهن خليلي عن ستارة نازح

وقال : حذف الهمزة من أستارة للضرورة .

أقول : ستارة : واد عظيم فيه مجموعة من القرى ، يقع جنوب الفرع ، ينحدر من حرة رهاط (حرة بني سليم) ويفصل بينه وبين وادي الفرع وادي الأكحل ، ويصب في وادي قديد ، ثم يفيض في البحر بين القضيمة وتول — من الدرجة ٠٠/٤٠° إلى ٣٠َ / ٣٩° طول شرقي ومن ٣٠َ / ٢٢° إلى ١٥َ / ٢٢° عرض شمالي .

فيدة (٣٩٦) : واد من روافد وادي عسفان ينحدر شرقاً حتى يجتمع بوادي عسفان وفيه قرية بهذا الاسم ، تقع شرق قرية عسفان ، والوادي يمتد من الدرجة ٤٥َ / ٣٩° إلى ٢٠َ / ٣٩° طول شرقي و ٥٩َ / ٢١° عرض شمالي .

فيفا خريم (٤٣٩) : في آخر كتاب « بلاد العرب » من ٤٠٥ إلى ٤١٧ تحديد مواضع وردت في شعر كثير ، وكأنّها نقلت من أحد شروحه ووضعت في آخر الكتاب بدون مناسبة وارتباط ، وفيها في تعريف فيفا خريم ما هذا نصه : فيفا خريم وثنية غزال ولا يقال فيفا غزال ، ثنية غزال بين مكة والمدينة ، وهي بين المضيق والصفراء ، عادلا عن طريق المدينة شيئاً ، وخريم بين الجار والمدينة ، وهي ثنية بين جبلين .

قبال (٢٨٦) : القول بأنّه بقرب دومة الجندل بعيد جداً والظاهر أنّه هُنا قيال

(وانظره) ، مع أن جبل دومة الجندل هو قيال (بالقاف بعدها ياء مثناة لا باء ، كما صحف في كثير من الكتب مثل « معجم البلدان » وبعض شروح شعر المتنبي ، وجاء في « معجم ما استعجم » ص ١١٠٤ صحيحاً) وقيال هذا جبال عظيمة تسمى جبال قيالات ، ومنها قيال الصغير وقيال الكبير ، وتقع شمال دومة الجندل بميل نحو الشرق؛ من الدرجة ٥٨َ / ٣٩° إلى ١٥َ / ٤٠° طول شرقي ومن ٠٠ / ٣٠° إلى ٢٠َ / ٣٠° عرض شمالي .

قدس (٢٨٨) : ويحرف في النطق الآن فيقال : دقس ، ويسمى أيضاً جبل عوف نسبة للقبيلة التي تسكنه من حرب الذين سكنوا هذه الجهات في أول القرن الثالث؛ من الدرجة ٣٠َ / ٣٩° إلى ١٠َ / ٣٩° طول شرقي ومن ٣٠َ / ٢٣° إلى ٤٠َ / ٢٣° عرض شمالي .

قديد (٧٨ حاشية ٢٤) : واد ينحدر من حرة رهاط ، ويصب في البحر ، (بقرب قريتي القضيمة وتول الواقعتين على الساحل) وفي وادي قديد مزارع وقرى ، كان يمر به الطريق القديم من مكة إلى المدينة ، وأصبح الآن يدعه الطريق على اليمين ؛ الدرجة ١٥َ / ٣٩° طول شرقي و ٢٨َ / ٢٢° عرض شمالي .

قزقز (٤٢٤) : أرى الاسم في كتاب الحازمي مصحفاً والصواب قرقر بالراء المهملة ، ونص عبارة ياقوت : قرقر : قال أبو الفتح : هو جانب من القرية به أضاة لبني سنبس ، قال : وأظن القرية هذه بين الفلج ونجران ؛ وأقول : قرقر قرية لا تزال معروفة من القريات الواقعة في وادي السرحان ، وقد مر المتنبي بهذه الجهة ، هذا إذا كان صاحب القول أبا الفتح ابن جني ، وتلك الجهات كانت بلاد طي ، الذين منهم سنبس مجاورة لها لا (قرية) التي بين الفلج ونجران فتلك بعيدة عن بلاد بني سنبس ، ولا تزال معروفة ؛ ولا أستبعد أن الشاعر قصد القرقر من صفات الأرض ولم يقصد موضعاً بعينه .

قطن (١٣٥) : الأقوال الواردة في تحديد قطن كلها صحيحة ، غير أن سكانه الأقدمين قد تغيروا فسكنه غيرهم ، وهذا الجبل لا يزال معروفاً ، يقع في غرب القصيم بين الدرجة ١٥َ / ٤٢° و ٢٥َ / ٤٢° طول شرقي و ٥٥َ / ٢٥° و ٠٥َ / ٢٦° عرض شمالي .

قهر (٣٢٣) : أسافل الحجاز ممّا يلي نجداً من قبل الطائف ، هذا القول لأبي زياد . وهو يقصد جبالاً عظيمة تدعى القهر بالتعريف تقع شرق تَثْليث ، وغرب الطريق

المتجه من وادي الدواسر إلى نجران . من الدرجة ٥٠َ / ٤٣° إلى ٢٩َ / ٤٤° طول شرقي ٣٠َ / ١٩° إلى ٠٠ / ٢٠° عرض شمالي .

قِيال (٢٨٦) : هو أسفل وادي عَفال ، واد فيه نخل بقرب الساحل عند انشعاب خليج العقبة ، جنوب مَقنا بحوالي ٥٠ كيلا ، ويبعد عن الخريبة المجاورة لعينونا بـ ٨ أكيال شمالها تقريباً ؛ الدرجة ٠١َ / ٣٥° طول شرقي و ٠٥َ / ٢٨° عرض شمالي .

الكَديد (٣٩٧) : عين بين أمج وعسفان؛ الدرجة ٢٠َ / ٣٩° طول شرقي و٠٠ / ٢٢° عرض شمالي .

كلية[١] : قرية لا تزال مأهولة تقع في أسفل واد يعرف باسم وادي كلية ، يدعه الطريق من جدة إلى رابغ على اليسار على مسافة من الطريق تقارب عشرين كيلاً ، وهو بين تول ورابغ ، إلى الجنوب من رابغ وإلى الشمال من تول في سهل تهامة ، وتبعد عن قديد شمالاً بما يقارب ٣٥ كيلاً وقد جاء في « تعليق من أمالي ابن دريد » رواية أبي مسلم محمد بن أحمد بن علي الكاتب عنه (نسخة الزاوية الناصرية — تكروت ، بالمغرب (ص : ١١٣) قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي حدثني رجل من أهل كلية من خزاعة ، وكلية قرية كان يكون بها نصيب وكثير ...

اللعبا (٢٩٩) : آكام وحزون لا تزال معروفة في جهة الحناكية شرق المدينة ولا أحق موضعها وفي الحاشية ما يفهم أن الاسم يطلق على موضعين ، والذي في « المعجم » : ماء سماء في حزم بني عوال ، جبل لغطفان في أكناف الحجاز ، وأظنه يقصد الحزم ، وأصل هذا من رسالة عرام .

لفت (٣٩٧) : ثنية قبل خليص بثلاثة أميال ، للمتجه من المدينة إلى مكة ، في جبل قديد ، (المناسك) : ٤٦٠ ؛ الدرجة ١٥َ / ٣٩° طول شرقي و ٢٠َ / ٢٢° عرض شمالي — تقريباً .

لِيّة (٣٤١) : واد من أشهر أودية الطائف فيه قرى ، يوصف بجودة رمانه ، ويقع في الشمال الشرقي من الطائف ، ويفيض سيله في جنوب ركبة ؛ من الدرجة ٠٠َ / ٤٠° إلى ٥٩َ / ٤٠° طول شرقي ومن ١٥َ / ٢١° إلى ٣٥َ / ٢١° عرض شمالي .

متالع (٢٣٨) : لا يقصد الشاعر الماء الذي شرقي جبل الظهران ، بل يقصد جبلا عظيماً (هَضْب متالع) لا يزال معروفاً ، يقع غرب جبل أجا ، وجنوب النفود (رمل عالج) ، (وفي الخارطة : مطالع ، خطأ) وقد ذكر هذا الجبل نصر في كتابه (الورقة

١٤٢ من مخطوطة المتحف البريطاني) فقال : متالع جبل في بلاد طي ، ملاصق لأجا ، بينهما طريق لبني جوين من جرم طي ، ويقال له متالع الأبيض ، وجبل أيضاً في بلادهم لبني صخر بن جـَرم بينه وبين أجا ليلة يقال له متالع الأسود اهـ . والأخير هو المقصود ولم يذكر هذا ياقوت ؛ الدرجة ٤٥َ / ٤٠° طول شرقي و٢٨َ / ٢٧° عرض شمالي .

مجاح (٤٧٢) : هو بجيم بعد الميم وآخره حاء ولا عبرة بغير هذا ، وقد ورد في شعر محمد بن عروة بن الزبير :

لعن الله بطن لقف مسيـلا … ومجاحاً ، وما أحب مجاحا
لقيتْ ناقتي بـه وبلقف … بلداً مجرباً ، وأرضاً شحاحا

وهو واد لا يزال معروفاً ، ينحدر من حرة بني سليم شمال قرى الفرع ، ويسير متجهاً صوب الشرق حيث يجتمع به وادي الفرع بعد اجتماعه بوادي النخيل ، يجتمع الواديان مع وادي القاحة في موضع يدعى بئر مبيريك ، ومن ثم يدعى الوادي بعد اجتماع الأودية الثلاثة وادي الأبواء ويصب الوادي في البحر بقرب قرية مستورة (ودان قديماً) ومجاح بقرب الدرجة ٣٢َ / ٣٩° طولاً و ١٥َ / ٢٣° عرضاً (وكتب في الخارطة : نجاح ، خطأ) .

المحو (٤٧٧) : واد بين الروحاء والسيالة (بلاد العرب ص ٤٠٧) .

مدين (٤٤١) : بلاد مدين تمتد على ساحل البحر الأحمر من ميناء الوجه على وجه التقريب إلى خليج العقبة ، ومن أشهر القرى والموانىء فيها : الوجه ، ضبا ، المويلح ، الشيخ حميد ، حقل ، ومن أشهر المواضع : عينونا ، البدع ، بدا ، شغب (لفلبي كتاب دعاه « أرض مدين » عرب باسم « أرض الأنبياء – مداين صالح » ، خطأ) .

المراض (٢٩٨) : أرى الشاعر لم يقصد الموضع الذي بين رابغ والجحفة ، وإن كان من مواطنه وإنّما قصد موضعاً آخر ، في بلاد غطفان ، لأنّه قرنه بتغلم واللعباء ، وهما في جهات بلاد غطفان شرق المدينة .

المُضَيّح (٢٩٩) : يفهم من القصيدة أن الشاعر يصف ظعنا اتجهن شرقاً ، لأنّه ذكر المراض فتغلم فاللعباء ، وشرق هذه المواضع هضب المضيح ، وهو واقع على شاطىء وادي الجريب (الجرير الآن) أعظم روافد وادي الرمة ، أما القول بأن المضيح في الشام أو في الكوفة أو في مصر فتخرص من الرواة مبني على أن الممدوح كان في مصر خارج الجزيرة .

ملل (١٨٩) : واد يمر به الطريق ، بعد أن يتجاوز قرية الفُرَيْش ، وتقطع الوادي

وتدع جبل عَبّود على يسارك ، وتصل إلى الكيل ذي الرقم ٣٩ ، تكون قد دخلت في وادي ملل، أي أن أقصاه يبعد عن المدينة ٣٩ كيلا، ثم تسير في الوادي حتى تبلغ الكيل الا ٣٣ فتصل إلى وادي تُرْبان (انظر هذا الاسم) ؛ الدرجة ١٥ َ/ ٣٩° طول شرقي و ١٥ َ/ ٢٤° عرض شمالي .

المنتضى (٣١٤) : جاء في تعريفه : واد بين فرع والمدينة ، والصواب « الفرع » معرَّفاً، والتحديد لا ينطبق مع كون المنتضى بين غيقة ويليل (كما في البيت) ذلك أن الفرع جنوب المدينة وغيقة وبدر غربها .

منشد (٤٣٤) : لا أرى الشاعر قصد الماء الذي لبني تميم أو لبني أسد ، لبعد هذا عن مواطنه ، ولكنني أراه قصد الذي حدده ياقوت بأنّه موضع بين رضوى وبين الساحل ، فهذا من بلاد الشاعر .

المنَقّى (٢٦٠) : القول بأنّه موضع بين أُحد والمدينة لا يتفق مع قول الشاعر (فبيد المنقّى) جمع بيداء ، إذ المسافة بين أُحد والمدينة قصيرة جداً ، لا تبلغ خمسة أميال ، ولعله في حدود المشارف وبصرى وحوران .

ذو النجال (٢٢٩) : الموضع الذي بين الشام والسماوة بعيد جداً عن المواضع التي قرن الشاعر ذكرها بذي المزارع والنجال ، وأراه لم يقصد موضعاً يسمى بهذا الاسم ، وإنّما أراد الوصف جمع نجل (وهو الماء النز يجري في الوادي يجمع على نجال وأنجال) .

النجيل (٣٧٤) : ما ورد من تعريفه ذكره ياقوت في مادة (النخيل) — بالخاء — ولا أعرف صوابه من خطأه ، أما النجيل — بالجيم — فبعيد عن المدينة وهو أقرب إلى ينبع .

نخل (٣٨٢) : يعرف الآن باسم الحناكية ، واد فيه قرى كثيرة ، وبه يمر طريق حايل إلى المدينة ؛ الدرجة ٣٠ َ/ ٤٠° طول شرقي و ٥٣ َ/ ٢٤° عرض شمالي .

نخلة (١٠٩) : هما نخلتان ، واديان عظيمان ، الجنوبي منهما يدعى نخلة اليمانية والشمالي يدعى نخلة الشامية ، ينحدران من سلسلة الجبال الواقعة بين مكان إحرام الحجاج ، فاليمانية من قرب قرن المنازل (السيل، كما يعرف الآن قرية معروفة) والشامية من قرب ذات عرق (الضريبة الآن) وينحدران صوب الغرب حتى يلتقيا ، فإذا التقيا سمي الوادي مر الظهران ، (وادي فاطمة الآن) وفي الواديين عيون وقرى كثيرة معروفة ، ثم ينحدر الوادي

ماراً بحَدّاء (قرية) حيث يقطعه الطريق بين جدة ومكة ، ثم يفيض الوادي في البحر جنوب جدة ، على مسافة تقرب من عشرين كيلا ، وأشهر حجاج شرق البلاد ينحدرون من الواديين المذكورين (نخلة اليمانية ونخلة الشامية) ثم تجتمع الطرق بقرب حدود الحرم . نخلة اليمانية من الدرجة ٠٢َ/٤٠° إلى ٢٩َ/٤٠° طول شرقي و ٠٧َ/٢١° عرض شمالي ؛ نخلة الشامية من الدرجة ٠٢َ/ ٤٠° إلى ٣٠َ/ ٤٠° طول شرقي و ١٥َ/ ٢١° عرض شمالي .

نِصع (١١٣) : (في الخارطة خطأ : نعق) سلسلة جبيلات تمتد من غرب جبال الحمراء التي يدعها طريق المدينة إلى مكة يمينه ، وجبال نصع تمتد من جبال الحمراء نحو الغرب حتى تقرب من البحر ، ويخترقها قديماً الطريق بين ينبع والمدينة وفي سفحها الجنوبي الغربي تقع بئر سَعيد إحدى مناهل الطريق القديمة ، ويقع في طرفها الغربي جبل يدعى نعيجة العذيبة (في الخارطة خطأ:جبل نياقة العزبة)؛ من الدرجة ٣٠َ/ ٣٨° إلى ٤٥َ/ ٣٠° طول شرقي ومن ٥٥َ/ ٢٣° إلى ٠٥َ/ ٢٤° عرض شمالي .

نضاد (٣٠٠) : هو جبل لا يزال معروفاً، متصل بسلسلة جبال النير الواقعة في عالية نجد ، يدعه طريق مكة إلى نجد يمينه ؛ الدرجة ٣٠َ/ ٤٣° طول شرقي و ٢٠َ/ ٢٤° عرض شمالي .

هامة (٣١٣) : هناك هامات كانت من حدائق المدينة مشهورة بجودة النخل وأراها أقرب إلى مراد الشاعر من التي بهجر (انظر المغانم : ٢٠٤) .

هَرْشَى (٣٦٨) : كراع ممتد من الحرة (حرة رهاط) صوب الغرب ، وفي مستدق هذا الكراع عقبتان متجاورتان بين مكة والمدينة في القديم ، وقد عدل عنهما الطريق ؛ الدرجة ٤٠َ/ ٣٩° طول شرقي و ٠٠َ/ ٢٣° عرض شمالي .

وادي القرى (٢٥٤) : ليس وادياً ولكنّه مجموعة أودية ، وقاعدة قراه الآن بلدة العلا الواقعة جنوب الحجر (مداين صالح)؛ تقع العلا بقرب الدرجة ٥٠َ/ ٣٧° طول شرقي و ٣٨َ/ ٢٦° عرض شمالي .

الواديان (٣٧٥) : لا أرى أن الشاعر قصد البلدة التي في جبال الشراة قرب مدائن

لوط ، ذلك أنّه يصف غيثاً، رسا فوق المدينة بين سلع والعقيق وفارع وأحد ووعيرة، ولعله يقصد أشهر واديين في المدينة : العقيق وقناة .

واسط (١٢٧ ، ٤٢٣) : واد يقطعه الطريق المعبد بين المدينة إلى ينبع بعد أن يجتاز قرية بدر بما يقارب الـ ٢٥ كيلا ، ويصب الوادي في البحر ، وفي الوادي منهل بهذا الاسم ؛ من الدرجة ٢٩ َ/ ٢٨° إلى ٤٠ َ/ ٢٨° طول شرقي و ٥٠ َ/ ٢٣° عرض شمالي .

وجرة (٢٨٦) : هو الطرف الشمالي الغربي من صحراء ركبة (وانظر المناسك ٦٠٢) بقرب الدرجة ٤٥ َ/ ٤٠° طول شرقي و ١٠ َ/ ٢٢° عرض شمالي .

ودان (١٩٠) : درست القرية الآن ، وحل محلها قرية تدعى مستورة على شاطىء البحر ، يمر بها الطريق إلى مكة وجدة من المدينة بعد بدر؛ الدرجة ١٥ َ/ ٣٨° طول شرقي و ٠٤ َ/ ٢٣° عرض شمالي .

وعيرة (٣٧٥) : لا أرى الشاعر يقصد الوعيرة التي هي حصن من جبال الشراة ، قرب وادي موسى ، بل قصد وعيرة (بفتح الواو وكسر العين وبدون ألْ) وهو جبل شرقي جبل أُحد (وانظر المغانم : ٤٣٠) .

يليل (٢٢٧) : هو وادي بدر ، الذي يبعد عن المدينة بـ ١٤٨ كيلا ؛ الدرجة ٤٠ َ/ ٣٨° طول شرقي و ٤٥ َ/ ٢٣° عرض شمالي .

ينبع (٣١٢) : يقصد وادي ينبع النخل ، وهو ينحدر من فروع كثيرة من جبل جهينة ، الأشعر، ومن رضوى، ومن الجبال الواقعة غرب الصفراء، ويتجه للجنوب الغربي حتى يصب في البحر جنوب ينبع البحر ؛ من الدرجة ١٠ َ/ ٣٨° إلى ٥٠ َ/ ٣٨° طول شرقي ومن ٠٠ َ ٢٤° إلى ٣٠ َ/ ٢٤° عرض شمالي .

فَهَارِسُ الدِّيوَان

١ ـ فهرست أشعار كثير

القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
النوى	الطويل	٢	٤٨٧
ثرى	الكامل	٣	٤٩٥
أحسبا	الطويل	٣	٢٦٧
ومغاربا (اقرأ : ومغارب)	»	. . .	٥١٣
ثيابها	»	٥	٣٣٨
الشباباْ	الوافر	٣	٢٦٨
فالمسارب	الطويل	٣١	١٥١
راكبُ	»	١	١٥٦
عجيبُ	»	٤٦	١٦٤
فتطيب	»	٣	٣٨٧
المثقبُ	»	٣٠	١٥٧
تراقبه (اقرأ : توامقه)	»	. . .	٥١٣
التهابُها	»	٣ (فيها بيت مكرر)	٤٤٨
شبابها	»	٣	٤٤٧
فكثيبها	»	٧	٢٦٩
منتسبُ	البسيط	٣	٢٧١
الشبابُ	الوافر	١	٥٠١
المطاربِ	الطويل	٢٣	٣٣٩
لغائب	»	١	٣٤٣
لازبِ (اقرأ : لازم)	»	. . .	٥١٣
مغيبِ	»	٨	٣٥١

القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ناعقه	الطويل	١٤	٣٠٧
مهارقه	»	١	٣١٠
سمالقه	»	١	٣١٠
خرقُ	البسيط	٧	٤٦٦
فالخرق	»	٢	٤٨٨
محنقِ	الطويل	١٥	٢١٥
مشرقِ	»	٥	٢٣٦
سبقِ	»	١	٥٠٥
صديقِ	الوافر	٤	٤٩١
العناق	»	٨	٣٨٨
الرقاق	الخفيف	١	٥٠٦
الرواتكُ	الطويل	٢١	٣٤٦
حقلا	»	٢٦	٣٨٢
المطالا	الوافر	١	٥٠٧
ظلالها	الطويل	٧٨	٧٥
جمالها	»	٤	٤٦٨
السبلا	البسيط	٢	٣١١
الكهولا (اقرأ : الكهولُ)	الوافر	...	٥١٦
حالها	الكامل	٣	٣٩٤
الطلولا	المتقارب	١٦	٣٩٠
الغياطلُ	الطويل	٣١	٢٩٣
القوابلُ	»	٢١	٢٧٥
مواثل	»	٦	٤٥٥
ناهل	»	١	٥٠٦
يتبدل	»	٢٣	٢٥٤

القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
العمائمِ	الطويل	٢	٤٥٠
المعاصمِ	»	١	٤٥٠
يدومِ	الوافر	٧	٣٤٤
الأحلام	الكامل	١	٥٠٩
وقتومي (اقرأ : وقتومُ)	»	...	٥١٦
تنم	المنسرح	٧	٢٧٣
مليم	الخفيف	٦	٤٧٥
أجام	»	١	٥٠٩
لحمه	الرجز	(شطران)	٥٠٩
واجْنْ	الطويل	١	٥٠٩
أجمعينا	الوافر	٢	٤٩٠
أينــا	الخفيف	٥	٤٩٢
السوافنُ	الطويل	١٥	٣٧٩
قرينُ	»	٢٦	١٧٠
حصونها	»	٣٠	١٧٧
حزونها	»	١٧	٢٤١
يبينها	»	٤	٢٤٤
عيونها	»	١	٢٤٢
تدمّنِ	»	٢٩	٢٤٨
فاتّنِ	»	١	٢٥٣
المرحانِ	»	١	٥١٠
مكان (اقرأ : سبيل)	»	...	٥١٧
ثمن	البسيط	٢	٣٣٠
ادمان	الكامل	١٣	٤٢٣

٢ ـ أشعار لغير كثير أو مختلطة النسبة

٣ - فهرست الأعلام

٤ ـ فهرست القبائل والأمم

٥ ـ فهرست الأماكن

مصادر المقدمة والتحقيق

أ ــ المصادر المخطوطة

الأماكن للحازمي (نسخة لا له لي ، رقم : ٢١٤٠)
الأنوار ومحاسن الأشعار لأبي الحسن الشمشاطي (نسخة طوبقبوسراي ، رقم : ٢٣٩٢)
حلية المحاضرة للحاتمي (مخطوطة القرويين)
الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (نسخة رئيس الكتاب ، رقم : ٧٨٧)
الزاهر لابن الأنباري (مخطوطة جامعة دمشق) .
سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي (نسخة أحمد الثالث ، رقم : ٢٥٥٧)
صفوة الأدب (الحماسة المغربية) للجراوي (مخطوطة جامعة دمشق)
الفسر في شرح ديوان المتنبي (١ ــ ٣) لابن جني (مخطوطة قونيه)
مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (نسخة آيا صوفيا)
منتهى الطلب من أشعار العرب جمع محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (نسخة لاله لي، رقم : ١٩٤١)
نوادر الهجري ــ نسخة القاهرة ــ (نسخة دار الكتب الكتب المصرية ، رقم : ٤٣٢)
نوادر الهجري ــ النسخة الهندية ــ (نسخة مكتبة الجمعية الآسيوية في كلكته بالهند)

ب ــ المصادر المطبوعة

آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (بيروت : ١٩٦٠)
الإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي (القاهرة : ١٩٦١)
الإبدال (١ ــ ٢) لأبي الطيب اللغوي (دمشق : ١٩٦٠ ــ ١٩٦١)
أبو علي الهجري للشيخ حمد الجاسر (الرياض : ١٩٦٨)
إرشاد الأريب لياقوت الحموي (القاهرة : ١٩٣٦ ــ ١٩٣٨)

الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (حيدر أباد : ١٣٣٢)
أساس البلاغة للزمخشري (بيروت : ١٩٦٥)
رسالة استتار الإمام لأحمد بن إبراهيم النيسابوري (مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية : ٢/٤ : ٩٦)
الأشباه والنظائر (حماسة الخالديين) (١ — ٢) — القاهرة : ١٩٥٨
الاشتقاق لابن دريد (القاهرة : ١٩٥٨)
إصلاح المنطق لابن السكيت (القاهرة : ١٩٥٦)
كتاب الأضداد لابن الأنباري (الكويت : ١٩٦٠)
الأغاني (١ — ٢٥) لأبي الفرج الأصبهاني (دار الثقافة ، بيروت : ١٩٥٧ — ١٩٦٤)
رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان بن محمد (بيروت : ١٩٧٠)
الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب لابن السيد البطليوسي (بيروت : ١٩٠١)
الأمالي (١ — ٢) لأبي علي القالي (القاهرة : ١٩٥٣)
أمالي الزجاجي (القاهرة : ١٣٨٢)
أمالي المرتضى (١ — ٢) — القاهرة : ١٩٥٤)
الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر (القاهرة : ١٣٥٠)
أنساب الأشراف للبلاذري (الطبعة الأوروبية : ١٨٨٢)
أنساب الأشراف (٤ — ٥) للبلاذري (القدس : ١٩٣٨)
أنوار الربيع (مختصر ربيع الأبرار للزمخشري)
الإيضاح في علل النحو للزجاجي (القاهرة : ١٩٥٩)
البارع في اللغة لأبي علي القالي (لندن : ١٩٣٣)
البحر المحيط لأبي حيان الجياني (مصر : ١٣٢٨)
البخلاء للجاحظ (القاهرة : ١٩٤٨)
البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ (القاهرة : ١٩٦٠)
البصائر والذخائر (١ — ٤) لأبي حيان التوحيدي (دمشق : ١٩٦٤ — ١٩٦٩)
بلاد العرب للحسن بن عبد الله الاصفهاني (الرياض : ١٩٦٨)
البيان والتبيين (١ — ٤) للجاحظ (القاهرة : ١٩٦١)
تاج العرس في شرح القاموس (١ — ١٠) للزبيدي (بولاق : ١٣٠٧)

تاريخ الطبري (الطبعة الأوروبية)
تاريخ اليعقوبي (١ ــ ٢) ــ بيروت : ١٩٦٠
تبصير المنتبه (١ ــ ٤) لابن حجر العسقلاني (القاهرة : ١٩٦٤ ــ ١٩٦٧)
التبيان في شرح الديوان (١ ــ ٤) للعكبري (القاهرة : ١٩٣٦)
التبيان في علم البيان لابن الزملكاني (بغداد : ١٩٦٤)
تثقيف اللسان لابن مكي الصقلي (القاهرة : ١٩٦٦)
تحرير التحبير لابن أبي الأصبع (القاهرة : ١٣٨٣)
تزيين الأسواق للأنطاكي (مصر : ١٣٠٢)
التشبيهات لابن أبي عون (كمبردج : ١٩٥٠)
التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري (القاهرة : ١٩٦٣)
تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي (القاهرة : ١٩٦٩)
التمثيل والمحاضرة للثعالبي (القاهرة : ١٩٦١)
تهذيب تاريخ ابن عساكر (١ ــ ٧) ــ دمشق : ١٣٢٩
تهذيب اللغة (١ ــ ١٤) للأزهري (القاهرة : ١٩٦٤)
ثلاثة كتب في الأضداد (بيروت : ١٩١٢)
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (القاهرة : ١٩٦٥)
الجامع لابن علي الرضا محمد الباقر (طهران : ١٢٧٤)
جامع بيان العلم لابن عبد البر (المدينة المنورة)
الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا (الكويت : ١٩٦٨)
جمع الجواهر في الملح للحصري (القاهرة : ١٩٥٣)
الجمل للزجاجي (الجزائر : ١٩٢٦)
جمهرة الأمثال (١ ــ ٢) لأبي هلال العسكري (القاهرة : ١٩٦٤)
الحماسة لابن الشجري (حيدر أباد : ١٣٤٥)
حماسة البحتري (بيروت : ١٩١٠)
الحور العين لنشوان بن سعيد (القاهرة : ١٩٤٨)
الحيوان (١ ــ ٧) للجاحظ (القاهرة : ١٩٣٨ ــ ١٩٤٥)
حياة الحيوان الكبرى (١ ــ ٢) للدميري (مصر : ١٢٩٢)

خزانة الأدب (١ ــ ٤) للبغدادي (بولاق : ١٢٩٩)
الخصائص (١ ــ ٣) لابن جني (القاهرة : ١٩٥٢ ــ ١٩٥٦)
الدرر اللوامع على همع الهوامع للشنقيطي (القاهرة : ١٩١٠)
دلائل الإعجاز للجرجاني (مطبعة السعادة ، القاهرة)
درة الغواص للحريري (ليبزج : ١٨٧١)
ديوان ابن الدمينة (القاهرة : ١٩٥٩)
ديوان أُبي بن مقبل (دمشق : ١٩٦٢)
ديوان أبي تمام (١ ــ ٤) ــ (القاهرة : ١٩٥١ ــ ١٩٦٥)
ديوان الأعشى الكبير (بيروت)
ديوان جرير (بيروت : ١٩٦٠)
ديوان جميل بثينة (مكتبة مصر ، القاهرة)
ديوان ذي الرمة (كمبردج : ١٩١٩)
ديوان عمر بن أبي ربيعة (بيروت : ١٩٦١)
ديوان كعب بن زهير (القاهرة : ١٩٥٠)
ديوان مجنون ليلى (تحقيق فراج ، القاهرة)
ذم الهوى لابن الجوزي (القاهرة : ١٩٦٢)
الذهب المسبوك لعبد الرحمن الإربلي (بغداد : ١٩٦٤)
رسالة الغفران للمعري (دار المعارف ، القاهرة)
الرسالة الموضحة للحاتمي (بيروت : ١٩٦٥)
رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة للشريف الغرناطي (مصر : ١٣٤٤)
الروض الأنف (١ ــ ٢) للسهيلي (مصر : ١٩١٤)
روضات الجنات للخوانساري (طهران : ١٣٦٧)
زهر الآداب (١ ــ ٢) للحصري (مصر : ١٩٥٣)
الزهرة لابن داود (بيروت : ١٩٣٢)
الزينة لأبي حاتم الرازي (القاهرة : ١٩٥٧)
سرقات أبي نواس لمهلهل بن يموت (دار الفكر العربي : ١٩٥٧)
سمط اللآلي (١ ــ ٢) للبكري (القاهرة : ١٩٣٦)

السيرة (١ ـــ ٤) لابن هشام (القاهرة : ١٩٥٥)
شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام (القاهرة : ١٩٦٣)
شرح أدب الكاتب للجواليقي (القاهرة : ١٣٥٠)
شرح أشعار الهذليين (١ ـــ ٣) صنعة أبي سعيد السكري (القاهرة : ١٩٦٥)
شرح تهذيب الألفاظ لابن السكيت (بيروت : ١٨٩٥)
شرح حماسة أبي تمام (١ ـــ ٤) للتبريزي (مصر : ١٢٩٦)
شرح ديوان ابن أبي حصينة (١ ـــ ٢) ـــ دمشق : ١٩٥٧
شرح ديوان الحماسة (١ ـــ ٤) للمرزوقي (القاهرة : ١٩٥١ ـــ ١٩٥٣)
شرح ديوان المتنبي للواحدي (برلين : ١٨٦١)
شرح شواهد قطر الندى للشربيني (القاهرة : ١٢٩٨)
شرح شواهد الكشاف (مصر : ١٢٨١)
شرح الشنتمري على شواهد الكتاب (على هامش كتاب سيبويه ، ط . بولاق : ١٣١٨)
شرح شواهد المغني للسيوطي (مصر : ١٣٢٢)
شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري (القاهرة : ١٩٦٣)
شرح المضنون به على غير أهله لابن عبد الكافي (القاهرة : ١٩١٣)
شرح المفصل لابن يعيش (إدارة الطباعة المنيرية بمصر ، وطبعة ليبزج : ١٨٨٢)
شرح المفضليات لابن الأنباري (بيروت : ١٩٠٦)
شرح المقامات الحريرية (١ ـــ ٢) للشريشي (مصر : ١٣٠٠)
شروح سقط الزند للمعري (١ ـــ ٥) ـــ القاهرة : ١٩٤٥ ـــ ١٩٤٨
الشعر والشعراء (١ ـــ ٢) لابن قتيبة (دار الثقافة ، بيروت : ١٩٦٤)
الصبح المنبي للبديعي (القاهرة : ١٩٦٣)
الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي (دمشق : ١٩٦٤)
صفة جزيرة العرب للهمداني (القاهرة : ١٩٥٣)
كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (القاهرة : ١٩٥٢)
طبقات فحول الشعراء لابن سلام (القاهرة : ١٩٥٢)
الطبقات الكبرى لابن سعد (بيروت : ١٩٥٧)
عبث الوليد لأبي العلاء المعري (القاهرة : ١٩٧٠)

العقد (١ — ٧) لابن عبد ربه (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة)
العمدة (١ : ٢) لابن رشيق (مصر : ١٩٠٧)
عمدة الأخبار في مدينة المختار للعباسي (الطبعة الثالثة)
عيار الشعر لابن طباطبا (القاهرة : ١٩٥٦)
عيون الأخبار (١ — ٤) لابن قتيبة (القاهرة : ١٩٢٤ — ١٩٣٠)
العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف مجهول (ليدن : ١٨٧١)
الفاخر لابن سلمة الضبي (القاهرة : ١٩٦٠)
الفاضل للمبرد (القاهرة : ١٩٥٦)
الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة)
فصل المقال في شرح الأمثال للبكري (الخرطوم : ١٩٥٨)
الفصول والغايات للمعري (القاهرة : ١٩٣٨)
قطب السرور للرقيق (دمشق : ١٩٦٩)
الكامل (١ — ٤) للمبرد (مطبعة نهضة مصر ، القاهرة : ١٩٥٦)
الكامل في التاريخ لابن الأثير (بيروت : ١٩٦٥)
كتاب سيبويه (١ — ٢) — بولاق : ١٣١٨
لباب الآداب لأسامة بن منقذ (القاهرة : ١٩٣٥)
لحن العوام للزبيدي (القاهرة : ١٩٦٤)
لسان العرب (١ — ١٥) لابن منظور (بيروت : ١٩٥٦)
الكتاب المأثور لأبي العميثل (حيدر أباد : ١٩٢٥)
مجموعة المعاني لمؤلف مجهول (الجوائب : ١٣٠١)
المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ (مصر : ١٣٢٤)
المحاسن والمساوىء للبيهقي (بيروت : ١٩٦٠)
محاضرات الأدباء (١ — ٤) للراغب الأصبهاني (بيروت : ١٩٦١)
المحكم والمحيط الأعظم (١ — ٣) لابن سيده (مصر : ١٩٥٨)
المختار من شعر بشار (القاهرة : ١٣٥٣)
مختصر الفرق بين الفرق للرسعني (مصر : ١٩٢٤)
المخصص (١ — ١٧) لابن سيده (بولاق)

المرصع لابن الأثير (فايمار ، فلبر : ١٨٩٦)
مصارع العشاق للسراج (بيروت : ١٩٥٨)
المصون في الأدب لأبي أحمد العسكري (الكويت : ١٩٦٠)
مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة من استخراج أبي عبد الله اليمني (بيروت : ١٩٦١)
المعاني الكبير (١ — ٣) لابن قتيبة (حيدر أباد : ١٩٤٩)
معاهد التنصيص (١ — ٤) للعباسي (مصر : ١٩٤٧)
معجم البلدان (١ — ٦) لياقوت الحموي (ليبزج : ١٨٦٦ — ١٨٧٠)
معجم الشعراء للمرزباني (القاهرة : ١٩٦٠)
معجم ما استعجم (١ — ٤) للبكري (القاهرة : ١٩٤٩ — ١٩٥١)
المعرب للجواليقي (القاهرة : ١٣٦١)
المغانم المطابة في معالم طابة للفيروزابادي (الرياض : ١٩٦٩)
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (القاهرة : ١٩٥٩)
المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية للعيني (على هامش خزانة الأدب للبغدادي) — القاهرة : ١٢٩٩
كتاب المقالات والفرق للقمي (طهران : ١٩٦٣)
مقالات الإسلاميين للأشعري (فيسبادن : ١٩٦٣ — الطبعة الثانية)
مقاييس اللغة (١ — ٦) لابن فارس (القاهرة : ١٣٦٦)
الملل والنحل للشهرستاني (ط الكيلاني القاهرة)
المنازل والديار لأسامة بن منقذ (موسكو : ١٩٦١)
المنقوص والممدود للفراء والتنبيهات لعلي بن حمزة (القاهرة : ١٩٦٧)
الموازنة (١ — ٢) للآمدي (القاهرة : ١٩٦١ — ١٩٦٥)
الموشى للوشاء (القاهرة : ١٩٥٣)
الموشح للمرزباني (القاهرة : ١٩٦٥)
نثار الأزهار لابن منظور (الجوائب : ١٢٩٨)
نسب قريش للمصعب (القاهرة : ١٩٥٣)
نظام الغريب للربعي (نشر برونله ، الطبعة الأولى)
نقائض جرير والأخطل (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت)

نهاية الأرب (١ — ١٨) للنويري (مصر : ١٩٢٥)
نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني من اختصار أبي المحاسن اليغموري (بيروت : ١٩٦٤)
الوافي بالوفيات (١ — ٤) للصفدي (فيسبادن : ١٩٥٩)
الوحشيات لأبي تمام (القاهرة : ١٩٦٣)
الوساطة للجرجاني (الطبعة الثالثة ، القاهرة)
وفاء الوفا (١ — ٢) للسمهودي (مصر : ١٣٢٦)
وفيات الأعيان (١ — ٦) لابن خلكان (القاهرة : ١٩٤٨)

تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٥	١٩ ــ ٢٠	وودعان	ودعان
١٤٠ / ٣١٤	٩ / ٢٢	الأشقر	الأشعر
١٧٢	١٥	نجلاء	نخلى
١٩٤	١٨	بالأثل	بالأثيل
٢١٧	١٩	ابن جن	ابن غنم (كما في جمهرة ابن الكلبي وابن حزم)
٣٦٧	٨	ودان أسفل هرشى ...الخ	الأبواء أسفل هرشى على ميلين منها مما يلي المغرب وهرشى ثنية . . الخ وودان أسفل من الأبواء ، وبين ودان وهرشى خمسة أميال
٣٧٤	٢١	بنجد	ينحدر
٣٧٤	٢٢	الساحل	إلى الساحل
٤٣٥	١٣	دار	واد
٤٣٩	١٩	خشب	ذي خشب
٤٧٢	٣ ، ٨	البقيع	النقيع

فهرست المحتويات